

جامعة البعث

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

المجاعات والأوبئة في المغرب والأندلس ق٦-٨هـ/١٢-١٤م
" دراسة في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي "

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في قسم التاريخ اختصاص تاريخ العرب والإسلام.

إعداد:

علا محمود حمود

إشـــراف:

أ. د. م شيرين سليم حمودي

١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م

كلمة شكر و تقدير

اعترافاً بالفضل لذويه، يجدر بي وفاءً مني وتقديراً وعرفاناً، أن أتقدم إلى **أستاذتي الفاضلة الدكتورة شيرين حمودي** ببالغ شكري وعظيم امتناني على ما بذلته من جهد ومتابعة، إذ إن إشرافها على هذا البحث أبسط عطاءٍ من عطاءاتها. فكم أضاءت لي حكمتها الطريق، وكم ذلّل حوارها الرشيد كثيراً من المصاعب. سائلةً الله عزّ وجل أن يجزيها عني أوفى الجزاء، وأن يديمها عوناً لطلاب العلم ، وأن يهبني نعمة الإخلاص لعظيم فضلها إخلاص الطّلاب الأوفياء لمعلّميهم .

وقد لا تفي كلمات الشكر حق الدكتورة شيرين ، ولكن سماحة نفسها تكمل نقص كلماتي.

ويبقى الشكر الأول والأخير إلى **جامعة البعث**، وأخصّ **أساتذة قسم التاريخ** بامتنانٍ خاص لما أسدوه لي من لطفٍ كريم لا أنساه. وشكري هذا أقل واجب عليّ لهم ، وقد قال الرسول ﷺ "**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**". فقد أثمرت كلماتهم الطيبة عزيمةً و أملاً .

وآمل أن يكون في هذا العمل بعض رد الدين لهم...

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان من **السادة أعضاء لجنة المناقشة** الذين سيكسبون هذا البحث قيمةً أخرى بما سيسدونه عليّ من توجيهات وآراء. وأخصّ **الأستاذ الدكتور عبد السلام زيدان و الدكتور بسام العلوش** فلعطائهما كل التقدير والاحترام.

وبعد ، فهذا صنيعٌ قدّمته ، وقد صدقت النية وصحّ العزم ، فإن ظفر برضا المنصفين فهذا رجاء، وإن لم يفز بهذه المزيّة فحسبي الجهد التي بذلت والنية التي صدقت ﴿ فإنّ لكلّ امرئٍ ما نوى﴾، والحمد لله ربّ العالمين.

حمص في : ٢٠١٨/٣/٣

الإهداء

- إلى الغائب الحاضر من وددت وجوده معي أكثر من أي شيء آخر إلى من كان أرق وأنبل إنسان في هذا الوجود إلى من كانت لحظات فرحنا بوجوده حقيقية إلى من شرفنا جميعاً من لم ولن ننساه يوماً.

إلى روح أخي الشهيد علاء محمود حمود .

-إلى من كلل العرق جبينه وشققت الأيام يديه من علمني أن الأعمال الكبيرة لا تأتي إلا بالصبر والجهد من آمن بي و كان دائماً اليد المعطاءة المُحبة.

أبي أطال الله في عمره .

- إلى من غمرتني محبةً من اعتنت بي ولطالما صلت لأجلي.

أمي أطال الله في عمرها .

- إلى سندي وعوني في هذه الدنيا إخوتي المحبين .

ديانا وأحمد.

- إلى من كانت دائماً بالقرب دائماً العون والحافز صديقتي العزيزة .

آلاء دياب .

- إلى الأخ الكبير والإنسان المعطاء المحب .

السيد بشار بوعيطة أبو مجد .

- وإلى من أتمنى أن أراهم في أعلى المراتب شمعاتنا الصغار أولاد أختي.

رامـــا ، حيـــدر ، بشـــار و ليمـــار .

فهرس المحتويات

الصفحة :

الاختصارات

أُشِير للمصادر والمراجع في الهوامش حسب اسلوب الاختصار الآتي:

يذكر في الهامش: شهرة المؤلف، مع كلمة أو أكثر من اسم كتابه، ثم الجزء (في حال وجود جزءٍ)، ثم الصفحة:

ت: توفي.	ق.م: قبل الميلاد.
ج: جزء.	ط : طبعة.
ص: صفحة.	د.ت: دون تاريخ ونشر.
م : ميلادي.	د.م: دون مكان نشر.
مج: مجلد.	د.د: دون دار.
ع : عدد.	ق: قرن ، قسم .
هـ : هجري	تح : تحقيق .
غ : غرام	تر : ترجمة .
كغ : كيلو غرام .	" ......" اقتباس.

- المقدمة :

أفاضت كتب التاريخ في الحديث عن الأحوال السياسية والمعارك وسير أبطالها، فقد وجه المؤرخون السابقون جل اهتمامهم إلى دراسة الوقائع الحربية والتقلبات العسكرية مبرزين الجانب المزدهر، مؤرخين لفترة الذروة والانتصار من دون التفطن لفترات القصور والضعف، لكن الكتابة التاريخية قد شهدت نقلة نوعية وتطوراً من حيث الموضوع فلم تعد الأحوال الإنسانية والاجتماعية الاقتصادية من الأمور المهمشة، إذ خرج المؤرخون من قوقعتهم وطرحوا مواضيع جديدة كالتأريخ للعلوم والفنون والأزمات والتأريخ لمنعكسات الانحطاط السياسي على الناس بعد أن كان يؤرخ له لإبراز آثاره السياسية، بدأ التأريخ له لإبراز آثاره الإنسانية .

ولذلك تم اختيار موضوع المجاعات والأوبئة في المغرب والأندلس (٦-٨هـ/١٢-١٤م)، كموضوع جديد يؤرخ للأزمة التي شهدها المغرب والأندلس، فدراسة المجاعات والأوبئة تقع على مفترق عدد من فروع المعرفة وميادين البحث تتصل بالتاريخ وتتعداه إلى آفاق أخرى تلتقي فيها الأسئلة الجغرافية بالتعليلات السوسيو اقتصادية، والطبية والنفسية، إذ يجب الانتقال بالمجاعات والأوبئة من طبيعتها المحسوسة والوصفية إلى كونها أزمة اجتماعية سياسية اقتصادية، ودراسة مسبباتها من طبيعية وبشرية واقتصادية ودراسة الجهود المبذولة لتجاوزها على الصعيدين الرسمي والشعبي ونتائجها على كافة الأصعدة ، فحدث جلل كهذا لا يمكن أن يمر بشكل عابر في تاريخ مجتمع أو دولة ما فلابد أن يترك بصمته الدامغة في التاريخ ، حيث بلغت المجاعات والأوبئة من الأهمية أن كانت سبباً في قيام الثورات السياسية التي أدت إلى سقوط دول وظهور دول أخرى، كما انعكست آثار المجاعات والأوبئة على الاقتصاد والاجتماع والذهنية فشخصية الإنسان وليدة تجاربه وخبرته التي اكتسبها عبر صراعه مع الحياة من أجل البقاء، وكون هذا الصراع لدى الإنسان عادات وسلوكيات وذهنيات جديدة قد تكون تحولت إلى تراث متوارث إلى اليوم كالإيمان بالخوارق أو سلوك الادخار للأيام العصيبة، فموضوع المجاعات والأوبئة موضوع جديد يستحق الوقوف عنده والبحث والاستقصاء في ثناياه لمعرفة كيف تعامل الإنسان مع الأزمة وكيف طور أساليبه الاحترازية والإجرائية لتجاوز المجاعات ، فآثار المجاعات والأوبئة الاقتصادية والاجتماعية والديموغرافية، تستمر على المدى البعيد حيث لا تنتهي بانتهائها بل

تستمر منعكساتها سنوات بعدها، تستحق أن يفرد لها بحث لدراستها فالإنسان والاقتصاد والاجتماع لم يعد في هامش الدراسات التاريخية بل أصبح هو الموضوع والمحور.

وقد تم اختيار فترة زمنية طويلة نسبياً ما بين القرنين (٦-٨هـ/١٢-١٤م) لأن المجاعات والأوبئة تحتاج إلى زمن طويل في الدراسة، وذلك لرصد أكبر عدد من المجاعات والأوبئة التي أصابت المغرب والأندلس ولتبين آثارها على المجتمع التي لا تنتهي بانتهاء المجاعات والأوبئة بل تستمر منعكساتها السلبية التدميرية لسنوات بعدها، ويحتاج المجتمع إلى وقت طويل للتعافي منها.

- إشكالية البحث :

يطرح هذا البحث العديد من الإشكاليات منها ماهي العوامل التي أفضت لحدوث المجاعات هل كانت طبيعية بالكامل أم أسهم البشر في حدوثها ؟ هل للضرائب علاقة بحدوث المجاعات؟ وكيف حاول الإنسان التكيف مع واقع الجوع وماهي أبرز الجهود التي بذلت لتجاوز المجاعات والأوبئة ؟ هل أدت المجاعات والأوبئة لتعزيز دور الأولياء في المجتمع؟ أعززت من تقرب الناس لله أم أدت لفساد الأخلاق وترديها ؟ ما كان دور الطب والأطباء في أزمة الوباء؟ هل ساعدت الطبقة الحاكمة فئات الشعب الضعيفة أم كانت بعيدة عن آلامهم ومعاناتهم؟ ماهي الآثار الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية الناتجة عن المجاعات والأوبئة ؟ وماهي أبرز السلوكيات والذهنيات التي يفرزها الجوع والوباء داخل المجتمع ؟ما علاقة المجاعة والوباء بنهاية عمر الدولة؟ كيف يكون الجوع والوباء عاملاً في ظهور دول وسقوط دول أخرى؟ وإشكالات فرعية أخرى سيتم طرحها في ثنايا هذه الدراسة .

- منهجية البحث:

لقد تم اعتماد المنهج التاريخي الاستقرائي التحليلي والاستنتاجي ، فقد تمت دراسة مصادر ومراجع البحث وأخذ المعطيات منها ومن ثم تحليل معطياتها وترتيبها وفق تسلسل زمني، كما تمّ تقسيم البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة تلتها قائمة بالملاحق .

فقد تضمن **الفصل الأول** التعريف بجغرافية المغرب والأندلس والقوى السياسية التي تعاقبت على الحكم فيه خلال القرنين(٦-٨هـ/١٢-١٤م) ، إذ لا يمكن إقامة دراسة اجتماعية اقتصادية صحيحة مع التعتيم على الظروف السياسية والحدود الجغرافية لبلد ما فالمعطيات السياسية والجغرافية لها دور مؤثر في الاجتماع والاقتصاد .

ثم تعرض **الفصل الثاني** لأسباب المجاعات بشقيها الطبيعية والبشرية، فالطبيعية اشتملت على العوامل المناخية كالجفاف والسيول والأعاصير وأثرها في التراجع الزراعي وحدوث المجاعات أما البشرية فتمثلت بالحروب وأثرها على تعطيل القطاع الإنتاجي وإتلاف الأراضي الزراعية وتهجير الأيدي العاملة وبوار الأراضي، والأسباب الاقتصادية المتمثلة بالضرائب المجحفة في نهاية عمر الدولة والجباية الجائرة ، كما وتمت دراسة أسباب الأوبئة من عوامل مناخية وتلوث الماء والهواء والمجاعات ونمطها الغذائي السيء الذي يؤدي إلى الأوبئة والحروب وكثرة القتلى والجثث التي شكلت عاملاً من عوامل حدوث الأوبئة، ومن الجدير ذكره أن التجارة عدّت سبباً مهماً في انتقال الطاعون عبر السفن، مروراً باعتقادات العامة حول العوامل المسببة الخرافية إن صح التعبير.

أما **الفصل الثالث** كان حول الجهود المبذولة لتجاوز المجاعات والأوبئة سواء الجهود على المستوى الرسمي للدولة القائم على المساعدات وفتح المخازن وتخفيف الضرائب، أم على مستوى العامة باتخاذهم الإجراءات الاحترازية كالادخار والإجرائية كابتكارهم لأغذية جديدة اختلفت عن المألوف، ويمكن نعتها بالشاذة أحياناً، أما الفقهاء والأولياء فكانت جهودهم عبر الفتاوى الميسرة لأمور الناس أو من خلال أداء الصدقات والحث عليها أو الأداء الكرامي للأولياء في مواجهة الجوع والوباء، أما جهود تجاوز الأوبئة فجاءت عن طريق الطب القائم على العلم الممارس من قبل الأطباء والبيمارستانات والحجر الصحي و والمعالجة بالمياه المعدنية أو من خلال الطب الشعبي والوصفات لدى العطارين أو عن طريق أساليب علاجية خرافية انتشرت في أوساط العامة.

ثم تعرضت في **الفصل الرابع** إلى نتائج المجاعات والأوبئة على كافة الأصعدة الاجتماعية مثل انتشار الآفات الاجتماعية وتفشي اللصوصية والتسول، وديموغرافية من فناء ديموغرافي وهجرة ونزوح السكان، والنتائج على الصعيد الاقتصادي المتمثلة بالغلاء والاحتكار وتدني قيمة العملة وظاهرة الدين والسلف والنتائج السياسية ودور المجاعات والأوبئة بقيام دول وأفول نجم دول أخرى ودور المجاعات في الثورة على السلطة الحاكمة، والنتائج النفسية والذهنية المتمثلة ببروز طبقة الأولياء والإيمان بالخرافات والأساطير والشعوذة، والنتائج العلمية للمجاعات والأوبئة ايجابياً وسلبياً .

أما **الخاتمة** فجاءت على شكل أسئلة مفتوحة.

- **أهداف البحث :**

يكمن الدافع في كتابة هذا البحث في تقصي حقيقة الفترات المظلمة من تاريخ المغرب والأندلس والتأريخ لعصر الأزمة ، فعلى الرغم من أهمية الموضوع الذي أثر على كافة نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى النفسية والذهنية إلا أنه قد مر على هامش بعض الدراسات القليلة فلم ينل حقه من البحث والتقصي، حيث تكمن أهمية هذا البحث في كونه سيشكل مادة علمية جديدة في مجال البحث التاريخي حيث عاش المغرب والأندلس سلسلة من المجاعات والأوبئة خلفت ندوباً عميقة في تاريخه لم يكشف عنها بعد، فالمجاعات والأوبئة من المواضيع التي تستحق الوقوف على ثناياها ودراستها بعمق لتأثيرها على المجتمع ونفسية وذهنيات الإنسان .

- **صعوبات البحث :**

كان من أهم الصعوبات أو العوائق التي واجهت البحث، ما يأتي:

١- طول المدة الزمنية التي تناولتها الدراسة، مما احتاج إلى جهد كبير في جمع المادة العلمية المتعلقة بموضوع البحث.

٢- قلة المادة المصدرية المتعلقة بهذا الموضوع بالتحديد، حيث كانت الكتابة التاريخية في العصر المدروس حبيسة الحدث التاريخي السياسي، أما التاريخ الاجتماعي الاقتصادي بما يتضمنه من قضاياه متعددة من بينها المجاعات والأوبئة فقدد بقي مهمشاً.

٣- تشابه المعلومات التي تقدمها المراجع؛ لكونها مستقاة من المصادر نفسها. .

- **التعريف بالمصادر الأساسية :**

تتطلب دراسة موضوع المجاعات والأوبئة من القرن (٦-٨هـ/١٢-١٤م) تنوعاً في المادة المصدرية، إذ اعتمدت الدراسة على مصادر ومراجع كثيرة ومتنوعة منها كتب النوازل والفتاوى والحسبة والتراجم والمناقب وبالتأكيد كتب التاريخ العام والكتب الجغرافية ، فكانت بعض المصادر لمؤرخين عاصروا الأحداث التي تناولها البحث، وعاينوها وشاركوا فيها، فجاءت كتاباتهم دقيقة مفصلة، ومنها لمؤرخين عاصروا جماعة ممن شاهدوا أو شاركوا فيها، فأكسب ذلك مؤلفاتهم قيمة علمية وتاريخية، وفيما يلي دراسة لأهم المصادر التي استخدمت في كتابة هذا البحث .

أ- كتب النوازل الفقهية :

١- **ابن رشد** : أبو الوليد محمد بن أحمد الأندلسي المالكي القرطبي (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م)، اشتهر باسم ابن رشد الحفيد فيلسوف وطبيب وفقيه وقاضي وفلكي وفيزيائي عربي مسلم أندلسي، نشأ في أسرة من أكثر الأسر وجاهةً في الأندلس والتي عرفت بالمذهب المالكي، حفظ موطأ مالك، وديوان المتنبي، ودرس الفقه على المذهب المالكي، يعد كتابه " فتاوى ابن رشد" من المؤلفات المهمة نظراً للدور الذي شغله مؤلفه والمكانة التي شغلها لاسيما عصر المرابطين، فقد تولى قضاء العديد من المدن الأندلسية، لاسيما وأنه كان في وقت من الأوقات عميد القضاة بقرطبة، وكانت الأسئلة ترد إليه من مختلف جهات المغرب والأندلس وقد تم الاعتماد على فتاواه في العديد من القضايا المتعلقة بقضايا الاحتكار .

٢- **البرزلي:** أبو القاسم بن أحمد بن المعتل البلوي القيرواني الشهير(ت ٨٤٤هـ/١٤٤٠م)، رحل للقاهرة وصار إماماً لجامع الزيتونة وأفتى ووعظ وتوفي في تونس ، يعد كتابه "جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام" من أهم المصنفات الفقهية في حقل النوازل ، وتكمن أهميته في كونه يقدم بعض الفتاوى الخاصة بالحياة الاجتماعية للفئات الفقيرة من ناحية المهن إضافةً إلى فتاوى السرقة واللصوصية في المجتمع الحفصي .

٣- **الونشريسي** : أحمد بن يحيى (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م) ، هو الونشريسي مولداً، التلمساني منشأً وأصلاً، الفاسي منزلاً ومدفناً، من علماء الجزائر الأعلام وفقهائها البارزين في القرن التاسع الهجري كتابه " المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب" استمد العديد من نوازله من المازوني، أفاد بالتحدث عن المسائل المتعلقة بالغصب والتعدي والدين السلف والحرابة وشتى المسائل الاقتصادية الاجتماعية في الفترة المدروسة .

ب – كتب الحسبة:

١ – ابن عبدون (محمد بن أحمد التجيبي ق٦هـ/١٢م)،ابن عبد الرؤوف (أحمد بن عبد الله ق٦هـ/١٢م)، الجرسيفي(عمر بن عثمان بن عباسق٦هـ/١٢م) : ثلاثة رسائل في الحسبة وآدابها، قام بتحقيقها ليفي بروفنسال وتعد من أهم المصادر المستخدمة فيما يخص قوانين التسعير والغش والأسواق عامةً يسمى كتابه "ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب" حيث يضم هذا المؤلف:

رسالة ابن عبدون محمد بن أحمد التجيبي عاش خلال القرن٦هـ/١٢م رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ورسالة ابن عبد الرؤوف أحمد بن عبد الله عاش خلال القرن ٦هـ/١٢ في آداب الحسبة والمحتسب، و رسالة السقطي أبي محمد بن أبي محمد المالقي الأندلسي عاش خلال القرن٦هـ/١٢م في آداب الحسبة حيث تمت الاستفادة منها في قوانين السوق والتسعير والغش

٢- **العقباني:** محمد بن أحمد التلمساني (ت ٨٧١هـ/١٤٦٧م)، أخذ الإمام العقباني العلم عن أبرز مشايخ عصره بالمغرب، وصار راسخ القدم في العلوم العقلية والنقلية، وبلغت رتبته في تحقيق العلوم الشرعية رتبة أعلم أهل عصره بالغرب الإسلامي كالإمام ابن عرفة والإمام الشريف التلمساني والإمام المقري يعد كتابه " تحفة الناظر وغنية الذاكر في خفظ الشعائر وتغيير المناكر" من أهم المصادر التي تتحدث عن أوضاع خطة الحسبة وموقف القضاة من الأمور التي تؤدي إلى حدوث المجاعات كالاحتكار والغش وزيادة السعر وقت المجاعات وبعض الأمور التي أدت إلى لأوبئة كانعدام النظافة في الطرق والأسواق .

ج- كتب التاريخ العام :

١- **ابن سعيد :** أبو الحسن علي بن موسى المغربي الأندلسي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، هو مؤرخ، وشاعر، وعالم بالأدب، ولد بقلعة يحصب ونشأ واشتهر بها، قام برحلة طويلة زار بها مصر والعراق والشام، وتوفي في تونس، وقيل: في دمشق ارتبط اسم كتاب "المغرب في حلى المغرب " بابن سعيد المغربي لكنه حقيقةً عبارة عن موسوعة تاريخية توارثها بني سعيد منذ حوالي ٥٣٠هـ/١١٣٥م وكان أخرهم ابن سعيد .

٢- **ابن عذارى :** أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي (ت٧١٢هـ/١٣١٢م)، تتمثل أهمية كتابه " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" في كونه أفاد في الحصول على تفاصيل الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال إشارات ضمن المتن، فشكل بأجزائه الخمسة واحداً من أهم مصادر دراسة المغرب والأندلس وإن كان البحث قد اعتمد على الجزئين الرابع والخامس على وجه التحديد .

٣- **ابن أبي زرع :** أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمر (ت ٧٢٦هـ/ ١٣١٥ م) ، مؤرخ مغربي، أهدى كتاب " الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس " لسلطان بني مرين أبي سعيد عثمان الثاني بن يعقوب (٧١٠-٧٣١هـ/١٣١٠-١٣٣١م) يذكر المؤلف المجاعات والأوبئة التي حدثت في المغرب ومظاهرها كغلاء الأسعار والوفيات

ومعاناة الناس جراءها ومجهود بعض السلاطين في التخفيف من حدتها ومساعي العديد من الفقهاء لبث الأمن والاستقرار.

٤- **ابن خلدون :** عبد الرحمن بن محمد، أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (٧٣٢-٨٠٨هـ/١٣٣١-١٤٠٥م) ، يعد من مؤسسي علم الاجتماع وليَ الكتابة والوساطة بين الملوك في بلاد المغرب والأندلس ثم انتقل إلى مصر، حيث قلده السلطان برقوق قضاء المالكية. ثم استقال من منصبه وانقطع إلى التدريس والتصنيف، فكانت مصنفاته من أهم المصادر للفكر العالمي ، يعد كتابه " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" من المصادر ذات الأهمية والفائدة للباحثين في التاريخ نظراً لدور صاحبه السياسي والثقافي في المغرب والأندلس، وهو كتاب في سبعة أجزاء وتمت الاستفادة من الجزئين السادس والسابع بالإضافة للمقدمة التي أفادت في مختلف العلوم والميادين الاقتصادية والاجتماعية .

٥- **المقري :** شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني(ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م) ، ولد بالجزائر وتنقل بين المغرب والحجاز ودمشق والقاهرة، في كتابه " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب "، ألف المقري الكتاب للتعريف بشخصية لسان الدين بن الخطيب، ولكن تم تقسيم الكتاب لقسمين وتحدث في القسم الأول عن أحوال الأندلس وصورها أحسن تصوير، وتحدث عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والأدبية في الأندلس. والقسم الثاني خصه بالتعريف بلسان الدين حتى وفاته .

د- كتب الطبقات والتراجم :

١- **ابن عياض :** أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م) لا يخفَ على أحد مكانة كتابه "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك " لكون صاحبه من أقطاب المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، لذلك جاءت ترجمته وافية لأعلام المالكية .

٢- **ابن بشكوال:** أبو القاسم خلف الأنصاري الخزرجي بن عبد الملك الأندلسي القرطبي قاضي ومؤرخ أندلسي ،عاش في قرطبة وتوفى فيها ت ٥٨٧هـ/١١٩١م، له أكثر من خمسين مؤلفاً، من شيوخه الوليد بن رشد وأبي بحر الأسدي وأبي بكر بن العربي. وكتابه " الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم و فقهائهم وأدبائهم"، وتتمثل أهمية الكتاب في أن صاحبه تتلمذ على يد مجموعة من فقهاء الأندلس، فصور وقائع هؤلاء الفقهاء وحياتهم وترجم لهم ترجمة وافية.

٣- **ابن الخطيب :** محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السّلماني و يكنى أبا عبد الله (٧١٧-٧٧٦هـ/١٣١٢-١٣٧٤م)، هو شاعر وكاتب وفقيه مالكي ومؤرخ وفيلسوف وطبيب وسياسي من الأندلس درس الأدب والطب والفلسفة في جامعة القرويين بفاس. قضّى معظم حياته في غرناطة في خدمة بلاط بني نصر وعرف بذي الوزارتين: الأدب والسيف. نقِشت أشعاره على حوائط قصر الحمراء بغرناطة، وتأدّب في غرناطة على شيوخها، فأخذ عنهم القرآن، والفقه، والتفسير، واللغة، والرواية، والطب، وكتابه "الإحاطة في أخبار غرناطة " الذي يعد من المصادر ذات الأهمية ولا غنى عنها في دراسة التاريخ الأندلسي عامةً والغرناطي خاصةً، لاسيما أن صاحبه كان مشاركاً في الحياة السياسية والثقافية، واحتوى الكتاب على تراجم للعلماء المشهورين وبعض من السلاطين والوزراء الأندلسيين ومن عاصرهم من سلاطين الدول المجاورة .

٤ - **النباهي :** أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي كان حياً ٧٩٣هـ/١٣٩٠م، ولد النباهي في مالقة سنة ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م، ورحل إلى غرناطة، ثم ولي خطة القضاء بها، وأُرسل مرتين في سفارة سياسية من غرناطة إلى فاس سنة ٧٦٧ هـ/ ١٣٦٥م وقد كان صديقاً للسان الدين بن الخطيب، ثم انقلبا عدوين بعد ذلك، فنال منه ابن الخطيب ولقبه بالجُعسوس (القصير) ازدراءً له، للنباهي كتاب "تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا " وهو عبارة عن مجموعة من التراجم لفقهاء وقضاة الأندلس حتى أواخر القرن٨هـ/١٤م أفاد كتابه في فقرة الجهود المبذولة من قبل الفقهاء لتجاوز المجاعات والأوبئة.

هـ- كتب المناقب :

١- **ابن الزيات :**التادلي يوسف بن يحيي المعروف (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م)، أديب وقاضي مالكي من أهل تادلة بالمغرب، يعد كتابه " التشوف إلى رجال التصوف " من أهم المصادر التي أرخت للمتصوفة، أورد تراجم غنية لمتصوفة المغرب استفيد منها بالتعرف على حالة المجتمع الاقتصادية والاجتماعية، والتعرف على الأداء الكرامي للمتصوفة الأمر الذي كان له عميق الأثر في نفوس أهل المغرب .

٢- **الغبريني :** أبو العبّاس أحمد الفقيه المحدِّث قاضي الجماعة ببجاية(ت ٧٠٤هـ/١٣٠٤م) كان شديدًا في أحكامه وكان مهيباً وقوراً لمّا كان قاضياً، ومن شدّته ما ذكر من طرده لبعض الصوفية من المسجد لعدم أدائهم تحيَة المسجد ترجم في كتابه " عنوان الدراية فيمن عرف من

العلماء في المائة السابعة ببجاية " لعلماء بجاية وصلحاء الأندلس.- ومنهم الأطباء- ،والأهم من ذلك أنه كشف عن واقع الطب وحال الممارسة الطبية ببجاية في هذه الفترة .

٣- ابن قنفذ : أبو العباس أحمد الخطيب القسنطيني (ت٨١٠ هـ/١٤٠٨م) كان جده لأبيه علي بن ميمون القسنطيني (ت ٧٣٣ / ١٣٣٢م) إمام و خطيب مسجد قسنطينة مدة خمسين سنة، وكان والده حسن بن علي بن قنفذ عالما، انتقل إلى مدينة تلمسان، فأخذ عن شيوخها الأجلاء الكثير من العلوم من تفسير و حديث و فقه مثل أبو عبد الله محمد ابن مرزوق التلمساني الخطيب، خص ابن قنفذ كتابه "أنس الفقير وعز الحقير" للتعريف بالشيخ أبي مدين شعيب وأصحابه التابعين من أهل التصوف، حيث أشار ابن قنفذ من خلال الكتاب إلى ما شاهده من سير رجال التصوف وأفاد الكتاب في الاطلاع على الفئات المتصوفة ودوها التكافلي مع أبناء المجتمع في فترات المجاعات والأوبئة . وذكر المجاعة العظيمة التي عايشها في المغرب ٧٧٦هـ/١٣٧٤م عندما كان بتلمسان وذكر مظاهرها الاقتصادية والاجتماعية والدينية.

٤- ابن مريم : أبو عبد الله بن محمد بن أحمد (ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م) ،مؤرخ وفقيه مالكي، اشتهر بزهده وتفوقه في المسائل الفقهية، ويعد من أبرز فقهاء تلمسان في عصره لمعارفه الفقهية واللغوية، ولد بتلمسان من عائلة تنتسب إلى أشراف قبيلة مليتة .أخذ عن أبيه مبادئ اللغة والفقه وتلقى تعليمه الأولي بمدارس تلمسان. امتهن التدريس خلفاً لوالده سنة ٩٨٥هـ/١٥٧٧م، فاهتم بتقييد الأخبار وقراءة الشروح اللغوية، ترجم في كتابه " البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان "، للأولياء والعلماء الذين عاشوا في بلاط الدولة الزيانية ويذكر من خلال تعداد مناقب الأولياء مساعدتهم للناس زمن المجاعات .

و – كتب الجغرافية :

١- البكري : أبو عبيد الله بن عبد الله الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، نسبه عربي يرجع إلى قبيلة بكر بن وائل أكبر قبائل ربيعة في شبه جزيرة العرب، جغرافي وموسوعي وأديب ونباتي عربي أندلسي، كتابه " المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب " هو قطعة من كتاب المسالك والممالك والبكري جغرافي أندلسي سجل مشاهداته وصور المدن أحسن تصوير وأعطى معلومات وافية حول المدن والطرق المغربية .

٢- الإدريسي : أبو عبد الله محمد الشريف المعروف (ت ٥٦٤هـ/١١٦٨م) من كبار الجغرافيين في التاريخ ومؤسسي علم الجغرافيا، كما أنه كتب في الأدب والشعر والنبات، ودرس الفلسفة

والطب والنجوم في قرطبة. استخدمت مصوراته وخرائطه في سائر كشوف عصر النهضة الأوربية. إذ لجأ إلى تحديد اتجاهات الأنهار والبحيرات والمرتفعات ، وضمنها أيضًا معلومات عن المدن الرئيسة بالإضافة إلى حدود الدول، يعد كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " من المصادر الجغرافية ذات الأهمية الكبيرة، لما يحويه من معلومات وافية عن أهم الطرق البرية والبحرية ومختلف المراسي والمدن المغربية والأندلسية و لكون صاحبه استقى معلوماته من أسفاره ورحلاته.

٣- **الحموي** : ياقوت بن عبد الله الرومي شهاب الدين (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، وهو رحالة جغرافي وأديب وشاعر وخطاط، ويلقب بالحموي نسبة لسيده الذي اشتراه عندما أسر وبيع في بغداد وكتابه "معجم البلدان" وهو موسوعة جغرافية شاملة وبالرغم من أن كاتبه مشرقي ولم يقم بزيارة المغرب والأندلس ولكنه أعطى وصفاً دقيقاً للمدن الموجودة هناك .

٤- **الحميري** : محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور، أبو عبد الله (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥)، رحالة وكاتب من أهل سبتة، وكتابه "الروض المعطار في خبر الأقطار " وهو عبارة عن معجم جغرافي لا يخلو من سرد بعض الأخبار والوقائع التاريخية، ومرتب على حسب الحروف، يصف المدن والأقطار والجزر وبعض المحيطات والبحار ينقل عن البكري والإدريسي مع إضافات بسيطة إلا أنه من المصادر الغنية من الناحية الاقتصادية في المغرب والأندلس .

٥- **الوزان** : الحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي (توفي بعد٩٥٧هـ / ١٥٥٠م) يرجح بعضهم أنه ينتسب إلى قبيلة زناتة الأمازيغية، عاشت أسرته حقباً من الزمن في الأندلس، وولد بمدينة غرناطة قبيل سقوطها في يد الأسبانيين، وكتابه " وصف إفريقية " يهتم بوصف المدن الواقعة بإفريقية وذكر الطعام واللباس والحرف والمطامير كما أورد ذكراً للطعام والأمراض والمجاعات والخلل الديموغرافي .

ز – كتب الطب :

١- **الزهراوي** : خلف بن عباس أبو القاسم (توفي بعد٤٠٠هـ / ١٠١٣م) هو طبيب عربي عاش في الأندلس .يعد أعظم الجراحين الذين ظهروا في العالم الإسلامي، ووصفه الكثيرون بأبي الجراحة الحديثة أفاد كتابه "التصريف لمن عجز عن التأليف" بالحديث عن وسائل العلاج الطبية وخاصةً الكي والفصد.

٢- **ابن البيطار** : ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي المَعروف ، والملقَّب بالنباتي والعشَّاب (٥٩٣ هـ / ١١٩٧م - ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م) عالم نَبَاتي، والصيدلاني الأول في تراكيب الدَّواء ورائد العلاج الكيميائي ولد في مالقة وتلقى علومه في إشبيلية على يد أبي العباس ابن الرومية النباتي وغيره، وكتابه " الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" الذي يعد معجماً ذكر فيه المؤلف مختلف الأعشاب والنباتات الطبية ومنها تلك التي تنبت في المغرب والأندلس وفوائدها الطبية.

٣- **البسكري** : عيسى بن سلامة كان حياً ٨٦٠هـ/١٤٥٥م ومخطوط "اللوامع والأسرار في منافع الأخبار" و هو مخطوط يبين فيه صاحبه الرقى المستخدمة في كثير من الأمراض ويعطي وصفات أدوية مركبة مما استقاه من أطباء عصره .

ح - المراجع المستخدمة :

تم الاعتماد على عدد من المراجع خلال هذا البحث أهمها :

١- **إبراهيم القادري بوتشيش** : الدكتور والباحث المغربي أفاد كتابه "مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال العصر المرابطي، في الحديث عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والأولياء وتاريخ المهمشين المتسولين واللصوص.

٢ - **محمد فتحة** : أفاد كتابه " النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن٦ إلى ٩هـ/١٢-١٥م " في النوازل المتعلقة بالشأن الاجتماعي والاقتصادي والنوازل التي طرأت على المجتمع بسبب المجاعة والوباء .

٣ - **عصمت دندش** : تحدث كتابها "الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني ٥١٠-٥٤٦هـ/١١١٦-١١٥١م تاريخ سياسي وحضاري " عن السياسة وأبرز الثورات كما وتطرق الكتاب إلى الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والحضارية .

٤- **الحسين بولقطيب** : تناول كتابه "جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين " موضوع الجوائح الطبيعية والبشرية، واختلاف الفقهاء حول اعتبار الجيش من الجوائح ، كما تحدث عن موضوع الوباء على عهد الموحدين.

٥- **عبد الهادي البياض:** ذكر في كتابه " الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق٦-٨هـ/١٢-١٤م) " الكوارث الطبيعية التي أصابت المغرب والأندلس وآثارها اجتماعياً ونفسياً على الإنسان وذكر الجهود المبذولة لتجاوزها .

كما وتمت الاستعانة بالعديد من المقالات والأطروحات الجامعية.

- **الفصل الأول : جغرافية المغرب والأندلس والقوى السياسية التي حكمت المغرب والأندلس ما بين القرنين (٦-٨هـ/١٢-١٤م).**

أولاً – جغرافية المغرب والأندلس:

أ- جغرافية المغرب

ب- جغرافية الأندس

ثانياً – القوى السياسية التي حكمت المغرب والأندلس ما بين القرنين (٦-٨هـ/١٢-١٤م) :

١- دولة المرابطين (٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٧م).

٢- دولة الموحدين (٥٤١-٦٦٨هـ/١١٤٦-١٢٦٨م).

٣- الدولة الزيانية (٦٣٣-٩٦٢هـ/١٢٣٥-١٥٥٤م) .

٤- الدولة الحفصية (٦٢٦- ٩٨٢ / ١٢٢٨ – ١٥٧٤م).

٥- الدولة المرينية (٦٦٨-٨٦٩هـ/١٢٦٩-١٤٦٥م) .

٦- دولة بنو الأحمر في غرناطة (٦٢٩-٨٩٧هـ/ ١٢٣٢-١٤٩٢م) .

ثالثاً – تعريف المجاعة والوباء :

أ- تعريف المجاعة

١ – المجاعة في اللغة.

٢- المجاعة في المصادر التاريخية.

ب – تعريف الوباء:

١- الوباء في اللغة.

٢-الوباء في الطب.

٣-الفرق بين الوباء والطاعون.

٤- الوباء في المصادر التاريخية.

١- جغرافية المغرب والأندلس :

نظراً لأن المجاعات والأوبئة كغيرها من الظواهر التاريخية لاتتم دراستها إلا بتحديدها ضمن إطار زماني ومكاني، وجب في بداية البحث التعريف بجغرافية المغرب والأندلس وحدود كل منهما، والتطرق لأصول تسمية كل من المغرب والأندلس، وتقسيمات المغرب بحسب المؤرخين والجغرافيين، إذ قسموه بحسب قربه وبعده عن دار الخلافة لثلاثة أجزاء وهي المغرب الأدنى والأوسط والأقصى .

أ- جغرافية المغرب:

عرف المؤرخون والجغرافيون الأقاليم الواقعة غرب مصر والتي تشمل القارة الإفريقية الممتدة من برقة[١]وطرابلس[٢]شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً[٣]باسم (بلاد المغرب الإسلامي) لم تكن بلاد

(١) برقة: تقع شمال الأراضي الليبية متوسطة المساحة على ساحل المتوسط في أول ما ينزل القادم من مصر إلى القيروان، ومنها إلى الإسكندرية إحدى وعشرون مرحلة ومن الأميال خمس مائة ميل، اليعقوبي (أحمد بن أبو يعقوب إسحاق بن جعفر ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧ م) : البلدان، تح، محمد أمين الضناوي، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت،ص ١٨١، سيتم ذكر المصدر باسم اليعقوبي : البلدان؛ الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ج1، ص٣١١،٣١٠، سيتم ذكر المصدر باسم الإدريسي : نزهة المشتاق .

(٢) طرابلس: من مدن إفريقيا وهي مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر، ولها سور وبينها وبين مدينة سرت عشر مراحل، البكري(أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) :المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت، ص٦،٩، سيتم ذكر المصدر باسم البكري : المغرب؛ مؤلف مجهول (توفي في القرن ٦هـ/١٢م): الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب،ن شر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، د.ت، ص ١١، سيتم ذكر المصدر باسم مؤلف مجهول : الاستبصار؛ الحميري(عبد المنعم ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م،ص٣٨٩، سيتم ذكر المصدر باسم : الحميري : الروض المعطار .

(٣) عرف المحيط الأطلسي باسم بحر أوقيانس أو بحر البلايا، ابن عذارى (المراكشي ت ٧١٢هـ/١٣١٢م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح، محمد زنبير، عبد القادر زمامة محمد الكتاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط٣،١٩٨٥م، ج١، ص٦، سيتم ذكر المصدر باسم ابن عذارى : البيان المغرب ؛ النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تح، مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م، ج١، ص٢١٧، سيتم ذكر المصدر باسم النويري : نهاية الأرب ؛ الحميري: الروض المعطار، ص٥٠٩ .

المغرب معروفة بهذا الاسم عند العرب الفاتحين بل أطلقوا عليها لفظ (إفريقيا) [1]، وهو اللفظ المعروف عند البيزنطيين،[2] وبامتداد حركة الفتح الإسلامي إلى الساحل الأطلنطي ومنها إلى بلاد الأندلس بدأ لفظ إفريقيا يتقلص شيئاً فشيئاً بينما أخذ لفظ المغرب في الظهور.[3]

أما من جهة الجنوب فتحد بلاد المغرب جبال الرمل (الصحراء الكبرى) التي تمتد من البحر المحيط غرباً إلى ما وراء سجلماسة،[4] وحتى بلاد برقة شرقاً،[5] وكانت هذه الصحراء تعرف بالعرق،[6] وهي تفصل بين بلاد السودان[7] وبلاد المغرب. [1]

---

(1) الاصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) : مسالك الممالك، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٧٠م، ص٣٧،٣٦؛ ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي ت ٣٦٧هـ/ ٩٨٨م): صورة الأرض، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٩٢م ، ص٦٤.

(2) اليعقوبي: البلدان، ص١٣١؛ المقدسي (محمد بن أحمد بن أبي بكر ت ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط٣، ١٩٩١م، ص٢١٦، سيتم ذكر المصدر باسم المقدسي : أحسن التقاسيم ؛ الحموي (ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م): معجم البلدان، بيروت، دار صادر،١٩٧٧م، ج١، ص٢٢٨-٢٣١ ؛ بعض المصادر التاريخية فصلت مدينتي برقة عن بلاد المغرب. السلاوي(أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ت ١٣١٥هـ /١٨٩٧م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة المرينية، تح، جعفر الناصري، محمد الناصري،الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٩٧م،ج١، ص٣٤،٣٣، سيتم ذكر المرجع باسم السلاوي : الاستقصا؛ سالم (عبد العزيز): تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة،ط٢ ،١٩٩٩م،ص٤٠،٣٩ .

(3) الحريري (محمد عيسى) : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس ١٦٠-٢٩٦هـ / ٧٧٦-٩٠٩م، الكويت، دار القلم، ط٣، ١٩٨٧م، ص١٤ ؛ بو عامر(مريم) :الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري مابين القرن ٧-٩هـ /١٣-١٥م، رسالة ماجستير، تلمسان، جامعة أبو بكر بلقايد،٢٠٠٩ -٢٠١٠م، ص٤ .

(4) سجلماسة: بنيت سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧ م وهي مدينة سهلية أرضها سبخة، ولها بساتين كثيرة وهي في أول الصحراء لا يعرف في غربيها ولا قبليها عمران، ومنها تدخل إلى بلاد السودان ثم إلى غانة وبينها وبين مدينة غانة مسيرة شهرين في الصحراء، البكري : المغرب،ص١٤٩،١٤٨ .

(5) الاصطخري: مسالك الممالك ، ص٣٧؛ ابن خلدون (عبد الرحمن ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) :العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، بيروت، دار إحياء التراث العربي،د.ت،ج٦، ص١٠٠، سيتم ذكر المصدر باسم ابن خلدون : العبر.

(6) العرق في اللغة: الأرض الرملية المالحة، قليلة المياه، لا تنبت، معلوف (لويس):المنجد في اللغة، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ط١٩، د.ت، ص٥٠١ ؛ العبادي(أحمد مختار): في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، دار النهضة العربية، د.ت، ص١٤ .

(7) بلاد السودان: وهي تلك الأرض التي تبتدئ شرقاً بمملكة كاوكة وتنتهي غرباً عند مملكة ولاته، ومن صحراء ليبيا شمالاً حتى أقصى جنوب المحيط الهندي نواحي غير معروفة، الوزان (الحسن بن محمد ت

وبناء على ذلك فإن بلاد المغرب تمتد وفقاً للمفاهيم الجغرافية الحديثة من إقليمي برقه وطرابلس الليبيين شرقاً، مروراً بتونس والجزائر وبلاد المغرب الأقصى [٢]حتى سواحل المحيط الأطلسي غرباً، ومن سواحل البحر المتوسط المتاخمة لهذه البلدان شمالاً، حتى حدود بلاد السودان والنيجر والسنغال جنوباً . [٣]

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الجغرافيين والمؤرخين المسلمين قد تعاملوا مع الأندلس على أنها جزء من بلاد المغرب . [٤] كما ميز الجغرافيون بين الأجزاء القريبة من المشرق والبعيدة عنه بقصد التسهيل فظهرت مصطلحات جديدة هي:

١- المغرب الأدنى :

وكان يسمى إفريقيا ويمتد من طرابلس شرقاً إلى بجاية[٥]غرباً، [٦]أطلق عليه اسم المغرب الأدنى لكونه الأقرب لدار الخلافة . [٧]

٢- المغرب الأوسط :

ويتوسط بين المغربين الأقصى والأدنى ويمتد من تاهرت[١] شرقاً إلى وادي ملوية غرباً

بعد٩٥٧هـ / ١٥٥٠م): وصف إفريقيا، تح، محمد الأخضر، محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م، ج١،ص٢٩، سيتم ذكر المصدر باسم الوزان :وصف إفريقيا.

(١) السلاوي : الاستقصا، ج١، ص٣٣ ؛ العبادي: في تاريخ المغرب، ص١٢.

(٢) ويسمى المغرب الأقصى بر العدوة لسهولة الجواز منه إلى الأندلس، القلقشندي(أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مصر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د. ت، ج٥، ص ٢١١، سيتم ذكر المصدر باسم : القلقشندي : صبح الأعشى .

(٣) حمودة (عبد الحميد حسين): تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية، القاهرة، الدار الثقافية،١٩٩٩م، ص٦١ .

(٤) ابن الفقيه(أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق ت٣٤٠هـ/ ٩٥١م) : البلدان، تح، يوسف الهادي، بيروت، عالم الكتب، ١٩٩٦م ص ١٣٨، ١٣٩؛ الاصطخري: مسالك الممالك ، ص٣٦، ابن حوقل : صورة الأرض، ص٦٥ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج١، ص٢٣١ ؛ حتاملة(محمد عبده): الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، الأردن، مطابع الدستور، ٢٠٠٠م ، ص٢٠ .

(٥) بجاية : مدينة عظيمة على ضفة البحر الذي يضرب سورها وهي على جرف حجري، ولها من جهة الشمال جبل يسمى أمسيول، وهي عظيمة مابين جبال شامخة لها طريق في الغرب يسمى المضيق على ضفة النهر المسمى الوادي الكبير وطريق في القبلة إلى قلعة حماد ، مؤلف مجهول : الاستبصار، ص ١٢٨.

(٦) حمودة : تاريخ المغرب، ص١٣ .

(٧) السلاوي : الاستقصا، ج١، ص٣٣.

وجبال تازا ،[٢][٣] وقاعدته تلمسان .[٤] [٥]

٣-المغرب الأقصى :

ويمتد من وادي ملوية [٦] شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً والبحر المتوسط شمالاً[٧] وفي الجنوب تحيط به سلسلة جبال الأطلس التي تمتد من البحر المحيط متجهة صوب الشرق، [٨] ويسمى المغرب الأقصى لأنه أبعد الأقاليم الثلاثة عن دار الخلافة. [٩]

ترددت عاصمته بين مدينتي فاس[١] ومراكش[٢] [٣] أهم ما يلاحظ في المغرب الأقصى أنه منطقة أطراف أي أنه النهاية القصوى لهذه الوحدة الجغرافية المسماة المغرب فلم يوجد بعده سوى

([١]) تاهرت : مدينة مشهورة من مدن المغرب الأوسط على طريق المسيلة من تلمسان وكانت فيما سلف مدينتين كبيرتين إحداهما قديمة والأخرى محدثة في سفح جبل يسمى قزول وعلى نهر كبير يأتيها من الغرب ولها نهر آخر يجري من عيون يسقي بساتينها، البكري : المغرب،ص ٦٦ ؛ مؤلف مجهول : الاستبصار ،ص١٧٨ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ص١٢٦ .

([٢]) تازة : من بلاد المغرب أول بلاد تازا حد مابين بلاد المغرب الأوسط وبلاد المغرب في الطول وفي العرض البلاد الساحلية مثل وهران ومليلة وبني في جبال تازا مدينة الرباط في سفح جبل عالي وهي على الطريق المار من المغرب إلى المشرق وتسمى مكناسة تازة، مؤلف مجهول : الاستبصار ،ص١٨٦؛ الحميري : الروض المعطار ، ص١٢٨ .

([٣]) حمودة : تاريخ المغرب، ص ١٣؛ الحريري : الدولة الرستمية، ص١٢-١٣.

([٤]) تلمسان : قاعدة المغرب الأوسط، ومدينة تلمسان قديمة عظيمة بينها وبين وهران مرحلتان وهي في سفح جبل أغلب أشجارها الجوز ، ولها نهر كبير يسمى سطفسيف وكانت دار مملكة زناتة لها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة باب الحمام وباب وباب الخوخة وباب هيب و في الشرق باب العقبة وفي الغرب باب أبي قرة ، البكري :المغرب،ص٧٦؛ مؤلف مجهول :الاستبصار ، ص١٧٦؛ الحميري : الروض المعطار ، ص١٣٥ .

([٥]) البكري : المغرب،ص ٧٦ ؛ السلاوي : الاستقصا، ج١،ص٣٣ ؛ سالم : تاريخ المغرب، ص ٤١؛ سرهنك (الميرالاي اسمعيل) :حقائق الأخبار عن دول البحار ، بولاق، المطبعة الأميرية، ج١، ١٨٩٤م، ص٢٧٠ ؛ حمودة: تاريخ المغرب، ص١٤ .

([٦]) وادي ملوية : نهر كبير ينبع من الأطلس من ناحية الحوز على بعد نحو خمسة وعشرين ميلاً من مدينة كرسلوين فيجتاز أولاً بعض السهول الوعرة اليابسة ليصل إلى سهل أكثر وعورةً بين مفازات أنكاد وكرط ويمر في سفح جبل بني يزناسن ويدخل المتوسط بالقرب من مدينة غساسة، الوزان : وصف إفريقيا،ج٢، ص٢٥٠.

([٧]) بو عامر : الهجرة الأندلسية، ص٥ .

([٨]) العبادي : في تاريخ المغرب، ص ١٤.

([٩]) السلاوي : الاستقصا، ج ١، ص٣٤؛ سالم : تاريخ المغرب، ص٤١ ؛ حمودة : تاريخ المغرب، ص١٥،١٤.

المحيط الأطلنطي الذي يعد حاجزاً منيعاً والطرق الموصلة إليه تكاد تكون ثلاثة فقط : أولها طريق بحري يصله بالأندلس،ثم طريق بري أخر طويل لايؤدي إلى الجنوب الأقصى إلا أنه يؤدي إلى صحراء السودان الغربي [٤]

أما عن سطح المغرب فينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١-شريط ساحلي يطل على البحرالمتوسط والمحيط الأطلسي ويختلف في ضيقه واتساعه تبعاً لاقتراب الجبال من البحر أوبعدها عنه .

٢-منطقة الجبال وهي بمنزلة حواجز طبيعية تفصل منطقة السهول عن الصحراء،ومن أبرز هذه الجبال جبال درن التي يطلق عليها الآن جبال أطلس.

٣- منطقة الصحراء وتقع خلف الجبال . [٥]

([١]) فاس : مدينة عظيمة تعد قاعدة المغرب الأقصى،وهما مدينتان يشق بينهما نهر كبير يسمى وادي فاس،يأتي من عيون تسمى عيون صنهاجة، بينها وبين تلمسان عشرة أيام حول المدينة سور عظيم وبين المدينتين قناطر وفيها عدد لا يحصى من العيون، وهي محدثة أسست عدوة الأندلسيين سنة ١٩٢هـ/٨٠٧م، وعدوة القرويين في سنة ١٩٣هـ/٨٠٨ م في ولاية إدريس الفاطمي، الحميري : الروض المعطار ،ص٤٣٤.

([٢]) مراكش : مدينة عظيمة تقع على بعد خمسة أو ستة أميال من جبل الأطلس، شمال أغمات وعلى اثني عشر ميلاً منها بداخل المغرب، بناها يوسف بن تاشفين في سنة٤٥٤هـ/١٠٦٢م، الحميري :الروض المعطار ،ص ٥٤٠؛ كربخال (مارمول ت حوالي١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م): إفريقيا، تر، محمد حجي،محمد زنبير، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، الرباط، دار المعرفة للنشر، ١٩٤٨م، ج٢،ص٤٦-٤٧،سيتم ذكر المصدر باسم كربخال: إفريقيا .

([٣]) العبادي : في تاريخ المغرب،ص ١٣؛ حمودة : تاريخ المغرب،ص ١٥ .

([٤]) محمود (حسن أحمد): قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، القاهرة،دار الفكر، د.ت، ص ١٨ .

([٥]) حمودة : تاريخ المغرب، ص١٥ .

ب- جغرافية الأندلس :

تعددت التسميات التي أطلقت على الأندلس ، حيث سميت قديماً إباريه "Iberia " من وادي إبره نسبة إلى إيبيروس، وهذا الاسم هو الذي أطلقه الإغريق القدامى على سكان شبه الجزيرة ،وقد ظهر لفظ إيبريا للمرة الأولى خلال القرن ٦ ق.م ، وكان يطلق هذا الاسم على جزء من شاطئ شبه الجزيرة محصور بين مصب الوادي الكبير[١]ومصب النهر الأحمر "Guandalahmar" فهو الجزء الذي نزل فيه الإيبريون عند هجرتهم الأولى من شمال إفريقيا إلى شبه الجزيرة ثم شمل الاسم شبه الجزيرة كلها تبعاً لانتشار الإيبريين في البلاد.[٢]

ثم سميت بعد ذلك باطقة "Baetica" من وادي يبطى "Baetis " وهو نهر قرطبة وسكنوا على ضفة نهر يبطى الذي عرف بالوادي الكبير، وأطلقوا عليها باطقة ثم غلب الاسم على شبه الجزيرة حيث أن اليونان نزلوا شبه الجزيرة.[٣] وذكر أن أول من اختطها هو طوبال بن يافث.[٤]

لكن يرجح أن اسم إسبانيا هو أقدم أسماء الجزيرة حيث ذكر في كتابات الفينيقيين قبل سنة ١١٠٠ق.م ،[٥]حيث ذكرت في كتاباتهم باسم "I–sh–phannim " بمعنى ساحل الأرانب البرية، حيث كانت شبه الجزيرة مشهورة بها حتى أصبحت صورة الأرنب رمزاً لها في بعض العصور، و اللفظ سامي قديم وهو في العبرية شفانيم وعن الفينيقيين أخذ القرطاجيون اللفظ ثم

---

(١) الوادي الكبير : هو أشهر أنهار شبه الجزيرة الأيبرية فقد نشأت عليه المراكز الحضارية والعمرانية في الأندلس مثل قرطبة وإشبيلية أو على أحد روافده مثل غرناطة الواقعة على أحد روافده نهر شنيل، عرفه الفينيقيين باسم بطسي Betsi ثم سموه هسبالو Hispelio ينبع من ما بين سفوح جبال سيراموربنا وجبال الكراث وتبلغ مساحة حوضه ٥٨٠٠٠كم٢، الزهري (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ت ٥٥٦هـ/١١٦٠م): كتاب الجغرافية ، تح، محمد حاج صادق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥٨م، ص٩٨؛ حتامله (محمد عبد): أيبريا قبل مجيء العرب المسلمين، الأردن، وزارة الثقافة، ١٩٩٦م، ص٨٠-٨١.

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص٣٢ ؛ كولان(ج..س) : الأندلس، تر، إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠م، ص١٧ .

(٣) بروفنسال (ليفي) : صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، بيروت، دار الجيل، ط٣، ١٩٨٨م، ص ٢ .

(٤) المقري (أحمد بن محمد التلمساني ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م، ج١، ص١٢٥، سيتم ذكر المصدر باسم المقري : نفح الطيب؛ الحميري : الروض المعطار، ص٣٢ ؛ كولان : الأندلس،ص١٨.

الرومان بعد استيلائهم على ماكان بيد هؤلاء من شبه الجزيرة وحرفوه إلى اسبانيا "I spania" أو " sphan". [١]

وقيل سميت إشبانية "Hispania " من اسم رجل ملكها في القديم كان اسمه إشبان بن طيطش، وقيل سميت كذلك؛ لأن الإشبان سكنوها في أول الزمان على الوادي الكبير، وقيل إن لفظة أندلس مشتقة من واندالوس وهو اسم قبائل الوندال " Vandali " التي تنحدر من أصل جرماني حيث اجتاحت أوروبا حوالي القرن الخامس الميلادي، واستقرت في السهل الجنوبي لإسبانيا واعطته اسمها، ثم عربت إلى الأندلس[٢]وصارت مصطلحاً يدل على منطق شبه الجزيرة الإيبرية التي استولى عليها المسلمون، وكان مدلولها الجغرافي يقل شيئاً فشيئاً تبعاً للوضع السياسي الذي كانت عليه الدولة الإسلامية حتى صارت الأندلس أخر الأمر قاصرة على مملكة غرناطة.[٣][٤]

ذكرت المصادر أن الأندلس ذات شكل مثلث،[٥] أركانه طرف جزيرة طريف[٦]على البحر المتوسط مضيق جبل طارق[١]في الجنوب، ويعد أحياناً الشاطئ بأكمله من طريف إلى طركونة

([١]) مؤنس (حسين): الجغرافية والجغرافيون في الأندلس من البداية إلى الحجاري، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مدريد، ١٩٥٩-١٩٦٠م، مج٧-٨، ص ٣٣٥ .

([٢]) الحميري: الروض المعطار، ص ٣٢ ؛ مؤنس : الجغرافية والجغرافيون، ص ٣٣٣ ؛ العبادي: في تاريخ المغرب، ص ١٧؛ أرسلان (شكيب) :الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية،مصر، المطبعة الرحمانية، ١٩٣٦م، ج١، ص٣٠ ؛ سيدي محمد (عمارة) : هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن ٧ه/١٣م ودورهم الثقافي، رسالة ماجستير ، الجزائر، جامعة وهران، ٢٠١٢-٢٠١٣م، ص ٢١.

([٣]) غرناطة : ومعناها الرمانة وهي شعارها التاريخي تقع في وادي عميق يمتد من المنحدر الشمالي الغربي لجبال سييرانيفادا ويحدها من الجنوب نهر شنيل فرع الوادي الكبير، ويخترق فرعه المدينة وقدسقطت بالتسليم في يد الملكين الكاثوليكيين (فرناندو وإيزابيلا) في ٨٩٧هـ /١٤٩٢م، ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م): معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح، محمد كمال شبانة، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٠م، ص١٣٣، سيتم ذكر المصدر باسم : ابن الخطيب : معيار الاختيار.

([٤]) العبادي (أحمد مختار) : صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، الإسكندرية، دار المعارف، ٢٠٠٠م، ص١٨؛ العبادي : في تاريخ المغرب، ص١٧.

([٥]) الحموي : معجم البلدان، ج١، ص٢٦٢ ؛ بروفنسال : صفة جزيرة الأندلس، ص١٥ .

([٦]) جزيرة طريف : مدينة تقع على البحر المتوسط في أول المجاز المسمى الزقاق، ويتصل غربيها ببحر الظلمات (الأطلسي)، ويشقها نهر صغير، ومن طريف إلى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلاً، وسميت طريف بهذا الاسم نسبة إلى القائد طريف مولى موسى بن نصير (ت ٩٧هـ/٧١٥م) الذي نزلها أول الفتح، الحميري: الروض المعطار، ص٣٩٢.

[2] وبرشلونة[3] الحد الجنوبي،[4] وعدت المصادر سلسلة جبال البرتات الحد الشرقي الذي يفصلها عن فرنسا،[5] لكن هذا يجانب الصواب[6] وقيل إن الحد الغربي يبدأ من جزيرة طريف وينتهي بطرف القديس فنسان[7] أو طرف رقة Cabo de roca[8] بالقرب من لشبونة، والحد

([1]) جبل طارق : يقع جنوب غرب شبه الجزيرة الإيبرية وينسب إلى طارق بن زياد (ت١٠٢هـ/٧٢٠م) إذ كان أول من حل به سنة ٩٢هـ/٧١١م عند الفتح ولذا اشتهر بجبل الفتح، وهو مقابل الجزيرة الخضراء وهو أول مايشاهد من البلاد الأندلسية للقادم من المغرب . ابن خلدون : العبر،ج٤،ص١١٧؛ ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م) : رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، قدم له ، محمد عبد المنعم العريان، راجعه، مصطفى القصاص، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٨٧م، ج٢، ص٧٦٦، سيتم ذكر المصدر باسم ابن بطوطة : تحفة النظار؛ بروفنسال : صفة جزيرة الأندلس، ص١٢١.

([2]) طركونة : في الأندلس بينها وبين لاردة خمسون ميلاً وطركونة مدينة أزلية مبنية على ساحل البحر الشامي ولها سور باقي لم يتهدم ، بروفنسال : صفة جزيرة الأندلس،ص١٢٦،١٢٥ .

([3]) برشلونة : مدينة للروم بينها وبين طركونة خمسون ميلاً وبرشلونة على البحر ولها ربض وعليها سور منيع والدخول والخروج منها إلى الأندلس عن طريق باب الجبل المسمى بهيكل الزهرة، الحميري :الروض المعطار، ص ٨٦،٨٧.

([4]) أرسلان : الحلل السندسية، ج١،ص٣٢ ؛ كولان : الأندلس، ص٢٠ .

([5]) جبال البرتات : وهي جبال ال Pyrénéesالفاصلة بين فرنسا وإسبانيا بين البحر المتوسط وخليج الإنقليشيين (بسكايه) أسماها العرب جبال البرانس وذكر اسمها بالبرنات وهو خطأ حيث أن اسمها البرتات بمعنى أبواب الجبال ومنافذها التي مر منها العرب لاقتحام فرنسا، الإدريسي : نزهة المشتاق، ج١، ص٧٣٠؛ الحميري : الروض المعطار،ص ٣٣ ؛ العبادي : في تاريخ المغرب، ص١٨ .

([6]) أرسلان : الحلل السندسية، ص٣٢.

([7]) طرف القديس فنسان : كان يسمى طرف الغرب Promontoire d'Algarve أو ولاية الغرب أو بلاد الغربL'Algarve التي يتألف منها القسم الجنوبي من البرتغال، كما وسمي بطرف الغراب، سمي نسبة للقديس فنسان الذي قتل في بلنسية في عهد القيصر الروماني دقلطيانوس المشهور بجوره واضطهاده للمسيحية حيث ألقيت جثته في العراء لتنهشها الوحوش إلا أن غراباً هبط وحرسها وفي عهد الخليفة عبد الرحمن الأول الأموي نقل أهل بلنسية الجثة إلى الغرب وبنوا بقربها كنيسة اشتهرت باسمه ثم سميت فيما بعد بكنيسة الغراب وسمي طرف الغرب برأس القديس فنسان، كولان : الأندلس، ص٤٩،٤٨.

([8]) طرف رقة : رأس على ساحل مقاطعة إشبونة داخل في البحر إلى غربها في ارتفاع١٤٢متراً، كان في عهد الرومان يسمى Torium Magnum ومعناه بالبرتغالية والفرنسية رأس الصخرة أو طرفها لم يسميه العرب بما يطابق المعنى بل آثروا تعريبه بلفظه فسموه طرف رُقّة بضم الراء وفتح القاق المشددة ، كولان :الأندلس، ص٤٩ .

الشمالي يبدأ من طرف رقة ويدور حول جيليقية[١] ويصل إلى جبال البرتات بالقرب من فونترابيFuenterrabia.[٢][٣]

.

([١]) جيليقية : الجلالقة من ولد يافث بن نوح في شمال غرب الأندلس تنتهي في القبلة إلى أحواز مدينة طلسونة عاصمتها شنت ياقب في عام ٣٨٧هـ/٩٩٧م عزم الحاجب المنصوربن أبي عامر أن يقتحم "شنت يعقوب"، آخر معقل للمسيحيين في شمال غرب الأندلس، وكانت منطقة وعرة وتعد من أخطر المناطق الأندلسية، لم يصل المسلمون إليها إلا أيام الفتح في عهد موسى بن نصير وطارق بن زياد، ثم خرجت من أيدي المسلمين، فأعادها المنصور و كان لها قيمتها الروحية للاعتقاد بأن فيها مدفن يعقوب الحواري أحد حواري السيد المسيح عليه السلام، ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٢٩٧،٢٩٤؛ بروفنسال : صفة جزيرة الأندلس، ص٦٦،٦٧ .

([٢]) فونترابيFuenterrabia: اسم مدينة عند سفح جبل جيزكي Jaizqui قرب مصب أحد الأنهار في خليج الأنقليشيين(خليج بسكاي أو غسقونيا) تجاه بلدة هنداي الفرنسية ، ويشتق الاسم من Ondarralia ومعناه مخاضة الرمل وذلك لأن الرمل في المنطقة تختفي وتظهر بفعل المد والجذر، كولان : الأندلس، ص٥٠ .

([٣]) كولان :الأندلس، ص٢١ .

ثانياً- القوى السياسية التي حكمت المغرب والأندلس مابين القرنين (٦-٨هـ/١٢-١٤م):

لقد تمت دراسة ظاهرة المجاعة والوباء ضمن مجال زمني طويل الأمد وذلك ليتسنى للباحثة دراسة هذه الأزمات ببطئ والبحث في ثناياها من حيث المسببات والنتائج حيث قد تستمر منعكساتها السلبية سواء اقتصادياً أم اجتماعياً لسنوات بعد الأزمة فتلك المنعكسات لاتنتهي بانتهاء المجاعة أو الوباء، فالمجتمع يحتاج إلى فترة طويلة للتعافي، وعلى عكس الدراسات التاريخية التي تدرس المواضيع السياسية حيث يختار فيها الزمن مقروناً بظهور دولة أو سقوطها تم اختيار القرنين (٦-٨هـ/١٢-١٤م)، لكون المغرب والأندلس قد شهدا فيه مجاعات وأوبئة شديدة تركت أثرها الاقتصادي والاجتماعي على إنسان تلك الفترة .

وقد عرف المغرب والأندلس خلال الزمن المدروس حوالي القرنين من الزمن تغيرات سياسية وتوالت عليه القوى السياسية فما هي أبرز القوى التي خضع لها المغرب والأندلس ؟

١- دولة المرابطين[١](٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٦م):

ينتسب المرابطون إلى قبيلة لمتونة[٢]إحدى بطون صنهاجة والتي تضم نحو سبعين قبيلة وجميعها صحراوية وهي قبيلة عربية من حمير كان أول سيرهم من اليمن إلى الشام إلى أن استقروا في الصحراء مابين جنوب المغرب و السودان[٣] تَزَعَمَ هذه القبيلة في القرن٥هـ/١١م يحيى بن ابراهيم الجدالي[٤]الذي التقى أثناء عودته من الحج في مدينة القيروان "مركز المذهب

---

(١) المرابطين : عرفوا بهذا الاسم لملازمتهم الثغور لدفع الأعداء، بناءً على قوله تعالى :" يا أيها الذين أمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا لعلكم تفلحون ". وقيل سموا بذلك لملازمتهم رباط الفقيه عبد الله بن ياسين ت ٤٥١هـ/١٠٥٩م، القرآن الكريم : سورة آل عمران، الآية (٢٠٠)؛ ابن أبي زرع (علي بن عبد الله الفاسي ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٥ م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور، ١٩٧٢م، ص٧٩، سيتم ذكر المصدر باسم ابن أبي زرع : روض القرطاس ؛ أبو الفداء(عماد الدين بن إسماعيل ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) : المختصر في أخبار البشر، مصر، المطبعة الحسينية،١٩٠٦م،ج٢، ص ١٧٥، سيتم ذكر المصدر باسم أبو الفداء : المختصر؛ مؤلف مجهول(ت القرن٨هـ/١٤م): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح، سهيل زكار، عبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد، ١٩٧٩م، ص٢١، سيتم ذكر المصدر باسم : مؤلف مجهول : الحلل الموشية .

(٢) لمتونة : من القبائل التي تتفرع عن البرانس صنهاجة التي تصل بطونها نحو سبعين بطن منهم لمتونة وكدالة ومسوفة، وقد كانت لهم دولتان عظيمتان الزيريون في إفريقيا والملثمون في الجزائر والمغرب وبلاد السودان وهم من قبائل الملثمين سكنوا الصحراء الكبرى وهم على الدين الإسلامي وكانوا يجاهدون غيرهم من طوائف السودان، ابن صاحب الصلاة (عبد الملك ت ٥٩٤هـ/١١٩٨م) :المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عصر الموحدين، تح، عبد الهادي التازي، بيروت،دار الغرب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٧م، ص ١١٧،سيتم ذكر المصدر باسم ابن صاحب الصلاة :المن بالإمامة ؛ ابن الأثير(محمد بن محمد بن عبد الكريم ت ٦٣٠هـ/١٢٣١م): الكامل في التاريخ، تح، محمد يوسف الدقاق، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٤، ٢٠٠٣م، ج٨،ص٣٢٧، سيتم ذكر المصدر باسم ابن الأثير : الكامل ؛ مؤلف مجهول : الاستبصار:ص ٢١٣؛ البيان المغرب، ج٤،ص٧،٨؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص١٢٦،١٢٥؛ ابن خلدون : العبر:ج٦، ص١٧٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل، ج٨، ص٣٢٧ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب،ج١، ص٢٥٤؛ أبو الفداء : المختصر،ج٢، ص ١٧٤ .

(٤) يحيى بن إبراهيم الجدالي : لقب بالزعيم السياسي، كان أميراً و سيداً مطاعاً في قومه، لما عرف عنه من شجاعة وهو أول من بنى أسس الدولة المرابطية، لم تشر المصادر التي ترجمت للأمير يحيى، نشأته الأولى ولا حتى سنة ولادته، كما لم تذكر أيضاً تاريخ وفاته، وإنما اكتفت بذكر بعض الأحداث المهمة والرئيسة التي عاشها الأمير يحيي بن إبرهيم الجدالي، إذ إن أغلب المصادر ذكرت ترجمته، انطلاقاً من سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م وهي السنة التي رحل فيها الأمير يحيى؛ لأداء فريضة الحج، إلى السنة التي عاصرت بداية نشأة الدولة المرابطية ،

المالكي " بأبي عمران الفاسي[١] حيث طلب منه أن يرسل معه فقيهاً ليعلم ابناء قبيلته شرائع دينهم ويفقههم فيه، فوقع الاختيار على عبد الله بن ياسين الجزولي[٢]حيث توجه معه إلى بلاد جدالة [٣]وهناك نشر مبادئه وأرسل للقبائل الأخرى يعرفهم بحياة الربط والجهاد والعبادة التي يعيشها مع أتباعه.[٤]

عندما قضى عبد الله بن ياسين نحبه عام ٤٥١هـ / ١٠٥٩م ، كانت جيوشه قد أخضعت بلاد نفيس[٥]وسائر بلاد كدميوه[٦]وجبل درن [١]ودرعة وسجلماسة، تسلم زمام السلطة أبو بكر بن

ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص١٢٤؛ مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص١٩؛ السلاوي : الاستقصا،ج٢، ص٥.

([١]) أبو عمران الفاسي : هو موسى بن عيسى بن أبي الحاج بن وليم الغفجومي،وغفجوم فخذ من زناتة من هوارة الأمازيغية، أصله من فاس سافر إلى قرطبة، فتفقه فيها، وأخذ منها العلم اليسير، ثم رحل إلى المشرق للحج ووصل العراق ثم الحجاز ثم مصر ثم رجع للقيروان، وسكنها وأقبل عليه الطلاب من كل صوب، ابن عياض (عياض بن موسى السبتي ت ٥٤٤هـ/١٤٢١م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح، سعيد أحمد أعراب، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٨٢م، ج٧، ص٢٤٣، سيتم ذكر المصدر باسم عياض : ترتيب المدارك؛ مخلوف (محمد بن محمد بن عمر ت١٣٦٠هـ/١٩٤١م): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، ج١، ص١٥٨.

([٢]) عبد الله بن ياسين الجزولي : هو أجاج بن زلو اللمطي المسمى عبد الله بن ياسين الجزولي ، أصله من قرية تمنارات في طرف صحراء غانة، وكان من أهل الدين والفقه والسياسة، وكان قد أقام في الأندلس مدة سبع سنوات في زمن الطوائف بقصد طلب العلم ثم عاد للمغرب، ابن عياض : ترتيب المدارك،ج٨،ص٨١ ؛ الزركلي (خير الدين) : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج٤، ص١٤٤.

([٣]) جدالة : بطن من بطون لمتونة ولمتونة بطن من بطون الطبقة الثانية لقبيلة صنهاجة وهي قبيلة المرابطين، وهم من أهل الوبر الذين اختاروا حياة الرحلة والانتجاع في الصحراء وتخوم السودان، الدراجي(بوزياني) : القبائل الأمازيغية أدوارها وموطنها وأعيانها، الجزائر، دار الكتاب العربي، ط ٤ ،٢٠١٠ م، ج٢، ص ٧٦ .

([٤]) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٤، ص ٨ ؛ الهرمي (سلامة بن سلمان) : الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف ٥٠٠-٥٣٧هـ /١١٠٧-١١٤٣م، رسالة ماجستير، مكة،جامعة أم القرى، ١٩٨٢م ، ص٤٣ .

([٥]) بلاد نفيس : نفيس اسم نهر ينبع من الأطلس في ضواحي مراكش ويسيل في السهل المحيط بها إلى أن يصب في نهر تنسفيت، الوزان، وصف إفريقيا ،ج٢، ص٢٤٥.

([٦]) بلاد كدميوه: يبتدئ من قمة جبل سمد غرباً ويمتد شرقاً على مسافة خمسة وعشرين ميلاً إلى أن يصل أمزمير وسكانه قرويون فقراء خاضعون للعرب تكثر فيه أشجار الزيتون، الوزان : وصف إفريقيا،ج١، ص١٤١؛ كربخال: إفريقيا، ج٢، ص٦٦ .

عمر اللمتوني(٤٤٧-٤٥٣هـ/١٠٥٥-١٠٦١)[٢]الذي تابع لبرغواطة[٣]وهزمهم ثم غادر إلى الصحراء لبلوغة حصول فتنة بين مسوفة ولمتونة[٤] فغادر تاركاً ابن عمه يوسف بن تاشفين(٤٥٣-٥٠٠هـ/ ١٠٦١-١١٠٦م)[٥]مكانه عام ٤٥٣هـ/ ١٠٦١ م ، وقام يوسف بالتوسع في المغرب وعبر للأندلس وخاض معركة الزلاقة عام ٤٧٩هـ /١٠٨٦م،[٦]وكان العبور الثاني

([١]) جبل درن : جبل في المغرب مشهور يعرف بسقنقور، وهو جبل عظيم معترض الصحراء، يبدأ من المحيط الأطلسي في أقصى السوس، ويمر باتجاه الشرق حتى يصل جبال نفوسة، ويسمى هناك جبل نفوسة، ويتصل بعد ذلك بجبال طرابلس، ثم يرق هناك ويختفي أثره، الحميري : الروض المعطار، ٢٣٤،٢٣٥ .

([٢]) أبو بكر بن عمر اللمتوني : عمر بن تلاكاكين بن واياقطين اللمتوني، أمه حرة جدالية بايعته قبائل المرابطين من صنهاجة وغيرها ت ٤٨٠هـ/١٠٨٧م وهو أمير المرابطين بعد أخيه يحيى بن عمر اللمتوني. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٨٥ ؛ اليافعي (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه، خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٩٧م، ج١، ص١٢٦ .

([٣]) برغواطة : ظهر البرغواطيون في المغرب الاقصى فى أوائل القرن الثاني الهجري .واستمروا حتى منتصف القرن السادس الهجري .ولم تتمكن الدولة الإدريسية ولا الدول المتعاقبة على المغرب من القضاء عليهم حتى ظهر المرابطون، البعض ينسبها إلى قبائل زناتة والبعض الأخر ينسبها للمصامدة، ولم تكن تتكون من قبيلة واحدة بل من أخلاط من البربر، اجتمعوا على شخص يهودي الأصل ادعى النبوة،وهو صالح بن طريف بن شمعون البربطي نسبة إلى الموطن الذي نشأ فيه وهو برباط بالقرب من شريش جنوب الأندلس. وسمي من اتبع هذا الدين بربطي نسبة إلى بربط. فعربت العرب هذا الاسم وقالوا برغواط وبرغواطي، وأضافوا إليها هاء الجمع فصارت برغواطة، التميمي (عباس جبير سلطان) : برغواطة دراسة تاريخية في نشأتها وعقائدها، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، ع١٠، العراق، جامعة كربلاء، د.ت، مج٣، ص٣٦٩؛ سالم (سحر السيد عبد العزيز) : من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٣م، ص٤ .

([٤]) الهرمي : الأحوال السياسية، ص٤٤،٤٦؛ السامرائي (هند فاضل جمعة): أثر علماء المغرب في الحياة العلمية ببلاد الأندلس في عهدي المرابطين والموحدين ٤٨٤-٦٦٨هـ/١٠٩١- ١٢٦٨م، رسالة ماجستير، بغداد، جامعة بغداد، ٢٠١٦م، ص١٩ .

([٥]) يوسف بن تاشفين : هو يوسف بن إبراهيم المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري أبو يعقوب أمير المسلمين والملثمين(٤٥٣-٥٠٠هـ/١٠٦١-١١٠٦م) باني مدينة مراكش عام ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م، ابن خلكان (أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) : وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تح، إحسان عباس، بيروت، دار صادر، د.ط، ١٩٧٧م، ج٧، ص١١٢، سيتم ذكر المصدر باسم ابن خلكان : وفيات الأعيان .

([٦]) معركة الزلاقة : أولى معارك المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين مع الإسبان بقيادة ألفونسو السادس ملك قشتالة عام ٤٧٩هـ/١٠٨٦م ،حيث عبر يوسف بعد استنجاد ملوك الطوائف به وعلى رأسهم أمير إشبيلية المعتمد بن عباد جراء تكرر هجمات الإسبان عليهم، فحصلت في الزلاقة ببطليوس، انتصر فيها المرابطون، ابن الأثير : الكامل،ج٨،ص٣٣٠؛ المراكشي (محيى الدين عبد الواحد بن علي ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) : المعجب

للأندلس عند حصار حصن ليط[1]عام ٤٨١هـ /١٠٨٨م،[2] أما العبور الثالث فكان عام (٤٨٣هـ/١٠٩٠م) حيث سقطت بيده الممالك الأندلسية الواحدة بعد الأخرى ماعدا سرقسطة التي أبقاها بيد المستعين بن هود[3]لما أظهره من ولاء وإخلاص للمسلمين عامةً ويوسف بن تاشفين خاصةً ولإبقائه سداً بوجه الإسبان، اتخذ يوسف شرعية حكمه من الخليفة العباسي في بغداد المستظهر بالله[4](٤٨٧-٥١٢هـ/١٠٩٤-١١١٨م) بعد جوازه الثالث للأندلس، وأوصى بولاية

في تلخيص أخبار المغرب، تح، محمد زينهم محمد عزب، القاهرة، دار الفرجاني ،د.ت،ص١١٦، سيتم ذكر المصدر باسم المراكشي : المعجب؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان،ج٥، ص٢٧ ؛ مؤلف مجهول : الحلل الموشية: ص٦٢ ؛ البستاني (بطرس): معارك العرب في الأندلس، القاهرة، هنداوي، ٢٠١٣م، ص٢٤،١٥ .

(1) حصن ليط : Aledo هو حصن يقع بين لورقة ومرسية على رأس جبل شاهق يملكه ألفونسو السادس، مؤلف مجهول : الحلل الموشية، ص٦٧ .

(2) تم حصار هذا الحصن من قبل يوسف بن تاشفين وملوك الطوائف في عام ٤٨١هـ/١٠٨٩م دون التمكن من اقتحامه فعند قدوم ألفونسو السادس لفك الحصار عن الحصن، انسحب يوسف لموقع يسمى ترباسة منتظراً جيوش ألفونسو لكن ألفونسو اكتفى بفك الحصار، ثم هدم الحصن وأحرقه ؛ لصعوبة الدفاع عنه، المراكشي : المعجب، ص ١١٧؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص١٥٣،١٥٢ ؛ مؤلف مجهول : الحلل الموشية،ص٦٧ ؛ عنان : (محمد عبد الله) دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة،مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٩٩م، ق١، ص٤٢ .

(3) المستعين بن هود : أبو جعفر أحمد بن المؤتمن بالله أبي الحجاج يوسف الجذامي كان بيده أعمال الثغر الأعلى في الأندلس وهي سرقسطة وكان حصن البلاد وملك الزمام رعيته، جمعته علاقة ودية بالمرابطين، قتل المستعين بمعركة بلتيرة أو فالتيرا أمام ألفونسو المحارب ملك أراغون ٥٠٣هـ/١١٠٩م وخلفه ابنه عبد الملك الملقب بعماد الدولة والذي انتهى حكم بني هود على يده، حيث دخلها المرابطون ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م وظلت تحت الحكم المرابطي إلى أن سقطت بيد ألفونسو الأول ملك أراغون ٥١٢هـ/١١١٨م، ابن الأبار(محمد بن عبد الله بن أبي بكر ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م) : الحلة السيراء، تح، حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٥م، ج٢، ص ٢٤٨، سيتم ذكر المصدر باسم ابن الأبار: الحلة السيراء .

(4) المستظهر بالله : هو الخليفة العباسي أحمد بن عبد الله أبو العباس بن المقتدي بأمر الله أبي القاسم ، حكم بعد وفاة والده المقتدي كان محباً للعلم وأهل الدين، ولي الخلافة وله من العمر ستة عشر عاماً وشهران، وجدت أحداثاً خطيرة متمثلة بالحملة الصليبية الأولى وتأسيس إمارات الفرنج على ساحل الشام ، الصفدي (خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـ/١٣٦١م) : الوافي بالوفيات، تح، أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى ، بيروت، دار إحياء التراث العربي،٢٠٠٠م، ج٧، ٧٧،٧٦ ؛ ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) : تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح، أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٦٤م، ج٣،ص ٢٥٢، سيتم ذكر المصدر باسم ابن الخطيب : أعمال الأعلام؛ الزركلي : الأعلام، ج١، ص١٥٨ .

العهد لابنه علي بن يوسف (٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٧-١١٤٢م)[١] قبل وفاته في مراكش عام٥٠٠ هـ / ١١٠٦م. [٢]

حكم علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٢م) بلاد المغرب من بجاية إلى بلاد السوس الأقصى[٣]وبلاد الجنوب من سجلماسة إلى جبل الذهب من بلاد السودان كما ملك بلاد الأندلس والجزائر الشرقية [٤][٥] كان عهده حافلاً بالثورات يذكر منها ثورة فاس التي تزعمها الأمير يحيى بن أبي بكر حاكم فاس من قبل جده يوسف بن تاشفين والذي رفض البيعة لعمه لاسيما أن والده أبو بكر شقيق على بن يوسف كان نائباً عن والده يوسف أثناء عبوره للأندلس[٦] وقد التفت الشخصيات البارزة حول المعارض ومنهم أبو عبد الله محمد بن الحاج اللمتوني،[٧]وربما

---

(١) علي بن يوسف : علي بن يوسف: أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي(٤٧٦ هـ/١٠٨٣ م – ٥٣٧ هـ/ ١١٤٢م كان عمره يوم بويع ثلاثة وعشرين عاماً بلغت دولة المرابطين في عهده أوج قوتها وضخامتها، وحكمها بين سنتي ٥٠٠ هـ -٥٣٧ هـ/ ١١٠٦-١١٤٢م. استلم علي بن يوسف دولة المرابطين سنة ٥٠٠ هـ/١١٠٦م خلفًا لأبيه يوسف بن تاشفين، وقد دانت له الأندلس والمغرب وأجزاء واسعة من غرب إفريقيا. أمضى علي سنوات حكمه الأولى في مجابهة ممالك قشتالة وأراغون والبرتغال المسيحية وبقايا ممالك الطوائف في شمال شبه الجزيرة الإيبيرية ظهر بعهده محمد بن تومرت مؤسس حركة الموحدين التي أضعفت ملك المرابطين وانتزعت منهم مناطق واسعة من المغرب، وتوفي علي بن يوسف والحرب بين المرابطين والموحدين في المغرب على أشدها، ابن الخطيب : أعمال الأعلام،ج٣،ص ٢٥٤،٢٥٦ ؛ مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص٨٤.

(٢) المراكشي : المعجب، ص ١٤٩؛ السلاوي : الاستقصا، ج٢، ص٦١ .

(٣) السوس الأقصى : في أقصى بلاد المغرب هي مدن كثيرة، وبلاد واسعة، يشقها نهر عظيم يصب في البحر المحيط يسمى وادي ماست وجريه من القبلة إلى الجوف كجري نهر النيل وعليه القرى المتصلة والعمارات الكثيرة وقاعدة بلاد السوس هي إيكلي وهي مدينة كبيرة أزلية على النهر الكبير المذكور، الحميري : الروض المعطار، ص٣٣٠ .

(٤) جزائر الشرقية : جزائر بني مزغنان، مدينة جليلة قديمة فيها آثار للأول وأسواق ومساجد وهي على ضفة البحر مرساها مأمون يقصدها تجار إفريقيا والأندلس وشرب أهلها من العيون والآبار بينها وبين شرشال سبعون ميلاً ويتصل بجزائر بني مزغنان سهل متيجة وهو سهل عظيم كثير الخصب تشقه الأنهار، البكري : المغرب،ص٦٦ ؛ مؤلف مجهول : الاستبصار، ص١٣٢؛ الحميري : الروض المعطار، ص١٦٣ .

(٥) الهرمي : الأحوال السياسية، ص ٦٧ .

(٦) الهرمي : الأحوال السياسية، ص ٧٢، ٧٣ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق١، ص١٤٩ .

(٧) أبو عبد الله محمد بن الحاج اللمتوني: من أكابر زعماء لمتونة وقوادها، يشترك مع يوسف بن تاشفين في الجد ترقوت، وعرف بابن الحاج ؛ لأن والده قام بأداء فريضة الحج، برزت شخصيته عندما دخل يوسف بن

يستنتج من ذلك أن شخصية الأمير يوسف القوية، لم تدع مجالاً لأي صوت معارض من شأنه أن يقضي على وحدة الدولة الناشئة إذ لم يعارضه أحد عندما أخذ ولاية العهد لعلي بن يوسف في حياته بل بعد وفاته برزت تلك الفئات المعارضة، توجه علي بن يوسف للقضاء على الثورة ولدى وصوله المغيلة،[1]أرسل رسائل تهديد للشيوخ والأعيان الملتفين حول يحيى ورسالة يستميل بها ابن أخيه فانفض الشيوخ من حول يحيى هذا ما أدى لفراره إلى تلمسان إلى أن صفح عنه عمه على أن يسكن الصحراء ثم ارتحل للحجاز وعاد مراكش ثم أرسل به إلى لجزيرة الخضراء؛ ليكون بعيداً عن مركز الحكم،[2] كما وقعت في عهد علي بن يوسف معارك كثيرة بين المسلمين والإسبان منها أقليش في عام ٥٠١هـ/١١٠٧م[3]ومعركة أفراغة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م[4]ومن أهم

تاشفين الأندلس وشارك في فتح قرطبة وجاهد القشتاليين وعيّن والياً على عدة مناطق في المغرب والأندلس، النباهي (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن ت٧٩٢هـ/١٣٨٩م) : المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تح، لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، دار الآفاق، ١٩٨٣م، ص١٠٢، سيتم ذكر المصدر باسم النباهي : المرقبة العليا.

([1]) المغيلة : مدينة صغيرة قديمة بناها الرومان على قمة جبل مطل على فاس أرضها خصبة كانت تزرع فيها أشجار الزيتون ، الوزان : وصف إفريقيا، ج١،ص٢٩٧.

([2]) السلاوي : الاستقصا ج١، ص ٦٥،٦٤ ؛ حسن (إبراهيم حسن): تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، بيروت، دار الجيل، ط١٤، ١٩٩٦م، ج ٤، ص١٢٣،١٢٠ .

([3]) أقليش: مدينة لها حصن في ثغر الأندلس، وهي قاعدة كور شنتبرية،وهي محدثة بناها بعد الفتح موسى بن النون وفيها كان ظهوره وثورته في سنة ستين ومائة، ومعركة أقليش: تسمى أيضًا في المصادر الغربية معركة الكونتات السبعة بالإسبانية (Batalla de Uclés) حيث سميت كذلك لمشاركة سبع كونتات من قشتالة فيها، هي معركة وقعت في ٥٠١ هـ/ ١١٠٧م بين جيش المرابطين وقوات مملكة قشتالة بقيادة القائد القشتالي ألبار هانس يصاحبه ولي العهد الأمير سانشو ابن ألفونسو السادس ملك قشتالة، وانتهت بانتصار جيش المرابطين، ابن أبي زرع : روض القرطاس،ص ١٦٠؛ ابن القطان (أبو محمد حسن بن علي بن محمد الكتامي المراكشي ت منتصف ٧هـ/١٣م) : نظم الجمان لترتيب ماسلف من أخبار الزمان، تح، محمود علي مكي، بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٩٩٠م، ص٦٤، سيتم ذكر المصدر باسم ابن القطان :نظم الجمان؛ الحميري: الروض المعطار، ص٥١ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق١، ص٦٥ .

([4]) معركة أفراغة (بالإسبانية: Batalla de Fraga) هي معركة وقعت في عام ٥٨٢هـ /١١٣٤م تحت أسوار أفراغة في الثغر الأعلى، بين قوات مملكة أراغون بقيادة الملك ألفونسو الأول والجيوش المرابطية التي أتت لنجدة بلدة أفراغة المحاصرة من قبل الملك ألفونسو الأول، وأسفرت عن انتصار المرابطين، ووفاة ألفونسو الأول بعد المعركة بوقت قصير. كان النصر فيها حليف المرابطين بزعامة ابن غانية يحيى بن علي بن يوسف المسوفي، الحميري : الروض المعطار،ص ٤٨-٤٩ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث ، ق١، ص ١٢٥،١٢٠ .

الأحداث التي برزت على الساحة السياسية في عهده ظهور الموحدين وثورة محمد بن تومرت(٥١٤-٥٢٤هـ/ ١١٢٠-١١٢٩)[١] حيث دخل ابن تومرت مراكش في زي الزهاد عام٥١٤هـ/١١٢٠م وخرج مع تلاميذه للأسواق يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ثم استدعي لمناظرة في مراكش طرد على إثرها وأقام في مقبرة حيدوس قرب مراكش وبنى فيها خيمته للتمويه بأنه إنسان يريد الآخرة لا الحكم وليجتمع بأنصاره، كما أراد ابن تومرت الطعن بعقيدة المرابطين فاتهمهم بالتجسيم[٢] وقال أن قتالهم واجب[٣]وسمى أتباعه بالموحدين[٤]عندما علم ابن تومرت أن علي بن يوسف عازم على قتله هرب إلى أغمات[٥]ثم لجبل إيجليز الواقع غرب مراكش في بلاد هرغة[٦] وبنى هناك رباطاً كان منطلقاً لبعثاته للقبائل[٧]ولدى انشغال علي بثورة قرطبة ٥١٥هـ/١١٢١م[٨]ذاع صيت ابن تومرت داخل الجبل وخارجه خصوصاً بعد إعلانه عن أنه هو

---

(١) محمد بن تومرت: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المنعوت بالمهدي الهرغي، ويرجح أن تومرت ليس اسماً لوالد المهدي بل هو لقب أطلقته عليه والدته لسرورها به عند ولادته حيث كانت تقول "ياك ياك تومرت" أي صار فرحاً وسروراً الملقب بالمهدي الهرغي، وكان يدعي النسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب، ونشأ هناك ثم ارتحل للمشرق طلباً للعلم كان عالماً بالشريعة والحديث النبوي وأصول الفقه وعاد للمغرب، حيث التقى في ملالة بعبد المؤمن بن علي الذي بايعه على نصرته، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص ٤٥، ٤٦ .

(٢) التجسيم : هو تشبه الله بخلقه، وهذا مخالف لمذهب السلف، حيث لايوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لايتجاوز القرآن والحديث فإذا وصفت الله بصفة لم يصف بها نفسه فقد قلت عليه ما لاتعلم، وهذا محرم بنص القرآن "قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلى الله مالاتعلمون "، القرآن الكريم : سورة الأعراف، الآية (٣٣) ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص١٧٥ .

(٣) ابن خلدون :العبر،ج٦، ص٣٠٣ .

(٤) ابن أبي زرع : روض القرطاس،ص١٧٥.

(٥) أغمات : تقع في أرض المغرب بقرب وادي درعة، وأغمات مدينتان أحدهما أغمات وريكة والآخرى أغمات هيلانة بينهما نحو ثمانية أميال ، مؤلف مجهول : الاستبصار ،ص٢٠٧؛ الحميري : الروض المعطار، ص٤٦؛ كربخال : إفريقيا، ج٢، ص٦٠ .

(٦) قبيلة هرغة : " إرغن" إحدى القبائل المصمودية الأمازيغية المستقرة بالأطلس الصغير بمنطقة السوس الأقصى،وهي قبيلة المهدي ابن تومرت، الدارجي : القبائل الأمازيغية، ج٢، ص٢٧٤ .

(٧) ابن خلدون العبر،ج٦، ص٣٠٣ ؛ السلاوي : الاستقصا، ج٢، ص٨٦ .

(٨) ثورة قرطبة ٥١٤-٥١٥هـ/١١٢٠-١١٢١م : حصلت هذه الثورة نتيجة تعرض أحد عبيد الوالي المرابطي يحيى بن رواد لأحد النساء المسلمات بالمدينة التي طلبت النجدة، فحصلت اشتباكات بين الأهالي والعبيد، وطالب الأهالي الوالي بقتل العبيد فرفض، فاشتبك الأهالي معه وحاصروه في قصره فهرب، فنهب الناس

المهدي المنتظر ومبايعة العشرة الملازمين له[١] على أنه المهدي ثم قام بنقل مركزه لتينمل[٢] لكون جبل إيجليز قريب من عاصمة المرابطين في جبال الأطلس الكبير وذلك في عام ٥١٨هـ/١١٢٤م وجه علي حملات عدة للقضاء عليه لكنها باءت بالفشل لأسباب عدة منها: وعورة الأرض حيث أن الخيول كانت تقاتل في منطقة جبلية وهو مالم تعتد عليه ما ساعد مقاتلي ابن تومرت على عدم مواجهة أعداد كبيرة من جيوش المرابطين دفعةً واحدة كما أن الجيوش تحتاج وقتاً للتأقلم مع أرض المعركة بينما جنود الموحدين كانوا يقاتلون في أرض ألفوها وعرفوا مسالكها، كان للعامل النفسي دورٌ كبيرٌ في إخفاق الجيش المرابطي بالقضاء على ابن تومرت وانسحابه مرات عدة وقد يعود ذلك لكون المقاتل يحارب جيشاً مسلماً فلم يكن الهدف من القتال واضحاً مثلما هو الحال عند محاربة الإسبان مثلاً، كما أن ما سمعه المقاتل المرابطي عن مهدوية ابن تومرت جعله في حيرة من أمره أما الموحدون فكانت معنوياتهم عالية ويحاربون اعتقاداً منهم بمهدوية ابن تومرت ولإعلاء كلمة الله وذلك بعد أن طعن المهدي بعقيدة المرابطين،[٣]ثم انتقلت الدعوة الموحدية من مرحلة الدفاع للهجوم حيث أرسل المهدي جنوده لحصار مراكش عام ٥٢١هـ/١١٢٧م واستمر الحصار ٤٠ يوماً ولدى اشتباك الطرفان كانت وقعة البحيرة[٤]حيث هُزِم الموحدون وتوفي المهدي فيما بعد جراء مرضٍ أصابه

القصر وبيوت المرابطين، أعد علي بن يوسف جيشاً من صنهاجة وزناتة، وتوجه لقرطبة وحاصرها، وانتهت الثورة بأن يغرم الناس مانهبوه ، الهرمي : الأحوال السياسية، ص٨١،٨٢ ؛ حسن : تاريخ الإسلام، ج ٤، ص١٥٨ .

([١]) منهم : عبد الواحد الشرقي، عبد المؤمن بن علي، عمر بن عبد الله الصنهاجي، عمر بن أبي حفص، يوسف بن سليمان، أبو عمران موسى بن علي الضرير، أبو إبراهيم إسماعيل الهزرجي بن بخيت، وأيوب الجدميوي، المراكشي : المعجب، ص٢٧٥،٢٧٦ .

([٢]) تينمل : جبل عالي جداً وشديد البرودة، يزدحم فيه السكان وعلى قمته مدينة تحمل اسمه وهي مدينة عامرة يخترقها نهر جار دفن فيها المهدي بن تومرت وعبد المؤمن بن علي، الوزان : وصف إفريقيا،ج١، ص١٤١.

([٣]) الهرمي : الأحوال السياسية، ص١٢١،١٢٢ ؛ عنان : تاريخ الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق١،ص١٧٩.

([٤]) البحيرة : وصل الموحدون إلى مدينة مراكش عاصمة المرابطين، وضربوا عليها حصارًا، فتشاور المرابطون فيما بينهم وخرج أميرهم علي بن يوسف بن تاشفين بنفسه على رأس جيش جرار، واصطدم مع جيش الموحدين عند بستان كبير أمام أحد أسوار مراكش، والبستان باللغة المحلية البربرية يسمى بالبحيرة.. قتل فيها عبد الله بن محسن البشير الونشريسي، ابن الأثير : الكامل، ج٩، ص٢٠٠ ؛ المراكشي : المعجب، ص ١٦٥ .

٥٢٤هـ/١١٢٩م[١] بعد وفاة ابن تومرت اتفقت كلمة الموحدين على عبد المؤمن بن علي[٢] (٥٢٤ –٥٥٨هـ/١١٢٩–١١٦٣م)[٣]وبدأ عبد المؤمن حربه ضد المرابطين في تادلا[٤]فافتتحها عام ٥٢٦هـ/١١٣١م ، ثم استولى على درعة،[٥] كما وانضم المرابطي المشهور الفلاكي[٦]وعدد من جنده للموحدين وقد كان الفلاكي قائد العمليات الدفاعية في وجه الموحدين في جبل درن قبل انضمامه إليهم لكنه تخلى عن طاعتهم فيما بعد[٧]وتتابعت الصدامات بين الطرفين إلى أن توفي علي بن يوسف بن تاشفين عام ٥٣٧هـ/١١٤٢م، فتسلم الحكم بعده تاشفين بن علي (٥٣٧–

---

(١) البيدق (أبو بكر علي الصنهاجي ت القرن ٦هـ/١٢م): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، الرباط، دار المنصور، ١٩٧١م ، ص٤٣، سيتم ذكر المصدر باسم البيدق : أخبار المهدي ؛ ابن الخطيب : أعمال الاعلام، ج٣، ص ٢٧٠ .

(٢) عبد المؤمن بن علي : هو عبد المؤمن بن علي بن علوي القيسي الكومي ، ولد عام ٤٨٧هـ/١٠٦٤م بويع بعد وفاة ابن تومرت عام ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م ، ويعد الخليفة المؤسس لدولة الموحدين عام٥٢٤هـ/ ١١٢٩م حتى ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م ؛ الصفدي :الوافي بالوفيات،ج ١٩ ، ص١٥٥؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ،ج٣، ص٢٧١.

(٣)الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ت ٧٩٤ هـ/١٣٩١م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح، محمد ماضور، تونس، المكتبة العتيقة، ط٢، ١٩٦٦م، ص٧، سيتم ذكر المصدر باسم الزركشي : تاريخ الدولتين؛ النجار (عبد المجيد) : المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفى ٥٢٤هـ/١١٢٩م حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وآثره بالمغرب، بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٩٨٣م، ص٣٣.

(٤) تادلا: اقليم غير شاسع يبتدئ من نهر العبيد، وينتهي عند نهر أم الربيع عند منبعه كما ينتهي جنوباً بين جبال الأطلس وشمالاً في المكان الذي يلتقي فيه وادي العبيد ونهر أم الربيع وتمثل هذه الناحية تقريباً شكل المثلث، لأن النهرين الذين ينبعان من الأطلس يجريان نحو الشمال ويقترب أحدهما من الأخر إلى أن يلتقيا، الوزان : وصف إفريقيا، ج١، ص١٧٦ .

(٥) درعة : تقع في المغرب من جهة سجلماسة وتعرف درعة بواديها، فإنه نهر كبير يجري من الشرق إلى الغرب وينبعث من جبل درن وعليه عمارة متصلة تصل نحو سبعة أيام، وهي مدينة عامرة آهلة بين درعة والسوس الأقصى أربعة أيام، البكري: المغرب، ص١٥٥ ؛ مؤلف مجهول : الاستبصار، ص٢٠٦ ؛ الحميري : الروض المعطار، ص٢٣٥،٢٣٦.

(٦) الفلاكي : الإشبيلي كان في البداية قاطع للطريق، ثم تاب فعفا عنه الوالي، وقدمه على الرماة والرجالة، ووصل خبره لعلي بن يوسف، فاستقدمه لمراكش وقدمه على فرقة من الجنود المرابطين، عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق١، ص٢٢٧ .

(٧) عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق١، ص٢٢٧–٢٢٨ .

٥٣٩هـ/١١٤٢- ١١٤٤م)[١]و الذي كان يخوض المعارك ضد الموحدين منذ حياة والده، حيث حاربهم في جبال غرب تينمل عام ٥٣٣هـ/١١٣٨م وحاصرهم مدة شهرين وإزاء ضغط تاشفين بن علي، غادر عبد المؤمن بن علي تينمل التي أصبحت مهددة من قبل الموحدين وفي عام ٥٣٨هـ/١١٤٣م، هدد النورمان سواحل سبتة[٢] بإسطول من حوالي مائة وخمسين سفينة حربية، فتصدى لهم المرابطين وأنزلوا بهم الهزيمة وفي الوقت ذاته حصل خلاف بين مسوفة ولمتونة، فانضمت مسوفة للموحدين وفي عام ٥٣٩هـ /١١٤٤م قتل عبد المؤمن بن علي الربرتير[٣] قائد المرابطين ودخل تلمسان[٤]وفي ٢٧ رمضان من العام نفسه قتل تاشفين ودخل الموحدون وهران،[٥] [٦] وفي ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م ، دخل الموحدون فاس بعد حصارها حوالي السبعة أشهر عام٥٤٠هـ/١١٤٥م .[١]

([١]) تاشفين بن علي : أبو محمد لم يجز إلى الأندلس إلا بعد أن ولاه والده عليها له غزوات مشهورة منها بأحواز بطليوس وغزوة جبل القصر التي انتصر فيها ووصل لقرطبة، الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٠،ص٢٣١؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام،ج٣،ص ٢٥٦،٢٥٧.

([٢]) سبتة: مدينة عظيمة على الخليج الرومي المعروف بالزقاق، وهو أول البحر الشامي المنتهي إلى مدينة صور من أرض الشام،وهي تقابل الجزيرة الخضراء يحيط بها البحر من جميع جهاتها ماعدا من الغرب، يتصل بها من الغرب جبل موسى نسبة إلى موسى بن النصير،لا تبعد عن إسبانيا سوى خمسة فراسخ، البكري: المغرب، ص١٠٢،١٠٣؛ مؤلف مجهول : الاستبصار، ص ١٣٧ ؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣٠٣.

([٣]) ريفيرتر الأول (بالكتلانية: Reverter I) وبالعربية الرويبتر واشتهر بلقب العلج الأعرج من النبلاء الكتلان، خلف والده وورث منصب كونت كونتية برشلونة بين ٥٢٠ -٥٨٢هـ/ ١١٢٦ – ١١٣٣م. التحق بالمرابطين وأصبح «قائد الروم» في جيشهم، ومن المقربين لأمير المسلمين تاشفين بن علي ورفيقه في الحرب، ابن عذارى : البيان المغرب، ج٤، ص٩٨، ١٠٣ ؛ دندش (عصمت عبد اللطيف) : الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني ٥١٠-٥٤٦هـ/١١١٦-١١٥١م تاريخ سياسي وحضارة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨م، ص١٤٣ ؛ حسين (حمدي بن المنعم محمد): تاريخ المغرب و الأندلس في عصر المرابطين دولة علي بن يوسف المرابطي، مصر، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م، ص ١١٥-١١٩-١٢٣ .

([٤]) الهرمي : الأحوال السياسية، ص١٤٠ .

([٥]) وهران : تقع في المغرب على ساحل البحر بنيت سنة تسعين ومائتين بناها جماعة من الأندلسيين البحريين بسبب الفتنة بينهم وبين البربر،وفيها مرسى كبير، كما أنها تقابل المرية في ساحل الأندلس، البكري : المغرب،ص٧٠،٧١؛ مؤلف مجهول : الاستبصار،ص١٣٣ ؛ الحميري : الروض المعطار، ص٦١٢،٦١٣.

([٦]) الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٠، ص ٢٣١؛ ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٢؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق١، ص٢٤٩؛ بولطيف (خضر محمد): فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، د.م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، د.ت، ص ١٤٢ ؛ خلف الله

وفي ١٨ شوال دخلوا مراكش إذ قتل إسحاق بن علي بن يوسف[٢] ٥٤١هـ/١١٤٦م أخر أمراء المرابطين.[٣]وهكذا نجح الموحدون في إسقاط دولة المرابطين بعد سلسلة طويلة من الحروب .

(إبتسام مرعي) : العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ٥٢٤-٩٣٦هـ/١١٣٠-١٥٢٩م، مصر، دار المعارف،١٩٨٥م، ص١٠٣ .

(١) جعل البيدق مدة حصارها تسعة أشهر البيدق : أخبار المهدي ابن تومرت، ص٩٢ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٣؛ نهاية الأرب،ج٢٢، ص٤٠٩؛ مؤلف مجهول : الحلل الموشية، ص١٣٦ ؛ العزاوي (عبد الرحمن حسين): تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي، الأردن، دار الخليج، ٢٠١٧م، ص١١٦ ؛ الهرمي : الأحوال السياسية،ص١٤٠؛ عبد الجبار (صديقي) : سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات، رسالة ماجستير، تلمسان،جامعة أبي بكر بلقايد، ٢٠١٢-٢٠١٣م، ص ٥٣ .

(٢) إسحاق بن علي بن يوسف : من حكام دولة المرابطين، حكم ما بين٥٤١- ٥٤٢هـ / ١١٤٦ -١١٤٧م، وهو أخو تاشفين بن علي. بعد أن بويع إبراهيم بن تاشفين بمراكش وجدوه عاجزاً فخُلِع، وبويع عمه إسحق بن علي ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ،ج٣،ص٢٦٥،٢٦٤ ؛ الزركلي : الأعلام،ج١، ص ٢٩٥ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٧؛ أبي الفداء : المختصر، ج٢،ص٢٣٤ ؛ ابن الوردي (عمر بن مظفر بن عمر ٧٤٩هـ/١٣٤٨ م) : تاريخ ابن الوردي، بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٩٦ م، ج٢، ص٢٧، سيتم ذكر المصدر باسم ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي .

٢- دولة الموحدين (٥٤١-٦٦٨هـ/١١٤٦-١٢٦٨م) :

فيما سبق تم التعريف بالمهدي بن تومرت وقيام ثورته في المغرب التي قامت من خلالها دولة الموحدين، إذ أخضعت مدن المغرب تباعاً و أنهت حكم دولة المرابطين فيها، توجه عبد المؤمن بن علي بعد سيطرته على المغرب الأقصى إلى المغرب الأوسط حيث كانت مملكة يحيى بن العزيز بن المنصور ابن المنتصر الصنهاجي(٥١٥-٥٤٧هـ/١١٢١-١١٥٢م)[١]الذي يمتلك بجاية وأعمالها، حيث هرب يحيى بن العزيز إلى بونة [٢] ومن ثم قسنطينة [٣] فأمّن عبد المؤمن يحيى على نفسه وماله وأهله ، ورجع بهم إلى مراكش فأحسن وفادتهم، وخصهم بجزيل العطاء[٤]دخل عبد المؤمن بجاية بلا قتال[٥]أما قلعة بني حماد[١]فكانت فيها جموع ابن عبد

([١]) يحيى بن العزيز بن المنصور: أبو زكرياء، تولى الحكم بعد أبيه وهو أخر ملوك بني حماد وهو أمير فاضل فصيح شهم أقدم على تغيير السكة وضرب في الناصرية دنانير باسم الخليفة المقتفي ٥٤٣هـ/١١٤٨-١١٤٩م مما يعني أنه دخل في الطاعة العباسية توفي سنة ١١٥٣-١١٥٤م في سلا، التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد ت ٧٢١هـ/١٣٢١م) رحلة التجاني، قدم لها، حسن حسني عبد الوهاب، ليبيا، دار الكتاب العربي، ١٩٨١م، ص٣٤٤، سيتم ذكر المصدر باسم التجاني: رحلة التجاني ؛ إدريس (روجي) : الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقيا في عهد بني زيري من القرن ١٠إلى القرن ١٢م، تر، حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م، ج١،ص٤٢٦ .

([٢]) بونة : مدينة في إفريقيا قريبة تابعة لقل وهي مدينة قديمة على ساحل البحر في نشز من الأرض مشرف على البحر حولها قبائل من البربر مصمودة وأوربة، البكري : المغرب، ص٥٤؛ مؤلف مجهول : الاستبصار، ص١٢٧؛ الحميري : الروض المعطار، ص١١٥.

([٣]) قسنطينة: من مشاهير بلاد إفريقيا،بين تيجيس وميلة وكان لها ماء مجلوب، يأتيها على بعد قناطر بقرب من قناطر قرطاجنة وهي مدينة حصينة ومنيعة، ليس لها نظير إلا رندة بالأندلس فهي تشبهها في وضعها من ناحية الخندق والحافات المحيطة بها إلا أن قسنطينة أكبر وأعلى، حيث إنها على جبل عظيم من حجر صلد قد شق الله تعالى الجبل فصار خندق عظيم يحيط بالمدينة من ثلاثة جوانب، ونهرها الكبير يدخل ذلك الخندق ويدور بالمدينة وهي باردة لارتفاعها، الحموي : معجم البلدان، ج٤، ص ٣٤٩؛ الحميري: الروض المعطار، ص٤٨١،٤٨٠.

([٤]) المراكشي : المعجب، ص١٨٩؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص١٨٨؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق١، ص٢٨٢ .

([٥]) البيدق : أخبار المهدي بن تومرت، ص٧٣ ؛ ابن خلدون : العبر، ج٦، ٢٣٦ ؛ السلاوي : الاستقصا، ج٢، ص١٢١؛ خلف الله : العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، ص١٢٠

العزيز من صنهاجة وجيوشه فملكها عبد المؤمن عنوةً ٥٤٨هـ/١١٥٣م،[٢]دخل عبد المؤمن إلى تونس[٣] بعد أن سار إليها براً وبحراً عام ٥٥٤هـ/١١٥٩م،[٤]ومن ثم توجه للمهدية حيث حاصرها حوالي سبعة أشهر[٥] وافتتحها من أيدي النورمان الذين كانت قد وقعت بين أيديهم سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م عندما قضوا على الدولة الصنهاجية الزيرية[٦] [٧] أما عن دخول الموحدين

([١]) قلعة بني حماد :بينها وبين المسيلة اثنا عشر ميلاً، وبينها وبين بجاية أربعة أيام وعند خراب القيروان انتقل إليها أغلب أهل إفريقيا، وأصبحت مقصد التجار من العراق والحجاز والشام وبلاد المغرب وهي أكبر البلاد قطراً وأكثرها خلقاً وأوسعها أموالاً، الحميري: الروض المعطار، ص ٤٦٩، ٤٧٠.

([٢]) ابن خلدون : العبر، ج٦،ص٢٣٦ ؛ السلاوي : الاستقصا، ج٢، ص ١٢١؛ العبادي (أحمد مختار): دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعى، د.ت، ص ٣١٥ ؛ خلف الله : العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، ص١٢٠ .

([٣]) تونس : مدينة في إفريقيا محدثة إسلامية بينها وبين القيروان ثلاث أيام، القلقشندي : صبح الأعشى،ج٥،ص١٠٢؛ الحميري : الروض المعطار، ص١٤٣ .

([٤]) أبو رميلة (هشام) : علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، عمان، دار الفرقان، ١٩٨٤م، ص ٦٥ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ١، ص ٢٨٠،٢٩٤ .

([٥]) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة،ص ١١٢ ؛ المراكشي : المعجب، ص ١٩٣ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٦٢،٦٣؛ السلاوي : الاستقصا،ص١٣٥،١٣٩ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق١، ص ٢٩٤،٢٩٥.

([٦]) الدولة الصنهاجية الزيرية : الزيريون من سلالة صنهاجة في المغرب الأوسط قدم زيري بن مناد وأهل بيته وقبيلته لمحاربة أبى يزيد الخارجي في سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٦م، فخلع عليه المنصور الفاطمي، ووصله، وصار بنو زيري أعواناً وأتباعاً للفاطميين، ومن ثَم نشب الصراع بين الصنهاجيين، وقبائل زناتة؛ لأن زناتة كانت دائمة الإغارة على ممتلكات الدولة الفاطمية. وحين عزم المعز لدين الله على الرحيل إلى مصر في سنة ٣٦١هـ / ٩٧١م للانتقال إليها بخلافته، وقع اختياره على يوسف بُلكِّين بن زيري بن مناد الصنهاجي ليتولى الإمارة بالمغرب خلفًا للفاطميين، وفي عام٤٣٥هـ / ١٠٤٣م أعلن الملك الصنهاجي المعز بن باديس خروجه عن الخلافة الفاطمية في القاهرة وانحيازه إلى الخلافة العباسية في بغداد بعد الغزو الهلالي٤٤٣هـ/١٠٥١م بقي للصنهاجيون الساحل وعاصمتهم المهدية، شاكر (محمود) : التاريخ الإسلامي الدولة العباسية، المكتب الإسلامي،ط٦، ٢٠٠٠م، ج٢، ص١٧٣؛ طارق (بن زاوي): استقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية ٤٠٦-٤٥٤هـ/١٠١٦-١٠٦٢م، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة الجزائر، ٢٠٠٨-٢٠٠٩م ، ص١٥٢ .

([٧]) عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق١، ص ٢٧٩،٢٨٠ ؛حياوي (فراس سليم): الغزو النورماني للساحل الإفريقي تونس وليبيا في القرن السادس الهجري، مجلة كلية التربية الأساسية، ع ٣، جامعة بابل، ٢٠١٠م، ص٩٠ .

للأندلس فقد جاء جماعة من أهل الأندلس إلى عبد المؤمن بن علي مبايعين له،[١] وكانت المبايعة بعد الانتصارات التي حققتها دولة الموحدين على المرابطين في المغرب،[٢] ولكثرة الثورات والفتن التي شهدتها الأندلس على المرابطين نهاية عصرهم، حيث انتشرت تلك الثورات سريعاً في معظم قواعد الأندلس ومن أبرزها : ثورة المريدين بزعامة ابن قسي[٣] الذي استجاب له أعيان غربي الأندلس وطردوا حاميات المرابطين ومنهم سيدراي بن وزير في يابرة [٤] ومحمد بن عمر بن منذر[٥] في شلب[٦] على إثر ذلك أرسل يحيى بن غانية[٧] قوة اعترضت طريق ابن المنذر المتوجه إلى إشبيلية، إذ التقت القوات في طريانة وهزم ابن المنذر وانسحب إلى لبلة[٨] ثم سار ابن غانية إليه وحاصره في لبلة إلا أنه اضطر إلى الانسحاب بسبب ثورة ابن حمدين[٩]

([١]) ابن الأثير : الكامل، ج٩ ، ص ٣٤٢،٣٤٣؛ ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٣،٣٤.

([٢]) دندش : تاريخ الأندلس، ص ١٠٥؛ السامرائي : أثر علماء المغرب، ص٣٥.

([٣]) ابن قسي : أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي أصله رومي من بادية شلب تولى الأعمال المخزنية فيها ثم اعتنق الصوفية عرف أتباعه في غربي الأندلس بالمريدين بنى رابطةً في قرية جلة إحدى قرى شلب وادعى الولاية وتسمى بالمهدي قاد ثورة ضد المرابطين ؛ ابن الأبار : الحلة السيراء، ج٢، ص١٩٧.

([٤]) سيد راي بن وزير: سيدراي بن عبد الوهاب بن وزير القيسي أبو محمد أمير في غربي الأندلس تغلب على ابن قسي في شعبان ٥٤٠هـ / ١١٤٥م ثم نظمته الدعوة المهدوية، حضر حصار إشبيلية إلى أن فتحت٥٤١هـ/١١٤٦م وتوفي بعد٥٥٢هـ/١١٥٧م، ابن الأبار : الحلة السيراء، ج٢، ص ٢٧١ ؛ الزركلي : الأعلام، ج٣، ص١٤٨ .

([٥]) محمد بن عمر بن المنذر : أحد أعيان شلب من المولدين، لازم التعلم بإشبيلية في صغره حتى تميز بالمعارف الأدبية والفقهية وولي خطة الشورى ببلده، ثم تزهد وتبرع بماله ورابط على ساحل البحر في رباط ريحانة كما إنه صاحب ابن قسي، واتبعه في ثورته ودعى له في بلاده، ابن الأبار : الحلة السيراء ج٢، ص٢٠٢ .

([٦]) شلب : تقع في بلاد الأندلس وهي قاعدة كورة أكشونية وهي بقبلي مدينة باجة وهي ببسيط من الأرض عليها سور حصين ومنها إلى مارتلة أربعة أيام، القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) : آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، د.ت، ص٥٤١، سيتم ذكر المصدر باسم القزويني : آثار البلاد ؛ الحميري : الروض المعطار، ص٣٤٢.

([٧]) يحيى بن غانية : يحيى بن علي بن يوسف المسوفي أول من ولي الأندلس من بني غانية، ولد في قرطبة وشب في بلاط المرابطين في مراكش ولي بلنسية ثم قرطبة وخاض معارك مع الإفرنج بين ٥٢٠-٥٣٨هـ / ١١٢٦—١١٤٣م هزم ملك أراغون عام٥٢٨هـ/١١٣٣م وظل على ولائه للمرابطين بعد ظهور الموحدين توفي بغرناطة ٥٤٣هـ/١١٤٨م، الزركلي : الأعلام، ج٨، ص١٥٨ .

([٨]) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٦؛ ابن خلدون : العبر، ج٦، ص٣١٣ .

([٩]) ابن حمدين :هو حمدين بن محمد بن علي التغلبي من أهل قرطبة، ينتمي إلى بيت علم ورئاسة، تولى قضاء قرطبة عام ٥٢٩هـ/١١٣٤م، ثم صرف بأبي القاسم بن رشد ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م، واستمر في منصبه لغاية

في قرطبة، انتهت ثورة ابن قسي بعد أن خلع ابن وزير طاعته واستولى على شلب وميرتلة،[1] فهرب ابن قسي للمغرب طالباً نجدة الموحدين،[2] ومن الثورات البارزة أيضاً ثورة غرناطة بزعامة القاضي أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى[3] إذ تم فيها حصار المرابطين في قصبة غرناطة وتمت مؤازرة ثوار غرناطة من قبل ابن حمدين زعيم ثورة قرطبة وابن هود[4]الذي سار واشترك مع ابن أضحى في قتال المرابطين،[5]وحضر القاضي ابن أبي جعفر[6] زعيم ثورة مرسية لقتال المرابطين في غرناطة لكن هُزم الثوار واستباح المرابطون المدينة ، وعاد ابن هود لقاعدته في

إعلانه الثورة، الضبي(أحمدبن يحيى بن أحمد بن عميرة ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م) : بغية المتلمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح، إبراهيم الأبياري، بيروت،دار الكتاب اللبناني ،١٩٨٩م،ص٢٣٧، سيتم ذكر المصدر باسم : الضبي: بغية المتلمس ؛ النباهي : المرقبة العليا، ص١٠٣،١٠٤؛ بولطيف : فقهاء المالكية،ص١٥٣.

(1) ميرتلة : مدينة في الأندلس تقع شرقي باجة بينهما أربعون ميلاً وهي بقرب شاطئ البحر وهي حصن أولي فيها آثار قديمة وكنيسة عظيمة، الحميري : الروض المعطار، ص٥٦٩ .

(2) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٣،ص ٢٥٠،٢٥١؛ خلف الله : العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، ص١١ .

(3) أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى : هو علي بن عمر بن محمد الهمداني من أهل غرناطة، من بيت عريق النسب كان فقيهاً حافظاً وأديباً شاعراً صارت إليه رئاسة غرناطة وتدبير أمرها سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م لما زال أمر المرابطين بها، ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) : الإحاطة في أخبار غرناطة ، مراجعة، بوزياني الدارجي، الجزائر، دار الأمل، ٢٠٠٩م، ج٤، ص٨٣،٨٦؛ بولطيف : فقهاء المالكية، ص ١٥٥ .

(4) ابن هود : أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن هود الجذامي من ملوك آل هود في الأندلس تولى الحكم بعد والده ٥١٣هـ/١١١٩م ولقب بالمستنصر استمرت الوقائع بينه وبين ألفونسو السابع إلى أن سلمه حصن ورطة على أن يحكم ألفونسو الأندلس، الزركلي : الأعلام،ج١،ص١٦٤.

(5)أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص٧٧؛ بولطيف : فقهاء المالكية، ص ١٥٥؛ دندش : تاريخ الأندلس، ص٨٠ .

(6) ابن أبي جعفر : هو محمد بن عبد الله بن محمد الخشني من أهل مرسية ومن وجهائها كان فقيهاً حافظاً خبيراً بعلم الرأي استقضي بمرسية في زمن المرابطين، ثم ثار بها أواخر ٥٣٩هـ/ ١١٤٥م ، ابن الأبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م) : التكملة لكتاب الصلة ، تح، عبد السلام الهراس، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م ج١، ص٤٤٧، سيتم ذكر المصدر باسم ابن الأبار : التكملة ؛ ابن عبد الملك (أبو عبد الله محمد ابن محمد المراكشي ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م): الذيل والتكملة لكتابي الصلة والموصول، تح، إحسان عباس، محمد شريفة، تونس، دار الغرب الإسلامي، ٢٠١٢م، ج٦، ٣٠٦،٣٠٨ ،سيتم ذكر المصدر باسم ابن عبد الملك : الذيل والتكملة.

جيان[1]بعد ذلك تصالح أهل غرناطة مع المرابطين، وهدأت الثورة[2] كما برزت ثورة ابن حمدين بعد أن خلع أهالي قرطبة الوالي المرابطي وبايعوا القاضي ابن حمدين في مسجد قرطبة عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م الذي تسمى بأمير المسلمين والمنصور بالله [3] و استمرت إمارته في قرطبة حوالي السنة، ثم بدأت سلطته تنهار، فقد خرجت عليه مرسية لقيام بن أبي جعفر بالثورة على عبد الرحمن بن جعفر بن إبراهيم بن الحاج اللورقي الذي كان موالياً لابن حمدين، حيث خطب أبو جعفر لنفسه، وأسقط ابن حمدين من الخطبة، لكنه توفي عام ٥٤٠هـ/١١٤٥م،[4]و توجه ابن غانية لقرطبة ودخلها عام ٥٤٠هـ/١١٤٥م، فهرب ابن حمدين لبطليوس ثم حصن أندوجر حيث حاصره ابن غانية لمدة شهر فاستنجد ابن حمدين بملك قشتالة واستطاعا دخول قرطبة عام٥٤٠هـ/١١٤٥م وتحصن ابن غانية في قصبته، وانتهى الأمر بالصلح بين ملك قشتالة وابن غانية على أن يدفع له المال، ويتنازل عن مدينتي أبذة[5] وبياسة،[6]ويبقى ابن غانية قائماً بأمر قرطبة،[7]ويرجح أن الملك القشتالي قد جنح للسلم؛ لأنه عرف أن الموحدين قد عبروا إلى الأندلس وأن أهل إشبيلية قد خلعوا طاعة المرابطين فأراد أن يضع ابن غانية كخط دفاع أمامي بينه وبين الموحدين ، تذكر المصادر أن ابن حمدين قد عبر إلى المغرب وقابل عبد المؤمن عام

---

(1) جيان : مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة عشرون ميلاً وهي كثيرة الخصب رخيصة السعر ولها قرى زادت عن ثلاثة آلاف قرية يربى فيها دود الحريري وهي في سفح جبل عال، الحميري : الروض المعطار، ص١٨٣.

(2) أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص٧٧ .

(3) ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة،ج١، ص٢٨٧ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق١، ص ٣١٣،٣١٢ ؛ بولطيف : فقهاء المالكية، ص١٥١ .

(4) ابن الأبار(محمد بن عبد الله بن أبي بكر ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م) : المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، تح، إبراهيم الإيباري، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٩٨٩م، ص٢٣٩ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٥٨.

(5) أبذة : مدينة في الأندلس بينها وبين بياسة سبعة أميال وهي مدينة صغيرة على مقربة من النهر الكبير ولها مزارع وغلات قمح وشعير، بروفنسال: صفة جزيرة الأندلس، ص١٥.

(6) بياسة : مدينة في الأندلس بينها وبين جيان عشرون ميلاً وكل واحدة منهما تظهر من الأخرى وبياسة على كدية من التراب مطلة على النهر الكبير، وهي مدينة ذات أسوار عالية ، بروفنسال: صفة جزيرة الأندلس، ص٥٧،٥٨.

(7) عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق١، ص٣١٥، أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص ٧٩،٨٠؛ أشباخ(يوسف): تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، تر، محمد عبد الله عنان، القاهرة،مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٩٦م، ج١، ص٢٢٠،٢٢١.

٥٤١هـ/١١٤٦م، ثم عاد للأندلس وحاول استرداد قرطبة دون جدوى إلى أن مات ٥٤٦هـ/١١٥١م في مالقة،[١] كما تذكر المصادر ثورة أهل مرسية على المرابطين عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م بزعامة أبي محمد بن الحاج اللورقي الذي لما يعلن استقلاله، إنما بايع ابن حمدين فأدرك ابن هود ضعف شخصيته وأرسل قواته للاستيلاء على مرسية فتم له ذلك وخطب لابن هود،[٢]هنا خاطب أهل مرسية عبد الله بن عياض واستدعوه ليتولى الأمر في قرطبة، فتلاقاه في الطريق صاحب أوريولة وتنازل له عنها ودخل مرسية دون قتال وأصبح أمير شرقي الأندلس داعياً لابن هود أواخر عام ٥٤٠هـ/١١٤٥م،[٣]بالتزامن مع تلك الأحداث قامت موقعة اللج ٥٤٠هـ/١١٤٥م بين ابن هود والإسبان[٤]بسبب اعتدائهم على نواحي شاطبة [٥] وهُزِم المسلمون وقتل ابن هود، فأصبح ابن عياض أمير شرقي الأندلس من بلنسية[٦]إلى قرطاجنة[١] جنوباً حتى

([١]) عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق١، ص ٣١٥،٣١٦ ؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص ٨٠.

([٢]) أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص ٨٤ ؛ عبيدات (داود عمر سلامة) : الموحدون في الأندلس المغرب والأندلس مابين سنتي ٥٤١–٦٦٧هـ/١١٤٦–١٢٦٨م، الأردن، دار الكتاب الثقافي، د.ت، ص٦٧ .

([٣]) ابن الأبار : الحلة السيراء، ج٢، ص٢٣٠–٢٣١ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق١،ص ٣٦٠ .

([٤]) تصور المصادر العربية موقعة اللج بشيء من الغموض، حيث إن ابن هود هو حليف قشتالة وصنيعة عاهلهم ألفونسو السابع أو ألفونسو ريموندس فكيف أصبح من أعدائهم بين ليلة وضحاها ؟ بعد فشل محاولات ابن هود في قرطبة بعث إلى ألفونسو السابع يخبره أن أراضي أبذة وبياسة وقلاعها وهي من أملاكه التي تغلب عليها، قد ثارت عليه ورفضت أداء الضرائب، فأرسل ألفونسو أربعة من القادة القشتاليين وهم مانريكي، أرمنجود،بانسيو ، مارتن فرنانديث ؛لاخضاع المناطق الثائرة، فمارسوا أنواع العنف والترهيب ضد المسلمين ولما طلب إليهم ابن هود التوقف رفضوا فكان ذلك سبب العداء، لكن هذا يطرح تساؤلاً أخر هل كان ابن هود يتوقع من ملك قشتالة إخضاع المناطق الثائرة بالحوار مثلاً ؟ كان يجب أن يتفطن لنتائج شكواه ، والاستعانة بالقوى الخارجية منذ البداية ، عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ١، ص ٣٦١–٣٦٢ ؛ العلياوي (حسين جبار)، الدرويش(جاسم ياسين) : مدينة بياسة الأندلسية ٩٣–٦٣٣هـ/ ٧١١–١٣٣٦م، مجلة بابل ، ع٤، جامعة البصرة، كلية العلوم الإنسانية ، ٢٠١٦م، مج٢٤، ص ٢٠٣٣؛ دندش : تاريخ الأندلس، ص ٩٣ .

([٥]) شاطبة : مدينة في الأندلس جليلة وحصينة لها قصبتان ممتنعتان، وهي قيبة من جزيرة شقر، الحميري : الروض المعطار، ص٣٣٧.

([٦]) بلنسية :مدينة في شرقي الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يوماً،وهي مدينة سهلية من قواعد الأندلس تبعد عن البحر ثلاثة أميال، وهي مدينة عامرة كثيرة التجارات بها الأسواق والقلاع وتقع على نهر تدخله السفن كما للمدينة أربعة أبواب، الحميري: الروض المعطار، ص٩٧.

وفاته عام ٥٤٢هـ/١١٤٧م،[٢]فأصبح محمد بن سعد بن مردنيش[٣]أمير شرقي الأندلس عام ٥٤٢هـ/١١٤٧م. [٤]وبالنسبة للتواجد الموحدي في الأندلس فسيتم فيما يلي توضيح أبرز الأحداث الأندلسية في فترة حكمهم، فعند عبور الجيوش الموحدية إلى الأندلس عام ٥٤١هـ/١١٤٦م، استولت على طريف والجزيرة الخضراء[٥]وشريش،[٦] ثم قصدوا لبلة، فأعلن صاحبها يوسف بن أحمد البطروجي الولاء للموحدين ثم سقطت المدن تباعاً تحت السيطرة الموحدية بطليوس وميرتلة وشلب أما باجة [٧]ويابرة،[٨] فقد أعلن صاحبهما سيداري بن وزير الولاء للموحدين،[٩] واستولى

([١]) قرطاجنة : عند جبل طارق في الأندلس وهي مدينة قديمة،تعرف بقرطاجنة الجزيرة وفيها نهر يصب في البحر يعرف بوادي الرمل، ويوجد قرطاجنة ثانية في الأندلس تعرف بقرطاجنة الخلفاء من كورة تدمير وهي قديمة فيها مرسى وقصبة، الحميري : الروض المعطار، ص٤٦٥،٤٦٢.

([٢]) أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص ٨٥ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ١، ص ٣٦١ .

([٣]) محمد بن مردنيش: هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش التجيبي، الجذامي ولاءً، ملك شرقي الأندلس، من أسرة إسبانية . اعتنق الإسلام، وحسن إسلام بعض أفرادها؛ فجده الزاهد المجاهد محمد بن أحمد بن مردنيش صاحب المغازي والفضائل، ويعود أصل التسمية (ابن مردنيش) إلى (Martinezz) المشتق من تسمية بيزنطية قديمة، ابن الأبار : الحلة السيراء،ج٢،ص٢٣٤،٢٣٢ .

([٤]) المراكشي : المعجب،ص ٢١٠،٢٠٩ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق١ ، ص ٣٦٤؛ عبيدات : الموحدون في الأندلس، ص ٦٧ . لم تكن تلك جميع الثورات بل أبرزها للإطلاع على المزيد ينظر قائمة بأبرز الثورات نهاية عصر المرابطين الملحق رقم (١).

([٥]) الجزيرة الخضراء : في الأندلس ويقال جزيرة أم حكيم نسبة لجارية طارق بن زياد التي تركها في هذه الجزيرة ، بينها وبين قلشانة أربعة وستون ميلاً وهي على ربوة مشرفة على البحر سورها متصل به وبشرقيها خندق ولها الباب الكبير المسمى باب حمزة وباب الخوخة وباب طرفة جوفي، الحميري : الروض المعطار، ص٢٢٣ .

([٦])ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ١٨٩ ؛ السلاوي : الاستقصا، ج٢، ص ١٠٤ ؛ أشباخ: تاريخ الأندلس،ج١، ص٢٣١-٢٣٢ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ١، ص ٣٢٦ .

([٧]) باجة : هي من أقدم مدن الأندلس بنيت زمن الأقاصرة بينها وبين قرطبة مائة فرسخ، الحميري : الروض المعطار، ص٧٥.

([٨]) يابرة : مدينة من كور باجة في الأندلس وهي قديمة تنتهي بأحواز باجة فما حواليها مائة ميل وينسب إليها ابن عبدون اليابري الشاعر، الحميري : الروض المعطار، ص٦١٥.

([٩]) ابن الأبار : الحلة السيراء،ج٢،ص٢٠٠ ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس،ص١٨٩؛ السلاوي : الاستقصا، ص٢٣٢؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق١، ص ٣٢٧ ؛ دندش : تاريخ الأندلس، ص١٠٦.

الموحدون على إشبيلية عام ٥٤١هـ/١١٤٦م،[١] تركوا فيها حامية بقيادة أخوي المهدي عيسى وعبد العزيز إلى جانب يوسف البطروجي لكن سوء معامة أخوي المهدي للناس واستباحتهم للدماء أدت لخلافهما مع البطروجي الذي حاول منعهما، فعزما الفتك به، فهرب إلى لبلة، حيث اتصل بالمرابطين، فقدم يحيى بن غانية لمساندته، وسيطر على الجزيرة الخضراء لمنع إمدادات الموحدين من المغرب وبلغ ذلك ثوار غربي الأندلس، فخلعوا طاعة الموحدين أيضاً[٢]خرج أخوي المهدي من إشبيلية خوفاً على حياتهما ، فقد ثار عليهما أهل طلياطة[٣]وحصن القصر من ضواحي إشبيلية بتحريض البطروجي، واعتصما بالجبال، وقدم أبو الغمر بن عزون [٤]صاحب شريش[٥] لنجدتهما، ثم ساروا إلى الجزيرة الخضراء، واستولوا عليها من المرابطين، إزاء ذلك جهز عبد المؤمن جيشاً أعاد من خلاله إشبيلية وطلياطة ولبلة التي عاد صاحبها البطروجي ليعلن الولاء.[٦]

كما نقض ملك قشتالة الصلح بينه وبين ابن غانية حيث استولى على جيان، وطالب ابن غانية بالتخلي له عن قرطبة .[٧] [١]

([١]) ابن خلدون : العبر،ج٦،ص٣١٣ ؛ السلاوي : الاستقصا،ج٢،ص ٢٣٢ ؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص ٩٣.

([٢]) منهم أحمد بن قسي في شلب وعلي بن عيسى بن ميمون في جزيرة قادس و محمد بن علي الحجام في بطليوس، عنان: دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ١، ص٣٢٩ ؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص ٩٥ ؛ دندش : تاريخ الأندلس، ص١٠٧.

([٣]) طلياطة : تقع في الأندلس بينها وبين إشبيلية عشرون ميلاً وإلى لبلة نفس المسافة، الحميري : الروض المعطار، ص٣٩٥.

([٤]) كان ابن عزون في مقدمة الثوار الذين خلعوا طاعة المرابطين مع أنه ينتمي إلى لمتونة وقوي أمره بسرعة واستولى على أركش ثم على رندة من صاحبها أخيل بن إدريس الرندي وأعلن الدعوة للموحدين،دندش: الأندلس، ص٧٩.

([٥]) شريش : من كورة شذونة في الأندلس وبينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلاً وهي على مقربة من البحر وبين المغرب والقبلة من شريش حصن ورطة على شاطئ البحر بينهما ستة أميال وهي متوسطة حصينة حسنة الجهات ، الحميري : الروض المعطار، ص٣٤٠ .

([٦]) ابن خلدون : العبر،ج٦، ص٣١٣،٣١٤؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص ٩٥.

([٧]) قرطبة : قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها، تقع في سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس وهي خمسة مدن يتلو بعضها بعضاً وبين المدينة والمدينة سور حاجز، وفي كل مدينة مايكفيها من الفنادق والحمامات وسائر الصناعات، وهي وطولها من غربها إلى شرقيها ثلاثة أميال وعرضها من باب القنطرة

تظاهر ابن غانية بالقبول؛ إلا أنه راسل الموحدين، واتفق على تسليم قرطبة وقرمونة [٢] للموحدين مقابل أمان الخليفة عبد المؤمن،[٣] فدخل الموحدون قرطبة عام ٥٤٣هـ/١١٤٨م،[٤] أما غرناطة فقد وجد واليها المرابطي ميمون بن بدر [٥]اللمتوني أن يتنازل عنها للموحدين إثر انتصاراتهم المتتالية في الأندلس فولى عليها عبد المؤمن أخوه السعيد،[٦] أما المرية،[٧] فكانت تحت حكم الإسبان منذ ٥٤٢هـ/١١٤٧م[٨]إلى أن ضرب الموحدون حصارهم عليها ، فسار ملك قشتالة ألفونسو ريموندس مع محمد بن سعد بن مردنيش لفك الحصار دون جدوى ، فانسحب ملك قشتالة وابن مردنيش واستمر الحصار سبعة أشهر ثم طلب الإسبان الأمان فدخلها الموحدون عام ٥٥٢هـ/١١٥٧م .[٩]

إلى باب اليهود ميل واحد وهي على نهر عظيم وأحواز قرطبة تنتهي من الغرب إلى أحواز إشبيلية، الحميري : الروض المعطار، ص ٤٥٦،٤٥٨.

([١]) ابن خلدون : العبر،ج٦، ص٣١٤ ؛ السلاوي : الاستقصا،ج٢،ص١١٨ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ١، ص ٣٣٢ .

([٢]) قرمونة : مدينة في الأندلس شرق بلنسية بينها وبين أستجة خمسة وأربعون ميلاً وهي مدينة قديمة وهي باللاتينية كارب مويه ومعناها صديقي، الحميري : الروض المعطار، ص٤٦١ .

([٣]) ابن خلدون : العبر، ج٦، ص ٣١٤ ؛ العلياوي، الدرويش : مدينة بياسة، ص٢٠٣٣ ؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص٩٦ ؛ دندش : تاريخ الأندلس، ص ١١١ .

([٤]) ابن أبي زرع : روض القرطاس،ص١٩١ .

([٥]) كان قائد المرابطين ميمون بن بدر اللمتوني بن ورقاء الذي خلف الأمير علي بن فنو الذي توفي، واستطاع ميمون الاحتفاظ بغرناطة وتصريف شؤونها بكفاءة حتى عام ٥٥١هـ/١١٥٦م عندما سلمها للموحدين، دندش : الأندلس،ص٨١.

)عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ١، ص ٣٤٥،٣٤٦ .

([٧]) المرية : مدينة برية بحرية كبيرة جنوب شرق الأندلس ومن أجمل الثغور والمدن الأندلسية وهي عاصمة الولاية المسماة بهذا الاسم بناها الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر ٣٤٤هـ/٩٥٥م، ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص١٠٠ .

([٨]) المراكشي : المعجب،ص ٢١٠،٢١١ ؛ ابن خلدون : العبر،ج٦، ص ٣١٣ .

([٩]) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ١٩٤،١٩٣؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ١، ص٣٤٦،٣٤٧ .

سار ابن همشك[1] قائد ابن مردنيش بقواته لقرمونة، واستولى عليها عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م ، فتوجه والي إشبيلية الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي حفص بن علي لاستردادها ، فحاصرها فضاق أهل المدينة جراء الحصار ، فطلبوا الأمان مقابل التسليم فدخل الموحدون المدينة عام ٥٥٧هـ/١١٦١م،[2] و اقتحم ابن همشك غرناطة، فتحصن الموحدون في قصبتها ، وحاول ابن همشك اقتحام القصبة لكنه فشل فطلب المساعدة من صهره محمد بن سعد بن مردنيش،[3] قام ابن همشك باحتلال القصبة الحمراء وهي تقع في جبل السبيكة بإزاء قصبة غرناطة بالتعاون مع ابن مردنيش وقوة من الإسبان وإزاء الوضع أرسل الخليفة عبد المؤمن حملةً لإنقاذ غرناطة، كما قدمت الجيوش الموحدية من إشبيلية بقيادة عبد الله بن أبي حفص وعسكرت في مرج الرقاد،[4] ونشبت معركة بين الطرفين ، وهزم الموحدين في عام ٥٥٧هـ /١١٦١م،[5] وهنا أرسل عبد المؤمن حملةً ٥٥٧هـ/١١٦١م وزحفت نحو معسكر ابن همشك في جبل السبيكة ونشبت معركة انتصر فيها الموحدون ودخلوا غرناطة .[6]

---

(1) إبراهيم بن همشك : هو إبراهيم بن أحمد بن همشك، أبو إسحق، أمير مغربي صاحب جيان بالأندلس وقد كان مفرج جد إبراهيم مسيحياً من قشتالة وذهب إلى بنى هود أصحاب سرقسطة فأسلم على يد أحدهم، كان معروفاً بالشجاعة وكان مقطوع الأذن فإذا رآه أعداؤه عرفوه وقالوا بالإسبانية همشك أي مقطوع الأذن، قام بالتقرب من يحيي بن غانية بقرطبة،وتحارب مع الموحدين ولكنه خدمهم في آخر أيامه توفي ٥٧٢هـ/١١٧٦م، ابن الأبار : الحلة السيراء، ص٢٦٨،٢٦٧ ؛ ابن الخطيب : الإحاطة،ج١، ص٦٠١ .

(2) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٧٣؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ١، ص٣٧٥ ؛ أبو رميلة: علاقات الموحدين، ص ١١٥ .

(3) عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ١، ص ٣٨٧ .

(4) مرج الرقاد: كان هذا الاسم يطلق على موضع بظاهر غرناطة على بعد بضعة كيلو مترات من قرية الطرف في سفح جبل البيرة قرب نهر شنيل دارت معركة بين إبراهيم بن همشك والمدعوم من قبل المسيحيين وهم الفارو رود ريكيث الذي عرف بالمصادر العربية بلقب الأقرع Alvar Rodriguez وإيرمانكو السابع Ermengaud VII وأخ إيرمانكو السابع وكوسيران دوصال caucerand de sales الموحدين بقيادة أبي محمد عبد الله بن حفص وهزم الموحدين وقتل أبي محمد، ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص١٢٨،١٢٩؛ ابن الخطيب : الإحاطة،ج٢،ص ٤٢٣؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين،ص١١٨ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ١، ص٣٨٨.

(5) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة، ص١٢٩،١٢٨؛ ابن الخطيب : الإحاطة،ج٢، ص ٤٢٣ .

(6) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة، ص١٣٣ ؛ أرسلان : الحلل السندسية، ص٤٠٦ .

وتجدد الصراع بين الموحدين وابن مردنيش، حيث قامت بينهما معركة في فحص الجلاب [١]عام ٥٦٠هـ/١١٦٥م، وهزم ابن مردنيش وتراجع لمرسية، وانضم ابن همشك للموحدين على إثر خلاف بينه وبين ابن مردنيش وبعد موته عام ٥٦٧ه/١١٧١،[٢] خلفه ابنه أبو القمر هلال الذي أعلن الطاعة للموحدين فسار الشيخ أبو حفص وتسلم بلاد شرقي الأندلس وأعلن الأمان للناس والجند كافة .[٣]

وقد ظهر على الساحة السياسية في الأندلس ثم المغرب بني غانية،[٤] وكانت لهم حروب طويلة الأمد مع الموحدين حيث بعث الموحدون كتاباً إلى إسحاق بن غانية[٥] حاكم الجزائر الشرقية يطالبونه بالبيعة لهم عام ٥٧٨ه/١١٨٢م ، لكنه رفض ذلك،[٦]وشجعت الظروف التي

([١]) فحص الجلاب : هو فحص مرسية على بعد اثني عشر كيلومتراً جنوب المدينة، السويدان (طارق) : الأندلس التاريخ المصور، الرياض، د.د، ٢٠٠٥م، ص٣٤.

([٢]) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة،ص٤٤٤ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٢١؛ ابن الخطيب : الإحاطة،ج٢،ص ٤٢٥ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ج٢،ص ٢٣٦-٢٣٧؛ العلياوي، الدرويش : مدينة بياسة، ص٢٠٣٣ ؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص ١٤٠ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ١، ص٣٦٨.

([٣]) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة، ص٣٨١،٣٨٥؛ ابن الأثير : الكامل، ج١٠، ص ٣٧ ؛ ابن الخطيب: الإحاطة،ج٢، ص٤٢٥؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢، ص٥٥،٥٦ .

([٤]) بني غانية : ينتسب بنو غانية إلى قبيلة مسوفة ثاني القبائل الصنهاجية التي قامت عليها دولة المرابطين بعد لمتونة، وكان علي بن يوسف المسوفي من كبار رجال يوسف بن تاشفين، وهو الذي زوجه من قريبة له تدعى غانية، وقد أنجب منها ولدين هما محمد ويحيى، وكان المرابطون كثيراً ما ينسبون أبنائهم لأمهاتهم لعادات عندهم، وكانت أسرة بني غانية من كبار الأسر في الدولة المرابطية، قاموا بثورة هدفها القضاء على الموحدين، وإحياء دولة المرابطين، المراكشي :المعجب،ص٢٢٣ ؛ابن الآبار : الحلة السيراء، ج٢، ص٢٠٥؛ التجاني: رحلة التجاني، ص١٦٢؛ ابن خلدون : العبر، ج٦، ص ١٥٩؛ السلاوي: الاستقصا،ج٢، ص١٥٩ ؛ العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٣١ .

([٥]) إسحاق بن غانية : إسحاق بن محمد بن علي بن يوسف المسوفي أبو إبراهيم صاحب الجزائر الشرقية جزر الباليار عاصمته ميورقة تولاها مستقلاً بعد أبيه ٥٤٦ه/ ١١٥١م، الزركلي : الأعلام، ج١، ص٢٩٦ .

([٦]) المراكشي : المعجب،ص ٢٦٩- ؛ الغبريني(أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله ت ٧١٤ه/ ١٣١٤م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح، عادل نويهض، بيروت، دار الأفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٩م، ص٤٦، سيتم ذكر المصدر باسم الغبريني : عنوان الدراية ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢، ص ١٤٧ .

كانت تمر بها الدولة الموحدية من فشلها أمام مدينة شنترين[١] ومقتل الخليفة أبو يعقوب يوسف عام٥٨٠هـ/١١٨٤م ومبايعة الأمير الجديد يعقوب بن يوسف المنصور(٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م) وانشقاق بني عبد المؤمن على أنفسهم جراء هذه البيعة علي بن إسحاق على النزول بأسطوله على بجاية قاعدة المغرب الأوسط واستولى عليها عام ٥٨١هـ/١١٨٥م،[٢]و بعد هذا الانتصار أخذ ابن غانية بالتوسع تاركاً أخوه يحيى على بجاية إذ تساقطت المدن في يده فاستولى على الجزائر ومليانة[٣] وقلعة بني حماد ثم سار لقسنطينة وحاصرها ، ويذكر أن ابن غانية قد خطب للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (٥٦٦ - ٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٧٩)،[٤] ومن أهم المعارك التي خاضتها الدولة الموحدية ضد بني غانية معركة عمرة عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م التي هزم فيها الموحدون وتعرضوا لغدر ابن غانية، حينما أمنهم على أنفسهم فدخلوا قفصة،[٥] لكنه قام بقتلهم،[١]وعندما بلغ الخليفة المنصور ماحصل بجنوده في عمرة خرج

([١]) شنترين : في الأندلس مدينة من كور باجة وهي على جبل شاهق، ولها من القبلة حافة عظيمة لاسور لها وبأسفلها ربض، القزويني : آثار البلاد، ص٥٤٢؛ الحميري : الروض المعطار، ص٣٤٦ .

([٢]) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٧٥ ؛ ابن خلدون : العبر،ج٦،ص ٣٢٦ ؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص ١٥١ ؛ العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٥٦،٣٥٥ ؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢، ص ١٤٨،١٤٩ ؛ حتامله : الأندلس، ص٥٥٦؛ بروفنسال (ليفي) : رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، الرباط، المطبعة الاقتصادية،١٩٤١م، ص ١٧٢،٢٥٠؛ نويوة (واعظ): أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية ٥٨٠-٦٣٣هـ/١١٨٤-١٢٣٥م، رسالة ماجستير، الجزائر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة بوزريعة، ٢٠٠٧-٢٠٠٨م، ص١٧.

([٣]) مليانة : مدينة في المغرب تقع بين تنس والمسيلة وبقرب نهر الشلف، وعلى ثلاثة أميال منها يقع جبل ونشريس وهي مدينة رومية الأصل،بها سوق وآبار، يسكنها بنو واريفن وغيرهم، البكري: المغرب، ص ٦٩؛ الحميري: الروض المعطار، ص٥٤٧ .

([٤]) المستضيء بأمر الله : الحسن بن المستنجد(٥٦٦ - ٥٧٥هـ/١١٧٠- ١١٧٩م)، ولد عام ٥٣٦هـ/١١٤١م في عهده سقطت الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي، ودعى له في إفريقيا على يد ابن غانية، ابن الأثير : الكامل، ج١٠، ص٢٩ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٠٩ ؛ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) : تاريخ الخلفاء ، تح، محمد غسان نصوح، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط٢، ٢٠١٣م، ص ٦٨١،٦٨٢ .

([٥]) قفصة :بحسب الوزان أنها مدينة قديمة، أسسها الرومان وبقيت في أيديهم إلى أن جاء وبحسب رواية الوزان عقبة بن نافع قائد عثمان حاصرها، وفتحها المسلمون، ودمروا الأسوار، لكنهم لم يستطيعوا تدمير القصبة لارتفاعها خمسة وعشرون ذراعاً وسمكه خمسة أذرع، ثم أعاد المسلمون بناء السور وهي مدينة مبنية بالحجر العظيم المنحوت، الوزان : وصف إفريقيا، ج٢، ص١٤٣، ويجب التنويه لأن القائد الذي قام بفتح قفصة هو عبد الله بن أبي السرح ٢٦هـ/ ٦٤٧م وليس عقبة،السلاوي : الاستقصا، ج١، ص٣٦ .

من تونس٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، وسار بمحاذاة الساحل ليمنع أي إمداد لابن غانية من ميورقة، نزل الجيش في موقع يقال له الحمة ، حيث قاد المنصور المعركة بنفسه وتكللت بالنصر، وفر بعدها ابن غانية إلى الصحراء[٢] وذلك في شعبان من عام ٥٨٣هـ/ تشرين الأول ١١٨٧م [٣]استرجع المنصور بعد الحملة قابس ونفزاوة [٤] وقسطيلية وتوزر[٥]وتقيوس[٦] والحمة ونفطة ،[٧] [٨] كان العديد من أتباع قراقوش[٩] وابن غانية متواجدون في قفصة وقبل هجوم المنصور عليها تلقى كتاباً من قراقوش يعلن الدخول في الطاعة وكان الاستيلاء على قفصة عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م،[١٠] أما بالنسبة إلى الجزائر الشرقية ، فقد جرت حروب متعددة بين الموحدين بني غانية عليها انتهت بانتصار الموحدين، إذ استطاع علي بن الربرتير الذي كان مسجوناً لدى بني غانية في ميورقة أن يهرب من سجنه، وانضم إليه محمد بن إسحاق بن غانية الذي كان إخوته قد خلعوه وسجنوه و

([١]) ابن عذارى : البيان المغرب،قسم الموحدين، ص ١٨٨ ؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص ١٦٣.

([٢]) الصحراء : هي منطقة العرق الشرق الكبير وهي عبارة عن بحر من الرمال كان يلجأ إليها ابن غانية ؛ لصعوبة ملاحقة الموحدين إياه فيها، نويوة : أثر ثورة بني غانية، ص٢٨،٢٩ .

([٣]) أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص ١٦٦ ؛ نويوة : أثر ثورة بني غانية، ص٢٨،٢٩ .

([٤]) نفزاوة : بينها وبين القيروان ستة أيام ولها سور ضخم من الصخر والطوب ولها ستة أبواب كما أنها تقع على نهر كثير النخل الثمار وبين قابس بثلاثة مراحل، البكري : المغرب،ص٤٧،٤٨ ؛ الحميري : الروض المعطار، ص٥٧٨ .

([٥]) توزر : قاعدة كور قسطيلة من البلاد الجريدية لها سور حصين بينها وبين الحمة مرحلة صغيرة، الحميري: الروض المعطار، ص١٠٤ .

([٦]) تقيوس : من بلاد قسطيلة وهي أربع مدن متقاربة عليها أسوار يكاد يكلم أهلها بعضهم لتقاربها ولهم غابات نخل وزيتون وهي أكثر بلاد قسطيلة زيتوناً وبينها وبين الحمة عشرون ميلاً، الحميري : الروض المعطار، ص١٣٩.

([٧]) نفطة : في قسطيلة من بلاد الجريد بإقليم إفريقيا بينها وبين قيطون بياضة مرحلة وهي مبنية بالصخر عامرة أهلها من الشيعة وتسمى الكوفة الصغرى، البكري : المغرب،ص٤٨؛ الحميري : الروض المعطار، ص ٥٧٨ .

([٨]) ابن خلدون : العبر،ج٦،ص ٣٢٨ ؛ المرزوقي (محمد): قابس جنة الدنيا غابتها خليجها مدينتها سكانها تاريخها رجالها، مصر، مكتبة الخانجي، د.ت، ص ١٨٣ ؛ نويوة : أثر ثورة بني غانية، ص٣٠ .

([٩]) قراقوش : أبو سعيد بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الأسدي، وقراقوش تعني النسر الأسود، كان خادم صلاح الدين وقيل خادم أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين فأعتقه. ولما استقل صلاح الدين بالديار المصرية، جعل له زمام القصر، ثم ناب عنه مدة بالديار المصرية، وفوّض أمورها إليه، واعتمد في تدبير أحوالها عليه. توفي عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م، ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٤، ص٩٠-٩١.

([١٠]) عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢، ص ١٦٥ ؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص ١٦٧.

معلناً الطاعة والولاء للموحدين، لكن الخليفة المنصور أراد جعل تلك الطاعة الاسمية طاعة حقيقة فأرسل اسطولاً لتحقيق هذه الغاية، فرفض محمد الخضوع له واستغاث بملك أراجون، ففشل الموحدون في مسعاهم[1] صرف الموحدون نظرهم عن استعادة ميورقة حوالي الخمسة عشر عاماً ، وركزوا اهتمامهم على القضاء على يحيى بن غانية في إفريقيا، إلى أن رأى الخليفة الموحدي الجديد محمد الناصر لدين الله بن المنصور (٥٩٥هـ/٦١٠هـ /١١٩٨-١٢١٣م)[2] أن استقرار نفوذ الموحدين في إفريقيا لن يستتب إلا إذا استولى على الجزائر الشرقية قاعدة بني غانية ومصدر إمدادهم[3] فكانت الحملة على الجزائر عام ٥٩٩هـ/١٢٠٢م بقيادة أبي العلاء عم الخليفة والشيخ أبو سعيد بن أبي حفص حيث دخلها الموحدون وقضوا على حاكمها ا بن غانية ، وأصبحت تحت السلطة الموحدية[4]وحصلت في عهد الناصر معركة تاجرا ٦٠٢هـ/١٢٠٥م قرب قابس وهزم جرائها ابن غانية [5]وبقي ابن غانية يغير على مناطق الدولة بين صد ورد إلى أن توفي يحيى بن غانية ٦٣١هـ/١٢٣٣م بعد خمسين سنة من إمارته و بوفاته طويت صفحة

---

(1) عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢، ص ١٥٧؛ العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٦٠، ٣٦١ .

(2) محمد الناصر لدين الله بن المنصور : هو محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن أحد حكام الموحدين تسلم الحكم بعد وفاة أبيه يعقوب المنصور عام (٥٩٥-٦١١هـ/ ١١٩٨-١٢١٤م) وانهزم أمام ألفونسو الثامن في معركة العقاب الشهيرة عين أبو محمد بن عبد الواحد بن أبي بكر بن أبي حفص على بلاد إفريقية كما أمر ببناء وجدة ، ابن القاضي (أحمد المكناسي ١٠٢٥هـ/١٦١٦م): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٣م، ص٢٠٥، سيتم ذكر المصدر باسم ابن القاضي: جذوة الاقتباس.

(3) ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم القيرواني توفي حوالي ١١١٠هـ/١٦٩٧م): المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تونس، مطبعة الدولة التونسية، ١٨٦٩م ، ص ١١٧؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص ١٨٤؛ العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٦٧ .

(4)العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٣٦٨ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢، ص ٢٥٩،٢٦٠ .

(5) ابن خلدون : العبر ،ج٦، ص٣٣٤ ؛ الباجي (أبو عبد الله محمد المسعودي ت ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م): الخلاصة النقية في أمراء إفريقيا، تونس، مطبعة بيكار،١٩١٥ م، ص ٥٨؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢، ص ٣٤ .

الملثمين من تاريخ المغرب والأندلس،[1] لكن هذا لم يعنِ راحة البال والهدوء على الساحة السياسية الموحدية، إذ ثار محمد بن هود[2]على الموحدين عام ٦٢٥هـ/١١٢٨م بسبب حالة الاستياء و السخط على الموحدين في الأوساط الأندلسية ؛ بسبب نزاعهم على عرش الخلافة في مراكش واستعانتهم بالممالك المسيحية ضد بعضهم مقابل التنازل عن بعض البلاد والحصون الأندلسية[3] تمت المبايعة لابن هود عام ٦٢٥هـ/١٢٢٨م وخطب لبني العباس، أما تقليد ابن هود بولاية الأندلس قد وصل من الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/ ١٢٢٦ - ١٢٤٢ م)[4] عام ٦٢٩هـ /١٢٣١م، أو في ٦٣١هـ/١٢٣٣م،[5]كما ألحق ابن هود الهزيمة بالخليفة إدريس المأمون(٦٢٦-٦٣٠هـ/١٢٢٨-١٢٣٢م)[6]خارج مرسية [1] [2] ثم عاد الخليفة

([1]) ابن خلدون : العبر، ج٦، ص٣٨٢ ؛ ابن قنفذ (أبو العباس أحمد بن حسين بن علي ت ٨١٠هـ/١٤٠٧م): الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح، محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م، ص١٠٨، سيتم ذكر المصدر باسم ابن قنفذ الفارسية ؛ الزركلي : الأعلام، ج٨، ص١٣٧ .

([2]) محمد بن هود : هو محمد بن يوسف بن هود أبو عبد الله أخر ملوك بني هود كان يقيم في سرقسطة ثار على الموحدين بالصخيرات من أعمال مرسية وانتصر على والي مرسية ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م وتنازع مع ابن الأحمر الذي بايع الحفصين ، ابن الأبار : الحلة السيراء،ج٢، ص ٢٤٨ ،٢٥٢ ؛ ابن الخطيب : الإحاطة، ج٢،ص ٤٢١؛ الزركلي: الأعلام ،ج٧،ص١٥٠،١٩٤.

([3]) عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢، ص ٤١٢،٤١١ ؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص ٢١٥ ؛ ابن الخطيب : الإحاطة،ج٢،ص٤١٥ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٨٨.

([4]) المستنصر بالله العباسي: أبو جعفر "المستنصر بالله" المنصور بن محمد الظاهر خليفة عباسي حكم في بغداد بين عامي(٦٢٣-٦٤٠هـ/ ١٢٢٦ -١٢٤٢ م). كان ابن الظاهر بأمر الله وحفيد الناصر لدين الله، خلفه في الحكم المستعصم بالله، قام ببناء المدرسة المستنصرية، ولد المستنصر بالله سنة ٥٨٨ هـ/١١٩٢م من جارية تركية، كان جده الناصر يسميه القاضي لوفرة عقله، بويع بالخلافة في بغداد بعد وفاة أبيه عام ٦٢٣ هـ/١٢٢٦م نشر العدل، وبذل الإنصاف في القضايا، توفي المستنصر في بغداد في العاشر من جمادى الآخرى سنة ٦٤٠ هـ/١٢٤٢م، الكتبي : فوات الوفيات، ج٤، ص١٦٩؛ ابن كثير(عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) :البداية والنهاية،تح، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصر، دار هجر، ١٩٩٨م، ج١٣،ص١١٤،١١٣؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء ،ص٧٠٥،٧٠٢ .

([5]) عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢، ص٤١١؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص٢١٥.

([6]) أبو العلاء المأمون إدريس بن يعقوب : بن يوسف بن عبد المؤمن من خلفاء الموحدين بمراكش حكم بين ٦٢٦-٦٣٠هـ /١٢٢٨-١٢٣٢م بلغه وهو بإشبيلية انتقاض أركان الدولة بمراك على أخيه العادل، فدعا لنفسه وعقدت البيعة له وهو بإشبيلية ٦٢٤هـ/١٢٢٦ـ ثم عدل الموحدون عنه إلى ابن عمه يحيى بن الناصر، فاستعان بملك قشتالة ضد الموحدين ٦٢٦هـ/١٢٢٨م ودخل مراكش فبايعه الموحدين ثار عليه أخوه عمران في

المأمون إلى إشبيلية، وصرف نظره عن محاربة ابن هود ، إذ بلغه أن شيوخ الموحدين نكثوا بيعته وبايعوا يحيى بن الناصر (٦٢٤-٦٢٦هـ/١٢٢٦-١٢٢٨م) بالخلافة فتهيأ للعبور للمغرب والانتقام من خصومه من الموحدين، لكن ابن هود سار خلفه وهزمه في جزيرة طريف عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م، واستولى على جبل الفتح والجزيرة الخضراء، بالتزامن مع ذلك أعلنت مدينة شاطبة وجزيرة شقر[٣] ولائها وطاعتها لابن هود، وتتالت المدن بعدهما في إعلان الولاء له مثل جيان وإشبيلية ودانية[٤] والمرية إلى أن أصبح يمتلك بلاد الأندلس ماعدا بلنسية ولبلة،[٥] حصلت معركة حصن الحنش عام ٦٢٧هـ/١٢٢٩م جراء محاولة ابن هود رد عدوان ملك ليون ألفونسو التاسع وحاصر ماردة إلا أنه هُزم واستولى ملك ليون على مدينة ماردة وعلى مدينة بطليوس[٦] توفي ابن هود عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م وخلفه ابنه الواثق بالله أبو بكر محمد

سبتة، وبينما كان محاصراً لسبتة بلغه أن يحيى بن الناصر قد خرج وامتلك مراكش فتوفي بأم الربيع، الزركلي : الأعلام، ج١، ص٢٨١ .

(١) مرسية : تقع في الأندلس وهي قاعدة تدمير بناها عبد الرحمن بن الحكم واتخذت داراً للعمال والقواد، وكان قد تولى عملية بنائها جابر بن مالك بن لبيد سنة مئتان وستة عشر للهجرة، الحميري : الروض المعطار، ص٥٣٩.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٧٨ ؛ السلاوي : الاستقصا،ج٣، ص ٢٣٥ .

(٣) جزيرة شقر : جزيرة في الأندلس قريبة من شاطبة بينها وبين بلنسية ثمانية عشر ميلاً حسنة البقعة كثيرة الأشجار والثمار والأنهار وقد أحاط بها الوادي والمدخل إليها في الشتاء عن طريق المراكب، الحميري : الروض المعطار، ص٣٤٩.

(٤) دانية : مدينة في شرقي الأندلس على البحر عامرة حسنة لها ربض وعليها سور حصين وسورها من ناحية الشرق داخل البحر قد بني بهندسة وحكمة ولها قصبة منيعة وفي جنوبها جبل كبير مستدير، الحميري : الروض المعطار، ص٢٣٢،٢٣١.

(٥) ابن الأبار : الحلة السيراء،ج٢، ص ٣٠٣ ؛ ابن خلدون : العبر، ج٦، ص ٣٨٥ ؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين،ص ٢١٢؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢، ص٣٩٥،٣٩٣ .

(٦) ابن الأبار، ج٢، ص ٢٩٦ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢، ص ٣٩٩،٤٠٠؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص ٢١٨ .

بن محمد بن يوسف، لكنه خلع ثم عاد في عام ٦٣٧هـ/١٢٣٩م قطع الواثق بالله الدعوة للعباسيين وخطب للحفصيين. [١]

وبالنسبة لمعارك الموحدين ضد الإسبان فمن أبرزها :

١- معركة الأرك : هي معركة وقعت في ٥٩١هـ/ ١١٩٤م بين قوات الموحدين بقيادة السلطان أبو يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م) وقوات ملك قشتالة ألفونسو الثامن، كان للمعركة دور كبير في توطيد حكم الموحدين في الأندلس وتوسيع رقعة بلادهم فيها. وقد اضطر ألفونسو بعدها لطلب الهدنة من السلطان الموحدي أبي يوسف المنصور. ويعتبرها المؤرخون مضاهية لمعركة الزلاقة [٢] في وقع الهزيمة على الإسبان .[٣]

٢- معركة العقاب : أو معركة لاس نافاس دي تولوسا بالإسبانية" Batalla de Las Navas de Tolosa"، هي معركة وقعت في عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م، شكلت نقطة تحول في تاريخ شبه جزيرة إيبيريا. تجمعت قوات الملك ألفونسو الثامن ملك قشتالة ومنافسوه السياسيين سانشو السابع ملك نافارة وألفونسو الثاني ملك البرتغال وبيدرو الثاني ملك أراغون ضد قوات الموحدين بقيادة محمد الناصر .[٤]

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٣٧، ٣٤١ ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٢٢٠؛ ابن الخطيب : الإحاطة،ج٢، ص ٤٢ ؛ ابن الخطيب : الاحاطة ج٢ص ١٣٢؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص ٢٢ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، ق٢، ص٤٣٠.

(٢) الزلاقة : من إقليم بطليوس من غرب الأندلس، الحميري : الروض المعطار، ص ٢٨٨ .

(٣) المراكشي : المعجب ، ص٢٣٤ ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٢٢٠؛ السلاوي :الاستقصا، ج٢،ص١٨٥ ؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص ٢٦٣؛ عبيدات : الموحدون في الأندلس،ص٨٧ .

(٤) المراكشي : المعجب ، ص ٢٦٥؛ ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين،ص٢٦٣؛ السلاوي : الاستقصا،ج٢، ص ٢٢٠؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢، ص ٢٨٢ ؛ البستاني: معارك العرب، ص ١١٩ .

٣- الدولة الزيانية (٦٣٣-٩٦٢هـ/١٢٣٥-١٥٥٤م) :

وتسمى دولة بني عبد الواد[١]أو بني زيان،[٢]ويعود أصل بني زيان إلى البربر البتر وقبيلة بني عبد الواد أحد بطون قبيلة زناتة البربرية البترية التي توطنت في المغرب الأوسط وهم فرع من فروع الطبقة الثانية لقبيلة زناتة.[٣]

قدم الزيانيون الولاء والطاعة للموحدين في عهد عبد المؤمن بن علي أثناء حصاره مدينة وهران عام٥٤٠هـ /١١٤٥م[٤]لدى هجوم المخضب بن عسكر المريني[٥]على غنائم الموحدين المتوجهة إلى المغرب ، تصدوا لهم بزعامة عبد الحق ابن منغفاد، فأنقذوها، وقتلوا المخضب فاتخذهم

---

(١) بني عبد الواد : أطلق عليهم هذا الاسم نسبة لجدهم الذي كان يتعبد مترهباً في وادي فلقب بعابد الوادي وقد شارك بنو عبد الواد عقبة بن نافع في فتوحات المغرب الأقصى، ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن فرج ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م): أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن وهو كتاب نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تح، محمد رضوان الداية ، بيروت، مؤسسة الرسالة،١٩٧٦م،ص١٠٩، سيتم ذكر المصدر باسم ابن الأحمر: نثير الجمان ؛ ابن خلدون (أبو زكرياء يحيى ابن أبي بكر محمد ت٧٨١هـ/١٣٧٩م) : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر، مطبعة بيير مونطانا،١٩٠٣م، ج١، ص٩٥، سيتم ذكر المصدر باسم ابن خلدون : بغية الرواد ؛ ابن خلدون : العبر،ج٧،ص ٩٧ ؛ الميلي (مبارك بن محمد):تاريخ الجزائر في القديم والحديث، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ت، ج٢، ص٤٤٠ .

(٢) بنو زيان نسبة إلى زيان بن ثابت بن محمد بن سدوكسن بن أطاع الله بن علي بن يمل بن يزكن بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن إدريس الثاني، وبذلك ينتسبون للفرع الثاني من بني عبد الواد المنتسبين إلى بني القاسم أي إلى القاسم بن محمد حاكم تلمسان من قبل الأدارسة، ويرفض ابن خلدون نسبهم للأدارسة، مؤلف مجهول (توفي في القرن٧هـ/١٣م) : زهر البستان في دولة بني زيان، تح، بوزياني الدارجي، الجزائر، مؤسسة بوزياني، ٢٠١٣م، ج٢، ص١٦ ، سيتم ذكر المصدر باسم مؤلف مجهول: زهر البستان ؛ ابن خلدون : العبر، ج٧، ص ١٠٢،١٠٣ ؛ التنسي (محمد بن عبد الله ت ٨٩٩هـ/١٤٩٣م) : تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تح، محمد آغا بو عياد، الجزائر، موفم للنشر، ٢٠١١م، ص٦٧، سيتم ذكر المصدر باسم التنسي : تاريخ بني زيان .

(٣) ابن خلدون : العبر، ج٧، ص٧٢، ٩٧ ؛ بو عزيز (يحيى) : تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الجزائر، وزارة الثقافة، ٢٠٠٧م، ص ٥٠ .

(٤) الميلي : تاريخ الجزائر، ج٢ ، ص٣٢٧؛ شقدان (بسام كامل عبد الرازق) : تلمسان في العهد الزياني ٦٣٣-٦٦٢هـ/١٢٣٥-١٥٥٥م، رسالة ماجستير، فلسطين، جامعة النجاح، ٢٠٠٢م، ص٥٧ .

(٥) المخضب : المخضب بن عسكر أول من حكم من بني مرين وقاتل ملوك لمتونة و يذكر أن المخضب قد قتل في فحص مسون ٥٤٠هـ/١١٤٥م خلال معركة مع القوة الموحدية المرافقة للغنائم التي حصل عليها جند عبد المؤمن من فتح تلمسان ووهران، الزركلي : الأعلام، ج٧، ص١٩٣.

الموحدون " **أولياءً وأنصاراً وحماة لقطر تلمسان**"، وأقطعوهم أراضي خصبة في ناحية الشلف،[١] وحصل بنو عبد الواد على ثقة الموحدين منفذين لسياساتهم في المنطقة مما ساعدهم على تولي إدارة تلمسان ونواحيها. [٢]

أثار التحالف الموحدي الزياني حفيظة الحفصيين، فقام أبو زكرياء الحفصي (٦٢٦-٦٤٧هـ/١٢٢٩-١٢٤٩م)[٣] الذي كان يترقب الفرصة للتوسع غرباً باحتلال تلمسان ٦٤٠هـ/١٢٤٢م، وعقد صلحاً مع يغمراسن بن زيان (٦٣٣-٦٨١هـ/١٢٣٥ -١٢٨٢م) على أن يقيم الخطبة له،[٤] فرد الرشيد بالزحف على المغرب الأوسط إلا أن يغمراسن قام بهزيمته في معركة تامزدكت[٥] عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م [٦] كان لانتصار يغمراسن نتائج مهمة ، تتمثل بأن بني عبد الواد أصبحوا يشكلون قوة في المنطقة، كما أن القبائل المنتشرة حول تلمسان، انقسمت بين مؤيدة ومعارضة ليغمراسن الذي تفطن للدور الذي يمكن أن تؤديه هذه القبائل لصالحه فاستغل أوضاعها وضرب بعضها ببعض .[٧]

---

(١) الشلف :نهر كبير، ينبع من جبال ونشريس، وينحدر عبر سهول فقرة في تخوم مملكتي تلمسان وتنس، يصب بالبحر المتوسط فاصلاً بين قرية مزغران ومدينة مستغانم، الوزان: وصف إفريقيا، ج٢، ص٢٥١.

(٢) الميلي : تاريخ الجزائر، ج٢، ص ٣٢٨ ،٣٢٩؛ الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد) : تاريخ الجزائر العام الجزائر، مكتبة الشركة الجزائرية، ط٢، ١٩٦٥م، ص١٢٥؛ شقدان : تلمسان في العهد الزياني، ص٥٨.

(٣) أبو زكرياء الحفصي : أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبو حفص مؤسس الدولة الحفصية، وأول ملوكها حكم من (٦٢٦-٦٤٧هـ/١٢٢٩-١٢٧٩م) بدأ حكمه وهو ذو سبع وعشرين سنة هجرية، وذلك بعد خروجه من بيعة أبي العلاء إدريس خليفة الموحدين بعد أن تبرأ الخليفة من الدعوة المهدوية، الباجي : الخلاصة النقية، ص٦٠ ؛ الزركلي : الأعلام، ج٨، ص١٥٥ .

(٤) ابن خلدون : بغية الرواد، ج١، ص١١١،١١٠؛ عميرة (لطيفة بشارة) : علاقة بني عبد الواد ملوك تلمسان ببني مرين المغرب بين القرنين ٧-١٠هـ/١٣-١٦م، مجلة آفاق، ع٣، الجزائر، ٢٠١٢م، ص٦٢.

(٥) تامزدكت : هو قصر يقع على صخرة على الطريق المؤدية من فاس إلى تلمسان بين صحراء أنقاد وإقليم هذه المدينة أسست من قبل سكان البلاد، لحماية المدينة، يمر فيها نهر ينحدر من جبال الأطلس ويصب في نهر أرشكول، كربخال : إفريقيا، ج٢، ص٢٩٣.

(٦) ابن خلدون : بغية الرواد، ج١، ص١١٤؛ ابن خلدون : العبر،ج٧، ص١١٠ ؛ شاوش (محمد بن رمضان): باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت، ص ٦١ ؛ بوعزيز : تلمسان، ص ٥٩ ؛ بلعربي (خالد) : الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، قسنطينة، دار الألمعية، ٢٠١١م، ص ١٣٨ .

(٧) كان ضربه للقبائل ببعضها عن طريق استقدامه قبيلة بني عامر من صحراء بني يزيد حيث كانوا يضعنون في مجالات بني يزيد وكان هؤلاء يدفعون لهم ضريبة قدرها ألف غرارة من الزرع تسمى القرارة لأن بني عامر

يعد يغمراسن المؤسس الحقيقي لدولة بني زيان التي اختلفت حدودها حسب قوة وضعف سلاطينها حيث وصلت شرقاً إلى جبل الزان "جبل أكفادو"،[١]واستقرت عند الوادي الكبير[٢] ووصلت جنوباً إلى صحراء نيوميديا " بلاد الجريد " [٣] التي تفصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان أما غرباً فقد استقرت بوادي ملوية، وكانت هذه الحدود تصل في عهد ابن خلدون إلى بلاد تاوريرت[٤] [٥] "على بعد ١٦٣كم غرب وجدة "، توفي يغمراسن ٦٨١هـ/١٢٨٢م،[٦] ليخلفه ابنه أبو سعيد عثمان (٦٨١-٧٠٣هـ /١٢٨٢-١٣٠٣م) وفي عهده هاجم أبو يعقوب يوسف المريني (٦٨٥-٧٠٧هـ/١٢٨٦-١٣٠٧م) تلمسان أربع مرات، وحاصرها في المرة الخامسة حصاراً دام ثماني سنوات من سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩ م إلى ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م،[٧] توفي أبو سعيد

يظاهرونهم في حروبهم وأقطع يغمراسن بني عامر أراضي خصبة بين وهران وتلمسان ليضرب بهم عرب المعقل الذين أحدثوا اضطرابات في سهل متيجة أزعجت الدولة واستقدم قبيلة حميان الهلالية، ابن خلدون : العبر، ج٦، ص٥٨،٥٩ .

([١]) جبل الزان : يقع غرب مدينة بجاية من الشرقية من سلسلة جبال جرجرة " جبال زواوة " تغطيها أشجار الزان الشبيهة بأشجار البلوط ، التنسي: تاريخ بني زيان، ص٢٨٦ .

([٢]) الوادي الكبير :ينبع هذا النهر من جبال متاخمة لإقليم الزاب، وينحدر بين جبال شاهقة إلى أن يصب في المتوسط على بعد ثلاثة أميال من بجاية، الوزان : وصف إفريقيا، ج٢، ص٢٥٢ .

([٣]) صحراء نيوميديا " بلاد الجريد " : يمتد هذا الإقليم من تخوم بسكرة إلى تخوم جزيرة جربة، ويبعد جزء منه كثيراً عن البحر مثل قفصة وتوزر الواقعتين على مسافة ثلاثمئة ميل بالداخل،وهذا الإقليم شديد الجفاف والحرارة لاتنبت فيه الحبوب، الوزان: وصف إفريقيا، ج٢، ص١٤٢ ؛ كربخال : إفريقيا،ج١، ص ٤٢.

([٤]) تاوريرت : مدينة عتيقة بناها الأفارقة القدامى في أعلى قمة جبل على ضفة نهر زا تحيط بها أراضي غنية بالقمح وتحدها كرت شمالاً والظهرة جنوباً وأنكاد شرقاً وغرباً ممتدةً إلى تلمسان وتفراطة المنتهية إلى مدينة تازا، كربخال :إفريقيا،ج٢،ص٢٦٩.

([٥]) القلقشندي : صبح الأعشى،ج٥، ص ١٤٩ ؛ عميرة : علاقة بني عبد الواد ؛ الميلي : تاريخ الجزائر،ج٢، ص٤٤٠ ؛ بن فريحة (عبد المالك) : القبائل العربية ومكانتها في الدولة الزيانية، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة وهران، ٢٠١٤-٢٠١٥م، ص١٦،١٧ .

([٦]) ابن خلدون : بغية الرواد، ج١، ص ١١٧ ؛ ابن خلدون : العبر،ج ٧، ص ١٢٢؛ التنسي : تاريخ بني زيان، ص ١٢٩.

([٧]) التنسي : تاريخ بني زيان، ص١٢٩؛ تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص١٤١ ؛ الميلي : تاريخ الجزائر،ج٢،ص٤٥٧ ؛ بالعربي(خالد) : المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني ٦٩٨-٨٤٥/١٢٩٩-١٤٤٢م، دورية كان التاريخية، ع ٤، الجزائر، جامعة سيدي بلعباس، ٢٠٠٩م، ص٢٢ .

٧٠٣هـ/١٣٠٣م، و خلفه ابنه أبو زيان محمد [١](٧٠٣ – ٧٠٧ هـ/ ١٣٠٣ – ١٣٠٧ م) .[٢] وفي عهده قتل أبو يعقوب يوسف المريني على يد أحد عبيده، مما تسبب في انتشار الفوضى في صفوف جنده، وشجع الزيانيين الذين كانوا على وشك الاستسلام على الخروج إليهم، فهزموهم وخلصوا أنفسهم سنة ٧٠٧ هـ/ ١٣٠٧ – ١٣٠٨ م.[٣]وفي عهد الأمير أبو حمو موسى بن عثمان (٧٠٧–٧١٨هـ/١٣٠٨–١٣١٨م)[٤]تم تدعيم كيان الدولة الزيانية حيث توسعت وامتد نفوذها إلى متيجة[٥] والجزائر ودلس ومد نفوذه إلى الزاب[٦]والصحراء الشرقية[٧]إزاء هذا التوسع ، قام السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق (٧١٠–٧٣١–١٣١١–١٣٣٠م)[٨]بغزو

---

(١) أبو زيان محمد بن عثمان : السلطان الثالث من أسرة بني زيان بتلمسان ولد عام ٦٥٩هـ/١٢٦١م وبويع بعد وفاة والده عام ٧٠٣هـ/١٣٠٤م وكانت تلمسان محاصرة من قبل يوسف بن يعقوب المريني وفي عهده فك حصار تلمسان الذي دام ثمان سنوات وثلاث أشهر وخمسة أيام وأعاد للطاعة قبائل توجين ومغراوة وغيرها وأصلح ماهدمه الحصار، ابن خلدون : بغية الرواد،ج١،ص١٢٦،١٢١؛ الزركلي : الأعلام، ج٦، ص٢٦١ .

(٢) ابن خلدون : العبر، ج٧، ص ١٢٧؛ التنسي : تاريخ بني زيان، ص١٣١.

(٣) ابن خلدون : العبر، ٧ج، ص ١٢٩ ؛ شقدان : تلمسان في العصر الزياني، ص٦٧،٦٨ .

(٤) أبو حمو موسى بن عثمان : من سلاطين بني عبد الواد من آل زيان في تلمسان، تسلم الحكم بعد أخيه أبو زيان ٧٠٧هـ/١٣٠٨م قام بإصلاح تلمسان وتحصينها والدفاع عنها أمام المرينيين، وأوغلت جيوشه بالزحف شرقاً حتى بلغت بجاية وقسنطينة وهما من بلاد الدولة الحفصية، ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن فرج ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م) : روضة النسرين في دولة بني مرين ، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٦٢م،ص٥١، سيتم ذكر المصدر باسم ابن الأحمر : روضة النسرين؛ ابن خلدون : بغية الرواد،ج١، ص١ ؛ المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد ت١٠٤١هـ/١٦٣١م) : أزهار الرياض في أخبار عياض، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، مطبعة فضالة، ١٩٨٥م ، ج١، ص٢٤٨،٢٤٣، سيتم ذكر المصدر باسم المقري : أزهار الرياض ؛ الزركلي : الأعلام، ج٦، ص٣٢٥ .

(٥) متيجة: مدينة بالقرب من الجزائر، على نهر كبير عليه الأرحاء والبساتين،وفيها عيون سائحة وطواحين ماء، الحميري: الروض المعطار، ص٥٢٣.

(٦) بلاد الزاب : على أطراف الصحراء سميت البلاد الجريدية من عمل إفريقيا وهو مشابه لها في حر هوائها وهو مدنٌ كثيرةٌ وعمائر متصلة ومن مدنها مسيلة ونقاوس وطبنة وبسكرة وبين الزاب والقيروان عشرة مراحل، مؤلف مجهول : الاستبصار، ص١٧١؛ الحميري : الروض المعطار، ص٢٨١ .

(٧) ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن فرج ٨٠٧هـ/١٤٠٥م) : تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح ، هاني سلامة، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠١م، ص ٢٧، ٢٨، سيتم ذكر المصدر باسم ابن الأحمر : تاريخ الدولة الزيانية؛ التنسي : تاريخ بني زيان، ص١٣ ؛ بوعزيز : تلمسان،ص٦١،٦٢ .

(٨) أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق : ولد عام ٦٧٥هـ /١٢٧٦ م ولقبه السعيد بفضل الله ولي بعد وفاة ابن أخيه سليمان ابن عبد الله سنة ٧١٠هـ/١٣١١م م أمر بإنشاء دار لبناء الأساطيل في سلا، واختلف

تلمسان إلا أن الحملة فشلت فانتهز أبو حمو الموقف، وقام بالقضاء على نفوذ المرينيين بالمغرب الأوسط ، إذ قضى على إمارة الثعالبة[١] في متيجة الموالية للمرينيين،[٢]وفي عهد السلطان أبو تاشفين بن أبو حمو (٧١٨-٧٣٧هـ/١٣١٨-١٣٣٦م)[٣] تم عقد صلح مع السلطان المريني أبو سعيد ، لكن عادت الأمور لتتوتر، عندما أغار أبو تاشفين على تازة ورد عليه أبو سعيد بغزو موانئ تلمسان الساحلية، وقام بالسيطرة على وهران وهنين[٤] وغيرها ، ثم عاد إلى لمنصورة[٥] عام ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م وقام بمحاصرة تلمسان واحتلالها عام ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م وقتل أبي تاشفين وأخضع دولته للمرينيين في المغرب الأقصى، ومن المرجح أنه تم التنسيق مع الحفصيين، بسبب هجوم هؤلاء في الوقت نفسه على جيش بني عبد الواد، قرب بجاية .[٦]وربما يكون أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب (٧٣١-٧٤٩هـ/١٣٣٠-١٣٤٧م)

مع ابنه عمر حول العرش لكنه استطاع استعادة عرشه وبنى في فاس مدرسة العطارين، دفن في فاس ثم نقل إلى شالة بالرباط، ابن القاضي :جذوة الاقتباس نص٢٨٨ ؛ الأعلام : الزركلي، ج٤،ص٢١٥ .

(١) الثعالبة : من ولد ثعلب بن عليّ بن بكر بن صغير بن معقل، كان موطنهم بمتيجة من بسيط الجزائر، وكانوا قبلها بتطيري، نزلوها منذ عصور قديمة، من بطونهم : أولاد سباع بن ثعلب ومنهم بنو يعقوب، وأولاد محمد بن سباع بن ثعلب ومنهم أولاد حنيش. ومنهم أيضا بنو سالم وبنو تومي حكام الجزائر، ابن خلدون : العبر،ج٦،ص٨٤،٨٥ ؛ الثعالبي (محمد بن الحسن الحجوي ت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م): الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، الرباط، إدارة المعارف، ١٩٢٥م، ص١٢١.

(٢) الجيلالي : تاريخ الجزائر العام،ج٢، ص ١٤٥ ؛ بوعزيز : تلمسان،ص ٦٣ .

(٣) أبو تاشفين بن أبو حمو : عبد الرحمن بن موسى الأول أبو حمو بن أبي سعيد عثمان، ولد ٦٩٢هـ/١٢٩٣م قتل أباه وحل محله عام ٧١٨هـ/١٣١٨م، وانصرف لعمران بلاده، وكان من أكثر سلاطين بني زيان آثاراً، حيث اهتم ببناء القصور والحدائق والمنتزهات، ابن خلدون : بغية الرواد ن ج١، ص١٣٢،١٤٢؛ الزركلي : الأعلام، ج٣، ص٣٣٩ .

(٤) هنين : مدينة جليلة في المغرب، وتقع على البحر،شمالها تلمسان وهي بالقرب من ندرومة، البكري : المغرب،ص٨٠ ؛ الحميري : الروض المعطار، ص٥٩٧.

(٥) المنصورة : أو تلمسان الجديدة، بناها المرينيون بقرب تلمسان عاصمة بني عبد الواد بهدف ضرب حصار طويل عليها شرعوا في بنائها عام ٦٩٨هـ/١٢٩٨م و في عام ٧٠١هـ /١٣٠١م ، بنوا قصر السلطان وأحاطوه بسور وعام ٧٠٢هـ/١٣٠٢ م بنوا السور الأعظم حول المدينة لتحصينها، غومة (سالم أبو القاسم محمد) : النظم الحربية في دولة بني مرين ٦٦٨-٨٦٩هـ/١٢٦٩-١٤٦٥م، رسالة دكتوراه، مصر، جامعة عين شمس، ٢٠١١-٢٠١٢م ، ص١١٦ .

(٦) بوعزيز : تلمسان،ص ٦٣،٦٥ ؛ عميرة : علاقة بني الواد، ص٦٥ ؛ الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص ١٥٠.

قد فعل ذلك ليقطع الاتّصال بين تلمسان والبحر الذّي قد تأتيها عن طريقه إمدادات من بني الأحمر ملوك غرناطة، حلفاء بني زيان ضدّ المرينيين أو لمنع تموينها عن طريق الجمهوريات الإيطالية التي كانت لها معها علاقات تجارية،[1] بقي المرينيون يسيطرون على تلمسان إلى أن هزم أبو الحسن قرب القيروان[2]على يد قبائل هلال وسليم عام ٧٤٩ هـ / ١٣٤٧م، وتخلى عنه معظم جيشه الذي حاول أن يغزو به تونس، فقام بني عبد الواد باستغلال الفرصة محاولين إحياء دولتهم فبايعوا أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يغمراسن في عام(٧٤٩-٧٥٣هـ/١٣٤٨-١٣٥٢م)[3] الذي اقتحم تلمسان في العام نفسه، و بدأ يسترد من المرينيين أراضي الإمارة، فاسترجع وهران وندرومة [4] وتدلس[5]وعاصمة المغراويين[6]مليانة وبرشك[1]

(١) ابن الأحمر: روضة النسرين ، ص٢٥ ؛ عميرة : علاقة بني عبد الواد، ص ٦٥.

(٢) القيروان: أسسها عقبة بن نافع قائد جيوش الجزيرة العربية التي أرسلها عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين ٥٠- ٥٥هـ / ٦٧٠-٦٧٤م، بناها على بعد ستة وثلاثين ميلاً من البحر ونحو مائة ميلاً من تونس؛ لضمان أمن جيشه وسور المدينة بسور من الأجر وأنشأ فيها جامعاً، الحميري : الروض المعطار، ص٤٨٦،٤٨٧ ؛ الوزان : وصف إفريقيا، ج٢، ص٨٧،٨٨ .

(٣) أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يغمراسن : ولد عام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م و بويع ٧٤٩-٧٥٣هـ/١٣٤٨-١٣٥٢م ، بعض المصادر تذكر أنه ملك تلمسان مع أخيه أبو ثابت يوسف واستوزر يحيى بن داوود بن علي بن مجن وتقاسم السلطة مع أخيه إذ يكون له المنبر والسرير، والدينار للسلطان أبو سعيد، والجيوش والألوية والحروب للسلطان أبو ثابت ، ابن خلدون : بغية الرواد،ج١، ص١٥٠،١٥٠؛ الزركلي : أعمال الأعلام ، ج٤، ص٢٠٨.

(٤) ندرومة : مدينة في طرف جبل تاجرا بأرض المغرب، وهي مدينة حسنة الزرع ورخيصة الأسعار بينهاوبين البحر عشرة أميال، البكري : المغرب، ص٨٠؛ مؤلف مجهول : الاستبصار، ص ١٣٥ .

(٥) تدلس : مدينة كبيرة بحرية بين بجاية والجزائر بينها وبين مرسى الدجاج أربعة وعشرون ميلاً وبينها و بين بجاية تسعون ميلاً ولها سور حصين، الحميري : الروض المعطار، ص ١٣٢ ؛ الوزان : وصف إفريقيا، ج٢، ص٤٢ .

(٦) مغراوة : أبناء مغراو بن يصليتين جدهم الأكبر هو زانا بن يحيى وهم إخوة بني يفرن وبني يرنيان وبني واسين ومن أهم بطونهم : لقواط وريغة وبنو سنجاس وبنو ورا ، تولت الحكم من الأوراس حتى المحيط الأطلسي بين ٣٧٦- ٤٦٣هـ/ ٩٨٦ -١٠٧٠ م، في القرن العاشر تحالفوا مع أمويي الأندلس (قرطبة) نتيجة لهذا التحالف عَلَق المغراويون في النزاع الأموي الفاطمي في المغرب، ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص١٠٢-١٠٣؛ الدارجي : القبائل الأمازيغية، ج١،ص٢٧٠ ؛ أ. ف (غوتييه): ماضي شمال إفريقيا، تر، هاشم الحسيني، د.م ، مؤسسة تاولت الثقافية، ١٩١٠م ، ص٢١٢،٢١١ .

شرشال والجزائر، وجرت معارك مع المغراويين الثائرين في حوض الشلف[٢]والونشريس،[٣] [٤]وألحق أبو ثابت يوسف عام٧٤٩هـ/١٣٤٨م الهزيمة بالسلطان المريني أبو الحسن في الجزائر فانسحب للمغرب الأقصى، حيث كان ابنه أبو عنان قد استحوذ على الحكم في غيابه. [٥] ولم يطمئن أبو عنان (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٧م) لانتصارات بني عبد الواد، فخرج الأمير إلى ملاقاته في وجدة فخاض الطرفان معركة وادي القصب بسهل أنقاد[٦]٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م التي كانت الغلبة فيها لبني مرين الذين قتلوا السلطان الزياني واحتلو عاصمته ، دامت السيطرة المرينية على تلمسان مدة سبع سنوات إلى أن تمكن أبو حمو موسى الثاني (٧٦٠-

---

(١) برشك : مدينة صغيرة في المغرب بينها وبين تنس في الساحل ستة وثلاثون ميلاً ومنها لشرشال عشرون ميلاً،وهي على ضفة البحر وعليها سور ترابي، الحميري : الروض المعطار، ص٨٨ ؛ الوزان : وصف إفريقيا، ج٢، ص٣٢ .

(٢) الشلف: نهر كبير ينبع من جبال ونشريس وينحدر عبر سهول مقفرة في تخوم تلمسان وتنس ليتابع سيره على أن يصب في البحر المتوسط فاصلاً بين قرية تدعى مزغران ومدينة مستغانم الوزان : وصف إفريقيا، ج٢، ص٢٥١ .

(٣) الونشريس : وهو جبل شاهق تسكنه قبائل البربر مكناسة وأوربة وكتامة وزواوة وغيرهم طول هذا الجبل أربعة أيام وينتهي بطرفه بتاهرت، الحميري : الروض المعطار، ص ٦٠٠ ؛ البكري : المغرب، ص٨٩ ؛ الوزان : وصف إفريقيا، ج٢، ص٤٥

(٤) ابن خلدون : العبر، ج٧، ص ١٥٤،١٦٠؛ التنسي : تاريخ بني زيان،ص ١٥٣ ؛ بوعزيز : تلمسان، ص ٦٥، ٦٦ .

(٥) بوعزيز : تلمسان،ص٦٧ .

(٦) أنقاد : أرض فسيحة خالية يابسة في الطريق المؤدية من تلمسان إلى فاس يخترقها نهر ملوية طولها ثمانية وعشرين فرسخاً وعرضها ثمانية عشر فرسخاً، الوزان : وصف إفريقيا، ج٢، ص١١ ؛ كربخال : إفريقيا، ج٢، ص٢٩٢،٢٩٣.

٧٩١هـ/١٣٥٨–١٣٨٨م)[١]من طردهم٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م، وهو الذي أعطى الدولة العبد الوادية اسم الدولة الزيانية.[٢]

وجدد بني مرين زحفهم على تلمسان ، وأعادوا احتلالها عام٧٧١هـ/ ١٣٦٩م بزعامة أبي فارس عبد العزيز (٧٦٧–٧٧٤هـ/١٣٦٥–١٣٧٢م) ،[٣] حيث اضطر أبو حمو لمغادرتها لعامين إلى أن توفي أبو فارس عام ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م، فعاد لعرشه فقام المرينيون بإثارة القلاقل عن طريق تحريض ابنه أبو تاشفين (٧٩١–٧٩٥ هـ / ١٣٨٨– ١٣٩٢م) ضده، فكانت معركة بني ورنيد[٤] بينهما قرب جبل بني راشد[٥] ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م، إذ انتصر فيها أبو تاشفين وبتوليه زمام الأمور، دخلت الدولة الزيانية مرحلة جديدة من تاريخها، تتمثل في التدخلات الخارجية في شؤونها الداخلية، إذ إن استنجاده بالمرينيين في حربه ضد أبيه، شجعهم على مواصلة هذه السياسة التي تجنبهم كثرة التكاليف، وتمكنهم من التحكم في مصير هذه الدولة ، خاصة وأن الضعف بدأ يسري في جسم دولتهم، من جراء التنافس على الحكم آنذاك، فأخذوا يعملون على

---

(١) أبو حمو موسى الثاني : موسى الثاني بن يوسف أبي يعقوب بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن، ويقال أبو حاميم ولد في غرناطة حيث كان والده مبعداً إليها، وانتقل إلى تلمسان مع والده سنة ولادته وشهد زوال الدولة الزيانية الأولى في عهد أبو تاشفين ٧٣٧هـ /١٣٣٦ م، واسترد ملكه بمساعدة بني حفص كما استولى على أغادير وصنف كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك، خرج عليه ابنه عبد الرحمن أبو تاشفين بدعم المرينيين واضطر لقتاله وقتل في المعركة، ابن الأحمر : روضة النسرين، ص٥٤؛ المقري : أزهار الرياض ، ج١، ص٢٣٨،٢٦١ ؛ الأعلام : الزركلي، ج٧، ص٣٣١ ؛

(٢) التنسي : تاريخ بني زيان، ص١٥٩؛ بوعزيز : تلمسان، ص ٦٧،٧٠ ؛ الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص١٦٩،١٧٠ ؛ شاوش : باقة السوسان، ص ٦٢ .

(٣) أبو فارس عبد العزيز : بن أبي الحسن ولد ٧٥٠هـ/١٣٤٩م، أمه مريم، بويع ٧٦٧هـ/١٣٦٥ م، أعاد الازدهار للدولة المرينية، حيث كان الوزير المستبد بالدولة عبد الله الفودودي مستبداً بالدولة، فعزل السلطان أبو زيان المريني، وبايع أبو فارس الذي كره استبداد الوزير فقتله، كما أمد ابن الأحمر بالأساطيل والمال، وتمت استعادت الجزيرة الخضراء في عهده ونهض لتلمسان ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م واستولى على ماحولها . وتوفي ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢ م بتلمسان ودفن بفاس وكانت دولته حوالي ستة أعوام وأربعة أشهر، ابن الأحمر : روضة النسرين، ص٣٣ ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص٢٤٩ .

(٤) بني ورنيد : وهو جبل يقع على نحو ثلاثة أميال من تلمسان، وهو كثير السكان، ينتج كمية وافرة من الفواكه لاسيما التين والكرز، الوزان : وصف إفريقيا، ج٢، ص٤٤ .

(٥) بني راشد : إقليم أو إمارة تمتد طولاً على مسافة سبعة عشر فرسخاً وعرضاً على تسعة فراسخ في طرفها الجنوبي سهل وفي شماله تلال تصلح للزراعة سكانها من سلالة قبيلة بني راشد، كربخال : إفريقيا،ج٢، ص٣٢٤.

إثارة الفتن بين أفراد الأسرة الحاكمة، و قام أبو فارس بن السلطان أبو العباس المريني باحتلال تلمسان والمناطق الشرقية لها[1] بعد ذلك توالى حكام الدولة الزيانية [2] ومما يؤخذ عليهم في تلك الفترة من عمر دولتهم كثرة الخصومات والنزاعات ممّا شجع القوى الخارجية على التدخل وإلحاق الهزائم بهم مما أضعف شأنهم، واستمرت تفقد السلطة على أراضيها شيئاً فشيئاً إلى أن انتهت على يد العثمانيين ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م . [3]

(١) ابن خلدون : العبر،ج٧، ص ١٩٦ ،١٩٨ ؛ بوعزيز : تلمسان، ص٧٢؛ بوعميرة : علاقة بني عبد الواد، ص٦٩ .

(٢) ينظر الملحق رقم (٤) قائمة سلاطين الدولة الزيانية.

(٣) الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص٤٨٩ ؛ شقدان :تلمسان في العهد الزياني، ص٧١.

٤- الدولة الحفصية (٦٢٦-٩٨٢م / ١٢٢٨ - ١٥٧٤م) :

ينتسب الحفصيون إلى أبي حفص عمر بن يحيى بن محمد بن والد بن علي بن أحمد بن ولال ابن إدريس بن خالد بن أليسع بن إلياس، ويصلون بنسبهم إلى عمر بن الخطاب،[١] لكن يجدر النظر إلى ذلك بعين الحذر، لما عرف عن بلاد المغرب من اختلاق الأنساب [٢] وهم من قبائل هنتانة[٣] البربرية، وكان لشيخهم عمر دورٌ كبيرٌ في نجاح دعوة المهدي بن تومرت ، وكناه بأبي حفص بعد أن كان اسمه البربري فصكة أو مزال، وكان الشيخ أبو حفص مسانداً لابن تومرت وأحد العشرة المسمون بالجماعة .[٤]

وفي عهد عبد المؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٢٩-١١٦٢م)، كان لأبي حفص دور كبير في حمل المصامدة[٥] على مبايعته ،حيث لم يتمكن عبد المؤمن من إعلان ولايته إلا بعد ثلاث سنوات من موت ابن تومرت ، إذ قال له أبو حفص :" **نقدمك كما كان الإمام يقدمك فعلم أن أمره منعقد** "،[٦] لقد كان أبو حفص في مقدمة الجيوش التي زحفت على المغرب الأوسط في عهد عبد المؤمن قبل فتح مراكش ٥٤١ هـ/١١٤٦م، فحمل البربر على طاعته، وأرسله لتأديب الثائر محمد بن عبد الله بن هود الماسي[٧] الذي ادعى الهداية في السوس وتبعه الناس ،

([١]) ابن الشماع (محمد ابن أحمد ت٨٥٠هـ/١٤٤٦م): الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح، الطاهر بن محمد المعموري، تونس، دار العربية، ١٩٨٤م، ص٤٨؛ زامباور(إدوارد فون): معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه، زكي محمد حسن،حسن أحمد محمود، تر، سيدة إسماعيل كاشف، حافظ أحمد حمدي، أحمد ممدوح حمدي، بيروت، دار الرائد، ١٩٨٠م، ص١١٥،١١٦؛ أحمد (علي) : تاريخ المغرب القديم الإسلامي، دمشق، منشورات جامعة دمشق، ٢٠١٠-٢٠١١م، ص٢٥٤ .

([٢]) ابن خلدون : العبر، ج٦، ص ٣٧١؛ ابن أبي دينار : المؤنس، ص ١٣٠ .

([٣]) قبائل هنتانة :من قبائل المصامدة البربر، ويسكنون جبل درن المسمى الآن جبل الأطلس، ابن خلدون : العبر، ج٦، ص٣٧١ .

([٤]) المراكشي : المعجب، ص٢٧٥،٢٧٦ .

([٥]) المصامدة : أبناء مصمود بن يونس بن بربر وهم بطون منهم : برغواطة وغمارة وأهل جبل درن وقبائل مصمودة عديدة يذكر منها آصادن وحاحا و دكالة وغمارة وهرغة وهزميرة وهنتانة، وموطنهم يمتد من الريف شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ومن البحر المتوسط شمالاً إلى تخوم تامسنا ودكالة جنوباً وتشمل الأطلس الكبير، الدارجي : القبائل الأمازيغية، ج٢، ص٢٦٨،٣٣٣.

([٦]) ابن خلدون : العبر، ج٦، ص٣٧١ .

([٧]) محمد بن عبد الله بن هود الماسي : الملقب بالهادي، أصله من سلا لحق بعبد المؤمن وبايعه وشهد معه فتح مراكش ثم فارقه في رباط ماسة من ناحية سوس وادعى المهدوية على غرار ابن تومرت، وغلب على قطاع

وتغلب على المغرب الوسط ، ولم يبقَ إلا مراكش وفاس، فاستطاع أبو حفص قتل الماسي والقضاء على ثورته.[1]ولما عزم عبد المؤمن على الرحلة إلى إفريقيا عام ٥٥٤هـ /١١٥٩م، استخلف الشيخ أبو حفص على المغرب ، ثم جعله والياً على قرطبة وأعمالها،[2] أرسله الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن للقضاء على ثورة سبع بن منغفاد ضد الموحدين وقضى على الثورة .[3]

كان من عوامل قيام الدولة الحفصية ضعف الدولة الموحدية وقيام ثورة بني غانية ،حيث أرسل الناصر الموحدي عبد الواحد بن أبي حفص (٦٠٤-٦١٨هـ/ ١٢٠٧ -١٢٢١م) لمطاردة بني غانية والتقى معه في معركة تاجرا سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م ، إذ انتصر عليه،[4]وبعد استقرار الأوضاع في إفريقيا ولى الناصر عليها عبد الواحد قبل عودته لمراكش ، وذلك لأن الناصر رغب بإبعاده نظراً لمكانته وقوته ، فتسلم عبد الواحد ولاية إفريقيا سنة ٦٠٣هـ /١٢٠٦م مشترطاً أن يرجع للمغرب بعد قضاء مهمات إفريقيا، وأن يختار أعوانه من الموحدين وألا يعقب عليه في عزل أو ولاية ، وهذه شروط تدل على قوة ومكانة رفيعة،[5] يلاحظ من الشروط مدى القوة التي وصل إليها الحفصيون وأن خوف الخليفة الموحدي وإبعاده عبد الواحد كان بالفعل

عريض من بلاد المصامدة، ودخلت في طاعته الكثير من القبائل مثل درعة ودكالة وتامسنا وهوارة، وتسبب بخسائر للدولة الموحدية، الزركلي : الأعلام ،ج٧،ص١٣٢؛ بولطيف : فقهاء المالكية، ص١٤٥ .

(1) البيدق : أخبار المهدي، ص١٠٧ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٦-٢٧- ٣١ ؛ ابن خلدون : ج٦، ص٤٨٠؛ العزاوي (أحمد) : رسائل موحدية مجموعة جديدة، القنيطرة، جامعة ابن طفيل كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة النجاح، ١٩٩٥م، ج٢، ص٢٨ ؛ خلف الله : علاقة الخلافة الموحدية مع المشرق، ص١٠٨.

(2) المراكشي : المعجب،ص ١٨٨؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص٦١.

(3) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين،ص٩٥؛ ابن خلدون : العبر، ج ٦ ، ص٣٧٢؛ المسعودي (جميلة مبطي) : المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة ٦٢١هـ وحتى سنة ٨٩٣هـ، رسالة ماجستير، السعودية، جامعة أم القرى، ٢٠٠٠م، ص٩

(4) ابن خلدون : العبر،ج٦، ص٣٣٤ ؛ الباجي : الخلاصة النقية، ص ٥٨؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق٢، ص ٣٤ .

(5) ابن خلدون : العبر، ج٦، ص٣٧٩ ؛ المطوي(محمد العروسي): السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م، ص ١٠٠ ؛ عبد الحميد (عفاف عبد الجبار) : الحياة السياسية والحضارية للدولة الحفصية في عهد السلطان أبو فارس عبد العزيز ٧٩٦هـ - ٨٣٧ هـ / ١٣٩٣م - ١٤٣٣م ، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، د.ت، ص١٠٠ .

مبرراً ، ولكنه كان يرغب بأن يبقى شخص بتلك القوة حليفاً يدافع عن حدود الدولة عوضاً عن أن يكون عدواً يقض مضاجعها، وبعد وفاة عبد الواحد تولى إفريقيا عددٌ من عمال الموحدين حتى عام ٦٢١هـ/١٢٢٤م، ومن ثم تم اختيار أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد بن أبو حفص لولايتها،[1] قام المأمون بن منصور بن يوسف (٦٢٤-٦٣٠هـ/١٢٢٦-١٢٣٢م) بقتل أبي محمد عبد الله العادل(٦٢١-٦٢٤هـ/١٢٢٤-١٢٢٦م) وبعث لأبي محمد يطلب مبايعته، فرفض لكونه كان على وفاق مع العادل ، ما أغضب الخليفة فأرسل لأخيه أبي زكرياء يحيى (٦٢٥-٦٤٧هـ/١٢٢٧-١٢٤٩م)[2] في قابس يغريه بولاية إفريقيا إذا بايعه، فتقدم أبو زكرياء لتونس وخرج أبو محمد لعبد الله لمواجهته لكن جنوده خذلوه، وانضموا لأبي زكرياء وسجن أبو محمد ، ثم أرسل للمغرب[3] وخلع أبو زكرياء طاعة المأمون ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م، بيد أنه لم يجرؤ على اتخاذ لقب الخليفة مكتفياً بلقب الأمير كما يتضح إن الأمير أبا زكرياء قد خشي العواقب الوخيمة الناجمة عن اتخاذه لقب الخليفة ،وحرصاً منه على الحفاظ على دولته حديثة النشوء من ردة فعل الموحدين ، والمخاطر التي قد تواجهها من جراء ذلك، وتعد هذه البداية الحقيقية والإعلان الرسمي لدولة الحفصيين في تونس والانفصال الرسمي عن الدولة الموحدية ، لقد كانت تلك

---

(1) عبد الله بن أبو محمد بن أبو حفص: هو ابن أبو محمد عبد الواحد بن أبو حفص وقد عرف بعبّو، وهو ثاني الحكام الحفصيين، بعد وفاة والده، لم تنجح محاولة توريث الحكم لأبنائه، إذ فشل ابنه أبو زيد عبد الرحمن في الحصول على تصديق الخليفة الموحدي على توليته رغم مساندة شيوخ الموحدين بتونس له، فلم يبق على رأس الولاية إلا ثلاثة أشهر. فاضطر إلى ترك الولاية إلى أحد أبناء عمومته إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حفص الذي تولى هو الآخر الولاية بالنيابة في انتظار الوالي القادم من العاصمة الموحدية، مراكش، وهو إبراهيم أبو العلاء بن أبي يعقوب، الذي يمثل أهم ما قام به في مواجهة ابن غانية وقد كان تصرفه استبدادياً، وهو ما كان وراء الثورة عليه فوقع عزله من قبل الخليفة الموحدي في ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦م، ليخلفه أبو محمد عبد الله بن أبي محمد عبد الواحد، الباجي : الخلاصة النقية ،ص٦٠.

(2) أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاني: أول من استقل بالملك من بني حفص ٦٢٦هـ /١٢٢٨م ، وقع مهادنة مع فريدريك الثاني مدتها عشر سنوات، أنشأ المدارس وجعل لها الأوقاف وداراً للكتب، جمع فيها ٣٦٠٠٠ مجلد كان كاتباً وشاعراً وبنى جامع القصبة، توفي ببونة ونقل لقسنطينة، الكتبي (محمد شاكر ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) : فوات الوفيات والذيل عليها ،تح، إحسان عباس، بيروت، دار صادر، د.ت، ج٢، ص ٣٢١، سيتم ذكر المصدر باسم الكتبي : فوات الوفيات؛ المقري: أزهار الرياض، ج٣، ص٢٠٨ ؛ الباجي : الخلاصة النقية، ص٦٠ ؛ الزركلي :الأعلام، ص١٥٦،١٥٥ .

(3) الزركشي : تاريخ الدولتين، ص٢١؛ ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٣٨٠ ؛ عبد الحميد : الحياة السياسية، ص١٠٠.

الخطوة بمثابة خطوة احترازية لمعرفة ما سيكون عليه الوضع في حال خلع الطاعة، وعندما لم يجد موقفاً صارماً أغفل ذكر الناصر من الخطبة واقتصر على المهدي وظل على ذلك حوالي ثماني سنوات حتى سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م ، حيث جدد البيعة لنفسه وذكر اسمه في الخطبة بعد الإمام،[١] وسيطر على قسنطينة وبجاية عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م وعلى الجزائر ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥ م [٢]وفي محاولة للاستقلال بحكم إفريقيا وجمع الشمال الإفريقي تحت رايته والقضاء على سلطة الموحدين ،ودخل تلمسان ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م، وبقي يغمراسن يحكم تلمسان على أن يكون تابعاً إلى لأمير الحفصي ، وينفصل عن الموحدين[٣] وبعد السيطرة على تلمسان تتالت بقية بلاد المغرب في تقديم الطاعة للأمير، فبعث أهالي طنجة [٤]وسبتة المبايعة عام ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م ووصلته بيعة سجلماسة في العام نفسه ، وانقاد إليه بنو مرين بقيادة عثمان بن عبد الحق (٦١٤-٦٣٧هـ/١٢١٧-١٢٣٩م) وأخيه محمد (٦٣٧-٦٤٢هـ/١٢٤٠-١٢٤٥م) من بعده، وبايعته مكناسة ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م بذلك دخلت معظم بلاد المغرب في طاعتهم .

وقد تقدم ملك أراجونة خايم الأول (٦٢١-٦٧٢هـ/١٢٢٤-١٢٧٣م) قاصداً بلنسية سنة ٦٣٦هـ /١٢٣٨م ، وحاصرها ستة شهور فلما اشتد الحصار على أهلها ، أرسل أميرها ابن مردنيش وفداً إلى الأمير الحفصي أبي زكرياء طالباً مساندته ، وأجاب الأمير بأن أرسل أسطولاً محملاً بالسلاح والعتاد والمؤن، لكن هذا الأسطول فشل بإيصال المدد للمحاصرين في بلنسية نتيجة لشدة الحصار عليها ، مما اضطره إلى إنزاله في مرسى دانية ، واشتد الحصار على أهل

---

(١) ابن خلدون : العبر،ج٦، ص٣٨٢؛ القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) : مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تح، عبد الستار أحمد فراج، بيروت، عالم الكتب، د.ت، ج٢، ص٢٥٨ ؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص١٣٣ .

(٢) ابن قنفذ : الفارسية،ص١٠٨؛ برنشفيك (روبار) : تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن ١٣ إلى نهاية القرن ١٥، تر، حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨م، ج١، ص٥١،٥٢؛ الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص١١ .

(٣) ابن خلدون : بغية الرواد، ج١، ص١١١،١١٠؛ برنشفيك: تاريخ إفريقيا، ج١، ص٦٠ ؛ عميرة : علاقة بني عبد الواد، ص٦٢ .

(٤) طنجة : تدعى عند البرتغاليين طنجيرة وهي مدينة عظيمة أزلية يزعم أن بانيها يدعى لشداد بن عاد، ولما حكم القوط إسبانيا ضمت إلى سبتة إلى أن سقطت بيد المسلمين عندما استولوا على أصيلا، الوزان : وصف إفريقيا، ج١، ص٣١٤،٣١٣ .

بلنسية حتى سقطت عام ٦٣٦هـ /١٢٣٨م،[١]وقد يكون السبب في أن الأمير الحفصي لم يرسل مساعدات متتالية ؛ لكون الدولة الحفصية آنذاك ماتزال حديثة العهد، ولم يكن لديها الجيش الكافي لمواجهة ملوك إسبانية، يذكر أن ابن مردنيش قد بعث بمبايعته للأمير الحفصي أبي زكرياء في بلنسية ، وعندما خرج منها إلى دانية ومرسية ، بعث بمبايعته للأمير وبقي يحكم في هذه المناطق حتى سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م، إذ تغلب عليه ابن هود، وأخرجه منها فرحل إلى تونس،[٢] قامت إشبيلية بمبايعة الأمير الحفصي أبو زكرياء عام ٦٤١هـ/١٢٤٣م إلى أن سقطت بيد ملك قشتالة وحليفه ابن الأحمر[٣]عام ٦٤٦هـ /١٢٤٨م وبايعته المرية ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م، وأرسل له ابن الأحمر البيعة بعد أن رأى ازدياد نفوذ أبو زكرياء،[٤] بعد أبو زكرياء تمت مبايعة ابنه محمد المستنصر (٦٤٧-٦٧٥هـ/١٢٤٩-١٢٧٦م)، ومن أبرز الأحداث في عهده ثورة ابن عمه محمد اللحياني،[٥]أما بنو مرين فاستمروا على طاعة الحفصيين في عهد أميرهم أبو يحيى بن عبد الحق(٦٤٢-٦٥٦هـ/١٢٤٥-١٢٥٨م)، حيث أرسل بيعة أهل فاس ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م،[٦] وقد ذاع صيت المستنصر الحفصي حتى وصلته بيعة من مكة من

---

(١) العبر : ج٦، ص٣٨٨، ٣٩٦ ؛ برنشفيك : تاريخ إفريقيا، ج١، ص٦١ ؛ الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص٨.

(٢) المسعودي : المظاهر الحضارية، ص٢٦ .

(٣) محمد الأول : محمد بن يوسف بن الأحمر أول ملوك بني نصر ومؤسس دولتهم (٦٢٩-٦٧١هـ/١٢٣١-١٢٧٢م) كان يلقب بالشيخ وابن الأحمر وأبي دبوس بويع بأرجونة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م ، دخل في صراع مع ابن هود ثم دعى له سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م وفي سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م، دخل غرناطة بعد مقتل عامل ابن هود على يد الأهالي الذين أعلنوا طاعتهم لابن الأحمر فاتخذ غرناطة عاصمة له، ثم بعد مقتل ابن هود على نحو غامض دخل ألمرية ثم مالقة بدايةً دعى للعباسيين، لكسب الشرعية ثم نزع عن ذلك، ابن الخطيب(أبو عبد الله محمد لسان الدين ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) : اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تح، محمد مسعود جبران، بيروت، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٩م، ص٤٤، سيتم ذكر المصدر باسم : ابن الخطيب : اللمحة البدرية .

(٤) ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص٣١ ؛ ابن خلدون : العبر، ج٤، ص٢١٨ .

(٥) كان لأبي زكرياء أخوين محمد المعروف باللحياني لطول لحيته والأخر إبراهيم أبو إسحاق، قام الوزير محمد بن أبي مهدي الهنتاني بتحريض ابن محمد اللحياني ضد المستنصر وقام بمبايعته ، نجح المستنصر بالقضاء على تلك الثورة إنما غضب على مولاه ظافر لقتله أعمامه بلا ذنب ففر ظافر لبلاد الزواودة، الزركشي : تاريخ الدولتين، ص ٣٣ ؛ ابن خلدون : العبر ، ج٦، ص ٤٠٢ ؛ ابن الشماع : الأدلة البينة، ص ٩٢؛ المطوي : السلطنة الحفصية، ص١٧٩-١٨٠.

(٦) الزركشي : تاريخ الدولتين، ص٣٧؛ ابن قنفذ: الفارسية، ص ١٨١؛ المطوي : السلطنة الحفصية، ص١٨٧ .

شريفها أبي نمي بن قتادة [١] عام ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م بسبب سقوط الخلافة العباسية بيد هولاكو ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، فأصبح العالم الإسلامي يفتقد إلى خلافة إسلامية تجمع المسلمين حولها،[٢] ومع أن هذا اللقب لم يكن سوى لقب تشريفي للأمير الحفصي، أراد المماليك إحياء الخلافة العباسية عن طريق أحد الخلفاء الناجين من الغزو المغولي هو أحمد بن الخليفة الظاهر لدين الله العباسي الملقب بالمستنصر، لإعطاء حكمهم الشرعية عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م، إذ بقيت الخلافة حتى ٩٢٣هـ /١٥١٧م [٣]

قامت في عهد المستنصر الحملة الصليبية الثامنة٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م، حيث هاجم لويس التاسع ملك فرنسا تونس، ونزل الصليبيون بقرطاجنة ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م، ثم مات الملك الفرنسي بسهم أو بالوباء أو بالسم حسب اختلاف الروايات،[٤]نظم المستنصر دفاعه واستنجد بعددٍ كبيرٍ من الجنود ورجال القبائل، وقد شاركت في المقاومة قسنطينة والساحل والقيروان،[٥] انتهت الحملة برحيل الصليبيين بعد التفاوض معهم "**وصالحهم السلطان على دفع غرامة حربية قدرها مائتان**

([١]) أبو نمي : محمد بن الحسن بن علي بن قتادة بن راجح أبو نمي شريف حسني من أمراء مكة (٦٣٠-٧٠١هـ/١٢٣٢-١٣٠١م)، كان شجاعاً حازماً شارك أباه في الإمارة سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، ووثب على عم أبيه إدريس بن قتادة ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م، واستقل بالإمارة، واستمر بها إلى أن توفي ٧٠١هـ/١٣٠١م ، العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح، محمد عبد المعيد ضان، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٢م، ج٣،ص٤٢٢، سيتم ذكر المصدر باسم العسقلاني : الدرر الكامنة ؛ الأعلام : الزركلي، ج٦، ص٨٦ .

([٢]) ابن قنفذ : الفارسية ،ص ١٢٠؛ ابن خلدون : العبر، ج٦، ص٤٠٧ ؛ برنشفيك : تاريخ إفريقيا، ج١، ص٧٦؛ المطوي : السلطنة الحفصية، ص١٨٩؛ النيفر (محمد): عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م، ج١، ص٢٤٨.

([٣]) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) : المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار،القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط٢،١٩٨٧م، ج٣، ص٣٩٤ سيتم ذكر المصدر باسم المقريزي : الخطط المقريزية ؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٧٢٣ ؛ خلف الله : العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، ص١٩٧؛ طقوش (محمد سهيل): تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، بيروت، دار النفائس، ١٩٩٧م، ص٩٢.

([٤]) المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر ٨٤٥هـ/١٤٤١م) : السلوك لمعرفة دول الملوك، تح، محمد عبد الادر عطا، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م ،ج٢، ص٦٩، سيتم ذكر المصدر باسم المقريزي : السلوك ؛ ابن الشماع :الأدلة البينة، ص ٦٢،٧٤ ؛ حسين (ممدوح)، مصطفى (شاكر) : الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري سنة ٦٦٨-٧٩٢هـ/١٢٧٠-١٣٩٠م، عمان، دار عمار، ١٩٩٨م،ص ٣٠٨.

([٥]) برنشفيك : تاريخ إفريقيا، ص٨٨ ؛ خلف الله : العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، ص١٩٧.

وعشرة الآف وقية ذهباً، يسددوا نصفها عند عقد الاتفاق والنصف الآخر خلال عامين "[1] بعد المستنصر تسلم الحكم ابنه أبو زكرياء يحيى الواثق الذي بويع عام (٦٧٥ -٦٧٨هـ/١٢٧٦-١٢٧٩م) وسرعان ماتخلى عن الحكم عام ٦٧٨هـ/١٢٧٩م [2] لصالح أبو إسحاق إبراهيم بن أبي زكرياء (٦٧٨-٦٨٢هـ/١٢٧٩-١٢٨٣م)[3] الذي قامت في عهده ثورة أحمد بن مرزوق المسيلي(٦٨٢-٦٨٣هـ/١٢٨٣-١٢٨٤م) الذي ادعى أنه الفضل ابن الواثق، وأعلن بهذه الصفة الثورة ضد عمه المزعوم، ولقي دعماً من أعراب ذباب،[4] إذ دخل مدينة قابس في ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢م، ثم احتل قفصة وانهزم الجيش الحفصي أمامه، ودخل تونس العاصمة ونصب على العرش في عام ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣ م، وكبّد الحفصيين هزيمةً شنيعةً قتل خلالها أبو إسحاق وأولاده [5] قام أبو حفص عمر بن يحيى شقيق أبو إسحاق عام ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م بالتصدي للمسيلي ، فانفض الجنود من حول ابن أبي عمارة، ودخل أبو حفص العاصمة ٦٨٣ هـ/ ١٢٨٤ م، وتم قتل المسيلي.[6] وفي عهد أبو حفص انقسمت الدولة الحفصية إلى قسمين شرقية وغربية ، وذلك بسبب كثرة الفتن والثورات، فقد خرج أبو زكرياء بن أبي إسحاق والذي كان لاجئاً عند بني عبد الواد ، وعاد إلى إفريقيا ، واستولى على بجاية وانفرد بالجزء الشرقي، وجعل مركزه قسنطينة

([1]) برنشفيك : تاريخ إفريقيا ، ج١، ص ٩٣ ؛ المطوي : السلطنة الحفصية، ٢٠٨ ؛ المطوي (محمد العروسي): الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م، ص١٣٩ .

([2]) ابن خلدون : العبر، ج٦، ص٤٣٤ ؛ ابن الشماع :الأدلة البينة،ص ٧٤،٧٥؛ الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، العام، ج٢، ص١٨ .

([3]) عندما اعتلة المستنصر سدة الحكم، أعلن أخوه أبو إسحاق إبراهيم الثورة عام ٦٥١هـ/١٢٥٣م والتجأ إلى الزواودة، وبدأ الاستعداد للزحف على قابس لكن تخلي حلفائه عنه جعله ينسحب ويلجأ لصاحب غرناطة محمد بن يوسف ،لكنه عاد بعد وفاة أخوه المستنصر وتمكن من الإطاحة بالواثق، برنشفيك: تاريخ إيفريقيا،ج١،ص١١،١٠٨.

([4]) ذباب : من قبائل سليم بن ربيعة بن زغب الأكبر بضم الزاي ومن بطونهم بنو يزيد، ابن خلدون : العبر، ج٦، ص١١١.

([5]) مقديش(أبو الثناء الصفاقسي محمود بن سعيد ت ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م) : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تح، علي الزواري، محمد محفوض، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨م ، مج١، ص٥٥٥ ؛ برنشفيك : تاريخ إفريقيا، ج١، ص١٢٠،١١٧.

([6]) مقديش : نزهة الأنظار، مج١، ص٥٥٦ .

والصراع بين العم وابن أخيه أضعف الدولة وجعلها عرضة لهجمات الصقالبة[1]الذين احتلوا جزيرة جربة[2] عام ٦٨٦هـ/١٢٨٧م وحاصروا المهدية[3]ونهبوا الكثير من الأموال، ثم عادوا وازدادت سلطة الأعراب ، ومنحوا إقطاعات واسعة فانحسر ملك الحفصيين . [4]

فيما بعد تولى الحكم محمد بن الواثق الملقب بأبي عصيدة (٦٩٤-٧٠٩هـ/١٢٩٤-١٣٠٩م)[5] الذي عقد صلحاً مع أبو البقاء خالد (٧٠٩-٧١١هـ/ ١٣٠٩-١٣١٢م) [6] في بجاية الذي خلف والده أبو زكريا بعد وفاته، وكانت شروط الصلح أن مات أي منهما أي أبو البقاء أو أبو عصيدة يصبح القسم الموجود تحت سلطته للآخر وتجتمع المملكة الحفصية من جديد في سلطة واحدة. لكن عندما توفي أبو عصيدة انتقض أهل تونس الصلح بايع أهل تونس

([1]) الصقالبة : مفردها صقلب وصقلبي مشتقة من Sklavoi البيزنطية وهو الاسم الذي أطلقه البيزنطيون على الشعوب السلافية حيث دأبوا على سبيهم وبيعهم ومنهم أخذها العرب ومنها اشتق Slave وهي تعني العبد أو المملوك، المريخي (سيف الدين): العلاقات التجارية بين الصقالبة والعرب المسلمين في القرنين الثالث والرابع الهجري التاسع والعاشر الميلاديين، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، ع ١٤، قطر، ٢٠٠٠م، ص١٥٦.

([2]) جربة : جزيرة مجاورة لليابسة منبسطة رملية يكثر فيها النخل والكروم والزيتون دائرتها نحو ثمانية عشر ميلاً، يعيش سكانها في منازل متفرقة ،وتوجد فيها قصبة مشيدة على الساحل يسكنها الوالي وأسرته، الوزان : وصف إفريقيا، ج٢، ص٩٣ .

([3]) المهدية : بناها عبد الله المهدي ٣٠٠هـ/ ٩١٢م على ساحل البحر فوق كتلة صخرية داخل البحر وأحاطها بأسوار عالية منيعة . الوزان : وصف إفريقيا، ج٢، ص٨٦،٨٥.

([4]) العبدري(محمد البلنسي ت٧٢٠هـ/١٣٢٠م): الرحلة المغربية، تح، سعد بوفلاقة، الجزائر، منشورات بونة، ٢٠٠٧م، ص ١٥٢ .

([5]) أبو عصيدة : أخذ لقبه عندما قتل الواثق وأبنائه فرت إحدى جواريه الحامل بابنه إلى رباط الشيخ المرجاني حتى وضعت حملها فسماه الشيخ المرجاني وأطعم الشيخ الفقراء يوم ولد عصيدة الحنطة فَلُقِب بأبي عصيدة، ابن الشماع : الأدلة البينة، ص٨٣ .

([6]) أبو البقاء خالد : بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد ولي بعد أبيه في بجاية سنة٧٠٠هـ / ١٣٠٠م، وكانت له الجزائر وبسكرة وقسنطينة . نتقض أهل تونس الصلح المبرم مع أبو البقاء خالد، إذ بايعوا أبا بكر يحيى بن عبد الرحمن، فقدم أبو البقاء إلى تونس وهزم أبو بكر وبويع أبو البقاء سلطاناً على الحفصيين . لكن ثار عليه أحمد اللحياني، فاضطر لخلع نفسه٧١١هـ / ١٣١٢م وكانت ولايته سنتين وثلاثة عشر يوماً، الباجي : الخلاصة النقية،ص٦٨ ؛ السيد (فؤاد صالح) : معجم ألقاب السياسيين في التاريخ العربي الإسلامي معجم جامع شامل يحتوي على تراجم السياسيين الملقبين في كل العصور العربية الإسلامية بدءاً من العصر الجاهلي حتى أواخر القرن العشرين ، بيروت، مكتبة حسن العصرية، ٢٠١١م، ص ٢٩٠ ؛ الزركلي : الأعلام، ج ٢، ص٣٠٠.

أبا بكر يحيى بن عبد الرحمن ٧٠٩هـ/١٣٠٩م، فقدم أبو البقاء إلى تونس، وهزم أبا بكر وبويع أبو البقاء سلطاناً على الحفصيين .[١]

استمر الصراع على الحكم بين أفراد الأسرة الحفصية، وإزاء الوضع توجه السلطان أبو الحسن المريني(٧٣١-٧٤٩هـ/١٣٣١-١٣٤٨م)[٢] نحو تونس بسبب قتل أبي حفص عمر بن أبي بكر[٣]لإخوته واستيلائه على حقوق أخيه ،إذ كان أبو الحسن من الشهود على السلطان أبي بكر عندما أخذ ولاية العهد لابنه العباس ٧٤٦هـ /١٣٤٥م، فقد عدّ إلغاء شهادته احتقاراً له،[٤] ودخل أبو الحسن العاصمة الحفصية وبذلك أصبحت الدولة الحفصية تحت السلطنة المرينية ٧٧٦هـ/١٣٧٤م،[٥] إلى أن انتهى الحكم المريني لتونس بعد أن دام عامين وستة أشهر ونصف، عندما اضطر أبو الحسن المريني للعودة إلى المغرب بسبب مبايعة ابنه أبي عنان عوضاً عنه،[٦] وبويع أبو العباس الفضل الحفصي[١] عام٧٥٠هـ / ١٣٤٩م ولقب بالمتوكل[٢]

([١]) ابن أبي الضياف (أحمد ت ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م) : إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح، لجنة كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبارية، تونس، د.د، ١٩٦٣م ،ج١،ص٢١٢ ؛ الميلي : تاريخ الجزائر، ج٢، ص٣٩٢ .

([٢]) أبو الحسن علي بن عثمان : المعروف بأبي الحسن المريني (ولد ٦٩٣هـ/١٢٩٣ م- تُوفي ٧٥٢هـ/١٣٥١م) سلطان مغربي من بني مرين، حكم لمدة ٢٠ سنة من ٧٣١-٧٥٢هـ/ ١٣٢٩-١٣٥١م، وكان أكبر حاكم من سلالة بنو مرين سناً، يعتبر من أهم ملوك المغرب إذ تمكن من استرجاع جبل طارق من القشتاليين في الأندلس على يد ابنه أبو مالك، كما استطاع القضاء على دولة بني عبد الواد و دخول تلمسان وجعلها تابعة للدولة المرينية وفي مرحلة لاحقة سيتمكن من ضم إفريقيا، و دخول تونس عاصمة الحفصيين سنة ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٨م، لتبلغ بذلك الدولة المرينية في عهده أوج قوتها و ازدهارها ، ابن الأحمر : روضة النسرين، ص٢٥؛ الحريري: تاريخ المغرب، ص١٠٩ .

([٣]) أبو حفص عمر بن أبي بكر : المتوكل على الله بن يحيى بن إبراهيم الحفصي أبو حفص ولد٧٢٣هـ/١٣٢٣م وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، وثار عليه إخوته أبو العباس وخالد وعزوز، فقتلهم جميعاً لم تطل به مدة الحكم، إذ قتله بعض الجند قرب قابس وكانت ولايته عشرة أشهر وثلاثة عشر يوماً، الباجي : الخلاصة النقية، ص٧٢ ؛ الزركلي : الأعلام، ج٥، ص٤٣ .

([٤]) ابن خلدون : العبر، ج٦ ،ص٤٨٧،٤٨٨ ؛ خلف الله : العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، ص٢٠٥ .

([٥]) المسعودي : المظاهر الحضارية، ص٢٤٩ ؛ الميلي : تاريخ الجزائر،ج٢، ص٣٩٣ ؛الشاهري : الحضارة العربية، ص٤٣؛ الزركشي : تاريخ الدولتين، ص٨١،٨٢ .

([٦]) بوعزيز : تلمسان، ص٦٧ .

ثم قام أبو محمد بن تافراجين[3] بتدبير مؤامرة أخرج بها الفضل من تونس وقتله ، وبايع أبو إسحاق إبراهيم بن أبي

بكر،[4] وكان لم يبلغ الحلم وتسلم ابن تافراجين أمور الدولة .[5]وفي عام ٧٧٢هـ/١٣٧٠م بويع لأبي العباس أحمد بن أبي عبد الله (٧٧٢ -٧٩٦هـ /١٣٧٠ -١٣٩٣م) الموجود في بجاية فتوجه إلى تونس، استطاع أبو العباس المستنصر أن يوحد الدولة الحفصية وأن يعيد سلطة دولته إلى إفريقيا بفضل اعتماده على القبائل، وطرد البدو من بجاية ومن بونة عام ٧٧٢هـ/١٣٧٠م ودفعهم باتجاه الجنوب، كما استولى على قفصة وتوزر، بعد استيلائه على المدن الساحل سوسة والمهدية ثم جربة وكذلك صفاقس أسهم في إرساء الأمن في الداخل، ووفر لدولته الاستقرار.

---

(1) الفضل الحفصي : الفضل بن أبي بكر المتوكل على الله يحيى الحفصي أبو العباس ولد٧٢١هـ/١٣٢١م ولي الحكم سنة٧٥٠هـ/١٣٤٩م، واستمر فيه خمسة أشهر ونصف، حيث تم قتله، الباجي : الخلاصة النقية، ص٥٧ ؛ الأعلام : الزركلي، ج٥، ص١٤٧ .

(2) الزركشي : تاريخ الدولتين،ص٩١ ؛ مقديش : نزهة الأنظار،مج١،ص٥٧٧ ؛ المطوي : السلطنة الحفصية، ص ٤١١ .

(3) أبو محمد بن تافراجين : يرجع أصل بني تافراجين إلى بربر تينمل الذين ينتمون لقبائل مصمودة في المغرب الأقصى وبرز اسمهم مع دعوة ابن تومرت، وكان جدهم أبو حفص عمر بن تافراجين من أهل الخمسين " أي الطبقة الثانية من أصحاب المهدي" ، حظي ابن تافراجين بصداقة أبو ضربة محمد المنتصر بن اللحياني، لكنه اعتقله بعد هزيمته في معركة مصوح بسبب الوشايات، كما كان لابن تافراجين دوراً قوياً في أخذ البيعة لأبي حفص عمر دون أخيه ولي العهد أبو العباس أحمد، واستبد بالحكم في عهد أبو إسحاق، واستخلص الأراضي من الأعراب الكعوب من بني سليم وإزاء هجوم أبوعنان على تونس ٧٥٨هـ/١٣٥٦م، فر لبلاد الجريد ليعود فيما بعد وفي عهده استرد جربة من أحمد بن مكي التي كانت تحت نفوذه منذ٧٦٣هـ/١٣٦٢م، أبو مصطفى (كمال السيد) : دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، ١٩٩٧م، ص١١-١٦-٢٧-٣٤ .

(4) أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر : أو أبو إسحاق إبراهيم الثاني هو السلطان الحفصي الرابع عشر، وهو صغير فعمت الفوضى، و تسلط عليه وزيره ابن تافراجين، قام في عهده أبو عنان المريني عام٧٥٦ه/ ١٣٥٥ م على بجاية ثم قسنطينة، ثم دخل أسطوله إلى مدينة تونس، وبقي بها مدة شهرين، وفي حين فر ابن تافراجين إلى المهدية، تحول أبو إسحاق إلى داخل البلاد التونسية. ولم يعد النفوذ الحفصي إلى تونس العاصمة إلا عام ٧٥٨ هـ/١٣٥٦م تولى بعده ابنه أبو البقاء خالد والذي لم يكن على قدر المسؤولية، فأنهى حكمه أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله، الباجي : الخلاصة النقية، ص٧٥ ؛ الزركلي : الأعلام، ج١، ص٣٤ .

(5) ابن الشماع :الأدلة البينة، ص١٠٢ ؛ المطوي : السلطنة الحفصية، ص٤١٤ ؛ برنشفيك : تاريخ إفريقيا، ص١٧٢ .

كما وصل للمهدية أسطول من جنوة وفرنسا أقاموا فيها شهرين ونصف استطاع إجلائهم عنها عام٧٩٢هـ/١٣٨٩ م. [١]

توالى بعد ذلك الحكام الحفصيون،[٢] حتى العصر العثماني ٩٨١هـ / ١٥٧٣م، إذ انقرضت الدولة الحفصية بعد استمرارها زهاء ثلاثة قرون ونصف . [٣]

---

(١) الزركشي : تاريخ الدولتين، ص٢١٧ ؛ المطوي : السلطنة الحفصية، ص٤٨٩ ؛ ابن الشماع : الأدلة البينة، ص١٠٩-١١٢ ؛ الأندلسي (أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي ت١١٤٨هـ/١٧٣٥م) : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تونس، مطبعة الدولة التونسية، ١٨٧٠م، ج٢، ص١٨٣.

(٢) ينظر الملحق رقم (٦) قائمة سلاطين الدولة الحفصية.

(٣)ابن أبي دينار : المؤنس، ص ١٥٧ ؛ الضياف :الاتحاف، ج ١، ص٢٤٨ .

٥- الدولة المرينية (٦٦٨-٨٦٩هـ/١٢٦٩-١٤٦٥م) :

يرجع بني مرين إلى قبائل زناتة البربرية،[١]ويعد المرينيون أنفسهم أعلى قبائل زناتة حسباً وأشرفهم نسباً،[٢]إذ ترجع جذورهم إلى أصول عربية،[٣] وتأكيداً على ذلك يرفع البعض نسبهم إلى الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (٣٥-٤٠هـ/٦٥٦-٦٦١م)[٤]، ويرجح أن ادعاءهم غير صحيح ولكنهم ادعوا ذلك؛ لإدراكهم أهمية النسب والأصول في النواحي القبلية والاجتماعية والسياسية ولكسب التأييد عن طريق التقرب من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

لم يكن لقبيلة بني مرين بقعة جغرافية محددة تقيم فيها شأنها في ذلك شأن البدو الرحل ، وعلى الرغم من ذلك ذكر المؤرخون أن بني مرين كانوا يتمركزون مابين فكيك[٥] وملوية[٦] أي في نطاق المنطقة الممتدة من بلاد الجريد شرقاً إلى المغرب الأقصى غرباً ، وكانت طائفة منهم تقوم في فصلي الربيع والصيف بالإغارة على التلال الشرقية لبلاد المغرب الأقصى حتى إذا أقبل الشتاء، اجتمعوا بأكرسيف[٧] ثم شدوا الرحلة إلى مناطقهم الأولى.[٨]

---

(١) بني مرين : وهم ولد مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن وجديج بن فاتن بن يدر، ابن الأحمر : روضة النسرين، ص ٨؛ ابن أبي زرع (علي بن عبد الله الفاسي ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥): الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، د.د، ط٣، ١٩٧٢م، ص١٤، سيتم ذكر المصدر باسم ابن أبي زرع : الذخيرة السنية ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس،ص ٢٧٨ ؛ ابن خلدون: العبر،ج٧، ص٢٢١ ؛ القلقشندي(أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح، إبراهيم الأبياري، لبنان، دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٩٨٢م، ص ١٧٦، سيتم ذكر المصدر باسم القلقشندي : قلائد الجمان ؛ السلاوي : الاستقصا ،ج٣ ، ص٣ .

(٢) ابن الأحمر: روضة النسرين، ص٨؛ ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص١٣ .

(٣) ابن أبي زرع :روض القرطاس،ص ٢٧٨ ،٢٧٩ ؛ ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص ١٤ ؛ ابن خلدون: العبر،ج٧،، ص ٢٢١ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى، ج٥، ص ١٩٤ .

(٤) ابن الأحمر: روضة النسرين، ص٨ .

(٥) فكيك : هي ثلاثة قصور في الصحراء في منطقة المغرب الأوسط تحيط بها غابة من النخيل، وهي على بعد مائتين وخمسين ميلاً شرقي سجلماسة، الوزان : وصف إفريقيا، ج٢،ص١٣٣،١٣٢

(٦) القلقشندي : صبح الأعشى، ج٥، ص١٩٤ .

(٧) أكرسيف : مدينة صغيرة بالمغرب الأوسط، بينها وبين فاس خمسة أيام وبينها وبين تلمسان خمسة أيام، الحموي : البلدان، ج١، ص١٩٣ .

(٨) ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص ٢٥ ؛ ابن أبي زرع :روض القرطاس، ص٢٨٢ ؛ السلاوي : الاستقصا، ج٣، ص٣.

لم تخضع قبيلة بني مرين لنفوذ الموحدين، فآثروا الهجرة إلى الصحراء جنوباً على عكس أبناء عمومتهم من بني زيان، لكنهم لم يقفوا موقفاً محايداً تجاه الأحداث السياسية التي شهدها المغرب، عندما تزعم قبيلة بني مرين الأمير الأعذر بن العافية المريني الملقب بالمخضب قام بغارات واسعة النطاق ضد قبلية لمتونة (المرابطين)، فملك جميع بوادي زناتة بالمغرب وبلاد الزاب حتى مدينة تلمسان .[١]

قد توافرت جملة من العوامل التي أسهمت في توغل بني مرين داخل المغرب الأقصى ولعل أبرزها تردي أوضاع الدولة الموحدية بعد معركة العقاب، ومن ثم موت خليفتها الناصر سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م، ممّا أدى إلى دخول البلاد في مرحلة من الضعف والاضطرابات، حيث خلف الناصر ابنه يوسف والذي كان طفلاً أنذاك (٦١٠-٦٢٠هـ/١٢١٣-١٢٢٣م) ولم يكن على قدر المسؤولية المنوطة به وبحلول سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م ، دخل المرينيون بلاد المغرب الأقصى،[٢] حيث كان يتزعمهم الأمير عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة،[٣]عندما قاموا بهزيمة الموحدين في معركة وادي نكور[٤] (٦١٣هـ/١٢١٦م) ، و سمي هذا العام بعام المشعلة،[٥] مهدت هذه المعركة لاستيلاء المرينيين على رباط تازا،[٦]وفي عهد أبي سعيد عثمان بن عبد

([١]) ابن الأحمر: روضة النسرين، ص١٣؛ ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص٢٠.

([٢]) المراكشي : المعجب، ص ٢٦٥،٢٦٦ ؛ ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص٢٧،٢٦ ؛ ابن خلدون: العبر،ج٧، ص ٢٢٤ ؛ السلاوي : الاستقصا، ج٣، ص٤ ؛ الحريري (محمد عيسى) : تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني ٦١٠- ٨٦٩هـ/ ١٢١٣- ١٤٦٥م، الكويت، دار القلم، ط٢، ١٩٨٧م، ص١١ .

([٣]) عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة : هو عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد بن ورزير بن فجوس بن مرين دخل المغرب من الصحراء من زاب إفريقيا عام٦١٠هـ /١٢١٣م من جهة جرسيف فضيق على الموحدين وملك البوادي وأطاعته قبائل البربر قتل عام٦١٤هـ/ ١٢١٧م وله ثلاث وسبعون سنة وكان مولده بأرض الزاب عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م ، ابن الأحمر : روضة النسرين، ص١٥،١٤ .

([٤]) وادي نكور : يقع بين باط تازة والمرقدة وتقع عليه مدينة نكور العامرة بالأسواق، الحميري : الروض المعطار ،ص٥٧٦ .

([٥])عام المشعلة : ذكرت المصادر أن الموحدين رجعوا إلى فاس عرايا يتدثرون بورق نبات يسمى المشعلة، وربما قيل ذلك للتقليل من شأن الموحدين ،إذ لايعرف مدى صحة ذلك، ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص٢٨ ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٢٨٣،٢٨٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٢٢٥ .

([٦]) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ٢٨٦؛ حسن (عامر أحمد عبد الله): دولة بني مرين تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا ٦٦٨-٨٦٩هـ/١٢٦٩-١٤٦٥م، رسالة ماجستير، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٣م، ص٧٨٢ .

الحق(٦١٤-٦٣٧هـ/١٢١٧-١٢٣٩م)،[١]سيطر المرينيون على سهول شمال مراكش ووادي سبو[٢] ، فلم تكد تنتهي سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٨م ، خضعت قبائل وبوادي المغرب الممتدة من وادي ملوية حتى رباط الفتح لقبيلة بني مرين،[٣]وفي عهد الأمير أبي معرف محمد بن عبد الحق[٤]هزم المرينيون الموحدين ٦٣٩هـ/١٢٤١م في معركة عند بلد كرت[٥]وقد قتل الأمير أبو معرف في المعركة التي خاضها ضد الجيش الموحدي المرسل من قبل الخليفة علي السعيد بن إدريس المأمون (٦٤٠-٦٤٦هـ/١٢٤٢-١٢٤٨م)[٦]حيث هزم فيها المرينيين قرب صخرة أبي بياش " موضع من أحواز فاس" (٦٤٢هـ/١٢٤٤م)،[٧]وضعت هذه المعركة حداً مؤقتاً لاندفاع بني مرين ومحاولاتهم للاستيلاء على المدن، وعندما تولى الأمير أبو بكر بن عبد الحق سنة (٦٤٢-٦٥٦هـ/١٢٤٤-١٢٥٨م) وقام بالدعاء للدولة الحفصية بإفريقيا بزعامة أبي زكرياء

---

(١) أبو سعيد عثمان بن عبد الحق : من مؤسسي دولة بني مرين في المغرب الأقصى، تولى الحكم بعد والده،وأخضع قبائل هوارة وزكارة وتسول ومكناسة غزا بلاد فازاز عام ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م أطاعته بوادي ملوية إلى رباط الفتح قتل في وادي ردات، الزركلي : الأعلام، ج٤، ص٢٠٧ .

(٢) وادي سبو : ينبع من جبل يسمى سليلكو في الحوز بإقليم فاس وأصله عين كبيرة في غابة مخيفة، ينحدر بين الجبال والتلال ويجري في السهل ماراً على نحو ستة أميال من فاس، ثم يقطع سهلاً فاصلاً بين الهبط وأزغار، يصب في المحيط قرب بلدة اسمها المعمور، الوزان : وصف إفريقيا، ج٢، ص٢٤٨ .

(٣) ابن أبي زرع : روض القرطاس،ص٢٨٨؛ ابن أبي زرع : الذخيرة السنية،ص٣٧ ؛ ابن الأحمر : روضة النسرين،ص١٧ ؛ ابن خلدون: العبر،ج٧،ص٢٢٦ ؛ سالم : تاريخ المغرب، ص٧٨٣ .

(٤) أبو معرف محمد بن عبد الحق: أمه حرة هي النوار بن تصليت، بويع بعد والده عثمان بوادي ردات ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م وقتل في المعترك وهو موضع من أحواز فاس وله اثنان وأربعون سنة كانت إمارته سنتين وستة أشهر، ابن الأحم : روضة النسرين، ص١٦.

(٥) ابن أبي زرع : الذخيرة السنية،ص٦٠ ؛ ابن خلدون: العبر،ج٧،ص٢٣٠ .

(٦) علي السعيد بن إدريس المأمون : أبو الحسن علي السعيد بن المأمون و خليفة الموحدين بين عامي (٦٤٠-٦٤٦هـ/١٢٤٢-١٢٤٨م) خلفاً لعبد الواحد الرشيد، في عصره استردت دولة الموحدين . التي أشرفت على نهايتها بعض قوتها، وصمدت أمام هجمات بني مرين المتوالية، غير أن مصرع السعيد المفاجئ في الحرب ضد أمير تلمسان لم يلبث أن قضى على ما تبقى لدولة الموحدين من أمل في البقاء، ابن خلكان : وفيات الأعيان،ج٧،ص١٧؛ السيد : معجم ألقاب السياسيين، ص٨١١ .

(٧) ابن أبي زرع : روض القرطاس،ص ٢٩٠؛ سالم : تاريخ المغرب،ص٧٨٣ ؛ حسن : دولة بني مرين، ص٩٩ .

الحفصي،[1] بعد استيلاء المرينيين على مكناسة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م وذلك في محاولة للتأكيد على شرعية النضال المريني ضد الموحدين، وكي لايعيق الحفصيون تقدم المرينيين، وحتى لايقوم بنو زيان بالهجوم على التخوم الشرقية للمغرب الأقصى، خاصة وأن هؤلاء كانوا يحسبون حساباً للدولة الحفصية [2] لكن السعيد الموحدي تقدم واحتل مكناسة، فبعث أبو بكر إلى السعيد بالبيعة فقبلها ٦٤٥هـ/١٢٤٧م،[3]تمكن المرينيون من دخول فاس عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م بعد أن استفادوا من الانكسار الكبير الذي أصاب الموحدين بعد مقتل السعيد عام ٦٤٦هـ/١٢٤٩م في قلعة تامزدكت [4] لكن قامت ثورة في فاس ضد أبي بكر المريني، عندما غادر إلى مدينة معدن العوام[5] بغية السيطرة عليها عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م، إذ قام بعض أعيان فاس بالثورة بغية خلع طاعة المرينيين وإرسال البيعة للخليفة الموحدي المرتضى أبو حفص عمر (٦٤٦هـ - ٦٦٥هـ/١٢٤٨-١٢٦٦م)[6][7] توجه أبو بكر، وحاصر المدينة، فاستنجد الثائرون بيغمراسن بن زيان صاحب تلمسان الذي انتهز الفرصة طمعاً في الاستيلاء على المغرب، فلقيه الأمير أبو

([1])عباس (إحسان) : تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى القرن التاسع هجري، بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، ١٩٦٧م، ج١، ص١٩٤؛ الحريري : تاريخ المغرب، ص١١٧.

([2]) السلاوي : الاستقصا، ج٣ ، ص١٢ .

([3]) ابن أبي زرع : الذخيرة السنية،ص٧١ ؛ ابن القاضي : جذوة الاقتباس، ص ١٠٣؛ الحريري : تاريخ المغرب،ص٢٢ .

([4]) ابن خلدون : بغية الرواد،ج١، ص١١٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٢٣٠ ؛ ابن القاضي :جذوة الاقتباس،ص١٠٤ ؛ السلاوي : الاستقصا ، ج٣ ، ص١٤.

([5]) معدن العوام : بناها أحد أمناء الخليفة عبد المؤمن بن علي على ضفة نهر أبي رقراق وذلك لوجود منجم حديد يتردد الناس عليه،وتقع على بعد عشرة أميال من جبال الأطلس، الوزان : وصف إفريقيا، ج١، ص٢٠٣ ؛ كربخال : إفريقيا، ج٢، ص١٣٢.

([6]) أبو حفص المرتضى : عمر بن أبي إبراهيم إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن هو خليفة الموحدين بين عامي ٦٤٦ هـ /١٢٤٨ م و٦٦٥ هـ /١٢٦٦ م . وهو الخليفة قبل الأخير في سلسلة خلفاء الموحدين؛ إذ خلفه إدريس الواثق، الذي انطوت بمقتله صفحة دولة الموحدين، ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج٧، ص١٨ .

([7]) ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص٧٤؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٢٩٤ ؛ ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٢٣٠.

بكر بوادي إيسلي[١]عام (٦٤٧هـ/١٢٤٩م)[٢] فهزمه وفر يغمراسن باتجاه تلمسان، وكانت هذه المعركة أول لقاء عسكري مباشر بين المرينيين والزيانيين.[٣]

سيطر أبو بكر على سلا[٤]ورباط الفتح سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م، وذلك لقطع الصلة بين الموحدين وشمال المغرب الأقصى ولتسهل محاصرتهم جنوب المغرب الأقصى،[٥]ويذكر أن الموحدين قد دفعوا الجزية للمرينيين على إثر هزيمة خليفتهم المرتضى عام ٦٥٣هـ/١٢٥٥م ،[٦] و بعد موت الأمير أبي بكر حصل خلاف على من يخلفه فالعامة بايعت ابنه أبا حفص عمر (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)،[٧] أما الخاصة فمالوا لتنصيب عمه يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦-٦٨٥هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م)، وتفادياً للحرب الأهلية تنازل يعقوب عن السلطة لابن أخيه مقابل أن تكون البلاد التي أقطعه أياها أخوه أبو بكر وهي تازا وبطوية [٨]وملوية له، لكن لم تستقر الأمور وبقيت الأوضاع في اضطراب ممّا دفع يعقوب للتوجه لفاس للسيطرة عليها، ولما التقى

---

(١) إيسلي : حصن تحيط به الأسوار يقع بين أنقاد وإقليم تلمسان، أسسه الأفارقة القدامى، ليكون بمثابة حدود للمملكة كان آهلاً زمن بني عبد الواد ثم خرّب وسكنه النساك، الوزان : وصف إفريقيا، ج٢، ص١٢ ؛ كربخال : إفريقيا، ج٢،ص٢٩٣ ،٢٩٤ .

(٢) ابن أبي زرع :الروض المعطار، ص٥٨ ؛ الجيلالي : تاريخ الجزائر العام،ج٢، ص٨٠ ،٨١؛ الحريري : تاريخ المغرب، ص٢٣ .

(٣) ابن أبي زرع :روض القرطاس، ص ٢٩٥ ؛ بلعربي: الدولة الزيانية، ص١٤٣.

(٤) سلا : تقع في المغرب بينها وبين مراكش على ساحل البحر تسعة مراحل، وهي مدينة قديمة أزلية معروفة بضفة الوادي،وقد اتخذ أرباب البلد مدينة معروفة بالعدوة الشرقية، وهي المعروفة الآن بسلا الحديثة على ساحل البحر وسلا القديمة خراب أما الحديثة فهي عامرة منيعة من جهة البحر، مؤلف مجهول : الاستبصار، ص١٤٠؛ الحميري : الروض المعطار، ص٣١٩.

(٥) ابن خلدون: العبر،ج٧،ص٢٣٠؛ ابن القاضي : جذوة الاقتباس، ص ١٠٣ ؛ السلاوي : الاستقصا ،ج٣ ،ص١٧ ؛ حسن : دولة بني مرين،ص١٠٦ .

(٦) ابن أبي زرع : الذخيرة السنية،٨١ ؛ حسن : دولة بني مرين، ص١٠٧ .

(٧) أبو حفص عمر : هو عمر بن أبي يحيى بن عبد الحق أبو حفص بويع بعد وفاة والده عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م تم خلعه من قبل عمه يعقوب بن عبد الحق دامت دولته في فاس ستة أشهر وكانت دولته في مكناسة سنة وستة أشهر، ابن الأحمر : روضة النسرين، ص٦٧.

(٨) بطوية : يقع هذا الجبل شرق جبل منصور طوله خمسة فراسخ من الشرق إلى الغرب وعرضه ثلاثة من الجنوب إلى الشمال، ويزرع فيه القمح ،كما توجد قبيلة مشهورة بالريف في المغرب الأقصى باسم بطوية، وتنقسم بطوية لثلاثة بطون : بنو ورياغل، وبقوية،وأولاد علي ، كربخال : إفريقيا، ج٢،ص ٢٤٦ ؛الدارجي : القبائل الأمازيغية، ج٢، ص٧٨.

الجمعان بالقرب من وادي مكس في أحواز فاس، انفض جنود أبي حفص من حوله فتنازل عن السلطة لعمه مقابل مكناسة، فوافق دخول يعقوب فاس سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م،[1] وبعد ذلك عزم الأمير يعقوب على مهاجمة مراكش عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م، وسار حتى وصل جبل إيجليز المطل على مراكش وبالمقابل أرسل الخليفة الموحدي أبو حفص عمر المرتضى (٦٤٦-٦٦٥هـ/١٢٤٨-١٢٦٦م) جيشاً بقيادة أبي دبوس إدريس بن محمد بن عبد المؤمن (٦٦٥-٦٦٨هـ/١٢٦٦-١٢٦٩م)[2] ودارت المعركة على ضفاف وادي أم الربيع [3] انتصر فيها المرينيون وسميت هذه المعركة بأم الرجلين ،[4][5]فيما بعد لجأ أبو دبوس للأمير يعقوب في فاس ٦٦٣هـ/١٢٦٤م بعد أن أوغر أعداءه صدر المرتضى عليه ، فأمده يعقوب بخمسة آلاف من بني مرين وسار سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م في جيش جرار لمراكش فهرب المرتضى لأزمور،[6] ودخل أبو دبوس مراكش، ورفض البيعة ليعقوب، وتنكر لعهده لكنه قبل بمبايعته، عندما علم أن يعقوب ينوي حربه ولاقوة له على محاربة الجيش المريني، لكن ذلك لم يرق ليغمراسن بن زيان الذي قرر التحالف مع أبي دبوس ضد المرينيين، فتوجه الأمير يعقوب لحصار مراكش، فقامت القوات الزيانية بالهجوم على الأطراف الشرقية للمغرب الأقصى، فقرر يعقوب مواجهة يغمراسن

---

(1) ابن أبي زرع : الذخيرة السنية،ص٨٨؛ ابن خلدون: العبر، ج٧،ص٢٣٥،٢٣٤ ؛ السلاوي : الاستقصا ، ج٣، ص٢٠ .

(2) أبو دبوس إدريس بن محمد بن عبد المؤمن: كنيته أبو العلى وشهرته أبو دبوس، لأنه كان في الأندلس دائم الجهاد، لايفارق الدبوس فاشتهر به،تسمى باسمين الواثق بالله والمعتمد عليه بويع بالخلافة عام ٦٦٥هـ/١٢٦٧م، انقرضت دولة الموحدين بمقتله ٦٦٧هـ /١٢٦٨م، ابن القاضي : جذوة الاقتباس، ص١٦٢.

(3) وادي أم الربيع : نهر كبير جداً ينبع من الأطلس بين جبال عالية في حدود تادلا وناحية فاس، ويجري عبر سهول أدخسان ثم يخترق شعاباً ضيقة عليه جسر، بناه أبو الحسن المريني، ويجتاز النهر فيما وراء الجسر سهولاً من ناحية دكالة وتامسنا إلى أن يصب في المحيط قرب أزمور، الوزان : وصف إفريقيا،ج٢، ص٢٤٨.

(4)أم الرجلين : سميت كذلك لأنها دارت على ضفاف وادي أم الربيع في منطقة، تكثر بها الجزر والمفارز ويخترقها الوادي وفروعه الصغيرة بما يشبه الأرجل، ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٤٢٨ ؛ ابن أبي زرع : الذخيرة السنية،ص٩٦؛ ابن خلدون: العبر،ج٧،ص٢٣٧ ؛ الحريري : تاريخ المغرب،ص٣١ .

(5) ابن أبي زرع :روض القرطاس،ص٣٠٣؛ ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٧٢٣ ؛ السلاوي : الاستقصا ،ج٣ ، ص٢٤ .

(6) أزمور : مدينة في بلاد المغرب معناها الزيتون البري مدينة قديمة، أسسها الأفارقة على شاطئ المحيط عند مصب نهر أم الربيع،تقع في سهل رملي على بعد ثلاث فراسخ من مازغان (البريجة) في اتجاه الشرق ، كانت تحوي مايفوق ألف بيت، الحميري : الروض المعطار، ص ٥ ؛ كربخال : إفريقيا، ج٢، ص٨٧ .

بن زيان والدفاع عن حدود دولته، والتقى الجيشان في معركة عنيفة في وادي تلاغ، هزم فيها الزيانيون عام ٦٦٦هـ/١٢٦٧م[١] بعد ذلك تمت المواجهة بين المرينيين وأبي دبوس عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، وقتل أبي دبوس وتقدم المرينيون نحو مراكش، وفرّ من كان بها من الموحدين إلى تينمل ، ودخل مراكش ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م،[٢] ويعد دخول المرينيين مراكش إعلاناً رسمياً بقيام الدولة المرينية إذ تلقب سلطانهم بأمير المسلمين بعد أن كان يلقب بالأمير فقط و طويت صفحة الموحدين من التاريخ،[٣] سيطر الأمير أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦-٦٨٥هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م)[٤] على سجلماسة التي كانت بيد يغمراسن بن زيان عام ٦٧٣هـ/١٢٧٤م،[٥] وبذلك تمت له السيطرة على جميع أراضي المغرب الأقصى من وادي ملوية شرقاً حتى الأطلسي غرباً ومن المتوسط شمالاً حتى سجلماسة جنوباً،[٦] كما استنجد بني الأحمر بالمرينيين في عهد محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر (٦٢٩-٦٧١هـ/١٢٣٢-١٢٧٢م)، إذ وجه قبل وفاته نداء استغاثة للسلطان المريني يعقوب بن عبد الحق من أجل وقف الزحف القشتالي على الأراضي الأندلسية بقيادة ألفونسو العاشر (٦٦٠-٦٨٣هـ/ ١٢٦١-١٢٨٤م) ، لكن لم تتحقق الاستجابة إلا في عهد ولده محمد الثاني (٦٧١-٧٠١هـ/١٢٧٢-١٣٠١م) الملقب

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٤٣٨،٤٣٤ ؛ ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص١١٦،١١٥؛ ابن الأحمر: روضة النسرين،ص٤٩،٤٨ ؛ ابن أبي دينار : المؤنس، ص١٢٣؛ بلعربي : الدولة الزيانية، ص١٤٣.

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان،ج٧،ص١٨ ؛ ابن أبي زرع :روض القرطاس،ص٣٠٦،٣٠٧؛ ابن الأحمر : روضة النسرين،ص١٩ ؛ السلاوي : الاستقصا،ج٣ ،ص٢٦،٢٧ ؛ سالم : تاريخ المغرب، ص ٧٨١ .

(٣) الحريري : تاريخ المغرب، ص٣٥؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢، ص٥٧٠ .

(٤) يعقوب بن عبد الحق: أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق تلقب بالمنصور المريني ولد ٦٠٧هـ/١٢١٠م مؤسس الدولة المرينية تولى زعامة قومه بعد وفاة أخيه أبي يحيى بن عبد الحق ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، هزم الموحدين، ودخل مراكش عام ٦٦٨ هـ/١٢٥٩م وتلقب بأمير المسلمين، استنجد به أمراء الأندلس بني الأحمر، فعبر إلى الأندلس وهزم الإسبان بعدة معارك أهمها الدونونية توفي في الجزيرة الخضراء ٦٨٥هـ/١٢٨٥م، مؤلف مجهول : الحلل الموشية، ص١٧١؛ ابن القاضي :جذوة الاقتباس، ص٥٥٧،٥٥٦ .

(٥) ابن أبي زرع :روض القرطاس،ص٣١٢ ؛ ابن خلدون : العبر، ج٧، ص ٢٤٨ ؛ الحريري : تاريخ المغرب، ص٤٠ ؛ الشاهري (مزاحم علاوي): الحضارة العربية الإسلامية في المغرب العصر المريني، د.م، مركز الكتاب الأكاديمي، د.ت، ص ٣٥ .

(٦) العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس،ص٢٠٦، ٢٠٧ ؛ حسن : دولة بني مرين، ص١٢١

بالفقيه،[1]وذلك لأن يغمراسن بن زيان، كان يهدد شرق الدولة فأرسل يعقوب بن عبد الحق جيوشه ، وحاصر تلمسان؛ ليضمن عدم إثارته للقلاقل أثناء وجوده في الأندلس، فكانت معركة وادي إيسلي الثانية ٦٧٠هـ/١٢٧١م التي انتصر فيها المرينيون وبعدها قاموا بفك الحصار عن تلمسان والانسحاب لفاس[2] بعد ذلك تم العبور المريني للأندلس سنة (٦٧٣-٦٧٤هـ/١٢٧٤-١٢٧٥م)، ما أدى إلى تثبيت دعائم الحكم الغرناطي وتأمينها من خطر قشتالة مؤقتاً، قدم بنو الأحمر لبني مرين في المقابل بعض الثغور والقواعد جنوب الأندلس وهي الجزيرة الخضراء وطريف ورندة[3] وجبل طارق،[4]التقت الجيوش المرينية مع القشتالية عام ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م في معركة دونونة حيث انتصر المرينيون،[5] كما عبر المرينيون للأندلس لمناصرة ملك قشتالة ألفونسو العاشر ملك قشتالة ضد ولده سانشو الثائر(٦٨٣-٦٩٦هـ/١٢٨٤ -١٢٩٦م) عام ٦٨١هـ/١٢٨٢م فشعر محمد الفقيه أن التحالف يشكل خطراً عليه ، فتحالف مع سانشو ضد كل من السلطان المريني والملك القشتالي ، لكن النصر كان حليف ألفونسو العاشر،[6] وفي خطوة نحو السلام الغرناطي المريني ، قام يوسف بن يعقوب بن عبد الحق[7] بالاجتماع مع ملك

([1]) ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص١٠٠؛ ابن أبي زرع :روض القرطاس، ص٣١٣ .

([2]) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٣٠٩ ؛ الحريري : تاريخ المغرب، ص٣٩ ؛ بلعربي : الدولة الزيانية، ص١٤٥ .

([3]) رندة : تقع غرب مالقة وقد كانت من أهم القواعد الأندلسية، كما كانت من أهم مدن غرناطة، وتعتبر الحصن الذي يحمي مالقة من ناحية الغرب، ولذلك عندما سقطت رندة بيد الإسبان في ٨٩٠ه/١٤٨٥م، أضحى الطريق سهلاً لاستيلاء القشتاليين على مالقة، فسقطت بعد ذلك بأيديهم ٨٩٢هـ/١٤٨٧م وهي شرق منطقة عالية من الربى ويشقها من وسطها وادي ليبيب Guadalebin، ابن الخطيب : معيار الاختيار، ص١٣٠.

([4]) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٣١٣ ؛ حسن : دولة بني مرين، ص١٢٥ ؛ الحريري : تاريخ المغرب،ص٤٤؛ رزوق (محمد) : التدخل المريني بالأندلس، مجلة دراسات أندلسية،ع١٧، تونس، ١٩٩٧م، ص٣٧.

([5]) الحريري : تايخ المغرب،ص٤٥ ؛ رزوق : التدخل المريني بالأندلس، ص٣٨ ؛ الشاهري : الحضارة العربية، ص٥٣ ؛ حتامله : الأندلس، ص٥٦٦ .

([6]) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٣٣٨؛ ابن خلدون : العبر، ج٧، ص٢٧٠؛ مؤلف مجهول : الحلل الموشية، ص١٧٦ ؛ المقري : نفح الطيب، ج٥، ص١٢٠ ؛ حتاملة: الأندلس، ص٥٦٨

([7]) يوسف بن يعقوب بن عبد الحق : يكنى أبو يعقوب ولقبه الناصر لدين الله ولد عام ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م بويع بالجزيرة الخضراء بالأندلس عام ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م وتوفي غيلة بقصره في تلمسان عام ٧٠٦هـ/١٣٠٦، ابن الأحمر : روضة النسرين،ص٢١؛ ابن القاضي :جذوة الاقتباس، ص ٥٤٧ .

غرناطـة فـي مربلـة وتنـازل السـلطان عـن جميـع الثغـور والقواعد الواقعـة تحـت السـيادة المرينيـة والاكتفاء بالاحتفاظ بـالجزيرة الخضـراء وطريـف ورنـدة ووادي آش لضـرورات جهاديـة،[1]لكـن يبـدو أن محـاولات السـلطان المرينـي بـالتقرب مـن بنـي الأحمـر، والرغبـة فـي التفـاهم ، كانـت مـن طـرف واحد ففـي سـنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م قام ملك قشتالة سانشو الرابـع بالإغارة علـى التخـوم الأندلسـية، فهاجمـت القـوات المرينيـة شـريش وبالمقابـل قـام الفقيـه بـدعم مـن القشـتاليين بمهاجمـة أسـطبونة، وتغلب علـى حاميتهـا المرينيـة وقـام سانشـو بتسـيير أسـطوله إلـى ميـاه مضـيق جبـل طـارق بـدعم من محمد الفقيه، وسقطت طريف بيد الإسبان والغرناطيين ٦٩١هـ/١٢٩١م بعد حصارها مدة خمسة أشـهر[2] يلاحظ هنـا أن سياسـة غرناطـة المتذبذبـة تجـاه بنـي مـرين ، كانـت نتيجـة تخـوفهم علـى ملكهم، هذا مـادفعهم إلـى التعـاون مـع الإسـبان وسـقوط طريـف وغيرهـا مـن المـدن بيـد الإسـبان، ومن المرجح أن خوف بني الأحمر من بني مرين كان السبب في سياستهم تلك، و يمكن القـول أن خـوفهم كـان غيـر مبـرراً بـدليل المحـاولات المتعـددة لبنـي مـرين لكسـب ودهـم. وعنـدما تسـلم السلطان أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب (٧٠٦-٧٠٨هـ/١٣٠٦-١٣٠٨م) [3] حاول استعادة سبتة التـي كـان بنـي الأحمـر قـد اسـتولوا عليهـا فـي عـام ٧٠٥هـ/١٣٠٥م،[4] فأنشـأ مدينـة تطـوان[5] لتكـون قاعـدة للانطـلاق؛ لتخليصـها مـن السـيطرة الغرناطيـة ، إلا أنـه فشـل ولـم تسـتعاد المدينـة إلا فـي عهـد ابنـه السـلطان أبـي الربيـع سـليمان (٧٠٨هـ - ٧١٠هـ/١٣٠٨-

---

([1]) ابن أبي زرع :روض القرطاس، ص٣٧٨ ؛ ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٢٧٩؛ السلاوي : الاستقصا ،ج٣ ، ص٦٦ .

([2]) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٣٨١،٣٨٠؛ ابن خلدون : العبر، ج٧، ص٢٨٦،٢٨٥ ؛ حسن : دولة بني مرين، ص١٣٤ .

([3]) أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف : يكنى أبو ثابت، أمه بزو بنت عثمان بن الأمير محمد بن عبد الحق، بويع بعد جده أبي يعقوب عام ٧٠٦هـ/١٣٠٦م، ومات بطنجة مسموماً ٧٠٨هـ /١٣٠٨م وله أربعة وعشرون سنة وكانت دولته سنة وثلاثة أشهر، ابن الأحمر: روضة النسرين،ص٢٢ ؛ ابن القاضي : جذوة الاقتباس، ص٣٨٥

([4]) السلاوي : الاستقصا ، ج٣ ،ص٨٢ ؛ حسن : دولة بني مرين، ص١٣٧

([5]) تطوان : من القلاع والقصبات التي بناها المرينيون شمال المغرب الأقصى ومع مرور الوقت أصبحت تضم كافة المرافق المدنية والعسكرية، شرع ببناء قصبتها عام ٦٨٥هـ/١٢٨٦م واستكملت عام ٧٠٨هـ/١٣٠٨م ، غومة: النظم الحربية، ص١١٥.

١٣١٠م)[1] وذلك عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩ م.[2] وفي عهد السلطان أبي الحسن علي بن عثمان المريني (٧٣١-٧٤٩هـ/١٣٣١-١٣٤٨م)، استقبل وفداً من غرناطة أرسله محمد بن إسماعيل بن فرج بن الأحمر(٧٢٥-٧٣٣هـ/ ١٣٢٤ -١٣٣٢م)[3] سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م، ونتيجةً لهذا اللقاء انتزع جبل طارق من يد الإسبان ٧٣٣هـ/١٣٣٢م، [4]وقد هزم السلطان أبو الحسن في واقعة طريف ٧٤١هـ/١٣٤٠م،[5] وبقي بعدها موقعان تحت الإدارة المغربية على أرض الأندلس، وهما:

١- رندة: التي تنازلوا عنها للنصريين سنة ٧٦٣هـ/ ١٣٦١م .

٢- جبل طارق : الذي تنازلوا عنه سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤ م،[6] وبذلك لم يعد هناك وجود مريني بأرض الأندلس.

شهدت الدولة المرينية في أعقاب مقتل السلطان أبي عنان تحولاً كبيراً في نظامها السياسي ومن أهم عناصر التحول انتقال السلطة الفعلية في الدولة من يد السلاطين إلى يد الوزراء، حيث

([1]) أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن يوسف : بويع بعد أخيه عامر ٧٠٨هـ/١٣٠٨م خرج عليه وزيره عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي ورئيس عسكره الإفرنجي غنصالو conzalve وأعلنا خلعه وبايعا عبد الحق بن عثمان المريني، فنهض لقتالهما مع عبد الحق بناحية تازة لكنه مرض وتوفي ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس،ص٥١٤؛ الزركلي : الأعلام، ج٣، ص١٢٨ .

([2]) ابن أبي زرع :روض القرطاس،ص٣٩٣ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الرابع، ص١١٥ .

([3]) محمد بن إسماعيل بن فرج : أبو عبد الله كان لبقاً سخياً مولعاً بالصيد بويع عام٧٢٥ -٧٣٣هـ/ ١٣٢٥ - ١٣٣٣م، وهو غلام فحجبه وزيره ابن المحروق، وتغلب على ملكه، فلما كبر أمر بقتل الوزير وافتتح مدينة قبرة، ابن الأحمر: اللمحة البدرية، ص٧٧ ؛ العسقلاني : الدرر الكامنة، ج٣، ص٣٩٠ ؛ الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٣٦.

([4]) ابن الأحمر : اللمحة البدرية، ص٨٠ ؛ رزوق : التدخل المريني، ص٣٩ ؛ الشاهري : الحضارة العربية، ص٥٥ .

([5]) واقعة طريف : يطلق على هذه المعركة في المصادر العربية اسم طريف، أما الإسبانية فاسم موقعة نهر سلادو نسبة إلى نهر مجاور لمدينة طريف كما تعرف بموقعة الملوك الأربعة، ابن الأحمر : اللمحة البدرية، ص٩٥ ؛ ابن خلدون: العبر ،ج٧،ص٣٤٦ ؛ السلاوي : الاستقصا ،ج٣ ،ص١٣٧،١٣٦ ؛ الطوخي (أحمد محمد): مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، تقديم، أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧م، ص ٤٠ ؛ رزوق : التدخل المريني، ص٤٠،٣٩ .

([6]) حسن : دولة بني مرين، ص١٥٢ ؛ الحريري : تاريخ المغرب، ص١٧٣ .

أصبح السلاطين مجرد أداة بأيدي الوزراء وحكمهم أشبه بحكم صوري،[1]وبذلك خطت الدولة المرينية أولى خطواتها تجاه السقوط تزامن ذلك مع حصار الحفصيين لقسنطينة واستردادهم لبجاية، واستعادة أبي حمو الزياني لتلمسان عام ٧٦٠هـ/١٣٥٨م، [2]وبعد وفاة السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن سنة (٧٦٧-٧٧٤هـ /١٣٦٥- ١٣٧٢) أصبحت دولة بني مرين تابعة سياسياً لبني الأحمر في غرناطة، فقد استفاد محمد الخامس الغني بالله [3] ابن الأحمر من وجوده في المغرب، وعرف مواطن الضعف والقوة فيما يتعلق بالوزراء وسوء إدارتهم في هذه المرحلة من تاريخ الدولة المرينية حتى قيل فيه " **أصبح المغرب كأنه عمل من أعمال الأندلس**"[4]حيث أقام في المغرب بعدما خُلِعَ عام ٧٦٠هـ/١٣٥٩م على يد أخيه أبي الوليد إسماعيل (٧٦٠- ٧٦٢هـ/١٣٥٩-١٣٦٠م)،[5]ولجأ لسلطان بني مرين في المغرب أبي سالم

([1]) من أبرز الوزراء المستبدين بالحكم : الحسن بن عمر الفودودي الذي حجب السلطان أبا بكر السعيد بن أبي عنان واستولى على شؤون الدولة، وخاض معارك ضد منصور بن سليمان بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق على الحكم، انتهت بتولي أبو سالم المريني السلطة المرينية، كما شهدت الفترة استبداد الوزير أبو عبد الله ابن مرزوق الخطيب بالحكم زمن أبي سالم المريني ، الزركشي : تاريخ الدولتين، ص٩٩؛ ابن قنفذ : الفارسية، ص ١٨٣،١٨٤ ؛ السلاوي : الاستقصا : ج٣،ص١٠٢،١٠٣؛ الحريري : تاريخ المغرب، ص ١٥٨،١٦٤ .

([2]) الزركشي : تاريخ الدولتين، ص٩٩؛ القلقشندي : صبح الأعشى، ج٥، ص١٩٩؛ السلاوي : الاستقصا، ج٣، ص١٠٣ .

([3]) محمد الخامس : هو محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج الغني بالله، تولى الحكم بعد وفاة والده ٧٥٥هـ/١٣٥٤م، وكان لا يزال صبياً واستمرت فترة حكمه الأولى إلى غاية ٧٦٠هـ/١٣٥٩م، إذ خلعه أخوه إسماعيل لخلاف بينهما، فاستجار بأبو سالم المريني ودخل فاس ثم قتل أخوه على يد ابن عم والده محمد بن إسماعيل وهو ماشجع محمد الخامس على استعادة حكمه، فدخل الأندلس بمساعدة ملك قشتالة بطرس الأول سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م ، توفي ٧٩٣هـ/١٣٩٠م، ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص١٣٨ .

([4]) السلاوي : الاستقصا، ج٤، ص١٢؛ الحريري : تاريخ المغرب، ص ١٧١؛ حسن : دولة بني مرين، ص ١٥١ ؛ حركات (إبراهيم): المغرب عبر التاريخ عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ماقبل الإسلام إلى العصر الحاضر ، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م، ج٢، ص٦٨ .

([5]) أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج : ثار به عمه وقتله ٧٦١هـ / ١٣٦٠م، ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص١١٤،١١٦.

إبراهيم بن أبي الحسن (٧٦٠-٧٦٢هـ/١٣٥٨-١٣٦٠ م)،[١]وبعد ذلك لجأ لقشتالة ومن ثم رندة إلى أن تمكن من استرداد ملكه عام ٧٦٣هـ/١٣٦١م[٢] بعد مقتل أخيه ، راسل الغني بالله والي سبتة المريني محمد بن عثمان بن الكاس[٣] وحرضه على خلع طاعة السلطان المريني السعيد محمد ابن عبد العزيز (٧٧٤-٧٧٦هـ/١٣٧٢-١٣٧٤م)[٤] لصغر سنه، واختار الغني بالله أبي العباس أحمد بن سعيد (٧٧٦-٧٨٦هـ/١٣٧٤-١٣٨٤م)؛[٥] ليكون بديلاً عن السعيد أبي زيان بن عبد العزيز،[٦] عام ٧٧٦هـ/١٣٧٤م،[٧]وعندما ساءت العلاقة بين أبي العباس أحمد والغني بالله قام بخلعه وأرسل من عنده موسى بن أبي عنان [٨](٧٨٦-٧٨٨هـ/١٣٨٤-١٣٨٦م)

---

(١) أبو سالم إبراهيم : لقبه المستعين بالله أمه رومية اسمها قمر بويع منتصف شعبان ٧٦٠هـ /١٣٥٨م وقتل ٧٠٢هـ/١٣٠٢م وله ثماني وعشرون سنة ولد٧٣٥هـ /١٣٣٤م، ودفن بالقلعة كانت دولته حوالي سنتين وثلاثة أشهر، ابن الأحمر : روضة النسرين، ص ٣٠.

(٢) السلاوي : الاستقصا،ج٤، ص٨-٩- ١٢ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الرابع ، ص١٤١؛ حسن : دولة بني مرين، ص ١٥١ .

(٣) محمد بن عثمان بن الكاس : أصله من إحدى بطون بني ورتاجن وكان بنو عبد الحق يستعملونهم في الوزارة ، قام بوزارة أبو العباس مستبداً عليه تخلص منه المرينيون عام٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م، ابن خلدون : العبر، ج٧، ص٤٦٦.

(٤) السعيد محمد بن عبد العزيز : بن أبي الحسن علي بن عثمان المريني بويع بعد وفاة والده وهو لايزال في الخامسة ، وكفله الوزير أبو بكر غازي بن الكاس وحكم مدة سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً، وخلع واستبدل أبو العباس أحمد سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م وغرّب للأندلس، الزركلي : الأعلام، ج٦، ص٢٠٨ .

(٥) أبو العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن: لقبه المستنصر بالله أمه حرة هي نزهة بنت أبي العباس القحطاني بويع في طنجة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م وبويع البيعة التامة في المدينة البيضاء ٧٨٩هـ /١٣٨٧م انتهت دولته الأولى عندما خُلِع عام ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م وتمت له ولاية ثانية عام ٧٨٩-٧٩٦هـ/١٣٨٧-١٣٩٣م ، ابن الأحمر : روضة النسرين، ص٣٤-٣٥ .

(٦) أبو زيان ابن عبد العزيز : المستنصر بالله أمه رقية بنت أبو عنان بويع بعد خاله المتوكل على الله موسى ابن أبو عنان في رمضان ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م وخلع في شوال من العام نفسه حيث كانت دولته ثلاثة وأربعون يوماً، ابن الأحمر : روضة النسرين، ص ٣٧ .

(٧) المقري : نفح الطيب،ج٥، ص ١٠٦؛ الحريري : تاريخ المغرب، ص ١٧٣،١٧٤ ؛ الميلي : تاريخ الجزائر، ج٢، ص٤٣٦ .

(٨) موسى بن أبي عنان : يكنى أبو فارس ولقبه المتوكل على الله أمه تاملالت بويع ٧٨٩هـ/١٣٨٧م ومات مسموماً ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م وله واحد وثلاثون سنة وكانت دولته سنتين وأربعة أشهر، ابن الأحمر : روضة النسرين، ص٣٦ .

واستوزر له مسعود بن ماساي،[1] وعندما حاول بن ماساي تحريض أهل سبتة على بني الأحمر، قام ابن الأحمر بخلع الوزير وسلطانه واستبدلهم بالواثق بالله محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن الذي حكم عشرة أشهر لتتم الإطاحة به ، ويتسلم الحكم من بعده أبو العباس أحمد في ولاية ثانية من (٧٨٩-٧٩٦هـ/١٣٨٧-١٣٩٣م) بقيت العلاقة خلالها ودية مع بني الأحمر إلى أن توفي الغني بالله ٧٩٣هـ /١٣٩٠م .[2]

وانتهت الدولة المرينية مع سقوط آخر سلاطين الأسرة [3]عبد الحق بن أبي سعيد عثمان بن أبي العباس (٨٢٣-٨٦٩هـ/١٤٢٠-١٤٦٥م)،[4] ومن ثم تغلب فرع آخر من المرينيين من غير
سلالة عبد الحق، هم الوطاسيون من آل الوزير سنة ٨٧٥ هـ/١٤٧٠م على شؤون المغرب الأقصى. [5]

([1]) مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي : كان مختصاً بالأمير عبد الرحمن بن يفلوسن المريني وأقام معه في غرناطة أيام نفيه من فاس،قام ابن ماساي بأمر الدولة بعد في عهد موسى بن أبي عنان وعندما شعر أن موسى ينوي الفتك به قتله وجاء بطفل هو محمد ابن للسلطان المستنصر وأخذ له البيعة له ٧٨٨هـ /١٣٨٦م ولقبه بالمنتصر بالله، ثم خلعه و أخذ البيعة محمد بن أبي الفضل المريني ٧٨٨هـ/١٣٨٦م لكنه عندما كتب لابن الأحمر يطالب بإعادة سبتة للمرينيين أرسل ابن الأحمر أبو العباس المستنصر للمغرب ليطالب بعرشه انتقاماً منه فحاصر أبو العباس فاس وانتهى الأمر بأن يبايعه ابن ماساي على أن يبقى وزيره، فخلع الواثق وبايعه لكن أبو العباس قتله فيما بعد، الزركلي : الأعلام، ج٧، ص٢١٨ .

([2]) السلاوي :الاستقصا، ج ٤، ص٧٨ ؛ الحريري : تاريخ المغرب، ص ١٧٤،١٧٥؛ حسن : دولة بني مرين، مرين، ص١٥٥،١٥٦ .

([3]) ينظر الملحق رقم (٥) قائمة أمراء وسلاطين الدولة المرينية.

([4]) عبد الحق بن عثمان بن أحمد : يكنى أبا محمد، هو آخر سلطان مغربي من بني مرين، حكم بعد وفاة والده أبي سعيد عثمان بن أحمد بين ٨٢٥-٨٧٠هـ/ ١٤٢١-١٤٦٥م، استطاع أن يتخلص من أقربائه الوطاسيين بعد أن أقام لهم مذبحة كبيرة سنة٨٥٥هـ/ ١٤٥٨م، جعل السلطان عبد الحق هارون بن بطاش اليهودي على رئاسة دولته، الأمر الذي ساء أثره في المسلمين، فثار سكان فاس على السلطان، وتزعم الفقهاء الثورة الشعبية، وقتلوه سنة ٨٧٠ هـ / ١٤٦٤م، وبايعوا الشريف الإدريسي محمد بن علي العمراني الجوطي، ابن القاضي :جذوة الاقتباس، ص٣٨٨ ؛ السلاوي : الاستقصا،ج٤،ص١٠٠،٩٥؛ الحريري : تاريخ المغرب، ص١٨٧ .

([5]) السلاوي : الاستقصا، ج٤، ص١١٨،١١٧ ؛ سالم : تاريخ المغرب، ص ٧٨٦ ؛ الميلي : تاريخ الجزائر،ج٢، ص٤٢٠ .

٦- دولة بنو الأحمر في غرناطة (٦٢٩-٨٩٧هـ/ ١٢٣٢-١٤٩٢م) :

تعد دولة بنو الأحمر أو دولة بنو نصر أو مملكة غرناطة المعقل الأخير للمسلمين في الأندلس، ينتسب ملوك بني الأحمر أو بني نصر لمؤسس دولتهم محمد بن يوسف بن أحمد بن حسين بن نصر بن قيس الأنصاري ، والذي عرف بالشيخ وهو كبيرهم إلى نهاية دولة الموحدين فسميت الدولة باسمه[١] و عرف محمد بن يوسف الأحمر نسبة لجده عقيل الذي كان أشقر الشعر مائلاً للحمرة ، وقد اتخذ بنو الأحمر هذا اللون (الأحمر) شعاراً لدولتهم ، ويظهر ذلك جلياً في مختلف مظاهر حياتهم من قصور وقباب وأعلام ورايات وظهر هذا اللون حتى في أوراقهم التي كتبت عليها الرسائل السلطانية،[٢] وترفع المصادر التاريخية نسب ابن الأحمر سيد الخزرج سعد ابن عبادة بن الصامت الخزرجي،[٣]ولعلّ ذلك لرفع مكانة الأسرة الحاكمة ولتلقى القبول والتأييد بين الناس .

قد كان العامل الأساسي لظهور هذه الدولة على مسرح الأحداث الأندلسية، ضعف الموحدين وتصاعد هجمات الإسبان على المدن الأندلسية التي أخذت تتهاوى الواحدة تلوى الأخرى، وفي هذه الظروف العصيبة خرج محمد بن يوسف بن الأحمر(٦٢٩ – ٦٧١هـ/ ١٢٣١-

---

(١)ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) : رقم الحلل في نظم الدول، تونس، المطبعة العمومية، ١٨٠١م، ص١١٥، سيتم ذكر المصدر باسم ابن الخطيب : رقم الحلل ؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٢١٨؛ الطوخي : مظاهر الحضارة، ص ٢٨ .

(٢) حسن : دولة بني مرين، ص٨١؛ عبد القادر (بو حسون) : الأندلس في عهد بني الأحمر دراسة تاريخية وثقافية ٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م، رسالة دكتوراه، تلمسان، جامعة أبو بكر بلقايد، ٢٠١٢-٢٠١٣م، ص٢٥ .

عبد القادر : الأندلس في عهد بني الأحمر، ص٢٥ .

(٣) عبادة بن الصامت : عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري السالمي يكنى أبو الوليد، آخى رسول الله بينه وبين أبي مرثد الغنوى، وقد شهد بدر وأرسله عمر بن الخطاب معلماً إلى الشام، وأقام في حمص، ثم انتقل إلى فلسطين، حيث توفي ٣٤هـ/ ٦٥٤م وعمره ٧٢ سنة، ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله بن محمد ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) : الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح، علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل،١٩٩٢ م، ص٨٠٧،٨٠٨ ، سيتم ذكر المصدر باسم ابن عبد البر : الاستيعاب ؛ ابن الخطيب : رقم الحلل، ص١١٥؛ المقري : نفح الطيب، ج١، ص٤٤٧ .

١٢٧٢م) بعدما اجتمع عليه الأهل والأنصار في مدينة أرجونة،[١]وبويع بالإمارة سنة ٦٢٩هـ /١٢٣١م ، ودعا لصاحب إفريقيا أبي زكرياء الحفصي[٢] وبعد وصول التقليد العباسي لابن هود، بايعه ابن الأحمر لكن سرعان ما خلع البيعة ٦٣٥ه/١٢٣٨م، دخل مدينة غرناطة وبايعه أهلها، فاتخذها عاصمة لدولته الناشئة واضعاً بذلك الركن الاساسي لدولة بني الأحمر،[٣] ومن ثم انتزع المرية من يد حاكمها أبي عبد الله محمد بن الرميمي،[٤] وبعث أهالي مالقة بسفارة إلى ابن الأحمر عام ٦٣٦هـ/١٢٣٩م لمبايعته[٥] وكان استيلاء ابن الأحمر على هذين المينائين المهمين " المرية ومالقة " من أكبر العوامل التي ساعدته على تدعيم دولته الناشئة لما لهما من أهمية كبيرة في المجالين التجاري والبحري، وقام بمهادنة قشتالة عام ٦٤٣هـ/١٢٤٥ لمدة عشرين عاماً على أن يحكم أراضيه باسم ملك قشتالة فرناندو الثالث وأن يؤدي له الجزية، ويعاونه في حروبه وأن يشهد اجتماع مجلس البلاط القشتالي بوصفه أميراً تابعاً للعرش القشتالي ، إذ شارك نتيجة الهدنة ابن الأحمر ملك قشتالة في حصاره لإشبيلية حتى سقطت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م،[٦]وفي عهد أبي عبد الله محمد بن محمد الثاني الفقيه (٧٠١-٧٠٨هـ/١٣٠١-١٣٠٨م)،[٧] أخذ مدينة سبتة من يد أصحابها بني العزفي وبعث بهم إلى غرناطة ممّا أدى

---

(١) عبد القادر: الأندلس في عهد بني الأحمر، ص٢٨.

(٢)ابن الخطيب: اللمحة البدرية،ص٣١؛ ابن خلدون : العبر، ج٤، ص٢١٨ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٤٢؛ بن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص ٦٠ ؛ ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص٣٥ .

(٤) محمد بن الرميمي : هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن يحيى الرميمي، وأصل بنو الرميمي من بني أمية أمراء الأندلس وخلفائه، وينتسبون إلى رميمة من أعمال قرطبة استوزره ابن هود، ويقال أن ابن هود قد لجأ إليه،حيث قتله في المرية ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م، ابن الأبار : الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٨،٢٥٢ ؛ ابن الخطيب : الإحاطة، ج٢، ص٤١٥ .

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٤٩ ؛ النباهي : المرقبة العليا، ص ١١٣،١١٤ ؛ الطوخي : مظاهر الحضارة، ص٣٠ .

(٦)ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٨٤ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الرابع، ص١١٣.

(٧) محمد بن محمد بن يوسف بن نصر : ثاني ملوك بني نصر، بويع بعد أبيه نازل مدينة قيجاطة وفتحها عام ٦٩٥هـ/١٢٩٥م وذلك بعد وفاة سانجه ابن ألفونسو ونازل مدينة القبذاق وهي من نواحي قرطبة وأخذها عام ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م، ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص٣٩،٣٧ .

لتدهور العلاقة بين غرناطة وفاس، [١] كما وتحالفت قشتالة وأراغون لغزو غرناطة في آن واحد، على أن تقوم الجيوش القشتالية بمهاجمة الجزيرة الخضراء من الجنوب ، بينما تهاجم الأساطيل الأراغونية مدينة المرية من الشرق ، ثم يتقابل الجيشان في غرناطة العاصمة[٢] وحين علمت غرناطة بذلك قام أبو الجيوش نصر بن محمد الفقيه (٧٠٨-٧١٣هـ/ ١٣٠٨- ١٣١٣م)،[٣] بإجبار السلطان محمد على التنازل عن الحكم كما وقضى على الوزير محمد ابن الحكيم الرندي [٤] المستبد بالحكم زمن السلطان محمد أنذاك،[٥]ولكن لم تكن أيام أبي الجيوش نصر أفضل حالاً، إذ كانت بحسب المؤرخين " **أيام نحسٍ مستمر شملت المسلمين فيها الأزمة** "،[٦] فقد قام ملك قشتالة باحتلال الجزيرة الخضراء وجبل الفتح عام٧٠٩هـ /١٣٠٩م،[٧]الذي تمت استعادته عام ٧٣٣هـ/١٣٣٢م بالتعاون بين محمد بن إسماعيل بن الأحمر وأبي الحسن المريني،[٨]وحصلت ثورة أبي سعيد فرج بن إسماعيل صاحب مالقة على أبي الجيوش وذلك بسبب مهادنته لقشتالة، ودفعه الجزية لهم واستولى على المرية وبلش وبعض القواعد الجنوبية، وانضم الساخطون في غرناطة لأبي سعيد في المرية على إثر فشل ثورتهم عليه عام ٧٠٩هـ /١٣١٠م فتوجه أبو سعيد

---

(١) ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص٥٣ ؛ ابن خلدون : العبر، ج٤، ص ٢٢٨، ٢٢٩ ؛ الطوخي : مظاهر الحضارة، ص٣٤ .

(٢) العبادي : دراسات في تاريخ المغرب، ص٤٠٨ ؛ الطوخي : مظاهر الحضارة، ص٣٤.

(٣) أبو الجيوش نصر بن محمد الفقيه : رابع ملوك الدولة النصيرية، ولد ونشأ بغرناطة تواطأ على خلع أخيه محمد وولي الأمر بعده سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م، ثار عليه ابن عمه إسماعيل بن فرج، واستولى على الحكم٧١٣هـ/١٣١٣م وانتقل لوادي آش عام ٧١٥هـ/ ١٣١٥م ثم عاد للثورة على إسماعيل بن فرج، مستعيناً بالإسبان، فحصلت معركة فرتونة التي كبدت المسلمين خسائر فادحة، ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص ٥٧ ؛ العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٤، ص٣٩٢ ؛ الزركلي : أعمال الأعلام، ج٨، ص٢٨.

(٤) ابن الحكيم الرندي : أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم اللخمي الرندي وزير أندلسي، له نظم ونثر، كان أسلافه في إشبيلية يعرفون ببني فتوح ، وانتقل من رندة إلى غرناطة، فاستكتب ديوانها، ثم قلده محمد المخلوع الوزارة والكتابة فسمي ذي الوزارتين، العسقلاني : الدرر الكامنة، ج٣، ص٤٩٥ ؛ المقري : أزهار الرياض، ج٢، ص٣٤٧،٣٤٠؛ الزركلي : الأعلام، ج٦، ص١٩٢ .

(٥) عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الرابع ، ص ١١٣ .

(٦) ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص٥٧ .

(٧) ابن الخطيب : اللمحة البدرية،ص٦٢ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الرابع، ص ١١٥؛ الطوخي : مظاهر الحضارة، ص٣٥ .

(٨) ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص٩٣،٩٢؛ السلاوي : الاستقصا،ج٣، ص١٢١، ١٢٢؛ حتاملة : الأندلس، ص٥٧٩ .

للعاصمة ، والتقى مع أبي الجيوش نصر، إذ هزمه وهرب لوادي آش حيث توفي فيما بعد عام ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م، وتولى الحكم ابن أبي سعيد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل (٧١٣-٧٢٥هـ/١٣١٣-١٣٢٤م)[1] الحكم بعد أبي الجيوش نصر (٧١٣-٧٢٥هـ/ ١٣١٣-١٣٢٤م)،[2] وفي عهده توفيت الملكة ماريا دي مولينا Maria de Molina [3] جدة الملك القاصرألفونسو الحادي عشر والوصية على العرش، ممّا أدى لنزاعات بين أمراء قشتالة على العرش، فاستغل أبو الوليد إسماعيل الوضع و قام بالاستيلاء على بعض المدن القشتالية مثل بسطة[4]وإشكر [5]حيث استخدم الغرناطيون المدفع لأول مرة عند منازلتهم المدينة الأخيرة،[6]وفي عهد محمد الخامس بن يوسف بن إسماعيل بن فرج الغني بالله تمت استعادة الجزيرة الخضراء من أيدي القشتاليين عام ٧٧٠هـ/١٣٦٩م وذلك بالتعاون مع سلطان المغرب عبد العزيز بن أبي

---

(١) إسماعيل بن فرج بن إسماعيل : أبو الوليد الغالب بالله خامس ملوك دولة بني نصر كانت لأبيه ولاية مالقة وسبتة فتولاهما بعده وكان بغرناطة أبو الجيوش نصر، فثار عليه، وتملك غرناطة ٧١٣هـ /١٣١٣م، وأراد بطرس الأول بن ألفونسو الحادي عشر استغلال الفتنة في الأندلس، فأغار على حصون غرناطة، وحصلت عدة وقائع بينه وبين أبو الوليد إسماعيل انتهت عام٧١٧هـ/١٣١٧م بمقتل بطرس، اغتاله ابن عمه محمد بن إسماعيل بغرناطة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م ، ابن الخطيب : اللمحة البدرية،ص٦٥ ؛ الزركلي : الأعلام، ج١، ص٣٢١.

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة، ج١، ص٧٥٠ ؛ ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص٦٤،٥٧ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الرابع، ص ١١٦؛ عطيات (أحمد محمد) : الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش، عمان، أمواج للطباعة، ٢٠١٢م، ص٣١ .

(٣) ماريا دي مولينا : هي ماريا ألفونسو تليز دي مينيزيس ٦٦٤-٧٢١هـ/ ١٢٦٥- ١٣٢١م هي ملكة قشتالة وليون قرينة بزواجها من سانتشو الرابع بين عامي٧١٢-٧٢١هـ/ ١٣١٢-١٣٢١م ، وبعدها شغلت منصب وصية على العرش على ابنه فرناندو الرابع٦٩٥-٧٠١هـ/ ١٢٩٥- ١٣٠١ م على حفيدها ألفونسو الحادي عشر٧١٢-٧٢١هـ/ ١٣١٢-١٣٢١م أيضاً هي ابنة ألفونسو دي مولينا ومايور ألفونسو دي مينيزيس، هي حفيدة ألفونسو التاسع ملك ليون والملكة برينغيلا من قشتالة من ناحية والدها .

Rosell (Cayetano): Crónicas de los reyes de Castilla: Desde don Alfonso el Sabio, hasta los católicos don Fernando y doña Isabel, Madrid, Cárlos Bailly-Baillier,p:165

(٤) بسطة : مدينة في الأندلس بالقرب من وادي آش وهي متوسطة المقدار حسنة الموضع عامرة آهلة حصينة ولها سور، الحميري : الروض المعطار، ص١١٣.

(٥) إشكر : بالكسر وراء ساكنة مدينة في شرق الأندلس، الحموي : البلدان، ج١، ص١٩٩.

(٦) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ،ص٧٢ ؛ الطوخي : مظاهر الحضارة،ص٣٦.

الحسن المريني (٧٦٧-٧٧٤هـ /١٣٦٥-١٣٧٢م)[١]و بعد وفاة محمد الخامس ٧٩٣هـ/١٣٩١م تعاقب على حكم غرناطة عدد من السلاطين الضعفاء، وقاست المملكة الكثير من الدسائس والفتن فقد تعاقب على حكمها خلال القرن ٩هـ/١٥م اثنا عشر سلطاناً،[٢] ونتيجة للثورات المتكررة والانقلابات السياسية كان السلطان نفسه يحكم ويخلع ثم يعود للحكم مراراً ما أدى لسوء الأوضاع الداخلية إلى أن سقطت غرناطة بيد الإسبان ٨٩٧هـ/١٤٩٢م[٣].

كانت هذه لمحة متكاملة إلى حد ما عن الوضع السياسي المغربي الأندلسي في هذه الفترة الزمنية الطويلة، وبالطبع هنالك أحداث كثيرة قامت في هذه المرحلة ولم يتم التوسع في هذا المبحث لأنّ الغاية تقتصر على توضيح القوى السياسية التي كانت تحرك الأحداث في هاتين المنطقتين .

---

(١) ابن خلدون العبر ،ج٧، ص ٤٣٥ ؛ السلاوي : الاستقصا،ج٤،ص٥٦ ؛ حتامله : الأندلس،ص٥٨٩ ؛ فرحات(يوسف شكري) : غرناطة في ظل بني الأحمر، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٣م، ص٤٨ .

(٢) ينظر الملحق رقم (٧) قائمة سلاطين بني الأحمر .

(٣) الطوخي : مظاهر الحضارة، ص٤٢،٤٦ .

ثالثاً – تعريف المجاعة والوباء :

أ- تعريف المجاعة :

تعددت المصطلحات التي أطلقت على لفظ المجاعة ، وإن كانت جميعها تدل على مفهوم واحد مرتبط بنقص الغذاء أو عدمه فقد كانت ظاهرة اقتصادية اجتماعية ، عانت منها مختلف الحضارات على مر الزمان، فما هو مفهوم المجاعة في اللغة ؟وكيف عبرت عنها مختلف المصادر التاريخية ؟.

١ -المجاعة في اللغة :

المجاعة هي مفعلة من الجوع ،ومن الفعل جاع يجوع ،فهو جائع وجوعان ،والجوع نقيض الشبع ، [١] والمسغبة أيضاً تعني المجاعة وقد جاء في قوله تعالى:" **أو إطعام في يوم ذي مسغبة**"[٢] أي المجاعة،[٣] يقال :"**سغب الرجل يسغب، وسغب يسغب سغباً**"، والسغبة :الجوع ، وقيل الجوع مع التعب، وربما سمي العطش سغباً وليس مستعملاً.[٤] ويطلق على المجاعة أيضاً مصطلح الأُلبةُ: وهي مأخوذة من التألب والتجمع، لأن الناس يجتمعون في المجاعة ويخرجون أرسالاً، ويقال للجوع أيضاً الخويةُ: وأصابتهم خوبة: أي مجاعة، ولفظ الخوبة يطلق أيضاً على الأرض التي لم تمطر بين أرضين ممطورتين، وقيل الخوبة وهي الأرض التي لم تمطر ،[٥]ويقال

---

(١) الجوهري (إسماعيل بن حماد ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م) : الصحاح تاج اللغة والصحاح العربية، تح، أحمد عبد الغفور عطار، ط٣، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م، ج٣، ص١٢٠١، سيتم ذكر المصدر باسم الجوهري : الصحاح ؛ ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم٧١١هـ/١٣١٢م): لسان العرب،تح، عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، القاهرة، دار المعارف، د.ت ،ص٧٢٧،٧٢٨، سيتم ذكر المصدر باسم ابن منظور لسان العرب؛ الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ/١٤١٤م) : القاموس المحيط، بيروت، دار العلم للملايين، د.ت، ج٣، ص١٥، سيتم ذكر المصدر باسم الفيروز آبادي : القاموس المحيط .

(٢) القرآن الكريم : سورة البلد، الآية (١٤).

(٣) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) : تفسير الإمامين الجلالين، بيروت، دار المعرفة، د.ت، ص٨٠٨ .

(٤) الجوهري :الصحاح ، ج١، ص١٤٧؛ ابن منظور : لسان العرب،ص١٩٢٧.

(٥) الجوهري : الصحاح،ج٢، ص١٢٣ ؛ ابن منظور: لسان العرب، ص١٢٨٣.

للمجاعة الشدة وشدّة العيش :شظفه، والإنفاض :يعني المجاعة والحاجة، أما الخصاصة فهي الخلّة والفقر، وذو خصاصة : ذو فقر. (١)

وأطلق على السنة التي تحدث فيها المجاعة تسميات عديدة، كالسنة الغبراء ،وسنة لزبة :أي شديدة، وهي السنة التي يكون فيها القحط، وكذلك السنة الحمراء أي السنة الشديدة الجدب لأن آفاق السماء إنما تحمر في سني الجدب والقحط ، والسنة الشَّهباء : إذا كانت بيضاء من الجدب، لا يُرى فيها الخضرة، وقيل هي بيضاء لكثرة الثلج وعدم وجود نبات . (٢)

---

(١) ابن منظور: لسان العرب،ص٤٥٠٥،١١٧٣

(٢)الجوهري : الصحاح، ج٣، ص١١٥٠ ؛ ابن منظور: لسان العرب، ص ٢٣٤٦.

٢ – المجاعة في المصادر التاريخية :

إن لفظ مجاعة لم يكن موحداً ومعتمداً في كافة المصادر التاريخية حيث اختلف اللفظ واستعملت مرادفات أخرى للكلمة، حيث استعملت مصادر التاريخ السياسي لفظ "المجاعة" ،فالمجاعة في نظرها لم تكن سوى أزمة اقتصادية، تندرج ضمن الأحداث التي مرت بها الدولة في ظل حكم سلطان ما ثم تذكر جهوده في تجاوزها، وغالباً ما تذكر هذه المصادر المجاعة مقرونة بالغلاء والاحتكار في زمن خليفة ما لتنتهي المجاعة ويعود الرخاء عند تسلم خليفة أخر للحكم أو تسلم دولة جديدة يكون صاحب المصدر موالي لها، فقد يستنتج من ذلك أن المصادر التاريخية السياسية وجدت للتأريخ للبشرية من أعلى هرمها لا من أسفله أي التأريخ للطبقة الحاكمة وتمجيدها ومحاباتها.

أما في كتب التراجم والمناقب المؤلفات المنقبية فقد تطرق لموضوع المجاعات عند الحديث عن وفاة الشخصية المترجم لها أو حياته وأعماله أو عند طلب الاستسقاء جراء القحط والمجاعة والكرامات المرافقة لذلك، كإحلال البركة في الطعام القليل ليكفي الناس ، وأحياناً أهملت كتب المناقب سنة المجاعة في مقابل اهتمامها بكرامات الولي خلالها وأدواره الاجتماعية ، وفي مقدمتها توزيع الطعام .

والمصادر الفقهية وكتب النوازل ذكرت المشاكل الجديدة التي طرأت على المجتمع جراء المجاعات و عرضت على الفقهاء، حيث تحل المصادر الفقهية تلك المشاكل من وجهة نظر دينية.

ب – **تعريف الوباء :**

كانت الأوبئة مرافقة للمجاعات أو تأتي عقبها في كثير من الأحيان، إذ كان للوباء دوراً كبيراً في معاناة المجتمع وتهديد حياة الإنسان. فما هو مفهوم الوباء من وجهة نظر اللغة والطب؟ وماهو الفرق بين الوباء والطاعون؟ وكيف نظرت المصادر التاريخية للأوبئة ؟

١- الوباء في اللغة :

الوباء في اللغة هو كل مرض عام (يمد أو يقصر)، وجمع المقصور أوباء ،وجمع الممدود أوبئة ،وقد وبئت الأرض توبأ فهي موبوءة إذا كثر مرضها ،وكذلك وُبئت تَوبأ وَبَاءة فهي وبئة ووبيئة على فَعلة وفَعيلة وأوبأت أيضاً فهي موبئة واستوبأت الأرض، وجدتها وبيئةً[١] .

ويطلق على الوباء مرادفات أخرى كالقرف، فيقال : احذر القرف في غنمك، وقيل القرف هو العدوى، فأقرف الجرب الصحاح : أعداها.[٢]

٢-الوباء في الطب :

أما الوباء من وجهة نظر الطب في الفترة المدروسة ، فقد أطلق اسم الوباء على تفشي الأمراض المعدية التي تصيب أهل بلد من البلدان، وتشمل أكثرهم في آن واحد [٣] ،وخاصة وأن الناس جميعهم يشتركون في استعمال الهواء الذي يستنشقونه؛ ولهذا إذا فسد الهواء عم المرض ذلك الموضع أو عم أكثرهم .[٤]

---

(١) الجوهري : الصحاح، ج١، ص٧٩؛ ابن منظور : لسان العرب، ص٤٧٥١.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، ص٣٥٩٩ .

(٣) ووكر (ريتشارد) : الأوبئة والطاعون، تر، ابن العماد للترجمة، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، د.ت، ص٦١ .

(٤) ابن زهر(أبو مروان بن أبي العلاء بن عبد الملك ت٥٢٥هـ /١١٣٠م): كتاب الأغذية، تح، أكسيراتيون غاريتا، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، ١٩٩١م، ص١٣، سيتم ذكر المصدر باسم ابن زهر : الأغذية.

٣-الفرق بين الوباء والطاعون :

لقد استعمل مصطلح الوباء والطاعون في المصادر التاريخية من دون التفريق بينهما، وهو الأمر الذي ألقى على عاتق المؤرخ تشخيص نوع المرض الوبائي لأي فترة زمنية يحدث فيها،[١]على أن مفهوم الوباء في الاصطلاح العلمي أشمل وأعمّ من مرض الطاعون، فكل طاعون وباء ولكن ليس كل وباء طاعوناً[٢] ،أي أن الوباء يمكن أن يشمل أمراضاً عديدة من بينها الطاعون ، الذي يعرف بأنه نوع من الأمراض التي تحدث في الزمن الوبائي[٣]، وهو مرض بكتيري حاد ،وهناك من يعرفه بأنه مادة سمية تحدث ورماً قاتلاً، وصفته المصادر بأنه" حمى خبيثة دائمة عن سوء مزاج قلبي بسبب تغير الهواء عن حالته الطبيعية إلى الحرارة والرطوبة ، مهلكة في الغالب يتبعها كرب وعرق غير عام لايعقب راحة ولاترتفع عقبة حرارة "،[٤] وهو على ثلاثة أصناف :

أ- **الطاعون العقدي أو الدملي:** يعاني فيه المصابون من آلام مبرحة وحمى وأورام سوداء في موضع التقاء الفخذين بالجسم والإبطين والغدد اللمفاوية يؤدي المرض لتقيؤ الدم الأسود وإسوداد الجلد بسبب النزيف الداخلي، وتحدث الوفاة خلال بضعة أيام، ونادراً ما نجى المصابون ،ومن هنا عد الطاعون الدملي هو الموت الأسود وتعود تسمية الدملي؛ لكونه يحدث انتفاخات على أجساد ضحاياه ، يعاني المصاب من تضخم الغدد اللمفاوية وتصبح ورماً مؤلماً والحمى والصداع والإعياء الشديد والقشعريرة .[٥]

---

(١) مجموعة من المؤلفين :الديمغرافية التاريخية في تونس والعالم العربي، تونس، دار سراس، ١٩٩٣م، ص٣٧ ؛ خليلي (بختة) : الفقر بالمغرب الإسلامي مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين ق١٣-١٥م واقعه وآثاره، رسالة دكتوراه، الجزائر، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، ٢٠١٥-٢٠١٦، ص٢٥٩ .

(٢) محمود(علي السيد علي) : الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي دراسة مقارنة بين الشرق والغرب، مصر، جامعة القاهرة، د.ت، ، ص١٤٩-١٥٠.

(٣) الأنطاكي (داوود عمر ت ١٠٠٨هـ/١٥٩٩م): بغية المحتاج في المجرب والعلاج، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠١م، ص٣٣٥ .

(٤) محمود : الفناء الكبير، ص١٣٠.

(٥) المقريزي: السلوك ،ج٢، ص٣٢١ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢،ص٣٥٢،٣٥٠ ؛ ابن تغري بردي (يوسف جمال الدين أبو المحاسن ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر،

ب – **الطاعون الرئوي**[١]: يحدث هذا الطاعون نتيجة إصابة الرئتين ببكتيريا الطاعون عن طريق الاحتكاك المباشر مع الحيوان أو الإنسان المصاب والإصابة به، تستلزم احتكاكاً قريباً أو مباشراً(نحو ستة أقدام) من الإنسان أو الحيوان المريض، يعاني المصابون بهذا النوع من الطاعون الحمى والقشعريرة وصعوبة التنفس والبلغم الدموي. [٢]

ج– الطاعون الدموي أو التسممي(طاعون تلوث الدم)[٣] : يحدث عن طريق تلوث الدم بميكروب الطاعون، إما عن طريق العض بالبرغوث المصاب أو بسبب مضاعفات الطاعون الدملي أو الرئوي، يعاني المصابون به من الحمى والقشعريرة والإعياء وألم في البطن ونزيف تحت الجلد وداخل الأعضاء. [٤]

لم يكن الطاعون المرض الوبائي الوحيد المنتشر، بالإضافة إليه وجد الجذام والجدري والحصبة وذات الرئة والذبحة، فالجذام يأتي بعد الطاعون من حيث الخطورة ، ويعرف الجذام بأنه مرض معد مزمن تسببه المتفطرة الجذامية ،ويصيب الجذام الجلد بشكل رئيس،والأعصاب المحيطية ومخاطية المسالك الهوائية العليا والعينين وغير ذلك من أماكن الجسم، وقد كان هناك أطباء يصفونه بالعلة الكبرى. [٥]

وزارة الثقافة، ١٩٦٣م، ج١٠، ٢٠٤، سيتم ذكر المصدر باسم ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ؛ محمود : الفناء الكبير ص١٥٥ ؛ ووكر : الأوبئة والطاعون، ص٢٧، صلاح (محمد حمزة محمد): الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر ٤٩١ – ٩٢٣هـ/١٠٩٧–١٥١٧م، رسالة ماجستير، غزة، الجامعة الإسلامية ، ٢٠٠٩م، ص ١٩ .

(١) ابن خلدون : المقدمة، ص ٢٨٢ .

(٢) محمود : الفناء الكبير، ص١٥٣؛ السبعاوي (علي عبد الله صالح) : الأوبئة والكوارث الطبيعية وأثرها على مصر خلال العصر المملوكي ٦٤٨–٩٢٣هـ/١٢٥٠–١٥١٧م رسالة ماجستير، د.م، جامعة آل البيت،٢٠١٥م ، ص ٣٤ ؛ صلاح : الكوارث الطبيعية ، ص ٢٠ .

(٣) محمود : الفناء الكبير،ص١٥١ .

(٤) السبعاوي : الأوبئة والكوارث الطبيعية، ص٣٤ .

(٥) ابن زهر (أبو مروان عبد الملك ت ٥٥٧ هـ/١١٦٢م) :التيسير في المداواة والتدبير، تح، محمد بن عبد الله الروداني، المملكة المغربية، مطبوعات أكاديمية سلسلة التراث، د.ت، ص٣٧٨؛ بوتشيش (إبراهيم القادري) : المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع الذهنيات الأولياء، بيروت، دار الطليعة،١٩٩٣ م، ص١٠٢–١٠٣ .

و الجدري هو مرض تلوّثي يسببه فيروس يدعى فاريولا (Variola). ويعد مرض تلوثي معدٍ ينقل من شخص إلى آخر، و من بين الأعراض التي يتميز بها هذا المرض : الطفح الجلدي على شكل فقاعات سوداء مليئة بسائل كدر (من يأتي الاسم " الجدري الأسود").

وكان من السائد الاعتقاد أن السبب في الحصبة والجدري هو غذاء الجنين في بطن أمه من دم الحيض .(١)

والجرب من الأمراض الوبائية وساد الاعتقاد في الفترة المدروسة (٦-٨هـ/١٢-١٤م) أن سببه يرجع للإكثار من أكل الزيتون والجوز وغيرها من الأطعمة الخشنة(٢) ومن الأمراض الأخرى

التي انتشرت في الفترة المدروسة الجرب،(٣) والبرص،(٤) والشناج،(٥)والعقم(٦) وبعض الأمراض النفسية كالصرع والجنون .(٧)

---

(١) ابن زهر : الأغذية، ص٣٧٠ .

(٢) الوزان :وصف إفريقيا، ج١، ص ٨٣ .

(٣) ابن قزمان : ديوان ابن قزمان، ص٧٤ .

(٤) ابن رشد (أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) :فتاوى ابن رشد، تح، المختار بن الطاهر التليلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٧م، ج١، ص١٤٥ .

(٥) ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة ت ٦٦٨ه / ١٢٦٩م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح، عامر النجار، القاهرة، دار المعارف، د.ت، ج٢،ص١٠٨، سيتم ذكر المصدر باسم ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء .

(٦) مؤلف مجهول: الاستبصار، ص٢١٩.

(٧) العزفي (أبو العباس أحمد بن محمد اللخمي ٦٣٣م / ١٢٣٥م) : دعامة اليقين في زعامة المتقين مناقب الشيخ أبي يعزى، تح، أحمد التوفيق، المغرب، مكتبة خدمة الكتاب، د.ت، ص ١١٣،١١٥، سيتم ذكر المصدر باسم العزفي : دعامة اليقين .

٤-الوباء في المصادر التاريخية :

تباينت وجهات نظر المؤرخين حول الوباء، فالمصادر التاريخية ذات طبيعة وقيمة مختلفة من كتب التاريخ العام والجغرافية والرحلات والنوازل والتراجم ، فكتب التاريخ العام ذكرت الأوبئة في سياق اهتمام عام بما هو استثنائي وغريب، وبما يعكر السير الطبيعي للأحداث فذكرت الوباء كأحد العوارض التي تحدث أواخر عمر الدولة ، فقد شكل موضوع الوباء ومايتبعه من موت وتراجع في عدد السكان حدثاً مهماً، وجاء الطاعون الأسود ليطبع بالخصوص كتابات مؤرخي الحقبة المرينية، ولو بشكل عفوي وهو ماجعلهم يعيشون فترة ترقب وخوف غير أن هذا الطاعون، كسابقيه لم يشكل دافعاً لديهم للحديث عن آثاره المدمرة ونتائجه الاقتصادية، بما في ذلك ابن خلدون الذي شكل لديه الطاعون حافزاً وباعثاً على كتابة مؤلفه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر". أما المؤرخون ففقد مروا عليه بشكل سريع وغير دقيق ، وقد يعود صمت المؤرخين عن التفصيل في الطاعون الأسود خلال الفترة المدروسة مابين القرنين (٦-٨هـ/١٢-١٤م) أنهم كانوا يعدونه رحمةً بالنسبة للمسلمين ، اعتماداً على ما ورد من الأحاديث النبوية ، وأن ضحاياه في منزلة الشهداء [١].

وكانت المجاعات والأوبئة تثير اهتمام الجغرافيين والرّحالة وتجعل أصحاب هذه المؤلفات يصفون بعض المخلفات السلبية لهذه الكوارث على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية .

أما عن الوباء في المصادر الفقهية فهي تتعرض لذكر الوباء من خلال الإشكاليات الجديدة التي تتولد عنه كظرف طارئ غير اعتيادي ،مثل المشاكل التي أحدثها اختلاط المجاذيم مع العامة والإرث والديون والعدوى والفرار هرباً من الطاعون وغيرها من الظواهر الاجتماعية المرافقة للطاعون .

---

(١) البخاري(محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ت٢٥٩ هـ/٨٧٣م) : صيحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه مع حاشية السهانفوري وحاشية السندي، د.م، مؤسسة البشري، ٢٠١٦م، ص٢٣٣.

وكتب التراجم والمناقب فقد ركزت على ذكر سنة الوباء في ثنايا الحديث عن وفاة عالم أو صالح، أو ضمن الحديث عن الكرامات العلاجية للأولياء من دون ذكر إنعكاس الطواعين على الأنشطة الاقتصادية، وهذا أمر طبيعي إذا عُلم أن الحديث عن المجاعات والأوبئة لم يكن من دواعي التأليف في التراجم والمناقب .

أما المصادر الطبية فقد اهتمت بالوباء من وجهة نظر علمية من حيث المسببات والأعراض وطرق المعالجة المتعددة التي شملت العلاج بالأعشاب والعقاقير أو بإجراء العمليات الأخرى التي سيتم البحث فيها بشكل موسع من خلال الدراسة .

غير أن الأوبئة شكلت حافزاً لميلاد مايمكن تسميته بأدب الأوبئة الأندلسية في غالبيته، وكان للطاعون الأسود في منتصف القرن٨هـ/١٢م نصيب وافر في هذا الاتجاه .

من خلال ماسبق تم التعريف بجغرافية المغرب والأندلس أي الإطار المكاني للبحث ، وذكر أهم القوى السياسية التي تعاقبت على الحكم في المغرب والأندلس في الفترة مابين القرنين (٦-٨هـ/١٢-١٤م)، فدراسة التاريخ الاجتماعي و الاقتصادي، تستلزم الإحاطة بالجانب السياسي والجغرافي أيضاً، حيث يتأثر المجتمع والاقتصاد بالموقع الجغرافي والظروف المناخية والأحوال السياسية من أمن واستقرار أو حروب وفتن، كما وتمّ التعريف بالمجاعة والوباء في اللغة وفي المصادر التاريخية، وذكر الفرق بين الوباء والطاعون مع تعداد بعض الأمراض الوبائية وأنواع الطواعين .

- **الفصل الثاني : أسباب المجاعات والأوبئة .**

- أسباب المجاعات والأوبئة :

أولاً - أسباب المجاعات :

أ- الأسباب الطبيعية :

١- الجفاف والقحط.

٢- السيول والرياح والأعاصير وعوامل أخرى .

٣- الحرائق .

٤-الزلازل.

٥- الجراد.

ب- الأسباب البشرية:

- الفتن والحروب وعلاقتها بحدوث المجاعات ما بين القرنين (٦-٨هـ/١٢-١٤م).

ج- الأسباب الاقتصادية :

١-أثر الضرائب في حدوث المجاعات ما بين القرنين (٦-٨هـ/١٢-١٤م).

٢- الضرائب التي فرضتها القبائل الهلالية والتشطط في الجباية .

ثانياً - أسباب الأوبئة :

١-فساد الماء والهواء .

٢- اضطراب المناخ.

٣.المجاعات والحروب وعلاقتها بحدوث الوباء.

٤. انتقال الطاعون عبر التجارة .

٥. أسباب أخرى (الخرافات والذهنيات وما وراء الطبيعة).

أولاً : أسباب المجاعات:

إن المجاعات تأتي نتيجة للعديد من الأسباب والتي يمكن تقسيمها لثلاث أسباب رئيسة وهي:

أ- الأسباب الطبيعية : التي ارتبطت بالعامل الجوي ومدى تأثيره على عملية الزراعة والإنتاج الزراعي .

ب - الأسباب البشرية: التي تمثلت بتدهور الوضع السياسي جراء الحروب والفتن، وقلة إدخار الناس للمواد الغذائية أو ربما نفاذ المدخرات جراء الحصارات الطويلة.

ج- الأسباب الاقتصادية : كثرة الضرائب غير شرعية التي فرضتها السلطات تارةً والثوار تارةً أخرى والقبائل الهلالية التي جعلتها السلطات قبائلاً مخزنية، وفيما يلي سيتم دراسة أسباب المجاعات بالتفصيل على قدر ما تجود به المصادر من معطيات.

أ.الأسباب الطبيعية :

١. الجفاف والقحط :

عرف المغرب والأندلس سنوات مطيرة وأخرى جافة ، نتج عنها القحط والذي يعد من أخطر الجوائح التي هددت حياة أفراد المجتمع وأمنهم الغذائي، إذ إن الضرر الناتج عن القحط لم يقف عند المزارعين، وإنما تعداهم ليشمل أصحاب الحرف أيضاً، فيلاحظ أن القحط يلحق الضرر بالاقتصاد عامة فبتضرر المحاصيل ستتعطل الصناعات التي تعتمد على المزروعات كمواد أولية، فالحرف التي تقوم على أساس توافر الماء كالدباغة والصباغة والحدادة نقص الماء سيؤدي لتعطيلها.[1] فهناك علاقة وطيدة بين تساقط المطر والأمن الغذائي للسكان، فالاضطراب المناخي يؤدي لصعوبات معيشية وصحية ، وعانى المغرب والأندلس من سلسلة من القحوط والمجاعات سيتم ذكرها بتسلسل الأعوام التي حدثت فيها.

حيث حدث قحط في غرناطة في سنة ٥٢٤هـ / ١١٢٩م، فقام قاضيها حينئذٍ أبو محمد عبد المنعم بن مروان الهلالي[2] بالناس صلاة الاستسقاء[3] فنزل المطر وذلك في يوم السابع عشر من جمادى الأولى من السنة المذكورة أواخر نيسان ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م.[1]

---

(١) ابن القطان : نظم الجمان، ص٢١٧.

(٢) أبو محمد عبد المنعم بن مروان الهلالي: ولد عام نزيل لواته أصله من طنجة، يسكن غرناطة،كان فقيهاً جليلاً ولي قضاء غرناطة سنة ٥١٧هـ/ ١١٢٣م وولي قضاء المرية ٥٢٤هـ/١١٣٠م وتوفي في شعبان من نفس السنة المذكورة، ابن رشد (أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) :فتاوى ابن رشد، تح، المختار بن الطاهر التليلي،بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧م، ج١، ص١٣٨١، الغرناطي(أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ت٧٠٨هـ / ١٣٠٨م): صلة الصلة، تح، شريف أبو العلا العدوي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية،٢٠٠٨ م، مج٣، ص ١٩٨،١٩٧، سيتم ذكر المصدر باسم الغرناطي : صلة الصلة .

(٣) صلاة الاستسقاء: الاستسقاء هو طلب المطر من الله عند طول انقطاعه، هي سنة مؤكدة إذا قحط الناس وأجدبت الأرض واحتبس المطر، فيخرج الإمام ومعه الناس إلى المصلى، ويصلى بهم ركعتين، ويخطب بهم، ويدعو الله تعالى بخشوع وتضرع؛ لأنه الثابت عن رسول الله ﷺ، عن عباد بن تميم عن عمه قال: خرج النبي ﷺ إلى المصلى يستسقي، واستقبل القِبلة فصلى ركعتين، وقلب رداءه، ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) :فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تح، عبد القادر شيبة الحمد،الرياض،

و كمـا الحـال فـي غرناطـة فقـد اجتاحـت المجاعـة والوبـاء النـاس بقرطبـة ، وذلـك عـام ٥٢٦هـ/١١٣١م، وكثر عدد الموتى جراءها ، ويرجح أن القحط هو العامل الأساس في حدوث هذه المجاعة ، إذ يذكر أنه في سنة هذه المجاعة قد " **بلغ مد**[٢]**القمح خمسة عشر ديناراً**"،[٣] وهذا يدل على ندرة القمح وبالتالي غلائه كنتيجة للقحط الحاصل آنذاك وقلة الأمطار وتوقف الهطول.

يتوضح كذلك أن سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م كانت قاسية جداً ، فقد أشار إليها الكاتب الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال (ت ٥٤٠هـ /١١٤٥م) ، فأفرد رسالة في شكر الله على نزول الغيث في ذلك العام :" **الحمد لله الذي لايكشف السوء سواه ولا يدعوا المضطر إلا إياه ....أنشأ الله العنان وقال له كن فكان**".[٤]ويبدو أنه بنزول المطر عمّ الخير، وارتاح الناس قليلاً من وطأة المجاعات ،فهطول المطر يترافق مع الخيرات والخصب للبلد وأهله .

ولم يكن وضع المغرب أفضل حالاً من الأندلس ففي سنة ٥٣٤هـ/١١٣٩م "**تولاها الجدب حتى جفت في الأرض مذانبها واغبرت جوانبها وقلت المجابي** "،[٥]فيمّا ذُكر إشارة واضحة إلى أن القحط قد حول الأراضي الزراعية لأراضي مقفرة ،هذا ما أدى لعجز أصحابها عن دفع الضرائب المترتبة عليهم وبالتالي لنقص في موارد الدولة والحالة عكسية ومترابطة، إذا أمطرت تُزرع

د.د،٢٠٠١م، ج٢،ص٥٧٤؛ القحطاني (سعيد بن علي): صلاة الاستسقاء مفهوم وأسباب وأنواع وآداب وآيات وحكم وأحكام، الرياض، مؤسسة الجريسي،٢٠٠٢ م، ص٧، ١٩ .

(١) الغرناطي: صلة الصلة، مج٣،ص٢٤،٢٣.

(٢) المد : في فاس كان المد يساوي ١٨٠ أوقية كل أوقية٦, ٤١غ=٣,٣٢٨كغ وهذا يقابل حوالي٣٣, ٤لتر، وفي مراكش المد$\frac{1}{3}$ ٦ رطل أي أنه يقابل ماتقديره٢,٧٨٦ كغ قمح ومكيال سعة٤,٣٢ لتر، هنتس(فالتر):المكاييل والأوزان الإسلامية ومايعادلها في النظام المتري، تر، كامل العسلي، الأردن، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠، ص٧٥ .

(٣) ابن القطان : نظم الجمان،ص٢٢٦ ؛ بوتشيش (إبراهيم القادري) : مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، بيروت، دار الطليعة،د.ت،ص٢٠١،١٩٩؛ الكركجي(نغم عدنان أحمد): الأزمات الاقتصادية في الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م، د.م، دار الكتاب الثقافي،٢٠١٤م، ص٧٤ .

(٤) ابن أبي الخصال (أبو عبد الله محمد بن مسعود بن فرج الغافقي الأندلسي ت ٥٤٠هـ/١١٤٥م): رسائل ابن أبي الخصال، تح، محمد رضوان الداية، دمشق، د.د، ١٩٨٧، ص ٢٧٢، ٢٨١، سيتم ذكر المصدر باسم ابن أبي الخصال : رسائل ابن أبي الخصال .

(٥) ابن زهر: التيسير في المداواة والتدبير، ص٤٦٠ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٦.

الأراضي وتُنتج مايمكن أصحابها من دفع الضرائب المفروضة عليهم ، وإن لم تمطر تتراكم الديون وقلة الحال تفرض نفسها ولن يتمكن الناس من وضع الأموال في خزينة الدولة ، إذاً فتضرر الفلاح ينعكس على الدولة أيضاً .

تتكاتف العوامل البشرية مع الطبيعية أحياناً فتؤدي إلى حدوث المجاعات، كما حدث في مراكش، فقد مهد قحط عام ٥٤١هـ/١١٤٦م للمجاعة التي بلغت ذروتها بسبب رحى الحرب الدائرة بين الموحدين والمرابطين،(١)فيلاحظ توافق القحط مع الحروب ممّا زاد ظروف الإنسان سوءاً.

ويُذكر أن الجدب قد أصاب منطقة "داي"(٢) في تادلا عام ٥٥٩هـ/١١٦٤م، فقد قام الناس بدعوة أبي زكرياء يحيى بن محمد الجراوي(٣)لكي يستسقي لهم،(٤) يلاحظ هنا بروز أحد السلوكيات التي سسببها القحط لدى إنسان المغرب والأندلس وهي اللجوء للناس الأتقياء والصالحين للاستسقاء وشدة إيمانهم بقدراتهم.(٥)

وقد عانى أهل بطليوس(٦) في عام ٥٦٥هـ/١١٦٩م من انعدام المؤن والطعام نتيجة لتأخر موعد المطر عن موعد الحرث والبذر ممّا أدى لاستفحال الجفاف . (٧)

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٢٦؛ مؤلف مجهول : الحلل الموشية، ص١٣٨،سيبحث بشكل أكثر تفصيلا حول هذه المجاعة ضمن فقرة الأسباب البشرية لحدوث المجاعات .

(٢) داي:تقع في أرض المغرب وهي وادي في أسفل جبل خارج من جبل درن، وبها معدن النحاس الخالص، بينها وبين أغمات أربعة أيام وبين داي وتادلا مرحلة، الحميري: الروض المعطار، ص٢٣١ .

(٣) يحيى بن محمد الجراوي: المعروف بمولاي أبو زكريا،الولي الأقرع عاش في ٩هـ/١٥م، يوجد له مقام موجود حتى الآن في تادلا، ابن الزيات(يوسف بن يحيى التادلي٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) : التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح، أحمد التوفيق،الدار البيضاء، مطبعة النجاح، ط٢ ،١٩٩٧م، ص ١٣٥، سيتم ذكر المصدر باسم ابن الزيات : التشوف .

(٤) ابن الزيات : التشوف، ص ١٣٨ .

(٥) سيتم الحديث عن سلوك اللجوء للأولياء الصالحين وكراماتهم في الفصل الثالث.

(٦) بطليوس: بالأندلس من إقليم ماردة بينهما أربعون ميلاً، بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجيليقي، كان سورها مبنياً بالتراب ثم بني بالكلس والجندل في سنة ٤٢١هـ /١٠٣٠م ، وهي مدينة جليلة في بسيط من الأرض ولها ربض كبير، وهي على ضفة نهرها الكبير المسمى الغؤور لأنه يكون في موضع يحمل السفن ثم يغور تحت الأرض حتى لاتوجد منه قطرة وينتهي جريه إلى حصن مارتلة ويصب قريباً من جزيرة شلطيش ومن بطليوس إلى إشبيلية ستة أيام ، الحميري : الروض المعطار، ص٩٣.

(٧) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١١٠ ؛ الكركجي : الأزمات الاقتصادية، ص١٠٩ .

كما عانت بلنسية من مجاعة شديدة عام ٥٦٧هـ/١١٧٠م،انعكست آثارها بشكل واضح وجلي على أهل المدينة عامةً، وفقرائها خاصةً "**وزاد بالناس الجوع والعدم، والضعف والألم....وقد وصل الدقيق أربعة دراهم للرطل[١]الواحد، ومد الشعير المراكشي أربعة دراهم، وكذلك القمح غير موجود ، والحبة الواحدة من التين بدرهم فاشتراها من اضطر لها**" .[٢] يلاحظ من خلال النص الغلاء الشديد والارتفاع الكبير في أسعار المواد الغذائية الأساسية و الضرورية لعيش الإنسان كالقمح والدقيق، وفي النص ما يؤكد مقولة أن ضعفاء الناس وفقرائهم هم أشد الناس تأثراً بالمجاعات والقحوط، إذ تزداد أوضاعم سوءاً ولا يستطيعون شراء مايسد رمقهم جراء الغلاء فيهدد الواقع المرير حياتهم.

كما إن انقطاع المطر لشهرين متتاليين عن سكان مراكش، سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م كان سبباً في حصول القحط ومعاناة الناس الشديدة جراء ذلك " **توالى القحط وامتنع الغيث مدة شهرين**"،.[٣]

وحدث قحط في سبتة، وذلك سنة٥٩٠هـ / ١١٩٤م أضر بأهلها وعانوا بسببه الكثير إلى أن هطل المطر في أول سنة ٥٩١هـ / ١١٩٤م .[٤]

كما وتداخلت العوامل الطبيعية مع البشرية في حدوث المجاعة التي حصلت في المغرب سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م، وانتقلت تأثيراتها الكارثية على مدى سنتين إلى الأندلس، فقد كان الجفاف سبباً في اندلاعها خاصةً بعد نضوب مخازن الغلال التي كانت مقدمة لهزيمة الخليفة الناصر الموحدي ،في موقعة العقاب وتقول المصادر في ذلك:" **عانى الناس في هذه السنة من تنوع**

---

(١) الرطل : يساوي ٥٠٤غرام، ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص ٥٠٩- ٥١١-٥١٢ .

(٢) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة،ص ٥١١-٥١٢؛ البياض (عبد الهادي): الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس ق٦-٨هـ/١٢-١٤م، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٨م، ص٢٤.

(٣) ابن عذارى :البيان المغرب، قسم الموحدين،ص ١٢٦؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص٢٤.

(٤) ابن الزيات : التشوف، ص٢٩٨ ؛ التنبكتي (أحمد بابا ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٦م): نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تح عبد الحميد العبد الله الهرامة، ليبيا، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ١٩٨٩م، ص ٢١٣، سيتم ذكر المصدر باسم التنبكتي : نيل الابتهاج ؛ بولقطيب (الحسين) : جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة د.ت، ص٤٥ .

المسغبة وإنتشار المجاعة ......، وعدم الأقوات ما لم يعهده الناس....إلى أن استقبل المنازل التي كانت تستمد منها الرفاق ...فألفاها وقد جف معينها وخف بتوالي العدوان قطينها ، ولم يبق منها لمخازن السلطان أثر ولا يتضح لخازنها دليل ولا نظر.......، وجاوز الحد بالناس وسع الاحتمال" .[١] عند قراءة النص يلاحظ من الألفاظ والكلمات القوية المستخدمة للتعبير عن شدة المأساة وقوتها ، بأنه بالفعل كان للمجاعات آثار سلبية كثيرة وكبيرة على الناس ،فالمواد الأساسية تفقد من الأسواق وبالتالي يحصل الغلاء، ويتوضح من خلال النص أن المتضرر لم يكن الفقراء وحدهم، بل إن الضرر طال مخازن الطعام لدى السلطان، إذ نفذت منها المواد الغذائية أيضاً ، وكان من عادة المؤرخين استخدام هذه الألفاظ القوية للدلالة على المعاناة الهائلة والمصيبة التي يعاني منها البلد.

تزامنت مجاعة شديدة في الأندلس مع مجاعة في المغرب وذلك بين عامي ٦١٧-٦١٨هـ/ ١٢٢٠-١٢٢١م ،[٢]حيث يذكر أن أبا الحسن علي بن محمد بن يوسف بن عبد الله الفهمي[٣] الذي توفي بمراكش سنة ٦١٧ - ٦١٨هـ /١٢٢٠-١٢٢١م، قد بيعت كتبه التي خلفها "**في زمن المجاعة الشديدة**" بمائة ألف درهم،[٤] ويرجح أنها المسغبة الشديدة نفسها التي وقعت في غرناطة، ومن هنا يمكن القول أن بلاد الأندلس والمغرب قد عانت معاً من المجاعة خلال السنتين المذكورتين، ويرجح أن السبب هو الموقع الجغرافي القريب نسبياً بين المغرب والأندلس، وتشابه الظروف المناخية بينهما، ويبدو أن المجاعة كانت ناتجة عن توالي القحط لمدة عامين قبلها، وقد

---

[١]ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٥٩؛ عبد الجبار: سقوط الدولة الموحدية، ص١٠١ .

([٢]) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين،ص ٢٦٦؛ بولقطيب : جوائح وأوبئة،ص٤٥ ؛ عبد الجبار : سقوط الدولة الموحدية،ص ١٣٨ ؛ أسكان (الحسين): المجاعات والأوبئة بين الآفات السماوية والجائحة الإنسانية خلال العصر الوسيط شمال المغرب، المغرب، الجمعية المغربية للبحث التاريخي،٢٠٠٢ م، ص١٣٥؛ بكاي (عبد المالك) : الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن ٧-١٠هـ/١٣-١٦م، رسالة دكتوراه، الجزائر، جامعة الحاج لخضر، ٢٠١٣-٢٠١٤م، ص ٢٥٩ .

([٣]) أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف الفهمي الضرير: توفي سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م وقيل ٦١٨هـ/١٢٢١م قرطبي الأصل حديثاً طليطلي السلف قديماً سكن سلا ثم مراكش، كان تقياً حافظاً للقرآن ومحققاً للقراءات ذكياً أخذ القراءات بغرناطة عن عبد المنعم بن خلوف، السملالي(العباس بن إبراهيم ت ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م): الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تح، عبد الوهاب ابن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ط٢، ١٩٩٣م، ج٥، ص٩.

[٤] السملالي : الإعلام، ج٥، ص٧٠،٦٨،٩.

ذكرت المصادر المجاعة بقدر من التفصيل: " **وفي سنة ست عشرة وستمائة، كان المحل العظيم والمجاعة التي شكاها الظاعن والمقيم، وارتفعت الأسعار إلى ما لا نهاية، وكان ابتداء المجاعة بالقحط الذي وقع في السنتين السابقتين لهذه السنة المؤرخة أي في عامي ٦١٤.٦١٥هـ/١٢١٧.١٢١٨م، وكانت قبائل المصامدة[١] تسمي هذه السنة الأخيرة سنة وقليل".** [٢] إذا فالمجاعة كانت عظيمة الأثر وتعدت الأندلس للمغرب وعانى منها كل المجتمع أهل البادية و أهل المدن على حد سواء وكالعادة دائماً مايكون الغلاء مرافقاً للمجاعات بسبب فقد المواد الغذائية، نتيجةً لتضرر المزروعات، وكذلك بسبب سياسة التجار المحتكرين الذين لا يمانعون استغلال الناس حتى الرمق الأخير.

وفي سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م عانت الأندلس من القحط الحاصل في تلك السنة ، ومن الاضطرابات السياسية الحادثة في البلدين حينئذٍ في أواخر عهد الموحدين، ونتيجة ذلك ارتفع سعر القمح، فبيع القفيز[٣] منه بخمسة عشر ديناراً . [٤]

وعلى الرغم من عدم القدرة على تحديد ما إذا كان سعر القمح المذكور خاص بالمغرب أو بالأندلس، فإن النتيجة واحدة، وهي غلاء السعر في الأندلس، وهذا ليس بمستغرب إذ لم تكن الحالة الاقتصادية مستقرة زمن المجاعات، وفي شعر للحافظ المتصوف عبد الرحمن بن يخلفتن

---

(١) قبائل المصامدة : نسبة لجدهم مصمود بن برنس أبو شعوب البرنس الأمازيغيين، تسكن هذه القبيلة في الجزء الغربي من الأطلس من حاحا إلى وادي العبيد،وكذلك الجهة المواجهة للجنوب والسهول المجاورة،وتحتل أربعة أقاليم هي حاحا والسوس وجزولة وناحية مراكش،المراكشي : المعجب، ص٢٧٧ ؛ ابن خلدون : العبر ،ج٦، ص٤٢٧-٤٢٨-٤٦٠-٤٧١؛ الوزان :وصف إفريقيا، ج١، ص٣٦، ٦٨؛ الدارجي : القبائل الأمازيغية، ص٢٦٨ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين،ص ٢٦٦،٢٦٧ ؛ ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص٥٤ ؛ ، ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٨١ ؛ أسكان : المجاعات والأوبئة، ص١٣٧ .

(٣) القفيز:هو ستة عشر ويبة وكل ويبة ١٢ مداً قروياً يقارب المد النبوي،وهي ثمانية بالكيل الحفصي،،وقد يساوي القفيز الصاع النبوي ويتألف الصاع من أربعة أمداد وسعته ٤.٢١٥ لتر، العمري(شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب، تح، حمزة أحمد عباس، أبو ظبي، منشورات المجمع الثقافي، د.ت، ص٥٢، سيتم ذكر المصدر باسم العمري : مسالك الأبصار؛ هنتس :المكاييل والأوزان، ص٦٣،٦٤.

(٤)ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٢٧٤ ؛ السلاوي :الاستقصا، ج٢، ص٢٦٤؛ بولقطيب: جوائح وأوبئة، ص٤٥ .

الفازاري[1]من ساكني غرناطة، يشكر الله على غيثٍ جاء بعد قحط، وربما كان يقصد ذلك القحط الواقع في السنة المذكورة:

وَأَغاثَنَا بِغَمائِمَ وَكَافَة   بِالبشرِ تُشرِقُ والبَشَائِر ترعَدُ

حُمِلت إلى ظَمَأ البَسِيطَةِ رَيُّهُ   فَلَهَا عليها مِنةٌ لا تُجحَدُ . [2]

حيث إن العلماء والشعراء كانوا مصادر أساسية لذكر الأخبار التي تمر فيها البلاد سواء أكانت جيدة أم سيئة .

وقد وقع قحط بغرناطة في سنة ٦٣١هـ/١٢٣٢م، فأقيمت صلاة الاستسقاء بمصلى غرناطة، و رافق ذلك دخول المتوكل بن هود غرناطة، وقدم تقليده والياً من قبل الخليفة من الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/ ١٢٢٦ -١٢٤٢ م) ببغداد،[3] فقرأ على الناس كتابه، وهو قائم، وزيه السواد، ورايته السوداء بين يديه، فيذكر أنه "**لم يستتم على الناس قراءة الكتاب يومئذ إلا وقد جادت السماء بالمطر، وكان يوماً مشهوداً، وصنعاً غريباً** "[4]وقد ذكرت المصادر الخبر بتمامه

---

(1) عبد الرحمن بن يختلفتن الفازاري: كان حافظاً عالماً ذكياً عالماً بالفقه كما علم الكلام من مؤلفاته:المعشرات الزهدية، المعشرات الحبية، وقصائد في مدح النبي ﷺ كل قصيدة منها عشرون بيتاً توفي بمراكش عام ٦٢٧هـ /١٢٣٠م، السملالي : الإعلام،ج٨،ص٨٣ -٨٤-٨٨ .

(2) السملالي : الإعلام، ج٨، ص٨٥ .

(3) بغداد : تقع في العراق أصل بغداد للأعاجم والأعراب، تختلف في لفظها، إذ لم تكن من أصل كلامهم،وقيل في تفسير معناها أنه بستان رجل، فباغ بستان و داد : رجل، وقال البعض أنه قد أهدي لكسرة خصي من المشرق، فأقطعه إياها، وكان الخصي من عباد الأصنام ، فقال :بغ داد أي الصنم أعطاني،وقيل أنها تعني مدينة السلام، طولها خمسة وسبعون درجة وعرضها أربعة وثلاثون درجة، كان أول من مصّرها وجعلها مدينة المنصور بالله أبو جعفر عبد الله بن محمد، الحموي : ياقوت، ج١،ص٤٥٩،٤٥٧.

(4) ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م):الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ومايتعلق بذلك من الكلام، تح سيد كسروي حسن، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، ج٢، ص٢٤٨، سيتم ذكر المصدر باسم ابن الخطيب: الإعلام ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ج٣، ص ٢٨٠.

ولكن وضعته في حوادث عام ٦٢٩ هـ/١٢٣١م،[١] ولكن المرجح أنه كان يشير إلى تاريخ صدور كتاب الخليفة العباسي، حيث يُذكر فيما بعد وصول "الهدية العباسية" في سنة ٦٣١هـ/١٢٣٢م.[٢]

ويجب التنويه إلى أن حوادث كهذه كانت تذكر بناءً على رغبات السلاطين، وذلك لتعظيم قدرهم لدى الناس وإظهارهم بمظهر التقاة العابدين الذين يسمع الله دعاءهم، وبالتالي يسهل عليهم سياسة الرعية نتيجة الصورة البراقة التي قاموا برسمها لأنفسهم .

وتعد مجاعة عام ٦٣٧هـ/١٢٣٩م من أخطر المجاعات التي حدثت في مدينة سبتة حيث "**كان الغلاء المفرط والمجاعة العظيمة بمدينة سبتة ،حتى عدم الطعام فيها بالكلية في هذا العام، وكانوا يسمونه بعام سبعة وهو مشهور عندهم يتمثلون به بينهم، ومن هذا العام صار أهل سبتة يختزنون الطعام في المطامير[٣] في كل عام حيطة على أنفسهم من مثل هذه المجاعة التي لم يعهد مثلها في الأعوام السابقة قبلها** "،[٤]من النص السابق يلاحظ أن المجاعات كانت تحفظ في الذاكرة الشعبية وتتخذ شكلاً من أشكال الأمثال، ويستنتج أيضاً أن المجاعات قد ولدت

---

(١) ابن عذارى :البيان المغرب، قسم الموحدين ، ص٢٩٥ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٠٩؛ عنان : تاريخ الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢، ص٤١١؛ أبو رميلة: علاقات الموحدين، ص٢١٥ .

(٣) المطامير: الطمر الدفن، يقال طمر البئر طمراً أي دفنها، والمطامير حفيرة تحت الأرض مكان قد هُيئ تحت الأرض خفياً يطمر فيه الطعام والمال أي يخبأ،وهي جزء لايتجزأ من مرافق الكثير من الأسر في المغرب سواء في المدينة أو البادية، وكانت تستخدم لتخزين الطعام تحسباً لسنوات المجاعة والحصار، ابن مصطفى (إدريس) :العلاقات السياسية والاقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الإيبرية، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، ٢٠٠٧م، ص١١٧ .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين ، ص ٣٥١؛ السبتي (محمد بن القاسم الأنصاري ت ت٨٢٥هـ/١٤٢٢م) : اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تح، عبد الوهاب بن منصور، الرباط، د.د، ١٩٨٣م،،ص ٨٣ ، سيتم ذكر المصدر باسم السبتي : اختصار الأخبار، ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص٥٤؛ الجزنائي (أبو الحسن علي قرن ٨هـ/١٤م):جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح، عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية،ط٢،١٩٩١م ،ص ٤٥، سيتم ذكر المصدر باسم الجزنائي : جنى زهرة الآس؛ بولقطيب :جوائح وأوبئة، ص٤٧؛ كريمي (ماجدة): قراءة المدينة الموحدية والمرينية خلال أزمة المجاعات والأوبئة، المغرب، الجمعية المغربية للبحث التاريخي،٢٠٠٢م، ص١١٠ .

لدى السكان سلوكاً احتياطياً للتغلب على المجاعات تمثل باستخدام المطامير لاختزان الطعام لاستخدامه في وقت القحط والمجاعة. (١)

وفي سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م تعرض المغرب للقحط والمجاعة وذلك بسبب قلة تساقط الأمطار اللازمة للري والزراعة ، إذ تذكر المصادر حول ذلك أنه :"**في سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م كان بالمغرب قحط شديد لم ير الناس قطرة ماء إلا في أخر رمضان المعظم** "(٢) ،واستمرت موجة القحط في المغرب إلى سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م، وبعدها شهدت أحوال الناس تحسناً إلى حوالي ٦٨٧هـ/١٢٨٨ م إلا أن الأوضاع عادت لتسوء مرة أخرى حيث" **كانت الريح الشرقية المتوالية والقحط الشديد وتوالى ذلك إلى أواخر عام تسعين، فحرث الناس عند ذلك وحصدوا ماحرثوه من زرع عن أربعين يوماً**"،(٣)يرجح هنا أن موجة القحط هذه قد انتهت بفعل تحسن العوامل الجوية وسقوط المطر، وذلك سبب عودة الناس لأراضيهم الزراعية وقيامهم بحراثتها .

وفي سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٢م عاد القحط ليضرب المغرب من جديد، واستمر لمدة مخلفاً أضراراً كبيرة في البلاد،(٤) ويرجح أنها المجاعة نفسها التي ذكرتها المصادر في عام ٦٩٣هـ/١٢٩٣-١٢٩٤م إذ قيل إن " **مجاعة شديدة ووباء عظيم عمّ المغرب وإفريقيا ومصر**"،(٥) ويبدو أن تأثير هذه الأزمة قد وصل إلى الأندلس؛ لكون تلك المجاعة شملت رقعة جغرافية شاسعة، وإن لم تفصح المصادر عن ذلك فالقحط إن كان قوياً واستمر لأشهر عدة لابد أن يصيب مناطق واسعة سيما مناطق قريبة جغرافياً كالمغرب والأندلس، وتخضع لنفس العوامل المناخية.

وذكرت المصادر حدوث قحط أدى للمجاعة في عام ٧٢٣هـ / ١٣٢٢م ، إنما من دون تحديد المكان ، لكن من المرجح أن هذا القحط كان بالمغرب، إذ ذكر حصول مجاعة في السنة التالية أي في عام ٧٢٤هـ/١٣٢٣، حيث قيل: "**كان الغلاء العظيم والمجاعة الشديدة بالمغرب**

---

(١) سيبحث في هذه السلوكيات ضمن جهود العامة في تجاوز المجاعات في الفصل الثالث .

(٢) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٣٤٠.

(٣) السلاوي: الاستقصا، ج٣، ص٨٩ .

(٤) ابن خلدون :العبر، ج٧، ص٢٦٠؛ مسعد: الحرب والطبيعة، ص ٢٣ .

(٥)ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٣٨٤؛ ابن خلدون :العبر، ج٧،ص٢٩٠؛ السلاوي : الاستقصا، ج٣، ص٩٠ ؛ كريمي : قراءة المدينة الموحدية والمرينية، ص١١٢ .

وارتفع السعر في جميع الأمصار ووصلت صحفة[1] **القمح لتسعين ديناراً** "،[2] إذاً القحط استمر عامين على التوالي عانى فيها الناس من من الجوع والغلاء وتعود للظهور هنا كما في الكثير من موجات القحط سلوكيات اللجوء للدعاء والقيام بصلاة الاستسقاء لعلّ الله تعالى يستجيب لهم .

كما عانى المغرب من القحط الشديد عام ٧٧٥هـ/١٣٧٣م والغالب أنه أدى للغلاء والمجاعة التي تفاقمت في المغرب عام ٧٧٦هـ/١٣٧٤م " **في هذه السنة كانت المجاعة العظيمة في المغرب وعم الخراب به** ".[3]

بالإضافة لما سبق فقد وجدت في المغرب مناطق قليلة المياه بطبيعتها ، ولعل قلة الماء هذه قد أدت إلى القحط في سنوات عديدة، فالمناطق القليلة المياه ستكون عرضة للجفاف أكثر من غيرها؛ نظراً لأن الماء هو العنصر الأساسي وشريان الحياة بالنسبة للنشاط الزراعي فقلته ستؤثر في الزرع، وبالتالي في الإنتاج الزراعي وفي طبيعة الغذاء، وندرة الماء تؤدي للقحط ومع القحط يأتي الجوع، كما تؤثر موجات الجفاف سلبياً في مستوى الماء والشبكة الهيدروغرافية، مما زاد من تفاقم النزاعات حول مصدرها (أنهار، عيون، وآبار) خاصةً في المناطق الجافة وشبه الجافة، وذلك بموازاة ضعف تقنيات استغلال المياه الموجودة، وهكذا زاد القحط من المشاكل على اقتسام الماء بين الناس وجسدت كتب النوازل الفقهية المشاكل التي أحدثتها قلة الماء مثل الصراع بين الأعلين والأسفلين حول أحقية السقي من ماء الوادي الذي يقل في الصيف ويكثر في الشتاء، فأفتى الفقهاء بعدم منع الماء عن الأسفلين على أن بعض الفقهاء فضلوا الأولين خاصةً في حالة قلة المياه، [4] ولندرة المياه قيل" **إذا رأيت قوماً يتخاصمون وقد علا بينهم الكلام فاعلم أنهم في أمر**

([1]) الصحفة : تساوي ستون مداً في الاصطلاح المغربي القديم ، ابن أبي زرع :الذخيرة السنية، ص٨٩ .

([2]) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ٤٠١؛ الهلالي (محمد ياسر): أثر القحط والمجاعات والأوبئة على الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأقصى خلال أواخر العصر الوسيط، المغرب، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ص١٩٣ .

([3]) ابن قنفذ (أبو العباس أحمد بن الخطيب ت٨١٠هـ/١٤٠٧م) :أنس الفقير وعز الحقير، تح،محمد الفاسي، أدولف فور، الرباط، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، ١٩٦٥م، ص١٠٥، سيتم ذكر المصدر باسم ابن قنفذ : أنس الفقير ؛ كريمي : قراءة المدينة الموحدية والمرينية،ص١١٣ ؛ بكاي : الحياة الريفية،ص٢٦٠.

([4]) الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م) : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، تح، محمد حجي، المغرب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة

الماء "،[١] ويمثل الصراع بين أهل أزكان[٢] وأهل مزدغة [٣]السفلى خير نموذج للصراع بين الأعالي والأسافل ،فقد دام الصراع بحسب ماجاء في النازلة من ٧٢١هـ/١٣٢١م إلى ٨٢٤هـ/١٤٢١م،[٤] والظاهر أنّ لهذا الصراع علاقة بالقحط المتكرر الذي عرفه المغرب خلال هذه الحقبة التاريخية والذي أدى لتناقص المياه مما حدا بأهل أزكان إلى الاستئثار بماء النهر، ومنعه عن أهل مزدغة، وقد كانت الأراضي ذات المياه الجوفية الغائرة مثل دكالة[٥]التي يعتمد سكانها على خزن ما تجود به السماء من أمطار في السنوات المطيرة يعانون من وطأة الجفاف في سنوات القحط ومايترتب عليه من مجاعات وأوبئة .[٦]

المغربية، ١٩٨١م، ج٨، ص٤٠٢، سيتم ذكر المصدر باسم الونشريسي : المعيار المعرب ؛ الهلالي : أثر القحط والمجاعات،ص ١٨٠؛ خليلي (بختة) : الحرب وأزمة الغذاء بالمغرب الأوسط، الجزائر، جامعة معسكر، د.ت، ص٢٤٤.

(١) مؤلف مجهول : الاستبصار،ص١٥٣،١٥٢؛ العلوش (بسام) : أثر الكوارث في سلوك مجتمع الغرب الإسلامي خلال العصر الموحدي المريني وذهنياته،مجلة جامعة البعث، ع ٣٥، ٢٠١٧م، مج٣٩، ص١٣٥ .

(٢) أزكان : يجاور هذا الجبل جبل سليليو شرقاً وجبل صفرو غرباً ويمتد جنوباً إلى الجبال التي تحاذي نهر ملوية وينتهي شمالاً في سهول إقليم فاس يقارب طوله أربعين ميلاً وعرضهخمسة عشر ميلاً، الوزان : وصف إفريقيا، ج١، ص٣٦٢.

(٣) مزدغة : مدينة صغيرة في سفح الأطلس على بعد ثمانية أميال غربي صفرو وهي محاطة بأسوار جميلة إلا أنها لاتضم سوى ديار شنيعة في كل منها سقاية وأغلب سكانها فخارون لأن لهم أرضاً صلصالية، الوزان : وصف إفريقيا، ج١، ص٣٦٣.

(٤) الونشريسي : المعيار المعرب، ج٨، ص٢٠،٥ .

(٥) دكالة : يبتدئ هذا الإقليم من جهة الغرب عند نهر تنسفيت ويمتد نحو الشمال حتى المحيط، يقع إقليم مراكش جنوبه ونهر أم الربيع شرقه فاصلاً إياه عن إقليم تامسنا،يغطي هذا الإقليم من الشرق إلى الغرب أكثر من ثلاثين فرسخاً ومن الجنوب إلى الشمال أكثر من أربعة وعشرين، كربخال : إفريقيا، ج٢، ص٧٠.

(٦) بولقطيب: جوائح وأوبئة، ص ٣٦ .

٢- **السيول والرياح والأعاصير وعوامل أخرى :**

أشارت المصادر إلى بعض الاضطرابات المناخية التي قد تؤدي لحدوث المجاعات، فإذا لم يسقط المطر في فصل الربيع مابين ٢٣نيسان و ٥ أيار فإن محصول السنة سيتضرر بالكامل، كما إن هبوب الرياح الشرقية و الجنوبية الشرقية والجنوبية القادمة من الصحراء والتي تتسم بالحرارة الشديدة والجفاف في غير فصل الصيف، ستفسد الفاكهة ويفسد الزرع وإذا استمر هبوبها فترة طويلة، فإنها ستؤدي لإتلاف المحاصيل وحرقها،[١] وهذا مايسبب أزمة غذائية حقيقية ، وكذلك الأمر بالنسبة لجوائح السيول الناتجة عن تذبذب المناخ وعدم انتظام التساقط.

وتعرف الرياح الرملية التي تهب على مناطق الشمال الإفريقي باسم السيريكو Sirocco ، وتختلف تسميتها باختلاف بلاد المغارب ففي المغربين الأدنى والأوسط تسمى الكبلي (القبلي) التي تعني الجنوب أو الشهيلي والتي تعني رياح الجنوب ، وتعرف في المغرب الأقصى باسم (الشرقي أو الشركي)، نسبةً لهبوبها من الشرق، تتميز هذه الرياح بحرارتها التي تصل إلى ٤٠° وعلوها يصل ٢٠٠٠م وبالغبار الحاجب للرؤية، ويمكن لذرات الرمل أن تصل تونس وتعبر المتوسط وتستقر بضفته الشمالية كما أنها تهب على صحارى المغرب في الفصول كلها، وتكثر في الربيع والصيف ويسجل أعلى نسبة لهبوبها في شهري تموز وآب .[٢]

فقد تسببت أمطار عاصفة في مراكش دامت أربعين يوماً، سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م بسيول جارفة خربت المحاصيل وجرفت التربة وقطعت سبل الاتصال بين عدد من الجهات. [٣]

وفي عام ٥٣٢هـ/١١٣٧م عانت طنجة من السيول، التي أدت لدمار على الصعيد الديموغرافي وفي البنية التحتية للمدينة كما دمرت البيوت وأدت لمقتل الحيوانات وتعطيل الحركة الاقتصادية وهذا ما ذكرته نوازل القرنين ٦-٨هـ/١٢-١٤م حيث اضطر الناس لكراء الدواب ما يدل على ندرتها. [٤]

---

(١) الوزان: وصف إفريقيا، ج١،ص٧٩،٨١ ؛ خليلي :الحرب وأزمة الغذاء، ص٢٤٤ .

(٢) علوي (حسن حافظي): تأثير الرياح على الأنشطة الاقتصادية بالمناطق الصحراوية وشبه الصحراوية ببلاد المغرب في العصر الوسيط، أبو ظبي، جامعة محمد الخامس، ٢٠١٧م، ص٨٧ .

(٣)ابن القطان: نظم الجمان، ص ٢٥٦؛ البياض: الكوارث الطبيعية، ص٤٧ .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٤، ص ٩٦؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص٤٧ .

وكان للحالة الجوية آثار كبيرة على الحروب والغزوات، وعلى سبيل المثال كان للأمطار العاصفية دور في حسم الصراع الدائر بين الأمير تاشفين بن علي(٥٣٧ -٥٣٩هـ/١١٤٢-١١٤٤م) والخليفة عبد المؤمن بن علي(٥٢٤ – ٥٥٨هـ/١١٢٩-١١٦٢م) سنة٥٣٣هـ/١١٣٩م والذي انتهى بانتصار الثاني ،وفي هذا الصدد صورت المصادر معسكر تاشفين وعسكره بالقول: " **قلت الأقوات عندهم وهلكوا جوعاً وبرداً حتى وقدوا رماحهم و قرابيس** [١]**سروجهم**"[٢] يوضح النص كيف أن الجنود قد عانوا من الجوع والبرد حتى بلغ الحال بهم أن أشعلوا رماحهم وسروج خيلهم بغرض التدفئة عليها .

وشهد المغرب سيولاً، زادت من حدتها العاصفة الهوائية سنة ٥٣٦هـ/١١٤٢م، وقد استمرت العاصفة حوالي الخمسين يوماً، فاض فيها وادي فاس على المناطق المحيطة به متسبباً بأضرار في الممتلكات العامة ، وغمرت مياه وادي سبو مساكن لمطة[٣] وتضررت أراضي طنجة بفعل غمر مياه البحر أجزاءً واسعة منها، ولاشك أن هذه الفيضانات قد تسببت بتدمير الأراضي الزراعية والمرافق العامة والبنية التحتية للمدينة، وقطعت الطرق التجارية ما أدى إلى نقص المواد الغذائية في الأسواق " **وبلغ في ذلك الوقت سعر لشعير ثلاثة دنانير للسطل ، وبلغ الحطب ديناراً للرطل من شدة السنة**"،[٤] يلاحظ من هذا النص حدة الفيضانات التي ضربت مناطق عدة من المغرب في آن واحد والتي غالباً أدت لقطع الطرق بين المدن والريف ممّا أدى لإعاقة الحركة التجارية وفقدان العديد من المواد المهمة كالحطب من الأسواق ممّا تسبب بغلائها ويؤكد غلاؤه ذكره بطريقة الاستهجان في هذا النص .

وأثناء غزوات الخليفة الموحدي أبي يعقوب (٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٢-١١٨٤م) في الأندلس تحديداً "وبذة" عام ٥٦٧هـ/١١٧١م، حالت الاضطرابات الجوية والرياح العاصفة بينه وبين تحقيق

---

(١) القرابيس : جمع قربوس وهو حنو السرج وهما قربوسان، النويري: نهاية الأرب، ص١٦٠ .

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ١٥٩،١٦٠؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ٢٤.

(٣) لمطة : لا يعرف اسم أبيهم، أما أمهم هي تصكي العرجاء وهي الأم الأسطورية لكل من صنهاجة وكزولة وهكسورة ، من قبائل لمطة لخس وزكن، تتواجدان في بلاد السوس، موطنهم بجوار مواطن الصنهاجيين الملثمين وأكثر أحيائهم ظواعن يرتحلون طلباً للنجعة ،منهم من اختار الصحراء موطناً ومنهم من ساح في السهوب الجنوبية لتلمسان وإفريقيا ولهم بقية مستوطنة في جبل زالغ المشرف على فاس، الدارجي : القبائل الأمازيغية، ج١، ص ٢٦١- ٢٦٢- ٢٦٧ .

(٤) البيدق :أخبار المهدي، ص٥٢،٥٣ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج٤،ص٩٩، ١٠٠.

هدفه فقد " **هبت ريح عاصفة أكفأت القدور، وقطعت الأخبية، وكدرت النفوس بأذيتها للصدور**"،[1] يلاحظ من النص الآثار السلبية لتلك الرياح التي لم تقتصر على التخريب والتدمير بل كان لها أثرها السلبي على صحة الناس، وهذا ربما يعود للغبار الذي كانت تحمله الرياح معها والذي يؤدي إلى حالات مرضية ومؤذية للجهاز التنفسي .

وعانت إشبيلية من السيل عام ٥٧٤هـ/١١٧٨م الذي خرج على جهات طريانة بعد أن جرف المناطق المتاخمة لضفافه ، ذلك لأن حجمه يزداد بسبب مايصب فيه من جداول فرعية "**حتى يصير بحراً**"[2] وهذا في محاولة للإشارة إلى غزارة السيل الذي جرف المناطق القريبة منه بمنازلها وزرعها .

وفي ذات السياق ذُكر حدوث سيل في إشبيلية عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م ،" **كان السيل الشنيع بوادي إشبيلية هلك فيه أمم لا يحصيهم إلا الله وذلك بجفن إشبيلية وبكل من كان بضفتي الوادي من قرطبة إلى جزيرة قادس، وقيل إن الذي ذهب من دور إشبيلية بهذا السيل ستة آلاف دار ،وذكر التجار الواصلون من غرب الأندلس، أنهم عثروا بالرمال الكبار على سبعمائة شخص من الغرقى** "،[3] قد تحمل الأرقام المبالغة ربما ليبين المؤرخون مدى شدة السيول وضررها على الناس، فعند ذكر الأرقام الضخمة هذا مؤشرعلى الضرر الكبير الحاصل، إلا أنه يرجح أن عدد المنازل التي تهدمت وعدد الأشخاص الذين قتلوا بسبب هذا السيل كان كبيراً جداً نظراً لأنه شمل مناطق واسعة، وبقيت فواجع هذا السيل محفورة في الذاكرة الشعبية، إلى درجة أنهم أرخوا به لحوادثهم، حيث ذكر أحد الرحالة أن شيخ هذا الأخير المسمى ابن عصفور[4] كان " **مولده عام السيل بإشبيلية سنة سبع وتسعين وخمسمائة**".[1]

---

(1) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص٤٠٩؛ الكركجي : الأزمات الاقتصادية، ص٦٧؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص٢٤١.

(2) المراكشي: المعجب،،ص٢٧٢ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين،ص١٤٠.

(3) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٣٩، الحميري :الروض المعطار، ص ٥٩؛ باسم (نبراس فوزي): النشاط الاقتصادي في كتب البلدانيين الأندلسيين، رسالة دكتوراه ، بغداد، جامعة بغداد، ٢٠٠٨م، ص٨٠ .

(4) ابن عصفور : أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد النحوي الحضرمي الإشبيلي، ولد عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م حامل لواء العربية في زمانه في الأندلس أخذ العربية والأدب عن أبي علي الشلوبين، روى عنه الحسن بن عبد الرحمن بن عذرة، كان ماهراً في علم اللغة العربية، حسن التصرف، من آثاره كتاب المقرب في النحو،وله شرح أبيات الإيضاح والممتع في التصريف، توفي في تونس ٦٦٩هـ/١٢٧١م، ابن

كمـا ويـذكر هطـول مطـر شـديد ومعيـق للحركـة وقـاطع للطرقـات فـي منورقـة[٢] عام٥٩٩هـ/١٢٠٢م ،[٣] فقد تضمنت الرسالة التي بعث بها الخليفة الناصر الموحدي إلى المغرب سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م في سياق الإخبار بفتح حصن شلبطرة [٤] أنباءً عن سيول جارفة " **..ذلكم مما لقي الناس في طريقهم من المطر المتدارك والوحل المقيد للأخماص والسنابك،[٥]والسيول الخارقة بكل أرض وجلد ،أنهاراً ترمي غواربها الغدير بالزبد ،حتى ذهب بالجسور وامتنع أكثرها من العبور** ".[٦]

يتوضح من النص أن المطر قد شكل الوحل المعيق للحركة، إذ لا يمكن للإنسان أو الحيوان السير فيه ،كما وقد تشكلت السيول التي جرفت التربة، ودمرت المزروعات كما إن فيضانات الأنهار تسببت بأضرار بالممتلكات والمرافق العامة متمثلة باقتلاع الجسور المقامة عليها مما أسهم في قطع الاتصال بالمناطق المحيطة.

ويذكر أنه في ٦٢٦هـ/١٢٢٨م " **كان السيل العظيم بمدينة فاس ،هدم سورها القبلي مسافتين، من جامع الأندلس ثلاث بلاطات وديار كثيرة وفنادق من عدوة الأندلس**"[٧]

كما وتسببت الأمطار العاصفية بسيول جارفة في تامسنا[١]عام ٦٧٧هـ/١٢٧٨م ، ممّا منع الجيوش المرينية الموجودة فيها من السير للأندلس بقيادة السلطان يعقوب بن عبد الحق(٦٥٦-٦٨٥هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م) فقد " **توالت عليه الأمطار والرياح والسيول** ". [٢]

عصفور (علي بن مؤمن ت٦٦٩هـ/١٢٧٠م): المقرب، تح، أحمد عبد الستار الجواري، عبد الله الجبوري، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م، ص٧، سيتم ذكر المصدر باسم ابن عصفور : المقرب ؛ الغبريني : عنوان الدراية،ص٣١٨،٣١٧؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي، ص ٢٢٠.

(١) العبدري : الرحلة المغربية، ص ٦٧ ؛ البياض : الكوارث الطبيعية،ص٥٢ .

(٢) منورقة(Menorca): وهي جزيرة تقابل برشلونة بينهما مجرى،وبينها وبين سردانيا أربعة مجار، وهي إحدى بنتي جزيرة ميورقة وهما منورقة ويابسة، الحميري : الروض المعطار، ص٥٤٩.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٤٠.

(٤) شلبطرة: بالأندلس من بلاد الأذفونش، وهي حصن من حصون الأندلس من أعمال قلعة رباح، الحميري : الروض المعطار، ص٣٤٥،٣٤٤.

(٥) السنابك : مفردها سنبك، طرف الحافر وجانباه من قدمٍ ، ابن منظور : لسان العرب، ص٢١١١.

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٦١؛ العزاوي : رسائل موحدية،ج١، ص٢٦٦ .

(٧)ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص٢٧٤ ؛ بولقطيب : جوائح وأوبئة،ص٦٠؛ عبد الجبار : سقوط الدولة الموحدية، ص١٣٨ .

كما تذكر المصادر أنه في سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م "**هبت ريح شديدة بمدينة مكناسة وفاس ورباط تازة و أحوازها و استمر هبوبها يومين بليلتهما هدمت الديار وخلعت الأشجار ومنعت الأسفار واقتلعت من أشجار زيتون مكناسة شيئاً كثيراً** ".(٣) يلاحظ ممّا ذكر الأثر السلبي الكبير لتلك الرياح فقد قطعت طرق الاتصال بين المدن، ممّا انعكس سلبياً على الحركة التجارية والتنقل ، كما أدت لأضرار مادية سواء في المنازل أم بتخريبها للمحاصيل الزراعية وعلى وجه الخصوص أشجار الزيتون، وإذا ماعلم أنّ الغرسة الواحدة من الزيتون بحاجة إلى أربع أو خمس سنوات لتكون معطية للثمار عُرف حجم الأضرار التي أحدثتها تلك الرياح .

إن العواصف القوية المصحوبة بالثلج والبرد لها أثرها في قطاع الزراعة فهي تدمر المحاصيل، وتعيق نمو النباتات وتؤدي إلى تلفها، ويذكر في هذا السياق أن تلمسان كانت من أشد بلاد المغرب الأوسط برداً وجليداً،(٤) كما وهطلت أمطار غزيرة ومن ثم عواصف ثلجية أعقبها سيل كبير في المغرب فيذكر أنه " **في سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م كانت أمطار عظيمة ببلاد المغرب وثلوج كثيرة ، فعدم فيها البياض(الفحم) والحطب، فبيع البياض بمدينة فاس بدرهمين للرطل ، وأتلفت المحاصيل الزراعية ونتج عن ذلك بلاء عظيم** "،(٥) يلاحظ هنا أن الحطب كان وسيلة التدفئة الوحيدة أنذاك، وخضع كغيره من البضائع لقانون العرض والطلب، فازدياد الطلب عليه بسبب الطقس البارد والثلوج يؤدي إلى احتكاره، ورفع ثمنه من قبل التجار مما يزيد أحوال الناس سوءاً وبالأخص فقراءهم، ولايمكن الجزم أن سبب الغلاء قد يكون لانقطاع الطريق التجارية بسبب الأحوال الجوية، إنما يرجح أن للتجار الدور الرئيس في غلاء الأسعار، فبما أنه فصل الشتاء لا بد

---

(١) إقليم تامسنا:هو أقصى أقاليم مدينة فاس من ناحية الغرب، يبتدئ عند أم الربيع، ويمتد نحو الشرق إلى إقليم أبي رقراق الذي يصب في البحر بين رباط سلا والرباط، وتحده جنوباً تلال الأطلس الكبير وشمالاً بحر جبل طارق تجاه المحيط طول الشاطئ ثلاثون فرسخاً من أم الربيع إلى أبي رقراق وعرضه عشرون فرسخاً، كربخال: إفريقيا،ج٢، ص١٢٦.

(٢) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ٤٣١ ؛ السلاوي : الاستقصا، ج٣، ص٥٠.

(٣) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ٤١٢ ؛ السلاوي : الاستقصا،ج٣،ص ١٧٨،١٧٩؛ كريمي : قراءة المدينة الموحدية والمرينية، ص١١٣ .

(٤) ابن مرزوق (أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني ت٧٨١هـ/ ١٣٧٩م) :المسند الصحيح الحسن في مأثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح ، ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، ١٩٨١م، ص٢٢٢، سيتم ذكر المصدر باسم ابن مرزوق : المسند الصحيح.

(٥) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ٤١٢ ؛ السلاوي :الاستقصا، ج٣، ص١٧٩.

أن تكون مخازن التجار تحوي كمية كافية من الحطب والفحم لبيعه، ولكن أسلوب الاحتكار وآليته كانت موجودة منذ القدم والمتاجرة بغذاء الناس هي السبيل الأسهل للغنى والثراء .

وفي عام ٧٢٤هـ/١٣٢٣م أظلمت سماء فاس جراء سحابة عظيمة، مرت بها وأصابتها رياح شديدة و إعصار عظيم وأعقب ذلك نزول البرد مترافقاً مع مطر شديد، أدى إلى حدوث السيول التي حملت الناس والدواب من بقر وغنم وخيل. (١)

وتكررت السيول في فاس في العام التالي ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م، فقد ضرب وادي مدينة فاس سيل جارف لم تعهد فاس مثله يذكر في هذا الصدد أنه "**أتى سيل بوادي مدينة فاس، لم يعهد مثله وهدم السور وحمل الشباك وخرب الجنات، وقلع الأشجار العظيمة وهدم القناطر والديار وخرب سوق الصباغين وسوق الرصيف، وهدم القنطرة الكبيرة التي عليها سوق باب السلسلة وكان ممن هلك فيه من الناس المعروفين بأسمائهم دون من لم يعرف سبعمئة وثلاثين نفساً ومن الديار ألف دار ومائة دار ومن المساجد خمسة ومن الأرجاء ثمانية بيوت ومن الأفران اثنين ومن الحوانيت أربعة وتسعون حانوتاً**"،(٢) إذاً فالتأثيرات الاقتصادية السلبية كانت كبيرة جداً فقد دمر العديد من الأسواق بالبضائع التي تحتويها ومنازل السكان والأشجار والمزروعات، كما أنه أزهق الكثير من الأرواح ويرجح أن الأرقام قد تكون جانبت الصواب إنما ذكرت على هذا النحو للتعبير عن فداحة الخسائر .

وكانت بلاد المغرب تتعرض للفيضانات الناجمة عن الأمطار الكثيرة والتي كانت تؤدي إلى منع الحرث والبذر وإتلاف المحاصيل الزراعية، وهذا ماتشير إليه كتب النوازل الفقهية، إذ تذكر تضرر الفلاحين من تساقط المطر الزائد عن الحاجة ، فقد سئل في إحدى النوازل "**عن رجل استأجر موضعاً فأتى السيل ودخل عليه وحمل منه نحو الثلث وتعطل من غلته كذلك**".(٣)

---

(١)ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ٥٤٤ ؛ السلاوي الاستقصا،ج٣، ص١٧٩؛ مسعد (سامية مططفى):الحرب والطبيعة في المغرب الأقصى في عصر بني مرين، القاهرة، عين للدراسات والبحوث،٢٠٠٣م، ص٢٣ ؛ كريمي : قراءة المدينة الموحدية والمرينية، ص١١٣.

(٢) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٤١٤، السلاوي :الاستقصا، ج٣،ص١٨٠

(٣) الونشريسي : المعيار المعرب،ج٥، ص ٢٣٦.

كما هبت ريح عاصفية على المغرب الأوسط عام ٧٧٦هـ/١٣٧٤م، أدت لتضرر المحاصيل بشكل كبير، فانتشرت المجاعة جراء ذلك. [١]

ومما سبق يستنتج أن العوامل الجوية من سيول ورياح وثلوج ، قد تؤدي إلى تلف المزروعات وموت الحيوانات و لانقطاع الطرق وهذا بدوره يؤدي إلى ضعف الحركة وقلة اتصال المناطق بعضها ببعض وبالتالي تعيق القوافل التجارية والحركة بين المدينة والبادية ، فيفقد كل منهما الحوائج التي كان يستمدها من الأخر وتنضب الأسواق من بعض المواد فيزيد الطلب عليها، مع ندرتها مما يؤدي إلى غلائها واحتكارها ويصعب على الفئات الضعيفة أو العادية من الناس الحصول عليها مما قد يسهم بشكل كبير وبأثرٍ بالغٍ في حدوث المجاعات .

---

(١) الجيلالي : تاريخ الجزائر العام،ج٢، ص١٧٨ ؛ خليلي : الحرب وأزمة الغذاء، ص٢٤٤.

٣. الحرائق :

يمكن وصف اهتمام المؤرخين بإدراج أخبار الحرائق بالضعيف جداً ، حيث أنهم لم يدونوا منها إلا ما كان أثره واضحاً وخطيراً ، وعلى قلة ما تم رصده من حرائق خلال البحث تبينت الخسائر الفادحة التي نجمت عنها كخسائر في الأسواق والحوانيت والبضائع التي انعكست سلباً على أوضاع السكان المعيشية سواء أكانوا تجاراً أم حرفيين أم حتى مستهلكين .

فقد أثرت الحرائق سلبياً على حياة إنسان المغرب والأندلس، حيث طالت الأراضي الزراعية والغابات والمجالات الرعوية حيناً ونالت من الحواضر والأسواق حيناً، وتجلى ذلك في المناطق المعروفة بارتفاع درجات الحرارة فيها خصوصاً في فصل الصيف، و تزيد من قوتها الرياح القوية فتصعب السيطرة عليها ، خاصةً إذا أخذ بعين الاعتبار بدائية وسائل الإطفاء في الفترة المدروسة، وفي هذا الصدد يذكر "**أن حريقاً شبّ في قرطبة سنة٥٢٢هـ/١١٢٨م وانتشر لهيبه بسوق الكتان، ثم امتد إلى سوق البز(الثياب) فالتهم بضائع الناس وأموالهم**"،[١] فنتجت عنه مشاكل اقتصادية، تمثلت في ضياع البضائع والسلع المعروضة والمدخرة أيضاً .

كما واندلع حريق بمدينة فاس سنة٥٣٣هـ/١١٣٨م "**واحترق رأس عتبة الخرازين**[٢] **واحترق سوق الثياب والقراقين**[٣] **وغير ذلك من الأسواق ...وكان ذلك في أول الليل.فتلفت فيه أموال جليلة .وافتقر فيه خلق كثير**"،[٤] يستنتج ممّا ورد سابقاً ضياع الكثير من أموال التجار ما أدى لتغير أحوالهم من الغنى للفقر، وبما أن الحريق قد حصل ليلاً، قد يتبادر للأذهان أنه ربما كان حريقاً مفتعلاً، ولكن المرجح خلاف ذلك بسبب عدم ذكر المصادر لحوادث سرقة خلاله. وشب

---

(١) ابن القطان : نظم الجمان، ص ٢٢٢ ؛ ابن عبدون (محمد بن أحمد التجيبي ق٦هـ/١٢م)،ابن عبد الرؤوف (أحمد بن عبد الله ق٦ه/١٢م)، الجرسيفي(عمر بن عثمان بن عباس ق٦هـ/١٢م) : ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح، ليفي بروفنسال، القاهرة، مكتبة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م، ص٨٥ ؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص ٧٠.

(٢) الخرازين : هم صانعوا الأحذية من الجلد؛ الأندلسي (يحيى بن عمر الكناني٢٨٩ه/٩٠١م) أحكام السوق النظر والأحكام في جميع أحوال السوق، تح، محمد العمراوي السجلماسي، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص ٦٣، سيتم ذكر المصدر باسم الأندلس : أحكام السوق .

(٣) القراقون :هم صناع باعة الأقراق جمع قرق (بضم القاف وسكون الراء)، وهو ضرب من الأخفاف أو الصنادل، ابن القطان: نظم الجمان، ص ٢٦٨؛ بروفنسال : ثلاث رسائل أندلسية، ص١٠٢ .

(٤) ابن القطان: نظم جمان، ص٢٦٨.

حريق أخر في أسواق مدينة فاس، وطال لهيبه مسجد القرويين[1] "**وذلك في ليلة أربع وعشرين من شهر جمادي الأخرة سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م،طلع الحريق بالنار من سوق باب السلسلة حتى وصل إلى الباب (باب القرويين)، فاحترقت القبة التي كانت من الخشب واحترق أكثر الباب**"، ومن المرجح أن هذا الحريق تسبب بخسائر مادية، بحيث تعذر تجديد ما احترق من المسجد مدة لاتقل عن تسع وعشرين سنة ، إلى أن جددت القبة والباب عُمِرَ بن أمير المؤمنين يوسف بن عبد الله المؤمن بن علي عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م .[2]

وفي المغرب يذكر أن حريقاً قد حصل خلال عهد الموحدين عام ٦٠٧هـ /١٢١٠م، فقد شب بقيسارية[3]مراكش وأحرق بضائع التجار وأمتعتهم، فأحدث خللاً اقتصادياً واجتماعياً في المدينة ، قياساً لما تحتويه القيسارية من مرافق ودكاكين ومخازن، كما تذكر المصادر تزامن الحريق مع المجاعة فقد "**اشتدت فيه محن العوام و لقي الناس من تنوع المسغبة وانتشار المجاعة وعدم الأقوات** "،[4] فنتيجة لجوع الناس والمجاعة الناتجة عن سوء التدبير السياسي ، قام

---

(1) مسجد القرويين: جامع القرويين أو مسجد القرويين هو جامع في مدينة فاس المغربية، "وتم الشروع في بناءه في الأول من رمضان(٢٤٥هـ / ٨٥٩م) في عهد الإدريسي يحيى الأول (٢٣٤-٢٤٥هـ/٨٤٨-٨٥٩م)، وأن أم البنين فاطمة الفهرية هي التي تطوعت ببنائه، وظلت صائمة محتبسة إلى أن انتهت أعمال البناء، وصلت في المسجد شكراً لله"، ولقد وهبت كل ما ورثته لبناء المسجد. قام المرابطون بإجراء إضافات على المسجد، فغيروا من شكل المسجد الذي كان يتسم بالبساطة في عمارته وزخرفته وبنائه، إلا أنهم حافظوا على ملامحه العامة، وكان هناك تفنن من قبل المعماريين في صنع القباب ووضع الأقواس ونقش آيات القرآن والأدعية، وإن أبرز ما تركه المرابطون في المسجد هو المنبر الذي لا يزال قائماً إلى اليوم، وبعد المرابطين، قام الموحدون بوضع الثريا الكبرى والتي تزين المسجد الفاسي إلى اليوم و لمسجد القرويين سبعة عشر باباً وجناحان يلتقيان في طرفي الصحن الذي يتوسط المسجد،ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٥٤،٥٦؛ السلاوي : الاستقصا،ج١، ص٧٦،٧٧ .

(2) ابن أبي زرع : روض القرطاس،ص ٦٠،٦١ .

(3) القيسارية : إن هذه الكلمة هي الصيغة اللاتينية كوساريا، أو بالأحرى الصيغة اليونانية كيساريا.ويقال : إن القياصرة بنوا في مختلف المدن هذه الأسواق، وأحاطوها بأسوار؛ ليضعوا فيها حاصلات الضرائب وكذلك بضائع الأهالي لتكون في مأمن من النهب والسلب أيام الفتن والاضطرابات، الوزان :وصف إفريقيا، ج٢، ص٢٤٢ ؛ كربخال : إفريقيا، ج٢، ص٨٨.

(4) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٥٩ ؛ العلوش: أثر الكوارث، ص١٣٦؛ بولقطيب : جوائح وأوبئة،ص٦٢ ؛ عبد الجبار: سقوط الدولة الموحدية، ص١٣٩ .

اللصوص بتدبير الحريق للظفر بقوتهم.[1] أما عن أثر الحريق اجتماعياً فقد ارتد فيه كبار التجار من حالة الغنى للفقر والفاقة بسبب خسائرهم "**وذهب في هذه الكائنة للتجار الواردين والقاطنين ، والقاصين والدانين من الأموال الكثيرة ما لا يحصى ، وافتقر فيها أمة من ذوي اليسار وأصبحوا يتكففون الناس حيارى على أقطارهم**" [2] ويلاحظ مما سبق فداحة الخسائر الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على حريق القيسارية خاصةً، وأن البضائع والأموال للتجار المحليين أو الذين وضعوا بضاعتهم في القيسارية وسافروا وللتجار القادمين من البلاد المختلفة، ففي النص دلالة على أن التجار كانوا يستعطفون الناس للعودة لبلادهم التي جاؤوا منها .

كما عرفت مدينة فاس حريقاً مشابهاً لحريق قيسارية مراكش وذلك عام ٦٤٦هـ /١٢٤٨م ، وتقول المصادر : إن نتائجه كانت كارثية على اقتصاد المدينة فقد احترقت أسواق فاس من قنطرة

الصباغين واحترق سوق الغمادين [3]والصوابنيين[4] وصلت إلى باب الخبائر من جامع القرويين. [5] ويجدر التنويه أن هذا الحريق حدث بعد وفاة الخليفة السعيد الموحدي (٦٤٠-٦٤٦هـ/١٢٤٢-١٢٤٨م) ونشوب الفتن حول السلطة، فقد سيطر أبو بكر المريني على فاس ورباط تازة[6] ومن المتعارف عليه أن فترة انتقال الحكم من سلطة إلى سلطة أخرى تؤدي للاضطرابات على كافة الأصعدة فتكون الحالة العامة مهيئة لنشاط المخربين .

إن حدوث مثل هذه الحرائق يؤدي إلى خسائر في أموال التجار والحرفيين ، نتيجة لبدائية وسائل الإطفاء كما ذكر سابقاً ولانشغال الدولة بالفتن والحروب .

([1]) سيبحث في هذه السلوكيات بشكل أوسع في الفصل الرابع.

([2]) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٥٨ .

([3]) الغمادين: من يصنعون أغماد السيوف والسكاكين، غطاس (عائشة): الحرف والحرفيون في الجزائر ١٧٠٠- ١٨٣٠م مقاربة اجتماعية اقتصادية ، رسالة دكتوراه، الجزائر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،٢٠٠٠م، ص١٥٠.

([4]) الصوابنيين: صانعوا الصابون، ابن سعيد : المغرب ، ج١، ص٢٦٨؛ المقري: نفح الطيب، ج٢، ص٦٠٩.

([5]) بولقطيب : جوائح وأوبئة المغرب ،ص٦٢، ٦٣ .

([6]) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، ص ٧٢ ؛ البياض : الكوارث الطبيعية،ص٧٢ .

خلال عام ٧٢٣هـ/١٣٢٣م شب حريق أخر في أسواق مدينة فاس "**وفيها احترق سوق العطارين**[١] **الكبير في مدينة فاس** "،[٢] وكان ذلك الحريق في سنوات قحط وجفاف ، إذ كان للقحوط المترددة دورٌ في اندلاع الحرائق خاصةً في فصل الصيف، إذا وافقت هبوب رياح شرقية.

وتجدر الإشارة إلى أن الإجراءات التي اتخذت للحد من الحرائق ،اقتصرت عل" **مطالبة المحتسب التجار بوضع الماء أمام حوانيتهم لإطفاء النار حال اندلاعها**"،[3]ومن ذلك يستنتج ضعف الإجراءات الخاصة بالحرائق وبدائيتها.

---

(١) **العطارين : هم بائعوا العقاقير الطبية والأعشاب الطبيعية، السقطي(أبي عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي القرن ٥هـ/١١م) : كتاب في آداب الحسبة، تح، ليفي بروفنسال، باريس، مطبعة إرنست لورو، ١٩٣١م ، ص٤، بروفنسال : ثلاث رسائل أندلسية، ص ٨٦.**

(٢) **ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص ٤١٣ ؛ البياض: الكوارث الطبيعية، ص٧٣.**

(٣) **البياض: الكوارث الطبيعية، ص٧٣ .**

٤. **الزلازل:**

لم يشهد المغرب والأندلس زلازل متكررة ومتواترة نظراً لبعد مجاله الجغرافي نسبياً عن خط الزلازل، هذا ما لاحظته مصادر الفترة المدروسة، فقد ذكرت أن المغرب " **قليل الصواعق والزلازل**".[1] وعلى الرغم من قلة ذكر المصادر لحوادث الزلازل في المغرب والأندلس، إلا أن المنطقة قد شهدت خسائر مادية وبشرية فادحة نتيجة الزلازل، كما أعقبتها الأوبئة والأمراض ، ممّا زاد الأمر سوءاً، إذ يذكر أن زلزالاً قد ضرب المغرب عام ٤٧٢هـ/١٠٧٩م أدى لدمار الأبنية وإلى موت عدد كبير من الناس تحت الأنقاض، كما قيل إن هذا الزلزال بقي يتكرر في كل ليلة مدة تقارب الثلاثة أشهر من أول يوم من ربيع الآخر إلى أخر يوم من جمادى الآخرة من السنة المذكورة [2] وهذا ما أدى لفداحة الأضرار الناتجة عنه، وعاود الزلزال ضرب المغرب مرة أخرى عام ٥٠٤هـ/١١١٠م،[3] ومما لاشك فيه أن للزلزال أثره التدميري الكبير بالنظر لبدائية وسائل الإنقاذ آنذاك ، فلم يسجل في مجال الوقاية من خطر الزلازل في الفترة المدروسة سوى أن الإنسان في مثل تلك الحالات يفر للصحارى تجنباً للمخاطر الناتجة عن تهدم المباني.[4]

وفي الأندلس نقلت المصادر الأضرار التي لحقت بالعمران وخاصةً في المدن المأهولة ففي سنة ٥٦٥هـ/١١٧٠م " **حدثت زلزلة عظيمة عند طلوع الشمس وعند زوالها في جمادى الأولى في بعض بلاد الأندلس ، فكان الرائي يرى الحيطان تضطرب وتميل إلى الأرض ، ثم ترتفع وترجع إلى حالها بلطف الله تعالى وتهدمت من ذلك ديار كثيرة وصوامع مساجد بمدينة قرطبة وغرناطة وإشبيلية**" .[5]

---

(١) العمري : مسالك الأبصار، ج٤، ص ١٧١ .

(٢) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص ٢١٢.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٤، ص٣٠٥.

(٤) القرطبي(أبو يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م): أمثال العوام في الاندلس، تح، محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، ق٢، ص ٤٧٢، سيتم ذكر المصدر باسم القرطبي : أمثال العوام؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص٧٦.

(٥)ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص٣٩٧،٣١١؛ ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١١٠؛ الكركجي : الأزمات الاقتصادية، ص٦٠ .

وتزامن زلزال عام ٥٦٥هـ/١١٧٠م مع جفاف ومجاعة شديدين في الأندلس، هذا ما أدى إلى أضرار كبيرة بالأرواح والممتلكات العامة والبنى التحتية للمدن، إضافة إلى أن الجفاف من أهم شروط حدوث الهزات الارتدادية التي تمكث وقتاً طويلاً يتراوح بين حدود دنيا تقارب الثلاثة أشهر كما في الزلزال الذي ضرب المغرب عام ٤٧٢هـ/١٠٧٩م،[١] وبين حدود قصوى تصل لثلاث سنوات ترتفع فيها الزلازل تارةً وتهدأ تارةً كما في الزلزال الذي حدث في قرطبة عام ٥٦٦هـ/١١٧١م، حيث تذكر المصادر أن " **الزلازل قد تمادت بقرطبة ولم تنقطع إلا بعد ثلاثة أعوام أو نحوها** ". [٢]

وحدثت زلازل عديدة في بلاد المغرب كان لها أثرها السلبي في حياة الإنسان وممتلكاته ففي عام ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م " **كانت زلزلة عظيمة في بلاد المغرب اهتزت الأرض بها بمن عليها** ".[٣]

ومما تقدم يُستنتج أنه للزلازل أثار تدميرية تختلف بحسب شدة الزلازل ولكنها غالباً كانت لها أثار مدمرة وسلبية على الإنسان والحيوان والعمران في المغرب والأندلس، لاسيما أنها ترافقت في بعض الأوقات مع الجفاف والقحط، لتزيد من ضنك عيش الإنسان وتؤدي به إلى المعاناة من الدمار والجوع معاً.

---

(١) ابن رشد (أبو الوليد محمد بن أحمد٥٩٥هـ/١١٩٨م): الأثار العلوية، تح، سمر فضل الله،سعاد علي عبد الرازق،القاهرة، ١٩٩٤م، ص٤٣، سيتم ذكر المصدر باسم ابن رشد : الأثار العلوية ؛ ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١١٠ ؛ عنان : تاريخ الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢، ص٤٣ .

(٢) ابن رشد : الأثار العلوية، ص ٤٤؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص٧٧

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٠٢.

٥. **الجراد :**

كانت الآفات الحشرية هي الأخرى سبباً في حصول المجاعات، ومن هذه الأفات التي عانى منها المغرب والأندلس الجراد فهو من الآفات التي تهدد الأمن الغذائي، وتكمن خطورته في إتلافه الزرع والمحاصيل فهو يترك الجنات الخضراء صحاري مقفرة وكانت البيئة الصحراوية بمناخها الحار موطن انبعاث الجراد الجوال المتجه نحو المغرب والأندلس، وغالباً ماكانت هجمانه تخلف دماراً بيئياً ومجاعات بسبب قدرته الفائقة على إتلاف مئات الأفدنة[١] يومياً [٢]

ويذكر أن الجراد الذي اكتسح بلاد المغرب هو أحد أخطر أنواع الجراد ويسمى "الجراد الصحراوي" الذي ينتشر أفقياً من الهند إلى المغرب وعمودياً من سواحل البحر المتوسط إلى خط الإستواء وغالباً ينتشر في شمال إفريقيا في فصل الربيع .[٣]

وعانت الأندلس من تكرر موجات الجراد الصحراوي المهاجر في الفترة مابين سنة ٥٢٦-٥٣٠هـ/١١٣١ -١١٣٥م، إذ يذكر أن الجراد" **أكل ما كان على الأرض من زرع وكلأ**" ،[٤] يلاحظ هنا تكرر موجات الجراد في سنوات متتالية في الأندلس، وهنا قد يتبادر إلى الأذهان سؤال حول سبب تتالي موجات الجراد ؟هل كان بسبب بدائية أساليب المكافحة أو غيابها ؟ فاالملاحظ أنّ المصادر تسكت عن ذكر وسائل أو تدابير لمكافحة الجراد أو للحدّ من انتشاره، أم أن السبب يعود لعوامل أخرى أسهمت ببقاء الجراد من سنة لآخرى؟ يرجح أن تردد موجات الجراد يعود لقدرته الفائقة على خزن بيوضه إعداداً للموسم المقبل عن طريق حفظ بيوضه الكثيرة العدد في حفر تحت الأرض؛ لتفقس في موسم الربيع[٥] .

---

(١) الأفدنة : جمع فدان، وهو وحدة لقياس الأراضي الزراعية والفدان=٨٣٣, ٤٢٠٠م٢ هنتس : المكاييل والأوزان، ص٩٨.

(٢) البياض: الكوارث الطبيعية، ص٦٣ .

(٣) بلعربي : المجاعات والأوبئة، ص٢١.

(٤) ابن القطان : نظم الجمان،ص ٢٢٨- ٢٣٥- ٢٤٢-٢٥٢.

(٥)" ذلك أن الجراد إذا رعت أيام الربيع طلبت أرضاً طيبة التربة رخوة،ونزلت هناك وحفرت بأذنابها حفراً وباضت فيها كل واحدة مائة بيضة إلا بيضة وطارت،وآفتها الطيور والبرد، ثم إذا أتت أيام الربيع واعتدل الزمان يفقس ذلك البيض المدفون، ويظهر مثل الذباب الصغار على وجه الأرض،وأكلت زرعها حتى قويت، ثم تنهض إلى أرض أخرى وباضت كما فعلت في عامها الأول وهكذا دأبها"، القزويني (زكريا بن محمد بن محمود

وخلال القرن ٧هـ/١٣م تقلصت نسبة الجراد في الأندلس، ولا يعلم هنا ما إذا كان وراء تقلص نسبة الجراد اتخاذ تدابير لمكافحته ؟ وهو احتمال بعيد نسبياً نظراً لبدائية وسائل المكافحة أو غيابها، فالمصادر لا تذكر شيئاً حيال مكافحة الجراد فيما عدى ماذكرته بعض النصوص المناقبية عن دور الأولياء في إيقاف الجراد من خلال الكرامة،(١) أما عن دور السلطة في مكافحته ، فيمكن القول إن السلطة الحاكمة كانت عاجزة عن إيجاد حل لآفة الجراد، هذا العجز عكسته رسالة رسمية وجهها الأمير علي بن يوسف (٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٢م) يصف الدمار والخراب الذي يخلفه الجراد ، يمكن تأطيرها ضمن الحضور المعنوي للدولة ،من دون تقديم حلول إجرائية ، حيث يقول: " **إن الجراد داء عضال وجمرة تحرق البلاد وتجيع العباد وشأنها الفساد ينزل بالوادي وقد امتلأ عشباً وطلعت أزهاره شهباً فيتركه جمرة سوداء... أخرجوا له الجم الغفير ، ولايتخلف الكبير منكم ولا الصغير ، ولايأوي أحد منكم فراشه حتى تحرقوا فراشه وتبيدوا آثاره** "،(٢) يفهم ممّا ذكر سابقاً أنه لم تكن توجد وسيلة فعالة لمكافحة الجراد ماعدا الجمع والحرق وهي وسيلة محدودة الفعالية مالم تكن معدومة الفعالية، إزاء موجات الجراد التي عصفت بالمغرب والأندلس، ويلاحظ أيضاً من النص الخراب الذي تحدثه موجات الجراد عندما تضرب مكاناً ما، إذ تحيله من جنة إلى صحراء مقفرة ،وهذا مايؤثر سلبياً في المحاصيل الزراعية والصناعات القائمة عليها وبالتالي لاتعد مبالغة حين يقال إن الجراد قد يهدد لقمة عيش الإنسان ويؤدي إلى حدوث المجاعات.

يذكر أن نسبة الجراد قد ازدادت في المغرب ففي سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م ، ترك الجراد الأشجار عارية والسهول مقفرة، وتزامنت هجمات الجراد تلك مع القحط والمجاعة والغلاء،(٣)

ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م): عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، بيروت، منشورات مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٠م، ص٣٦٥، سيتم ذكر المصدر باسم القزويني : عجائب المخلوقات.

(١) حيث يذكر إن الشيخ أبو عبد الله الهواري إزاء خروج الناس في مدافعة الجراد طلب منهم أ لا يحاربوه " فانصرفنا إلى منازلنا ثم خرجنا عشية النهار فلم نجد منه جرادة واحدة "، ابن الزيات :التشوف، ص ١٨٠،١٨١.

(٢) بلعربي : المجاعات والأوبئة، ص٢١ ؛ مكي(محمود علي): وثائق تاريخية جديدة عن دولة المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مدريد، ١٩٥٩-١٩٦٠م، مج ٨-٧، ص١٨٨،١٨٦ ؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص١٧٨ ؛ دندش : الأندلس، ص١٧٠ .

(٣) ابن أبي زرع :الذخيرة سنية،ص ٥٤ ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٣٥٨ ؛ السلاوي : الاستقصا،ج ٢، ص٢٦٢ .

ويلاحظ من جديد تكاتف الظروف الطبيعية ضد الإنسان في المغرب في الفترة المدروسة، فكأن الإنسان لا يكفيه القحط والجراد والمجاعة الناتجة عنهما ، إنما وفوق ذلك يعاني الغلاء الذي يزيد قسوة معيشته .

وقد عانى المغرب من الجراد سنة ٦٢٤هـ /١٢٢٦م، فأثر سلبياً في المحاصيل بجميع أنواعها، فارتفع سعر القمح وجميع المواد الغذائية ،" **وفيها كان الجراد المنتشر بالمغرب** " . [١]

تسكت المصادر عن ذكر أخبار الجراد بين عامي ٦٢٥هـ /١٢٢٧ و ٦٧٨هـ/١٢٧٩م ، وقد يرجع السبب لانشغال المؤرخين بتدوين أخبار الحروب والمعارك أو لإتخاذ تدابير لمكافحة الجراد وهو احتمال بعيد نسبياً ، حيث لم يكن من حلول لتلك الآفة، بدليل أن الفقهاء اضطروا لإيجاد فتاوى للتخفيف من حدة أزمة الجراد باعتباره أمراً واقعاً لا حل له، و لاسيما في الشركات الزراعية[٢]، حيث يسقط الكراء في كل الأحوال التي يكون فيها الجراد سبباً في إتلاف المحاصيل سواء كلياً أو جزئياً باعتباره من الجوائح . [٣]

---

(١) ابن أبي زرع : روض القرطاس،ص٢٧٤؛ السلاوي : الاستقصا، ج٢، ص٢٦٤؛ بلعربي : المجاعات والأوبئة، ص٢١؛ بكاي : الحياة الريفية، ص٢٦٢ .

(٢) الشركات الزراعية : تعريفها أن يدفع رجل لأخر أرضاً يزرعها على جزء معين مشاع فيها يتم تحديده مسبقاً،كالنصف أو الثلث أو الربع لمدّة معينة أو لمدة سنة، أو يحصل أن تمتدّ لأعوام، و هي أن يتولى المزارعون تعمير الأرض بخدمتها،مقابل الحصول على خمس غلّتها، وتعود أربعة أخماس الباقية للملك. أما عن المكونات الخمسة لشركة الزراعة فهي : الأرض، والآلة،والعمل، والزريعة،والماشية، المازوني(أبو زكرياء يحي بن موسى بن عيسى ت ٨٨٣هـ/١٤٧٨م) : الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح، بركات إسماعيل، الجزائر، جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠٠٩-٢٠١٠م ،ج١، ص٣٧؛ الونشريسي : المعيار المعرب،ج٨،ص١٥٨؛ ابن حسن (محمد) :القبائل والارياف المغربية في العصر الوسيط ،تونس، دار الرياح الأربع، ١٩٨٦م، ص٥٨ .

(٣) الونشريسي: المعيار المعرب، ج٨، ص١٦٤.

وتتالت موجات الجراد فقد تعرض المغرب سنة٦٧٩هـ /١٢٨٠م للجراد ، فأكل جميع الزروع فقد "**كان الجراد العام بالمغرب أكل الشجر والزرع ولم يترك خضراء على وجه الأرض وبلغ القمح عشرة دراهم للصاع**"[١]، مما يدل على ارتباط موجات الجراد بنفاذ القوت والمجاعات. [٢]

ومماسبق يستنتج أن الجراد من الآفات الخطيرة التي هددت المناطق الزراعية في المغرب والأندلس ، وأحدثت أضراراً بالغة في الزراعة ، وانعكست أثارها على أحوال البلاد الاقتصادية ففي السنوات التي يهاجم فيها الجراد الأراضي، كان يقضي على الإنتاج، وبالتالي ستفتقر الأسواق إلى المواد الزراعية الضرورية، وينتشر الغلاء والمجاعة جراء ذلك خاصةً، وإن إمكانية الدولة بالحد من أضرار الجراد لم تكن ذات فائدة كبيرة في هذا المجال.

---

(١) الصاع : الصاع =٤ أمداد، وصاع النبي ٤,٢١٢٥لتر بالضبط وهو =٢,٠٣٥ كيلو غرام تقريباً،السرهيد (خالد بن سعد بن محمد): الصاع النبوي تحديده والأحكام الفقهية المتعلقة به، الرياض، دار طوق، ٢٠١٠م ، ص ٢٣ ؛ هنتس : المكاييل والأوزان، ص٦٣.

(٢) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص ٤٠٥ ؛ الهلالي: أثر القحط والمجاعات،ص١٩٢؛ كريمي : قراءة المدينة الموحدية والمرينية، ص١١٢؛ بكاي : الحياة الريفية، ص٢٦٣ .

ب – الأسباب البشرية :

– الفتن والحروب وعلاقتها بحدوث المجاعات ما بين القرنين (٦–٨هـ/١٢–١٤م):

إنّ الباحث في معالجة علاقة الحرب بالمجاعات يجب أن يبتعد عن المسار المألوف في وصف الحروب بين قعقعة السيوف وتمجيد القادة، فعلى الباحث أن يرتحل من عالم الحروب والسياسة إلى عالم الاقتصاد والاجتماع، فقد كانت الفتن والحروب ولا تزال من أهم أسباب الاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية، حيث فاقت أضرار الحروب أحياناً الأضرار الناجمة عن الجوائح والكوارث الطبيعية.

وقد فرضت الطبيعة الحربية لدول المغرب والأندلس في الفترة المدروسة نوعاً من التعدد والتنوع في مكونات الجيش، وجعلت من العطاء وتوفير النفقات مفتاحاً لإنجاح مشاريعها أو فشلها، كما أن الحضور المكثف للظاهرة الحربية طبع الدولة بالطابع العسكري، ويجب الاعتراف أن الجيش كان وراء عدد من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، ففي فترات ضعف الدولة كان العطاء الذي اعتاد الخلفاء والسلاطين على منحه لأفراد الجيش يقل، ولتفادي تمرد الجيش كان الخلفاء في عهد الأزمة يرسلون عناصرهم لانتزاع رواتبهم من السكان العزل أو من أفراد القبائل الخارجة عن نفوذ الدولة .[١]

وقد تضرر المغرب كثيراً بسبب الحروب والفتن بين الإمارات الثلاثة (الحفصية والزيانية والمرينية)، كما عانت الأندلس من الحروب بين الإسبان والمسلمين و حروب سلاطين المسلمين مع بعضهم من أجل السلطة، إضافة للثورات من طرف القبائل المعارضة للسلطة والأعراب وغزوات المسيحيين لسواحل المغرب ولأراضي الأندلس من دون أن يتم إغفال الصراع على الحكم بين الأسرة الحاكمة وما نتج عنه من تبديد للمال والأنفس .[٢]

---

(١) بولقطيب : جوائح وأوبئة، ص٢٤،٢٥ ؛ فتحة(محمد): النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن٦ –٩هـ/١٢–١٥م، جامعة الحسن الثاني عين الشق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الدار البيضاء، ١٩٩٩م، ص٢٨٥ ؛ حسن (محمد): المدينة والبادية بإفريقيا في العهد الحفصي، تونس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٩م، ج١، ص ٢٣٢.

(٢) للتعرف على أبرز الفتن والحروب، ينظر الملحق رقم (١١) جدول الفتن والحروب في المغرب والأندلس ما بين القرنين(٦–٨هـ/١٢–١٤م) .

وقد عد بعض الفقهاء الجيش من الجوائح،[1]أما بعضهم الآخر فقال : بإنه ليس بجائحة إلا إذا كان التضرر بمقدار الثلث فأزيد.[2]

لقد كانت دول المغرب والأندلس في الفترة المدروسة دولاً عسكريةً بامتياز ،إذ أولت جل اهتمامها لقضايا "الجهاد" داخلياً وخارجياً، وعلى سبيل المثال إن الدولة الموحدية قد أولت أهمية كبيرة للقوة العسكرية، نظراً إلى المساحة الشاسعة التي كان على الدولة مراقبتها والدفاع عنها، ولايخفى أن مثل هذه القوة تحتاج لمصاريف وتكاليف باهظة لدفع الرواتب وإطعام تلك الجيوش وتسليحها وإعطائها الهبات والأعطيات التي كانت توزع عليها وهي في طريقها إلى ساحة المعركة.

وإذا كانت الأمور تسير على ما يرام في زمن السلاطين الأقوياء، فإن الأعوام المتأخرة من عمر الدولة تتميز عادةً بالاضطرابات والقلاقل؛ ولذلك توجه الدولة جميع إمكاناتها الاقتصادية إلى خدمة أهدافها العسكرية الشيء الذي يؤثر سلباً في القطاعات الإنتاجية ، ويمكن القول إن أحد الأسباب البارزة للمجاعات والكوارث في الفترة المدروسة، هو أن أسلوب الإنتاج هو "**أسلوب الإنتاج الحربي**"،[3] الذي يعنى به أن الدولة تسخر جلّ دخلها في سبيل الأعمال الحربية، وتدعم الصناعات والحرف التي يحتاجها الجيش من عتاد وأسلحة وأدوات حصار، ولاتعير الاهتمام ذاته للقطاعات الاقتصادية الأخرى، ومن الخطط الحربية المتبعة في ذلك الوقت أسلوب الأرض المحروقة وهو أسلوب اتبع لضرب اقتصاد العدو حتى يتم إخضاعه، ويكون ذلك بتخريب المدن والقرى، وحرق المزارع واقتلاع أشجارها بموافقة ضمنية من المفتين. [4]

---

(١) الكناني(أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن سلمون ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م) :العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام، تح،محمد عبد الرحمن الشاغول، القاهرة، دار الآفاق العربية، ٢٠١١م، ص٢٦٩ ، سيتم ذكر المصدر باسم الكناني : العقد المنظم ؛ بولقطيب : جوائح وأوبئة ، ص٢٥ .

(٢) الغرناطي(أبو إسحاق إبراهيم ابن أحمد بن عبد الرحمن ت ٥٧٩هـ/١١٨٣م) :الوثائق المختصرة، تح، إبراهيم بن محمد السهلي، المدينة المنورة، منشورات الجامعة الإسلامية ، ٢٠١١م، ص ١٨٣، سيتم ذكر المصدر باسم الغرناطي : الوثائق المختصرة ؛ فتحة :النوازل الفقهية، ص٢٨٦ .

(٣) بولقطيب : جوائح وأوبئة المغرب، ص٣٢،٣١ ؛ عبد الجبار : سقوط الدولة الموحدية، ص١٣٣ .

(٤) ابن هذيل(علي بن عبد الرحمن ت بعد ٧٦٣هـ/١٣٦١م): تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، تح، عبد الإله أحمد نبهان، محمد فاتح زعل، الإمارات العربية المتحدة، مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٤م، ص١٧٤، سيتم ذكر المصدر باسم ابن هذيل : تحفة الأنفس.

ففي عام١٥٤١هـ/١١٤٦م عانت مراكش من مجاعة شديدة جراء حصار الموحدين لها إلى أن سقطت بيدهم فقد "**هلك الناس جوعاً وعدمت الحيوانات والحنطة**"، في إشارة لفراغ المخازن جراء الحصار الذي استمر تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً، إذ استهلك الإنسان ليس الحنطة وحدها بل الحيوانات أيضاً، إذ لم يبقَ ممّا يسد الرمق ما اضطر المدينة للاستسلام في نهاية المطاف،[1] فالحصار أسلوب من أساليب الضغط العسكرية والحربية لإجبار المدن على الاستسلام.

ورغم دخول إشبيلية في طاعة الموحدين في(شعبان سنة ٥٤١هـ /كانون الثاني ١١٤٦م)، [2] فإنها لم تنعم بالأمان سوى أشهراً عديدةً من جراء الفتن التي أثارها الجند الموحدي بداخلها من جهة، ومن جهة أخرى بسبب تعرضها للإغارة المتصلة من قبل الجهات المجاورة لها مثل لَبلة وقرطبة اللتين كانتا حينئذٍ خارج سيطرة الموحدين فقد ساءت أحوال سكان إشبيلية وظلوا على هذا الحال قرابة سنتين خلال عامي (٥٤٢-٥٤٣هـ /١١٤٧-١١٤٨م)،[3] وزاد من الأزمة تعرض المدينة إلى حصار بحري وتوقف التجار عن تسيير بضاعتهم خوفاً على أرواحهم وأموالهم، فحدثت المجاعة التي رافقها الغلاء "**حتى بيعت خبزة بدرهم ونصف، وبيع قدح القمح بستة وثلاثين درهماً، وباع الناس أموالهم بإشبيلية بالأيسر اليسير، واستوى الغني بها والفقير**"،[4] يلاحظ هنا قسوة المجاعة فعادةً ماكانت تؤثر المجاعات في فقراء الناس أكثر من سواهم إلا أن تأثيرات هذه المجاعة قد طالت الفقراء والأغنياء على السواء، وهذا إن دل على شيء فيدل على شدة المجاعة وقسوة الظروف التي عانت منها فئات المجتمع كافة .

---

(1) ابن عذارى : البيان المغرب،قسم الموحدين،ص٢٧؛ أبو الفداء : المختصر، ج٢، ص٢٣٤؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص٥٧؛ عنان : تاريخ الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق١، ص٢٦٣،٢٦٢؛ خلف الله : العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق، ص١٠٤ .

(2) ابن خلدون : العبر،ج٦،ص٣١٣؛ السلاوي : الاستقصا، ج٢،ص٢٣٢ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، ق ١، ص٣٢٩؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص٣٩ .

(3) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٨،٣٣ .

(4) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٨،٣٣ ؛ ابن خلدون : العبر،ج٦،ص٣١٤ ؛ السلاوي: الإستقصا، ج٢،ص ١١٨ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، ق ١، ص ٣٣٢ ؛ أبو رميلة، علاقات الموحدين، ص٩٦ .

وفي عام ٥٤٣هـ /١١٤٨م حاصر الإسبان قرطبة، فحدثت بها مجاعة حتى تم رفع الحصار عنها،[١] ولكن تذكر المصادر أن الأذفونش (ألفونسو العاشر) ملك طليطلة حصر قرطبة سنة ٥٤٥ هـ/ ١١٥٠م وهي في ضعف وغلاء لمدة ثلاثة أشهر،[٢] ولا يعرف بالضبط هل هو الحصار نفسه المشار إليه أم هو حصار آخر ومن ثم مجاعة أخرى عاشتها المدينة ، بيد أن قرطبة قد عانت كثيراً فيما بعد من هجوم إبراهيم بن هَمشك، حليف وصهر محمد بن مَرْدَنيش سيد شرق الأندلس، وتكثيفه للغارات عليها وقطعه زروعها كل صيف على مدى السنوات الثلاث التي كان فيها الموحدون مشغولون بفتح إفريقيا ٥٥٣-٥٥٥هـ / ١١٥٨-١١٦٠م، ولهذا يُذكر أن الموحدين عندما دخلوا قرطبة ٥٥٧هـ / ١١٦٢م وجدوا بها عدداً قليلاً من سكانها في حالة يُرْثى لها بسبب الفتنة والمجاعة .[٣]

كما قام ملك قشتالة بحصار مدينة قونقة ٥٧٢هـ/١١٧٦م فعانى أهلها من المجاعة والمرض والطاعون، واستمر الحصار حوالي تسعة أشهر، وعندما حاول الموحدون فك الحصار هرع ملك أرغونة بقواته لمساعدة ملك قشتالة ، ففشل الموحدون في إنقاذ المدينة ،حتى اضطرت المدينة أخيراً للتسليم تحت وطأة الجوع والعطش في شهر ٥٧٣هـ/١١٧٧م. [٤]

وتذكر المصادر أن الخليفة أبا يعقوب يوسف (٥٥٨- ٥٨٠هـ / ١١٦٢-١١٨٤م) لدى انسحابه من غزوة وبذة قد مر على قونقة، ويبدو أنه سار عنها من دون وضع حامية فيها بل اكتفى بتوزيع الصدقات على الناس وذلك عام ٥٦٧هـ/١١٧٢م ، إذ تعرضت المدينة لحصار الإسبان قرابة خمسة أشهر، لكنهم انسحبوا عند قدوم النجدة الموحدية، ووصفت المصادر أهل مدينة قونقة بعد أن تم فك الحصار عنهم "**كأنهم قد نشروا من كفن وخرجوا من جدث**" من شدة

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين،ص ٤٢،٤٣؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص١١٢ .

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٣٦٦،٣٦٧ .

(٣) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص ١٨٦-٢٠٤- ٢٠٥ ؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٢٥٩، ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٧٤-٧٧-٧٨؛ دندش : الأندلس،ص١٧٢ .

(٤) أشباخ : تاريخ الأندلس، ج٢، ص٣٩؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢، ص٩٥-٩٧.

ما قاسوه من الجوع ، وتدني المستوى المعيشي أثناء فترة الحصار، فأمر الخليفة بإمدادهم بالطعام والسلاح [١].

والمثير للاهتمام في الأمر أن هذا الجيش الموحدي نفسه بقيادة الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، الذي أنقذ أهل قونقة من الهلاك، تعرض في حملته العسكرية تلك التي عرفت بغزاة وَبْذة [٢] والتي استمرت نحو خمسة أشهر من (الإثنين ١١ من شوال عام ٥٦٧هـ / ١١٧١م إلى الخميس ٨ من ربيع الأول سنة ٥٦٨هـ /١١٧٢م) لشدائد عدة منها قلة الزاد حتى وصل الحال إلى وصفها بالمجاعة،[٣] وقد يتبادر للذهن هنا تساؤل وهو كيف لجيش يعاني هو نفسه من المجاعة أن يمد مدينة بالطعام والمؤن !؟ ربما يكون الخليفة قد أرسل بطلب المؤن من المغرب، ولكن المصادر تسكت عن ذكر طلب الخليفة لأي مؤن من المغرب، فيرجح أن تكون تلك المعونات التي فرقها الخليفة لم ترقَ للمستوى المطلوب بحيث تمنع حدوث مجاعة في المدينة إذا ما عاود الإسبان حصارها، فمدينة قونقة حصينة جداً، ولو تم تزويدها كما يجب بالغذاء والطعام لربما قاومت الحصار أكثر، كما إن جيشاً يعاني المجاعة يمد مدينة بالطعام حدث يحتاج إلى إعادة التفكير، فقد يكون الخبر محض تمجيد للخليفة أبو يعقوب يوسف وتغطية على هزيمة وبذة، إذ نقل هذا الحدث عن ابن صاحب الصلاة مؤرخ الموحدين[٤] القريب من السلطة الحاكمة آنذاك.

و يذكر إنّ الموحدين حاصروا المرية شهوراً عديدةً في سنة ٥٤٦ هـ/ ١١٥١م،[٥]وكانت المدينة قد وقعت قبل ذلك في سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م في أيدي الإسبان، ولكن حدث أن اشتد الغلاء في المعسكر الموحدي وعدمت الأقوات، فرفع الموحدون الحصار، ورحلوا عن المدينة، وعادوا إلى

---

(١) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة،ص ٤١٥،٤١٦؛ الكركجي : الأزمات الاقتصادية،ص١١٠ .

(٢) وبذة : مدينة في الأندلس وهي حصن على واد بالقرب من أقليش، وعلى وادي وبذة عدد كبير من الأرحاء، الحميري : الروض المعطار، ص٦٠٧.

(٣) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص٤١٦-٤١٧-٤٢٠-٤٢١؛ ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٢٣.

(٤) ابن سودة (عبد السلام بن عبد القادر) : دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لبنان، دار الفكر، ١٩٩٧م،ص٩٠؛ الزركلي : الأعلام، ج٤،١٦٤ .

(٥) ابن خلدون : العبر،ج ٦، ص٣١٣ ؛ السلاوي : الاستقصا،ج٢،ص١٠٧؛ عنان : تاريخ الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ١، ص٣٢٠ ؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص٩٨ .

إشـبيلية،[1] ومـن الجـدير ذكـره أنّ بعـض المصـادر تجعـل حصـار المريـة وفتحهـا فـي عـام ٥٤٦هـ/١١٥١م،[2] إلا أنه من المعلوم أن استيلاء الموحدين على المرية تمَّ في أواخر سنة ٥٥١ أو أوائـل ٥٥٢هـ/١١٥٧م[3] ومـع ذلـك، فلـيس مـن المسـتبعد أن الموحـدين قـاموا بمحاولـة أولـى لاستخلاص المدينـة مـن أيدي الإسبان فـي سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م، ولكـن مـا يهم فـي هذا السياق الإشـارة إلـى الغـلاء وقلـة الأقـوات فـي الجـيش الموحـدي، فضـلاً عـن تزعـزع سـلطة الموحـدين فـي غرناطة على إثر استيلاء ابن همشك على قصبتها ثم هزيمة الموحدين في مرج الرقاد عام ٥٥٧هـ/ ١١٦١م، [4]ما جعل الخليفة عبد المؤمن(٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٢٩-١١٦٢م)، في إطـار استعداده لـدخول الأنـدلس وتـدعيم سـلطته هنـاك، يقوم بإعداد كميـات هائلـة مـن القمـح والشـعير فـي مرسـى المعمورة علـى وادي سبو، حيث قيل إن المؤن كانت مكدسـة كالجبـال، بطريقة لـم يسبق لخليفة أخر أن وضعها، ثم يذكر أن الميرة بقيت في موضعها المذكور قرابة خمس سنوات، من سنة ٥٥٧ إلى ٥٦٢هـ / ١١٦١-١١٦٦م، حتى فسد وفني وأصبح تراباً،[5] ويلاحظ هنا سوء الإدارة والتدبير المتبع من قبل الخليفة وأعوانه ، فتارةً تعاني جيوشه المجاعة وقلة المؤن وتـارةً تكدس المؤن لتفسد بلا فائدة تذكر، إذ كان حرياً به أن يأخذ بعين الاعتبار احتياجات الجند من الطعام والميرة في فترة الخروج في المعارك، ويتصرف على أساسها لا تكون المؤن أقل من اللازم ولا فائضـة عن احتيـاج الجويذكر أنه بعد استعادة قصبة غرناطـة علـى إثر انتصـار الموحدين في موقعـة السبيكة ٥٥٧هـ/ ١١٦١م،[6] ملئـت مخـازن المدينـة بكميـات كبيـرة مـن القمـح والشـعير والملـح وآلات الحـرب، نُقلِت إليهـا مـن المغرب إلـى حصـن المنكب [7]ومنـه إلـى غرناطـة،[1]وقد يتبـادر إلـى الـذهن أن الكميـات

([1])ابن الأثير : الكامل، ج ٩، ص٣٧٠ ؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص١٠٢ .

([2]) ابن أبي زرع : روض القرطاس،ص ١٩٣،١٩٤ .

([3])المراكشي : المعجب،ص٢١٠،٢١١؛ ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٥٥؛ ابن خلدون : العبر،ج٦، ص٣١٣؛ عنان : تاريخ الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ١،ص٣٤٦،٣٤٧.

([4]) ابـن صـاحب الصـلاة : المـن بالإمامـة، ص١٢٨،١٢٩ ؛ ابـن الخطيـب : الإحاطـة،ج٢، ص ٤٢٣؛ أبـو رميلة: علاقات الموحدين، ص١١٨ ؛ عنان : تاريخ الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ١، ص٣٨٨ .

([5]) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص١٤٧؛ اسكان : المجاعات والأوبئة، ص١٤٢ .

([6]) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة، ص ١٣٠؛ ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٧٦.

([7]) المنكب : مرسى المنكب صيفي وله نهر يريق في البحر، وعليـه حصن كبير لايرام ،وبقرب الحصن مـن الشمال ديماس عظيم مبني من الحجارة مربع الأسفل محدد الأعلى ارتفاعه حوالي مائـة ذراع ويتلو مرسـى المنكب من الشرق مرسى شلوبينية ومن غرناطة إلى المنكب على البحر ٤٠ميلاً ، ومن المنكب إلى مدينـة

الأخيرة المذكورة هي نفسها الأولى، قد نُقِلت إلى غرناطة، أو قد تم نقل جزءٍ كبير منها، لكن لا يمكن الجزم بذلك، وعلى كل الأحوال، وبحسب المصادر فإنها كانت كميات هائلة عمرت بها المدينة وأمن بها الموحدون على أنفسهم، وممّا لا شك فيه أن نقل الميرة بمثل هذه الكميات الضخمة من المغرب ، إنما يدل على عدم استقرار سلطة الموحدين بالأندلس حتى أواخر عهد الخليفة عبد المؤمن، وأنهم لم يكونوا بعد قادرين على توفير الميرة لجيشهم اعتماداً على مصادر تموين أندلسية، فجلبوها من المغرب .

و يذكر أنه في عام ٥٦٥هـ / ١١٦٩م ، قد ساءت حال سكان مدينة بطليوس وعانوا من قلة الطعام والمؤن، ولم يذكر سبب ذلك، ولكن غالباً كان بسبب تعرضها لمضايقة صاحب قلمرية[٢]ابن الرنك[٣] فاغتنم الفرصة ونزلها بجنوده، فامتلكوها وحاصروا الموحدين الذين في قصبتها، كما وقطعوا الطريق المؤدية للمدينة ممّا تسبب بمنع القوافل التجارية من الوصول إليها، فجمع لهم الموحدون بإشبيلية مؤناً عظيمة وأرسلوها مع جمع من العسكر، فخرج لهم جيش ابن الرنك، فهزم المسلمين وقتل قائدهم ونهبت الميرة في ٢٦ من شعبان/ ١٥ أيار من العام المذكور.[٤] وفي عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م تقدم الجيش البرتغالي، وحاصر مدينة شلب براً وبحراً ، وأقدم

المرية ١٠٠ميل في البحر، ومن المنكب إلى مالقة ٨٠ميلاً ، الحميري : الروض المعطار، ص ٥٤٨؛ أرسلان : الحلل السندسية ،ج١، ص٨١ .

(١) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص١٣٧ ؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص١٢٠ .

(٢) قلمرية : مدينة بالأندلس، بينها وبين قورية أربعة أيام وهي على جبل مستدير وعليها سور حصين ولها ثلاثة أبواب، وهي في غاية الحصانة،وبين قلمرية وشنترين ثلاثة مراحل، وبينها وبين البحر اثنا عشر ميلاً، الحميري : الروض المعطار، ص٤٧١.

(٣) ابن الرنك : ألفونسو الأول(٥٢٢-٥٥٣هـ/١١٢٨ -١١٥٨ م) الذي يلقّبه البرتغاليون بالفاتح أو المؤسس أو العظيم، ويعرف في الروايات العربية باسم ابن الرَّنك أو ابن الرَنْق أو البرتغالي، والذي كان أول ملك للبرتغال بعدما استقلّ سنة٥٣٤هـ/ ١١٣٩ م بالجزء الجنوبي من مملكة جليقية متمردًا على تبعيته لمملكة ليون، وضاعف مساحتها حتى وفاته سنة٥٥٣هـ/ ١١٥٨ م من خلال حروبه مع المسلمين، كما انتزع اعتراف ملك قشتالة بحكمه بعد انتصاره عليه في معركة فالديفيز، بموجب معاهدة زامورا عام٥٣٨هـ/ ١١٤٣م. ألفونسو الأول هو ابن هنري كونت البرتغال وتيريزا كونتيسة البرتغال الابنة غير الشرعية لألفونسو السادس ملك قشتالة، زنيبر (محمد): البرتغال الأندلسية دراسات في الحضارة الإسلامية وثقافة الغرب الإسلامي، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٠م، ص٢١٢.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١١٠ ؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص٣٠٦ ؛ الكركجي : الأزمات الاقتصادية، ص١٠٩

على نهب ما حول المدينة من أرباض، وكان شرب المدينة من النهر القريب منها بواسطة بئر كبير، فقطعوا الماء عن المدينة ما شكل ضربة مؤلمة لسكانها، فعانوا الجوع والعطش جراء الحصار المطبق عليهم فآثر أهلها الاستسلام بعد حصار دام ثلاثة أشهر،[1] وعندما يبحث في الأثر السلبي للحروب والفتن يجب ألا يغفل الأثر السلبي التدميري لثورة بني غانية (٥٨٠-٦٣٣هـ/١١٨٤-١٢٣٥م)، فقد استمرت هذه الثورة مايزيد عن خمسين سنة ولعل هذه الثورة أفضل مثال على ما تحدثه الحروب من دمار عمراني وزراعي وصناعي الأمر الذي ينجم عنه تدني المستوى المعيشي للسكان والمجاعات، كما كان تدمير المجاري المائية من الآثار الخطيرة لثورة بني غانية، فقطع الماء من الأمور الشائعة في الحروب، لما للماء من ضرورة لحياة البشر والعطش يدفع المتحصنين في القلاع للاستسلام، ويؤدي إلى بوار الأرض وتصحرها، ويتبعها صعوبة استغلالها ،ومما يذكر في هذا المجال أن علي بن إسحاق بن غانية أثناء حصاره لقسنطينة ٥٨٨هـ /١١٩٢م، قام بقطع المياه عنها حيث" **بلغ أهلها من الحصار إلى حال مؤذنة بالدمار وانتهوا من الجد والتضييق إلى ما أغصهم من الريق**"،[2] وإذا كان الماء ضرورة حيوية لا يمكن الاستغناء عنها في الزراعة وفي شتى ميادين الحياة فإنه لا يمكن تصور زراعة من دون أمن واستقرار؛ لأن عملية الزراعة وجني المحصول قد تأخذ نحو سنة والفلاح مستقر في أرضه دائم العناية بها، فإذا انعدم الأمن كانت الزراعة أولى مصادر العيش التي تتضرر، وإذا استمر انعدام الأمن والحروب في منطقة ما ، فلا حلّ إلا الرحيل وترك الأرض للبوار مع مايتبع ذلك من مجاعات وقحط .

وكان تخريب الأراضي الزراعية عمل دأب عليه الموحدون وبنو غانية على السواء في حروبهم ، فعندما توجه الخليفة الموحدي يعقوب المنصور(٥٨٠- ٥٩٥ هـ/١١٨٤-١١٩٨ م) إلى إفريقيا ٥٨٢هـ/١١٨٦م للقضاء على حركة ابن غانية في قفصة، فوصل إليها ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وحاصرها لمدة أشهر باستخدام آلات الحصار والمنجنيق وإزاء مناعة حصونها، عمد يعقوب المنصور إلى عملية إتلاف بساتين النخيل والزيتون إمعاناً في إجبار الأهالي على الاستسلام ، فقد تعهد" **أن يقطع في اليوم ألف نخلة** " فآثر أهل قفصة الاستسلام، بعد نفاذ

([1]) عنان : تاريخ الإسلام في الأندلس ، العصر الثالث، ق ٢،ص٧٠؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين،ص٣٠٦؛ الكركجي : الأزمات الاقتصادية، ص١١١ .

([2]) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين،ص ١٧٩، ابن قنفذ : الفارسية ،ص١٠٣.

المؤن،[1] ومع أن هذه الرواية تحتوي الكثير من المبالغة إلا أنه إذا أخذ الحنق الكبير الذي حاصر فيه المنصور قفصة بعد هزيمة عمرة الشنيعة٥٨٣هـ/١١٨٧م[2] والمجزرة التي ارتكبت بحق جيشه فيها بعين الاعتبار، يرجح عندها أنّ الرواية يمكن أن تحتوي في طياتها على مايؤكدها، وكذلك عندما حاصر يحيى بن إسحاق الميورقي ٥٩١هـ/١١٩٤م قابس قطع كل غاباتها ولم يترك إلا نخلة واحدة للعبرة .[3] وتجدر الإشارة هنا لأن نواة التمر تحتاج على الأقل من ستة إلى سبعة سنوات حتى تنمو وتصبح نخلة يجنى منها التمر، وبما أن ثورة بني غانية دامت خمسين سنة، فهذا يعني أن نخل قابس وبلاد الجريد قد يكون انقطع لمدة ثلاثين سنة، أي إلى معركة تاجرا ٦٠٢هـ/١٢٠٥م بداية انكفاء ثورة بني غانية،[4]لأن هاتين المنطقتين كانتا مسرحاً لمعارك ابن غانية مع خصومه من الولاة الموحدين وجيوش الخلفاء، قراقوش ،[5] وابن عبد الكريم.[6]

وكان العبث والفساد صفة لجيوش بني غانية سواء غَلبوا أم غُلبوا، ومما يذكر في هذا الصدد أنه بعد غزو ابن غانية لتاهرت أطلق العنان لجيوشه " **فعاثوا فيها عيث السباع الضاريات ،**

([1])التجاني: رحلة التجاني، ص١٣٩؛ حسن (عباس): قفصة في عهد الموحدين ٥٤١-٦٦٨هـ/١١٤٦-١٢٦٩م، مجلة آداب البصرة،ع ٥٠، جامعة المثنى، ٢٠٠٩م، ص ١٩٨ .

([2]) المراكشي: المعجب، ج٢ ص١٩٧؛ ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٨٨ ؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص ١٦٣ .

([3]) التجاني: رحلة التجاني، ص ١٠٦ ؛ نويوة :أثر ثورة بني غانية، ص٨٥ .

([4])ابن خلدون : العبر،ج٦، ص٣٣٤ ؛ الباجي : الخلاصة النقية، ص ٥٨ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢، ص ٣٤ .

([5]) ظهر العداء بين الحليفين يحيى ابن غانية وقراقوش، حينما سيطر قرقوش على قابس ثم سار إلى طرابلس وبدأ يملك البلدان الواحدة تلو الأخرى حتى ملك أكثر بلاد الجريد التي يعدها ابن غانية ملكه ، فكان لابد للحليفان السابقان أن يقوم أحدهما بتصفية الأخر، فسار يحيى بن غانية لقرقوش والتقيا بمنطقة تدعى محسن قرب طرابس وهزم قرقوش وتحصن في ودان، ثم هزم وقتل باهر ودان ٦٠٩هـ/١٢١٢م، ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٧٠ ؛ التجاني: رحلة التجاني، ص ١٠٤،٢٤٣.

([6]) محمد بن عبد الكريم الرجراجي: يعود أصله لقبيلة كومية أمازيغية في البداية حارب الأعراب قطاع الطرق دخل المهدية ٥٩٥هـ/١١٩٩م، واعتقل أبا سعيد والي الموحدي فيها، وكان لابد أن يتخلص ابن غانية وابن عبد الكريم أحدهما من الأخر فكل منهما طامع بملك إفريقيا وهكذا جمع ابن عبد الكريم جيوشه وسار لملاقاة الميورقي في قابس التي كان ابن غانية متحصن بها، فعجز عن دخولها، فسار لقفصة، وتبعه ابن غانية لمكان يسمى قصور لالة وانهزم وفر للمهدية عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م، وأطبق ابن غانية الحصار على المهدية واستسلم ابن عبد الكريم الذي سجن ثم مات مسموماً، التجاني: رحلة التجاني، ص١٤٦؛ ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٥٨ .

وساروا إلى تلمسان، وأخذوا ينتهبون عمرانها ، وينتهكون زروعها، واستمرت مضرتهم على قطر تلمسان وبلغت المخنق نكايتهم وأذيتهم "،[١] لذا كان من أول نتائج ثورة بني غانية انكماش الأراضي الزراعية فأصبح وسط السهول مقفراً بعد أن خربه الأعراب في ثورة بني غانية ، فقد كان الأعراب يتوجهون للسهول لاستصعاب الجبال على دوابهم واعتيادهم على البيئة الصحراوية وعلى الرغم من أن المدن الساحلية كانت أحسن حالاً لانفتاحها على البحر، ممّا مكنها من الحصول على مصدر رزق جيد إلا أن بساتينها اختفت تماماً،[٢]غير أنه من الضروري التذكير أن صاحب هذا النص هو المؤلف جورج مارسيه الذي يلاحظ من كتاباته الإقلال مما قام به العرب والمسلمين من أعمال، والميل للإشادة بما خلفه الرومان من شبكات مائية وإظهار مدى عراقة الحضارة التي أسسها الرومان في بلاد المغرب ومدى التخريب الذي حل عليها بحلول العرب .

ولكن بالرغم من ذلك يوجد مايؤيد هذا في مراجع أخرى ، حيث تذكر المصادر والمراجع انحسار الأراضي الزراعية في البلاد الشرقية من إفريقيا بسبب ثورة بني غانية، ولم تفلح جهود الموحدين في إعادة الإزدهار إليها إلا جزئياً كنجاحهم في مليانة ومتيجة ، ولكنهم فشلوا في القيروان وقلعة بني حماد وبلاد الجريد.

ومن نتائج الثورة هجرة العمال وغلاء أجرتهم حتى أن الناس اضطروا لاستئجار عمال زراعيين للحصاد أو قطاف الزيتون وحمله للمدن مقابل مايقارب نصف المحصول.[٣] كما وتتعرض الأرض كما الأملاك المنقولة لعواقب الهزائم، فكثيراً ما تتحدث المصادر عن تأمين السكان المحاصرين في أنفسهم وأولادهم ولاتذكر أموالهم وممتلكاتهم، مما يرجح أنهم يعاملون معاملة المغلوبين فتغنم أموالهم ويشاركون في أملاكهم كما حدث بقفصة وبمكناسة، حيث إن المنصور بعد فتحه قفصة ٥٨٣هـ /١١٨٧ م أمن أهلها في أنفسهم، وتبقى أملاكهم بأيديهم على حكم "المساقاة "أي مقاسمة

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٥٢ ؛ نويوة : أثر ثورة بني غانية، ص٨٥.

(٢) مارسيه(جورج): بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر، محمود عبد الصمد هيكل، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٩٩م، ص٢٤٢.

(٣) الونشريسي : المعيار،ج١، ص٣٧٤ ؛ الهلالي : أثر القحط والمجاعات، ص١٧٨،١٧٩؛ موسى (عز الدين عمر) : النشاط اقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م ، ص١٩٤ ؛ حسن : المدينة والبادية، ج٢، ص٦٥٥ .

الإنتاج،[1] وفي عام ٦٠٩هـ / ١٢١٢م ، لم تكن هزيمة المسلمين الثقيلة في العقاب إيذاناً بأفول السلطة الموحدية في الأندلس فحسب بل كان للهزيمة عميق الأثر على خراب المدن في الأندلس،[2] وما يهم في هذا المقام أن هزيمة العقاب شدَّت من ساعد حركة الاسترداد، فسقط تباعاً المدن الأندلسية، وكثيراً ما كان يتم حصار المدينة حتى يقع أهلها فريسة للجوع ثم تستسلم، وفي السياق ذاته يذكر أن فرناندو الثالث قام بتشديد الحصار على قرطبة وقطع كل علاقة لها من البر ومن جهة الوادي الكبير حتى لا تتلقى أي مدد واستمر الحصار إلى أن نضبت مخازن المدينة من المواد الغذائية إلى درجة أن مات بعض سكانها جراء الجوع فاضطرت المدينة للاستسلام عام٦٣٣هـ/١٢٣٥م .[3]

ولم يتوقف الأمر عند هذا فعند جواز الخلفاء للأندلس ، كانوا يستنفرون القبائل العربية في المغرب لتشاركهم في الحرب، هذا ماحدث لقبيلة كومية[4] التي شاركت في خوض معركة العقاب٦٠٩هـ/١٢١٢م مع الناصر والتي انتهت بالهزيمة، ويبدو أن الناصر عندما عاد للمغرب لم يسمح لكومية والعرب بالعودة للمغرب أو على الأقل لقسم منهم ، غير أن ظروف بقائهم في الأندلس لم تكن مجدية بالنسبة لهم، فقد تبعت الهزيمة مجاعة وأمراض ثم هدنة بين الموحدين والقشتاليين، فأخذت هذه العناصر العربية والكومية التي لا تمتلك أرضاً للعيش تهدد الطرقات وتنهب السكان أموالاً ومزروعات فكثر التشكي منهم إلى أن أذن لهم المستنصر بالعودة للمغرب[5]، "...**فإنهم قد عاثوا في هذه الجهات وبالغوا في نكاية أهلها واشتدت وطأتهم عليهم بالقهر**

---

(1) أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص ١٦٦ .

(2) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٦٣؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس،ص٢٤٠ ،٢٤٢ ؛ ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص٤٩؛ خليلي : الحرب وأزمة الغذاء ،ص٢٤٢.

(3) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٣٣ ؛ عنان : تاريخ الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢،ص٤٢٣ ؛ الكركجي : الأزمات الاقتصادية، ص ١١٢ .

(4) قبيلة كومية: قبيلة كُوْمية كانت تعرف قديماً بصطفورة، وهي بطن من بني فاتن بن تامصيت بن ضري بن زجيك بن مادغيس الأبتر، وهم بنو عم زناتة، يجتمعون في ضري بن زجيك، هذا هو الصحيح، وكومية قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان، وولد عبد المؤمن في قرية هناك يقال لها: تاجرة، وهو من بني عابد، أحد بيوتات كومية، وأشرافهم، والنسبة إلى كومية: الكومي، بضم الكاف، وسكون الواو، ابن خلدون : العبر، ج٦، ص ١٢٦-١٢٨- ٢٦٧، السلاوي : الاستقصا :ج٢، ص٩٩؛ الزركلي : الأعلام ،ج٣، ص١٣٠.

(5) العزاوي: رسائل موحدية، ج١، ص٣١٥ .

والاضطهاد والبسط في العدوان ...وقد تسببوا إلى الرعية بأسباب وفتحوا عليها من المطالبة جملة أبواب ، تارة بقتيل يدعون على من شاؤوا بقتله وتارة بتكاليف يلزمونهم منها ما يضعفون عن حمله ويجاذبونهم أنواع الغلات وفوائد الثمرات فيكتسحون أكثرها ولايتركون إلا الجزء القليل..."[1] ، ويرجح أن ماحدث ناتج عن سوء تدبير الخليفة الذي أبقى عليهم في الأندلس من دون مرتبات أو أراضي للعيش منها .

كما حصل تحول سياسي أدى إلى أزمة حادة كانت نتائجها مدمرة على الدولة الموحدية إلى حدٍ كبيرٍ ، وكان أكثر فصولها قوة ماوقع داخل البيت الموحدي بين إدريس المأمون (٦٢٣ – ٦٣٠هـ/١٢٢٦–١٢٣٢م) الزاحف من الأندلس بجيش جرار منذ سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م وابن أخيه يحيى المعتصم ابن الناصر (٦٢٤–٦٢٦هـ/١٢٢٦–١٢٢٨م) الذي بايعه أشياخ الموحدين بمراكش درءاً لانتقام المأمون.[2] وبسبب عدم الاستقرار هذا عمّ سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م "**الموت والخراب في المغرب**" ،ولم تقتصر النتائج السلبية على مراكش وحدها، بل عانى من تبعات تلك الفتنة الوسط الموحدي عن طريق الانتقام الواسع الذي قام به الخليفة إدريس المأمون من أشياخ الموحدين والذي قتل فيه عدد كبير منهم ، أوصلت بعض المصادر العدد عن طريق المبالغة إلى ١٤٠٠٠قتيل، وأخرى إلى٤٦٠٠ قتيل،[3] والراجح أن الرقم الحقيقي لم يتجاوز المائة إلا بقليل حسبما تدل عليه مصادر أخرى،[4] وهذه المبالغة كانت ظاهرة بشكل كبير لدى المؤرخين ليبينوا التأثير السلبي لمثل هذه الحركات .

ومرة أخرى عانت بلنسية الجوع، نتيجة حصارها من قبل الإسبان في يوم الخامس من رمضان سنة ٦٣٥هـ /١٢٣٧م قرابة أربعة أشهر حتى استسلامها في ١٤ من صفر سنة ٦٣٦هـ / ٢٦أيلول ١٢٣٨م، وفي خلال الحصار "**نفدت الأقوات، واستولى الجوع، وضعفت القوى** ".[5]

---

(1) العزاوي : رسائل موحدية، ج١، ص ٣١٦ .

(2) السلاوي : الاستقصا، ج٢، ص٢٣٤؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص٢١٠ ؛ كريمي : قراءة المدينة الموحدية والمرينية، ص١١٠ .

(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٢٥٢؛ مؤلف مجهول :الحلل الموشية، ص١٦٥ .

(4)ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين،ص ٢٨٥؛ ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٣٤١،٣٤٠.

(5)ابن الأبار : الحلة السيراء،ج٢،ص٣٠٦،٣٠٥؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٤٢ ؛ عنان : تاريخ الإسلام في الأندلسالعصر الثالث، ق ٢،ص٤٥١،٤٤٤.

وتذكر المصادر "**الغلاء المفرط والمجاعة العظيمة**" أو غلاء "**عام سبعة**" في مدينة سبتة عام ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩م [١]، و عدم وصول مساعدات غذائية لتلك المدينة من الأندلس أو من بلاد المغرب ربما كان يدل على سوء الأحوال في كل المنطقة عامةً، وهو ما ترجعه المصادر إلى كثرة الفتن وانعدام الأمن في أواخر دولة الموحدين بالإضافة لقلة الأمطار، "**وما كان بين أمراء الموحدين من الحروب والوقائع والفتن ، واشتغالهم عنهم بأمورهم وأحوالهم.....فكثر الغلاء والجلاء في البلاد الغربية**".[٢] يلاحظ ممّا ورد مدى سوء أحوال الناس بسبب الفتن والحروب بالإضافة لسوء الإدارة والتنظيم من قبل الخلفاء،فقد كان حري بهم قبل التوجه لخوض معارك خارجية تبدد الطاقات البشرية والاقتصادية وتدخل البلاد المغربية في أزمات هي بغنى عنها ،أن ينظروا لأمور الداخل، ويبحثوا عن طرق لتحسين الوضع المعيشي للرعية بدلاً من إنفاق الأموال على الحروب التي تفقر الناس الذين كانوا أساساً يعانون من قلة الأمطار و الغلاء لتأتي الحرب لتضيق الخناق أكثر على المجتمع المغربي، فما كان من السكان إلا أن هاجروا لمناطق أخرى؛ بغية تحسين وضعهم المعاشي الذي بات لايحتمل.

كما أن الجيش الغازي كان يأخذ الجباية من المدن والمناطق التي يدخل إليها ، مما يفقر أهلها هذا ما فعله السلطان الحفصي أبو زكريا(٦٢٦-٦٤٧هـ/١٢٢٩ـ ١٢٤٩م)، عندما دخل تلمسان ٦٤٠هـ/١٢٤٢م "**استوفى من أهلها الجباية** "،[٣] الأمر الذي كان يضيق على الناس وعيالهم ؛ لدفع المال المفروض عليهم ويضطرهم أحياناً للاستدانة أو رهن أراضيهم وممتلكاتهم لقاء أخذ المال لدفع الجزية المفروضة؛ كما إن ابن مردنيش فرض المغارم والمكوس على الناس في المناطق التي سيطر عليها ليسد نفقات الجند وابتكر مكوس جديدة إذ فرض ضرائب على المواشي والحبوب والبقول تقارب أصول الأثمان.[٤]

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين ،ص ٣٥١؛ ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص٥٤؛ السبتي: اختصار الأخبار، ص ٨٣؛ الجزنائي: جنى زهرة الآس ،ص ٤٥؛ أسكان : المجاعات والأوبئة، ص١٣٧.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٥١ .

(٣) ابن خلدون : بغية الرواد، ج١،ص١١١،١١٠؛ ابن خلدون : العبر، ج٧، ص١٠٨؛ عميرة : علاقة بني عبد الواد،ص٦٢ ؛ المسعودي : المظاهر الحضارية، ص١٠٩ .

(٤) أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص١٢٦؛ موسى : النشاط الاقتصادي، ص١٧٣ .

كما أن ابن غانية فرض على أهل قابس ٥٩١هـ/١١٩٤م مائة ألف دينار غرامة ، فلما عجزوا عنها أنقصها إلى ستين ألف دينار،[١] وأغرم أهل تونس مائة ألف دينار قسطها أهل تونس على أهلها وبسبب الشدة في استخلاصها قُتِل جماعة من أهل تونس ، فألغاها ابن غانية وكان الباقي خمسة عشر ألف دينار، يرجح أن ابن غانية قد قام بإلغاء الضريبة ليس لثقلها فحسب بل خوفاً من تأليب الرعية عليه؛ بسبب التشطط والتعسف في جباية الضريبة، ممّا أودى بحياة الناس الأبرياء الذين كانوا يعانون من ضيق المعيشة أساساً بسبب تعرضهم لحصار ابن غانية لمدة أربعة أشهر قبل دخوله لتونس عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م [٢]

و أثناء حصار إشبيلية من قبل الإسبان الذي بدأ في جمادى الأولى سنة ٦٤٥هـ / أيلول ١٢٤٧م، عانى أهلها الجوع، حيث "**مات بالجوع خلق كثير، وعدمت الأطعمة من القمح والشعير**"،[٣]وعم والوباء والقتل حتى انتهى الأمر باستسلامها وخروج أهلها عنها في ٢٧ رمضان سنة ٦٤٦هـ / كانون الثاني ١٢٤٩م بعد حصار دام مدة عام وخمسة أشهر،[٤] و يلاحظ هنا تكرار أسلوب الحصار لإجبار السكان على الاستسلام نتيجة إطباق الخناق عليهم، وعرقلة الحركة التجارية وبالتالي فقد المواد الأساسية التي تحتاجها المدينة، مايؤدي بالمحصلة إلى حدوث الجوع والغلاء الذي يودي بحياة الناس في كثير من الأحيان.

وعانت مراكش عام ٦٦٥هـ/١٢٦٦م من مجاعة شديدة في وقت تزامن مع صراع أبي دبوس(٦٦٥-٦٦٨هـ /١٢٦٦- ١٢٦٩) و يعقوب بن عبد الحق المريني(٦٥٦-٦٨٥هـ/ ١٢٥٨ -١٢٨٦)، فقد ترافق ذلك مع "**شدة المجاعة في بلاده وغلاء الأسعار**"،[٥] ففي حالات الحروب

---

(١) المرزوقي : قابس،ص١٩١-١٩٢ ؛ عنان : تاريخ الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢، ص٢٥٢ ؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص١٧٢.

(٢)ابن أبي دينار : المؤنس، ص١١٥ ؛ الأندلسي : الحلل السندسية، ص٢٥٦؛ عنان : تاريخ الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢،ص٢٦٢؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص١٧٧ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٨٠ ؛ ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص٦٩ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الرابع، ص١١٣ .

(٤)ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين،ص ٣٨٤؛ ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ٦٩-٧٠-٧٣ .

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٤٣٨،٤٣٤؛ ابن الأحمر: روضة النسرين، ص٤٩،٤٨ ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ٣٠٥ ؛ ابن أبي زرع : الذخيرة السنية،ص١١٦،١١٥؛ ابن أبي دينار : المؤنس، ص١٢٣ بلعربي : الدولة الزيانية، ص١٤٣.

يحصل الغلاء نتيجة سياسات التجار المحتكرين بالإضافة لصعوبة الاتصال بالخارج وإعاقة الحركة التجارية، فإذا كانت الحروب غالباً ما تؤدي إلى حدوث مجاعات فإن الحصارات تعد مرحلة متقدمة من السياسة الحربية،كان الهدف من إقامتها إصابة الناس بالجوع ، فتنقطع عليهم جميع الموارد الأساسية اللازمة للعيش، مما يضطرهم للاستسلام في نهاية الأمر.

كما إن البوادي أيام الحروب كانت عرضة لسلب المزروعات ونهبها من قبل الجيش المار بها، وعلى سبيل المثال يذكر تحرك الأمير يعقوب بن عبد الحق لتلمسان وتخريبه لها عام ٦٧٠هـ/١٢٧١م[1] " **حيث ارتحل حتى أحاط بتلمسان ويغمراسن بها محاصر ودمر ضياعها وجناتها وبعث السرايا إلى بواديها وأحوازها ينهبون ويخربون القرى والعمارات ولم يزل يغمراسن نهبه سيوف بني مرين إلى أن مات**".[2] و عندما حاصر يوسف بن يعقوب تلمسان عام(٦٩٨-٧٠٧هـ/١٢٩٨-١٣٠٧م) وكان يقول :"**والله لأواصلنه عليهم حتى أقتلهم جوعاً**".[3]وكان نتيجة الحصار المذكور مجاعة عظيمة في تلمسان، حيث نفذت الأقوات من مخازن الطعام، واستهلك الناس أموالهم، وذكرت المصادر فداحة الخسائر البشرية في تلمسان فضلاً عن تضرر المناطق المجاورة لها من قرى وبوادي على المستوى الاقتصادي والعمراني، فالعسكر أحاطوا بتلمسان من جميع جهاتها أي أن حركة القوافل التجارية من وإلى تلمسان قد توقفت بالكامل، ونال سكان تلمسان من الجوع مالم تناله أمة .[4]

وغالباً ما يلجأ العدو المحاصر إلى شل الحركة التجارية داخل المدينة المحاصرة من أجل تجويع الناس، وذلك بوقوفه حاجزاً أمام القوافل التجارية التي تمد المدن بالبضائع اللازمة للعيش، إذ

---

(1) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٣٠٩ ؛ الحريري : تاريخ المغرب، ص٣٩ ؛ بلعربي : الدولة الزيانية، ص١٤٥ .

(2) ابن الأحمر: روضة النسرين، ص٤٩ ؛خليلي : الحرب وأزمة الغذاء، ص٢٤٢ ؛ بكاي : الحياة الريفية، ص٢٦٥ .

(3) ابن الأحمر : روضة النسرين، ص٥٠ ؛ بلعربي : المجاعات والأوبئة، ص٢٢؛ بكاي : الحياة الريفية، ص٢٦٥.

(4) التنسي : تاريخ بني زيان، ص١٢٩ ؛الجيلالي : تاريخ الجزائر العام،ج٢، ص١٤١؛ الميلي : تاريخ الجزائر،ج٢، ص٤٥٧؛ بلعربي: المجاعات والأوبئة، ص٢٢.

قام أبو بكر بن عبد الحق عند حصاره لمدينة فاس عام ٦٤٦هـ / ١٢٤٨ م بقطع طريق القوافل،[١] كما استخدم يعقوب بن عبد الحق هذا الأسلوب عند تكليف ابنه الأمير يوسف بحصار مدينة سبتة سنة ٦٧٢ هـ/ ١٢٧٣م فقد قطع عليها جميع ما كان يأتيها من الخارج،[٢] وكذلك السلطان يوسف بن يعقوب عند حصاره لتلمسان سنة ٦٩٨ هـ/ ١٢٩٨ م قام بقطع المؤن عنها وكان" **ينزل شديد العقاب بمن يمر بها ويأخذ بالمراصد على من يتسلل بالأقوات إليها**"،[٣] و قام أبو الحسن المريني عندما حاصر تلمسان(٧٣٢-٧٣٧/١٣٣١-١٣٣٦م) بمنع القوافل التجارية من الدخول إليها "**ولم يدع طريقاً للدخل إليها ولا للخرج منها** ".[٤]

ووقعت مجاعة في غرناطة أيام السلطان محمد الرابع (٧٢٥-٧٣٣هـ /١٣٢٤-١٣٣٢م) الذي قدم له أبو الحسن علي بن عثمان (٧٣١-٧٥٢هـ/١٣٣٠-١٣٥١م) مساعدة عسكرية ، أسفرت عن تحرير جبل طارق ٧٣٣هـ/١٣٣٢م من يد الإسبان،[٥] ومن الراجح أن المساعدة المرينية لم تقتصر فحسب على الجانب العسكري، بل شملت أيضاً الأموال و كميات معقولة من الحبوب، حيث ذكرت المصادر حجم الإعانة بالقول "**والزرع بالآلاف من الأوساق**"،[٦]ولكن بعد الخسائر المتكررة التي لاقاها المرينيون في الأندلس خاصةً بعد هزيمة السلطان نفسه في موقعة طريف ٧٤١هـ/١٣٤٠م،[٧] ثم سقوط الجزيرة الخضراء في أيدي الإسبان عام ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م،[٨]

---

(١) ابن خلدون: العبر،ج٧،ص٢٣٠؛ السلاوي : الاستقصا،ج٣، ص ١٥؛ خليلي : الحرب وأزمة الغذاء،ص٢٤٠ ؛ بن عميرة : علاقة بني عبد الواد،ص٦٣ ؛ فتحة: النوازل الفقهية، ص٣٧٩ .

(٢) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية،ص ١٣٧ ؛ حركات : المغرب عبر التاريخ،ج٢،ص١٨،٢١ .

(٣) ابن خلدون: العبر،ج٧،ص٢٩٢؛ خليلي : الحرب وأزمة الغذاء، ص٢٤٠؛ فتحة: النوازل الفقهية، ص٣٧٩.

(٤) ابن الأحمر :روضة النسرين،ص٢٥؛ خليلي : الحرب وأزمة الغذاء، ص٢٤٠؛ بن عميرة : علاقة بني عبد الواد، ص٦٥ .

(٥) ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص٩٢،٩٣؛ السلاوي : الاستقصا،ج٣،ص١٢١،١٢٢؛ حتاملة : الأندلس، ص٥٧٩ .

(٦) الأوساق: مفردها وسق، إي حمل جمل،وكان مقداره ستون صاعاً أي 252,34 لتر أي 194,3 كغ قمح، هنتس : المكاييل والأوزان، ص٧٩؛ رشيد (عبد العزيز): الحبوب في أسواق المغرب الأوسط، مجلة عصور الجديدة، ع١١-١٢ ؛ الجزائر، جامعة وهران، ٢٠١٣-٢٠١٤م، ص١٠٤.

(٧) ابن الأحمر : اللمحة البدرية، ص٩٥ ؛ ابن خلدون: العبر،ج٧،ص٣٤٦ ؛ السلاوي : الاستقصا، ج٣ ، ص١٣٦،١٣٧ ؛ الطوخي : مظاهر الحضارة، ص٤٠ ؛ رزوق : التدخل المريني ، ص٣٩،٤٠ .

(٨) ابن خلدون : العبر،ج٧،ص ٣٤٧؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس العصر الرابع، ص ١١٦-118

تضعضعت القوة المغربية، ويرجح أن المساعدة المرينية للأندلس سواء العسكرية أم الغذائية قد توقفت.

كما تجدر الإشارة للفناء الديموغرافي للسكان والجنود في آن ، إذ يقتل الشباب في الحروب وهم في عمر قادرين على الإنتاج والعطاء فتخسرهم الدولة وتقل بذلك قدرتها على التطور الاقتصادي، كما إن الحروب بين المرينين والزيانيين قد أفضت إلى مقتل٨٠ ألف شخص من الطرفين،[١] وإن كان هذا الرقم يتسم ببعض المبالغة إلا أنه من جهة أخرى، ينبئ عن الخسائر البشرية الكبيرة .

كما قيل أنه لم ينجوا من معركة العقاب سوى ١٠٠ألف من أصل ٦٠٠ألف جندي[٢]، ولعلّ هذا الرقم مبالغٌ فيه لكنه بالتأكيد يشير إلى فداحة الخسائر البشرية في تلك المعركة. والحروب قد تفرز فئة من المعاقين جسدياً الذين يكونون عالة على مجتمعهم،[٣] كما تفضي عن الأسرى الذي يكون مصيرهم في الغالب العبودية، إذ تذكر المصادر مصير سكان تلمسان الذين وقعوا في الأسر لدى بني مرين أثناء حروب بني مرين مع بني عبد الواد :" **وبعث السلطان أبو عنان بقومه من بني عبد الوادي في السلاسل كالأسرى ، فأدخلوا على فاس وسجنوا وأطلقوا بعد ذلك وصارو ينقلون الرمل على الحمير** ". [٤]

ومما تقدم يتبين أن ظاهرة الحرب أضرت كثيراً بالإنتاج الفلاحي ومنتجيه بفعل نهب المحاصيل، وتخريب المشهد الزراعي، وتهجير الفلاحين، واتضح أن هذه الأوضاع أفضت إلى بروز تحولات هيكلية على مستوى أنظمة الاستغلال والإنتاج، تمثلت في تحول السهول الخصبة إلى أراضي مقفرة ورعوية ، وأوضحت الدراسة كذلك أنّ الحرب أسهمت بشكل كبير في إرباك تطور النشاط الحرفي بسبب تعرض الكثير من الورشات الحرفية للنهب والتخريب، وتوقف العديد من الوحدات الإنتاجية، وتعرض الكثير من التجار للإفلاس، غير أن ذلك لم يمنع من انتعاش

---

(١) الزركشي :تاريخ الدولتين، ص٧٢،٧٣.

(٢) بطرس البستاني : معارك العرب، ص٦٤؛ بزوجي (وليد) : دولة الموحدين بعد موقعة العقاب ودراسة في التراجع الحضاري في الغرب الإسلامي، الجزائر، جامعة الجزائر، ٢٠١٤-٢٠١٥م، ص١٣٧

(٣) بنحمادة (سعيد): الإعاقة الجسدية بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، مجلة عصور الجديدة، ع١١-١٢ ؛ ٢٠١٣-٢٠١٤م، ص٢٩ .

(٤) ابن الأحمر: روضة النسرين، ص٥٤ .

بعض الحرف والصنائع كانت الأطراف المتحاربة في حاجة ماسة إلى موادها ومصنوعاتها، أو إلى سواعد ممتهنيها لتنفيذ توجهاتها الحربية، من جانب آخر وجهت الحرب ضربات موجعة للنشاط التجاري، لارتباطه بشروط الأمن والسلم الاجتماعي، إذ تراجعت رغبة التجار في دخول الأسواق البعيدة، وانحصر النشاط التجاري داخل أسوار المدن، إلا أن ذلك لم يمنع من أن تكون الحرب عاملاً مهماً لتنمية أموال التجار في بعض الأحيان سواء بالنسبة إلى هؤلاء الذين رافقوا الحملات العسكرية في تنقلاتها، أم بالنسبة إلى المهربين والمحتكرين من التجار الذين ترصدوا مثل هذه الحروب لتنمية أموالهم.

فبينت الدراسة أن الحرب أفضت إلى نوع من التدهور الديموغرافي تجلى في ارتفاع غير عادي في أعداد الوفيات، وتقلص مؤقت لكنه مؤثر في أعداد المواليد بسبب جملة من العوامل؛ كما يرجح أن للحروب دوراً في تراجع نسبة الزواج ونسبة الإنجاب في فترات الحرب نتيجة الغياب المستمر للأزواج في الغزو، وكذا التفاوت الجنسي في نسب الموت بين الرجال والنساء، فقد كان مقرراً على المدن التابعة للدولة المشاركة بعدد من الرجال في الحرب ، و مثالاً على ذلك المرينيين الذين فرضوا على المدن التابعة لهم المشاركة بحصة من خيرة شبابها في الجيش المريني، والدليل على ذلك تلك الحصة التي أرسلها حاكم سبتة إلى السلطان يعقوب بن عبدالحق تمثلت في خمسمائة من أمهر الرماة، وذلك أثناء قيام الأخير بتجهيز جيش للعبور إلى الأندلس سنة ٦٨٤ هـ/ ١٢٨٥ م(١)، كما قام السلطان أبو الحسن بفرض حصة من الرماة على أهل جزائر بني مزغنان، الذين تأخروا في تقديمها، فأمر بأخذها بالقوة (٢)، وأغدق على العناصر المشاركة من ديوان العطاء.(٣)ولابد من الإشارة إلى عمق الأثر الذي مس البنية العمرانية جراء حروب هذا العصر، وأبان دورها في بلورة واقع عمراني جديد اتسم بخراب العديد من المدن والقرى، إذ إن الحروب المستمرة دفعت بكثير من المدن إلى حافة الإنهيار حيث أن مدينة توريرت مدينة متحضرة آهلة بالسكان تحتوي على نحو ثلاثة آلاف منزل، لكن عندما استولى عليها بني مرين أصبحت موضع نزاع بين بني مرين وبني زيان ، فحولتها الحروب من مدينة عامرة إلى مدينة قليلة السكان ومدمرة فقد وصفتها المصادر بأنها أصبحت " **خالية موحشة** "،(٤) ومما يعزز هذا الطرح

---

(١) **ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٣٧٣،٣٦٩.**

(٢) **غومة :النظم الحربية ، ص٥٩ .**

(٣) **ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٤٢٨ ؛ غومة : النظم الحربية، ص٥٩ .**

(٤) **خليلي : الحرب وأزمة الغذاء، ص٢٤٠ .**

ماورد عن أحوال برقة وإفريقيا، فقد تغيرت أحوالهم إلى الفقر بسبب كثرة الحروب "**وانتهوا إلى الفقر والخصاصة، وضعفت جبايتها** ". [١]

([١]) ابن الأزرق (أبو عبد الله ت ٨٩٦هـ/١٤٩٠م) : بدائع السلك في طبائع الملك، تح : علي سامي النشار، ج١، مصر، دار السلام، ٢٠٠٨م،ص ١٩٥، سيتم ذكر المصدر باسم ابن الأزرق : بدائع السلك؛ خليلي : الحرب وأزمة الغذاء، ص٢٤٠ .

ج- الأسباب الاقتصادية :

١- أثر الضرائب في حدوث المجاعات مابين القرنين(٦-٨هـ/١٢-١٤م):

لاتذكر المصادر والمراجع التاريخية التي تمت العودة إليها حدوث مجاعة كان السبب الرئيس فيها الضرائب، لكن الضرائب تعد عاملاً مهماً في حدوث المجاعات ولكن بشكل غير مباشر، ففي كثير من الأحيان كانت تتكاتف الظروف الطبيعية والمناخية مع الحروب والفتن ضد إنسان المغرب والأندلس، وتأتي الضرائب غير الشرعية والمستحدثة من قبل دول الفترة المدروسة؛ لتزيد من الحالة المعيشية سوءاً، فلا يجد الإنسان مايسد به رمقه فتحصل المجاعات .

لقد ربط ابن خلدون الضرائب بعمر الدولة والتي تكتفي في بداية عهدها بفرض الضرائب الشرعية كالزكاة والعشور والخراج والجزية في حين تستحدث في نهاية عمرها ضرائب ومغارم جديدة ، وبذلك تكثر الوظائف والنفقات على الفلاحين والتجار والباعة في الأسواق ، ويؤذن ذلك باختلال العمران.[١]

ومن هنا التزم المرابطون بالضرائب الشرعية في بداية عهدهم،[٢] لكن يبدو أن الضرائب الشرعية لم تعد تفي بالتزامات الدولة العسكرية في الأندلس،حيث لم تعد الحروب مربحة كما في السابق بل أصبحت دفاعية تستلزم الأموال، هذا ماجعل الدولة تتفنن في ابتكار وسائل لتحصيل الضرائب من السكان حتى أن السكان أسموها " **حق السلطان** "، وللجملة مغزى ودلالة تعكس أن الضريبة كانت تنفق لحساب الأمراء لا للمشاريع التي تخدم المجتمع؛ ولتعويض الإفلاس الناجم عن النفقات العسكرية[٣] ويرجح أن بوادر مشكلة مالية بدأت منذ أيام يوسف بن تاشفين (٤٥٣ –

---

(١) ابن خلدون : المقدمة، ص٢٨٠، ٢٨١؛ بوتشيش(إبراهيم القادري) :أثر الحروب في المجال الضرائبي، مجلة الاجتهاد،ع ٣٤،٣٥، بيروت، ١٩٩٧م، ص٧٩ .

(٢) أبي زرع : روض القرطاس،ص ١٣٧؛ محمود: قيام دولة المرابطين، ص٤٠٣،٤٠٢ .

(٣) بوتشيش : :أثر الحروب، ص٨٧ ؛

Laroi (Abdallah): L´ historie du Maghreb un essai de syntnése ,paris, franÇois ,1982,p 154.

٥٠٠ هـ / ١٠٦١ – ١١٠٧ م)[١] فقد أراد أن يفرض المعونة على الناس لكن عارضه فقهاء المرية وقاضيها ابن الفراء،[٢] إلا إذا حلف في حضرة العلماء ، بأن بيت المال خال من الدراهم ولا يملك هو شيئاً،[٣] ولم تفرض المعونة على زمن يوسف بن تاشفين لكنها فرضت على زمن خلفه علي بن يوسف، وعلى كل حال فإن هذه المحاولة كانت من قبيل الابتزاز الاقتصادي، لأن بيت المال لم يكن يعاني آنذاك من أي عجز، إذ تذكر المصادر أنه بعد وفاة يوسف بن تاشفين وجد في بيت ماله ١٣ألف ربع من الورق و٤٥ ألف ربع من الذهب. [٤]

وفي بداية عهد علي بن يوسف (٥٠٠ – ٥٣٧ هـ/ ١١٠٦ – ١١٤٢ م)، بدأت الدولة المرابطية تعاني بداية أزمة مالية بعد معركة أقليش عام ٥٠١هـ/ ١١٠٧م، إذ بدأ معين الغنائم ينضب،[٥] ولذلك لجأ علي بن يوسف إلى فرض الضرائب، و يبدو أنه فرضها في بداية عهده وليس مع خروج الموحدين عليه ولا بدّ من الإشارة إلى أن أبا عبد الله بن حمدين أي قبل ثورة الموحدين بكثير "**قطع الضرائب والمعاون عن أهل قرطبة**"،[٦] مما يشير إلى أنها فرضت عليهم في أوائل حكم علي بن يوسف، تفاقمت الأزمة المالية مع قيام الثورة الموحدية التي ضاعفت من

---

(١) **بوتشيش : أثر الحروب، ص٨٣ ؛ موسى : النشاط الاقتصادي، ص١٦٥.**

(٢) ابن الفراء: أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن زكريا بن الفراء الأندلسي قاضي المرية في الأندلس، وأحد كبار علماء المالكية فيها، ولد أبو عبد الله بن الفراء ببلدة المرية بالأندلس، وأهم المعارك التي شهدها معركة كتندة، والتي كانت فيها الدائرة على المسلمين وكانت بقيادة إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، ففي عام خمسمائة وأربعة عشرن توجه ألفونسو الأول ملك أرغون حتى انتهى إلى كتندة بالقرب من مرسية في شرق الأندلس، وانتهى الأمر بهزيمة المسلمين بعد أن كثر فيهم القتل، وكان فيمن قتل أبو عبد الله بن الفراء قاضي المرية٥١٤هـ/١١٢٠م، ابن العريف (أبو العباس ت ٥٣٦هـ/١١٤١م): مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة، تح، عصمت دندش، بيروت دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م ،ص٤٤، سيتم ذكر المصدر باسم ابن العريف: مفتاح السعادة.

(٣) **ابن خلكان :وفيات الأعيان، ج٧،ص١١٩،١١٨ ؛ بوتشيش : أثر الحروب، ص٩٠ .**

(٤) **ابن أبي زرع : روض القرطاس،ص١٣٧؛ ابن القاضي : جذوة الاقتباس، ص٥٤٥؛ بوتشيش: أثر الحروب، ص٩٠.**

(٥) مسعد(سامية مصطفى) : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين من ٤٨٢– ٦٢٠هـ / ١٠٩٢–١٢٢٣م، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٠م،ص١٧١؛ موسى : النشاط الاقتصادي، ص١٦٥ .

(٦) **ابن القطان: نظم الجمان،ص ٧٤؛ موسى : النشاط الاقتصادي، ص١٦٦ .**

الالتزامات العسكرية، وأسهمت بتوقف الزراعة وما رافق ذلك من جدب وقحط وقلت المجابي، وكثرت الضرائب على الرعية في المغرب والأندلس، فخلا بيت المال، حتى أن علي بن يوسف قام بقطع العطاء عن جنوده [١] .

يذكر أن الدولة كانت تقسط على الرعايا في المغرب والأندلس عدد الجند الذي يصد عدوان المسيحيين بسلاحهم ونفقاتهم،[٢] واتبع التقسيط ذاته في بناء أسوار الأندلس وسمي التقسيط فيها بالتعتيب، أي أن يدفع أهل كل بيت قدراً من المال لبناء جهة السور التي فيها منزلهم، وذلك لرد الأعداء عنها، لكن تحول التعتيب في بعض الأحيان من وسيلة للحماية وخط دفاع ضد العدو إلى وسيلة لاستغلال الناس والكسب غير المشروع من قبل المشرفين على جمع المال، إذ تذكر المصادر أنه في عام ٥١٩هـ/١١٢٥م بعدما تم جمع المال من قبل رعايا غرناطة لإصلاح أسوارها، قام المشرف عليه وهو رجل من بني نجبة باختلاس قدرٍ كبيرٍ من المال، وللتعويض ورد ما اختلسه قام بفرض ضريبة تعتيب جديدة على العامة " **وشد الناس في دفع المال.... فكان الناس يخافونه لضغطه وشدته**"،[٣] شكل التعتيب مشكلةً لأهالي قرطبة إذ رفضوا دفعه بسبب سوء أحوالهم الاقتصادية على إثر الحريق الذي حصل في سوق الكتان والحرير، فقام القاضي بسجن من رفض التزام بالضريبة . [٤]

لم تكن الضرائب وحدها المشكلة بل الوسائل التي جمعت فيها الضرائب كانت مجحفة بحق الناس إذ يمكن القول إن بعض تلك الوسائل هيأت الدواعي للثورات ضد الدولة، فقد كان الناس يتعرضون لظلم العمال الذين يجبون الضرائب، ذلك لأن الدولة لم تكن تعطي للمتقبل أو الخراص[٥] راتباً على عمله بل تجعل أجره على المزارعين ممّا يجعلهم يتشططون في الجباية ، لأن

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٤، ص ١٠٢ ؛ دندش : الأندلس ،ص٤٥؛ موسى : النشاط الاقتصادي، ص١٦٦ .

(٢) ومثال على ذلك مدينة فاس سنة ٥٢٣هـ/١١٢٩م وصل علي بن يوسف خبر من بلنسية أن رذمير ألفونسو الأول المحارب ملك أرغون عازم على محاربة بلاد المسلمين "فقسط على الرعية سوداناً يغزون في العساكر ،وكان قسط أهل فاس منها ثلاثمائة غلام من سودانهم برزقهم وسلاحهم ونفقاتهم، يخرجون ذلك من أموالهم ففعلوا، ابن القطان: نظم الجمان، ص١٥٢.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٤، ص٧٣،٧٤، بوتشيش،:مباحث في التاريخ، ص٢٠٨.

(٤) بوتشيش : أثر الحروب، ص٨٩؛ دندش : الأندس، ص٢٢٧،٢٢٨ .

(٥) الخراص : جابي الضرائب من الأراضي الزراعية، بروفنسال: ثلاث رسائل أندلسية، ص٦.

القبالات لم تكن محددة بمبلغ معين بل تترك لاجتهاد المتقبل[1] الذي غالباً مايتعسف في الجباية فأصحاب الأموال، يدفعون أجر الخراص الذين يخرصون الزيتون قبل آوان قطفه، فطالب ابن عبدون باتباع سنة أهل قرطبة الذين لا يخرصون المحصول " **إلا في الفشقار**[2] **بعد خروج ما يلزمه عند الحصاد** "[3] ويذكر أن القباض لا يعدلون في الميزان ويأخذون من حقوق الناس ظلماً وعدواناً .وتصفهم بعض المصادر باللصوصية وبالقسوة الشديدة على الناس، ولذلك تمّ اقتراح أن يكون عمل الخراص والقباض تحت نظر القاضي حتى يردهم عن الإثم والعدوان،[4] ووصل الحد في قسوة الجباة أن هجاهم الشاع، ابن سهل المرابط [5]:

تَجلُو الرَّعيةُ مِن مَخَافَةِ جَورِهِ لِجَلائِهِ إذ يَلتَقِي الأَقرَانَا [6] .

كما أوكل المرابطون إلى اليهود جباية الضرائب في مناطق عديدة في الأندلس الأمر الذي زاد نقمة الناس عليهم ،[7] وما قلت المجابي إلا مظهراً لانحسار الأراضي الزراعية والتهرب من دفع الضرائب، فاستخدام الجيش في الجباية، لذلك تمّ ترك المزارع بين أمرين : ترك مايزرعه أو الثورة على الدولة أو الأمرين معاً.[8]

---

(1) المتقبلين : هم من يجبون القبالة،وهي الضرائب التي أضرت بالمزارعين و القبالة بمعنى كراء الأرض،حيث يزيد ملاّك الأراضي في قيمة إيجار الأراضي الأمر الذي يضر بالمزارعين، وهذا مادفع بعض المصادر لنعت المتقبلين بشر أهل الأرض، الونشريسي : المعيار، ج٨، ص١٠٦- ١٦٨-١٨١ ؛ بروفنسال : ثلاث رسائل أندلسية، ص ٧.

(2) الفشقار : أي بحسب حزمات الزرع المحصود حتى يكون هناك معيار محدد لجباية العشور، بوتشيش : مباحث في التاريخ، ص٢٠٧.

(3) بروفنسال: ثلاث رسائل أندلسية، ص٦.٥؛ دندش : الأندلس،ص٢٢٥ .

(4) ليفي بروفنسال:المرجع السابق،ص٧ ؛ دندش : الأندلس، ص١٩٩

(5) ابن سهل المرابط: أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي (٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ - ٦٤٩ هـ / ١٢٥١)، من أسرة ذات أصول يهودية. شاعر و كاتب، ولد في إشبيلية و له أزجال ذكرها ابن حجة الحموي في بلوغ الأمل، كما نبغ في فن الموشحات واشتهر به، ومن أعماله ديوان إبراهيم بن سهل الأندلسي، و له ديوان مطبوع جمعه وحققه محمد قوبعة وصدر عن الجامعة التونسية عام ١٩٨٥م، عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الرابع، ص٤٨٢ .

(6) ابن سعيد :المغرب، ج٢،ص٢٦٨ ؛ مسعد : الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص١٧٨ .

(7) أشباخ : تاريخ الأندلس، ج٢، ص٢٣٩ .

(8) موسى : النشاط الاقتصادي، ص١٧٢؛ أسكان : المجاعات والأوبئة،ص١٤٨ .

ويلاحظ أن المزارعين هم أكثر الناس تضرراً من الإجراءات الضريبية، وتضرر الزراعة سينعكس سلباً على الوضع الاقتصادي للدولة ، فعلى الزراعة تقوم العديد من الصناعات والحرف وإذا تضررت هذه القطاعات ستفرغ مخازن الدولة، ويعم القحط والبلاء " **فالفلاحة هي العمران وببطالتها تفسد الأحوال وينحل النظام** ". [١]

لقد انتهجت الدولة الموحدية حتى نهاية القرن ٦هـ/١٢م سياسة ضريبية محكمة ، ولاسيما أنها نبذت ما استحدثته الدولة المرابطية في أواخر عهدها من ضرائب غير شرعية حيث هاجموا سياسة المرابطين بإحدث المغارم وفرض المكوس ووصفوهم بأكلي السحت والحرام،[٢] لكن فيما بعد شعر عبد المؤمن بقصور الزكاة والغنائم عن تمويل مشاريعه التوسعية ، ولاسيما أنه كان يتهيأ لفتح الأندلس بعد غزوته المهدية ٥٥٤هـ/١١٥٩م، وقد تشكى الجند من قلة الأموال فكان عليه أن يجد مورداً جديداً ففرض الخراج ، وقام بإسقاط الثلث من مساحة الأراضي الخراجية مقابل الأراضي التي لا يستفاد منها مثل ماغلظ وارتفع من الأرضي التي تكتنفها الأعشاب والرمال،[٣] ومن الضرائب المفروضة ضريبة أخماس المعادن فقد كان للموحدين على الأقل منذ خلافة يوسف بن عبد المؤمن(٥٥٨-٥٨٠هـ /١١٦٢ -١١٨٤م) اهتمامٌ كبيرٌ بعمليات التعدين وأخذ الخمس عن إنتاج المعادن ففي سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م، استأثر أهل السوس بالمعدن الذي ظهر عندهم فخرج عليهم يوسف بنفسه وبنى حصناً وأسكنه جنداً لتحصيل حق الخليفة من المعدن المذكور، ومن المرجح أن هذا المورد كان يدر دخلاً كبيراً على الدولة، لأن المعادن في المغرب كانت كثيرة يذكر منها : الحديد والنحاس والتوتيا والزئبق والرصاص،[٤] وعلى الجانب الأخر يمكن القول أن الضريبة قد تكون ثقيلة على منتجي المعادن ، ممّا أدى إلى تهربهم منها، ومن الموارد الأخرى للدولة الغنائم ففي بداية الحركة الموحدية وطوال طور التأسيس كانت الغنائم تشكل المورد الرئيس لدخل الدولة،

---

(١) ليفي بروفنسال: ثلاث رسائل أندلسية، ص ٥ ؛ دندش : الأندلس، ص١٦٥ .

(٢) موسى (عز الدين عمر): تنظيمات الموحدين ونظمهم في المغرب، رسالة دكتوراه، بيروت، الجامعة الأمريكية، ١٩٦٩م، ص ٢٣٢ ؛ بوتشيش : أثر الحروب، ص٨٥؛ عبد الجبار: سقوط الدولة الموحدية،ص١٤١.

(٣) ابن أبي زرع : روض القرطاس ،ص١٩٨ـ١٩٩ ؛ مسعد : الحياة الاقتصادية والاجتماعية،ص١٧٢؛ القدوري (عبد المجيد) : وقفات في تاريخ المغرب،الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،٢٠٠١م،ص٨٣ .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين،ص ١٤٧؛ المنوني (محمد) : العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، الرباط، دار المغرب، ١٩٧٧م، ص ٢٥٩،٢٦١ .

ولاسيما أن الحروب كانت كثيرة ومستمرة وكانت الأموال المنقولة تقسم بين المقاتلة بعد إخراج الخمس منها، وأما الأراضي والمساكن فقد كان المهدي يوزعها على أصحابه، وسار عبد المؤمن على هذه السياسة منذ فتح تلمسان عام٥٣٩هـ/١١٤٤م، ولكنه لما فتح تونس عام٥٥٥هـ/١١٦٠م، أبقى أهلها في مساكنهم بأجرة تؤخذ عن نصف تلك المساكن، وكان هذا التغيير مرتبطاً بتغيير كبير في سياسة عبد المؤمن المالية إذ أتبعه بفرض الخراج في جميع أقاليم المغرب.[١]

وفي السياق ذاته يذكر تعدد الضرائب زمن الحفصيين، وهذا ما أثقل عاتق الفئات العاملة، حيث فرضت الدولة المكوس[٢] وهي ضرائب إضافية غير مشروعة، نشأت عن حاجات وظروف جديدة اضطرت الدولة إلى فرضها، وكان فقهاء المسلمين لا ينظرون إليها بعين الرضا؛ لكونها ضرائب غير شرعية، ولكن الضرورة أوجدتها بعد أن قلت موارد بيت المال وازدادت النفقات، فكان لابد من إيجاد موارد جديدة لسداد هذا العجز عن طريق هذه المكوس التي اتسمت بالكثرة والتنوع وعدم الثبات على حال دائم، إذ كانت تتبع أهواء المسؤولين، كانت المكوس تفرض على التجارة ،ولكن لهذه الضريبة تأثيرها على المزارعين لأنهم في النهاية يبيعون منتجاتهم في الأسواق،[٣]وقد شملت أغلب المتاجر الواردة من الخارج، كما شملت أغلب السلع التي كانت تباع وتشترى في الأسواق، ولاشك أن هذه المكوس، كانت تشكل مورداً خصباً للدولة، ولكنها في الوقت نفسه كانت تسبب إرهاقاً للناس، ولهذا كثرت الشكوى والفتن في الأسواق، خاصةً إن طرق الجباية كثيراً ما كانت تتسم بالعنف وسوء المعا.[٤]

حيث لم تكن المشكلة الوحيدة في الضرائب بل وأيضاً في طريقة استخلاص هذه الضريبة من الرعايا حيث اعتُمد في استخلاص الجباية على المحلة السلطانية في البوادي والقرى والمدن، وفي إحدى الحملات، أدى حلول المحلة بواحة قفصة إلى إتلاف أكثر من نصف الإنتاج، وذلك بحسب النص الآتي: " **حضر عند شهوده فلان ،فذكر أنه اشترى من فلان ...ثمار نخلهِ**

---

(١) **موسى : تنظيمات الموحدين ، ص٣٢٤ ؛ القدوري : وقفات في تاريخ المغرب، ص٨٤،٨٧**

(٢) **المقريزي : الخطط المقريزية، ج١، ص١٠٧ .**

(٣)**ا بن خلدون : المقدمة، ص٢٧٩، البرزلي (أبو القاسم ابن أحمد البلوي ت٨٤١هـ/١٤٣٧م) : فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تح، محمد الحبيب الهيلة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ط، ٢٠٠٢م، ص٢٠٦، سيتم ذكر المصدر باسم البرزلي: جامع مسائل الأحكام .**

(٤) **عبد الحميد : الحياة السياسية والحضارية، ص١١٢ .**

بعد أن بدا صلاحها بثمن مبلغه كذا ،مؤجل عليه إلى إنقضاء كذا ، وأن خيل المحلة الواصلة من موضع كذا مرت بتلك الجهة ، بعد يومين من تاريخ الابتياع، فأذهبت الثمار المذكورة أو جلها بأكلها وإفسادها، وسألهم النهوض معه إليها ...فرأوها مجتاحة بما ذكر حسبما نصه وفسره ،وأعلموا أن الجائحة المذكورة قد أذهبت نصف الثمار المذكورة ".[1] وتزداد تعديات المحلة المتولية لجمع الجباية، عندما تقوم بحملات تأديبية على البلاد الرافضة لدفع الجباية، فيكثر الغصب والتعدي والنهب ويعمد عامة الجند إلى افتكاك أموال الناس عنوة، وكثيراً ماقامت هذه المحلة التي تتنقل ببطء بإتلاف مايعترضها من زروع ومغروسات ومواش .[2]

ومن الضرائب المعروفة في ذلك الوقت ضريبة النزول أو الإنزال وهي ضريبة تؤخذ على الأرض وملخصها أن من أراد الاحتفاظ بأرضه، اتبع طريقة الإنزال، أي أنه ينزل أحد مكانه في ملكه ،فيقوم المنزّل بتعمير الأرض مقابل دفع كراء، ولكن عادةً مايكون المنزلون ذوي نفوذ وسلطة، فيمتنعون عن دفع الكراء.[3]

ويذكر أن السلطان الحفصي أبا إسحاق إبراهيم (٦٧٨-٦٨٢هـ/١٢٧٩-١٢٨٣م) وظف على أهل تونس كراء شهرين على كل دار، فجاءت الدور نحو سبعة آلاف ، واجتمع له من ذلك ثلاثون ألف دينار ،مكنته من إقتناء دار للأضياف ويذكر أن النزول رفع عن مدينة تونس ، بعد ذلك فيرجح أنها المرة الأخيرة التي قام فيها السلطان الحفصي بأخذ سدس الكراء السنوي أو ثلثه أو ربعه على كل منزل، ولثقل هذه الضريبة كان ملاك المنازل يلجؤون لتخفيض الكراء ،حتى تسلم دورهم من ثقل الضرائب، ولم تلغ تلك الضريبة نهائياً حتى النصف الثاني من القرن٨ه/١٤م.[4] كما يذكر أن السلطان أبا فارس قد قام بإلغاء العديد من الضرائب غير الشرعية التي فرضت في

([1]) حسن : المدينة والبادية، ج٢، ص٥٣١.

([2]) البرزلي : جامع مسائل الأحكام، ج٣، ص١٦٣ ؛ حسن :المدينة والبادية، ج٢، ص٥٣١؛ أبو دياك(صالح فياض): النظام المالي عند الحفصيين، مجلة دراسات تاريخية، ع ٢١-٢٢ ؛ دمشق، ١٩٨٦م، ص٩٦ .

([3]) المدينة والبادية، ص ٥٣٩؛ موسى : النشاط الاقتصادي، ص ١٤٩ .

([4])ابن مرزوق : المسند،ص ٢٨٤،٢٨٣ ؛ ابن الشماع : الأدلة البينة النورانية،ص ١٠٥ ؛ حسن : المدينة والبادية، ج٢، ص ٥٣٩ .

عهود سابقة لحكمه، لما ألحقته بالناس من الحيف والأذى العظيم،[١]فقد ألغى الضريبة المعروفة بمجبى العمود[٢] والتي كانت قد فرضت منذ عهد أبو زكرياء على البدو بإفريقيا من العرب والبربر، وضريبة سوق العطارين، وأباح للناس صناعة الصابون بعد أن احتكر السلاطين صناعته، وفرضوا العقوبات البدنية والمالية لكل من يقوم بصناعته، ومنعوا بيعه إلا في أماكن معلومة يحددها السلاطين، كما ألغى الضرائب المفروضة على صناعته وهو مبلغ ستة آلاف دينار.[٣]

وكان من واجب حكام المدن جمع ما يعرف باسم خراج المناكير وهي ضريبة فرضت في وقت قريب من عصر السلطان أبو فارس (٧٩٦-٨٣٧هـ/١٣٩٣-١٤٣٣م) وقدر مبلغ الضريبة بثلاثة دنانير ونصف يومياً، وكان لهؤلاء الحكام أعوان يساعدونهم في جمع هذه الضريبة ،فلحق بالناس من جراء هذه الضريبة ضرر كبير لقيام هؤلاء الأعوان بزيادة مبلغ الضريبة ؛ لأخذ أجورهم منه ودفع ما تبقى للحاكم، فألغى السلطان عبد العزيز هذه الضريبة، كما عين للحاكم أعواناً من الثقاة والأمناء بالأجرة لتحقيق الأمانة .[٤]

وقد خصصت مجابي بعض المكوس لينفق منها على جهة معينة من جهات الدولة منها المكوس المعروفة بالعيالة وهو مكان يباع فيه الخمر للفرنج ،و كان مقدار المال المتحصل من هذه الضريبة كبيراً، وخصصت عوائده ليدفع منها رواتب الجيش، فألغى السلطان هذا المكس وعوض الجيش بدلاً منه بالمال من خزانة الدولة ،[٥] وبإلغاء هذه المكوس فقد قضى السلطان على الكثير من المفاسد التي كانت تعم البلاد ورفع عن الناس الظلم والجور الذي كان يصاحب جباية هذه المبالغ أو المكوس، إذ ألغى مكوساً كانت قد فرضت في عهد سابق لعهده وأثقلت كاهل السكان ، وأسهمت بإفقارهم، وتدني مستوى معيشتهم .

---

(١) الترجمان(أبو محمد عبد الله بن عبد الله الميورقي ت ٨٣٢هـ/١٤٢٧م): تحفة الآريب في الرد على أهل الصليب، تح ، عمر وفيق الداعوق، بيروت، دار البشائر الإسلامية ، ١٩٨٨م، ص٥٩، سيتم ذكر المصدر باسم الترجمان : تحفة الآريب .

(٢) مجبى العمود : سمي بمجبى العمود أي الخيمة فكانت تؤخذ من أصحاب الخيام، الزركشي : تاريخ الدولتين،ص٢٩؛ أبو دياك : النظام المالي عند الحفصيين، ص٩٥ .

(٣) الزركشي: تاريخ الدولتين،ص ١١٧؛ أبو دياك : النظام المالي عند الحفصيين،ص٩٩ .

(٤)الزركشي:تاريخ الدولتين، ص١١٧؛ عبد الحميد : الحياة السياسية والحضارية، ص١١٣.

(٥) ابن حجر(أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ت٨٥٢هـ/١٤٤٧م): إنباء الغمر بأنباء العمر، تح، حسن الحبشي، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٧٣م، ج٣، ص٥٢٦، سيتم ذكر المصدر باسم ابن حجر: إنباء الغمر.

أما بالنسبة إلى الدولة الزيانية فقد كانت الضرائب غير الشرعية إحدى العوامل التي أسهمت في إفقار قطاع واسع من المجتمع التلمساني ذلك لأن الدولة الزيانية كانت تفرض ضرائب ثقيلة ومتنوعة لسد حاجاتها المتزايدة لتهيئة الجيوش وللاستعداد للحرب.(١) وعلى الرغم من وصية السلطان أبو حمو موسى الثاني بن يوسف(٧٦٠- ٧٩١هـ/١٣٥٨-١٣٨٨م) لابنه وولي عهده على الحد من المغارم الغير شرعية "**لايحملنك حب المال على المسامحة في جور العمال فإنه إذا أهلكت الرعايا عدمت الجباية ، وإذا عوملت الرعية بالرفق كثر النماء والرزق** "(٢) لكن الواقع السياسي جاء مخالفاً للوصية التي لم تكن أكثر من حبر على ورق، فقد شغلت الضرائب مكانةً مهمة في الخزينة المالية للدولة الزيانية ومن جملتها الزكاة والعشور والجزية بحكم وجود أقلية غير مسلمة ، وقدرت الجزية على يهود البادية خلال القرن٩هـ/١٥م ب٤ دنانير أي مايعادل ٤٠درهماً،(٣) وقد اكتفت الدولة الزيانية في بداية عهدها بضرائب قليلة نسبياً، فقد كانت المكوس على التجار المسلمين ٢,٥% و ١٠% على بضائع التجار اليهود والمسيحيين، لكن شهدت السياسة الضريبية تغيراً، حيث أحدثت الدولة الزيانية مغارم ومكوس جديدة بلغت أشدها نهاية عمر الدولة بسبب ضعفها،(٤) ومن أهم الضرائب العشر الذي كان التجار يدفعونه عند أبواب المدن وكان من يتولى مهمة جمعها من اليهود والمسيحيين الذين كانوا يفتشون التاجر المسلم كي يعلموا إن كان بحوزته بضاعة يريد إدخالها سراً، وحتى النساء المسلمات خضعن للتفتيش ، فقد تولت نساء يهوديات مهمة تفتيشهن وهذا مايدل على لجوء الدولة الزيانية لأهل الذمة وخاصة اليهود؛ لتولي الأعمال الجبائية، هذا ما أزعج عدد كبير من المسلمين لذلك حين ألغاها السلطان المريني أبو الحسن(٧٣١-٧٤٩هـ/١٣٣٠-١٣٤٨م) عام ٧٣٥هـ /١٣٣٤م ، عندما استولى على تلمسان قيل : "**ولم يعد لذمي ولاية على مسلم**". (٥)

---

(١) **مسعد: الحرب والطبيعة،ص ٢١ ؛ حساني (مختار): تاريخ الدولة الزيانية، الجزائر، منشورات الحضارة، ٢٠٠٩م، ج٢، ص١٠٦ .**

(٢) **أبو حمو (موسى الثاني بن يوسف ت ٧٩١ هـ/١٣٨٨م): واسطة السلوك في سياسة الملوك، تونس، د.د، ١٨٦٢م، ص٩ .**

(٣) **الونشريسي، المعيار المعرب،ج٢، ص٢٥٣؛ ميمونة (جاب الله): السياسة المالية للدولة الزيانية ٦٣٣-٩٦٢هـ/١٢٣٦-١٥٥٥م، رسالة ماجستير، الجزائر ، جامعة ابن خلدون، ٢٠١٣-٢٠١٤م، ص٤٧،٤٦ .**

(٤) **الوزان: وصف إفريقيا، ج٢، ص ٢٣؛ ميمونة : السياسة المالية، ص٥٥ .**

(٥) **ابن مرزوق : المسند الصحيح، ص ٢٨٥؛ حساني : تاريخ الدولة الزيانية،ج٢، ص١١٥،١١٢.**

كما استحدثت الدولة الزيانية مغرماً سمي المطوى وبالبربرية إيبزغدن وهو مطالبة من يخرج مسافراً من وطنه بسبب الفقر والحاجة، بدفع هذا المغرم من البلاد التي يسافر إليها، وإذا غاب لسنوات طويلة يطالب أهله بدفع هذا المغرم .(١)

وفي حالة الحروب والفتن كانت تفرض ضرائب على الرعية سواء من قبل السلطة أم الثوار عليها، ومثالاً على ذلك تذكر المصادر استبداد سالم بن إبراهيم(٢)على الجزائر واستئثاره بجبايتها فيقول: "**وأقام سالم على أمره من الاستبداد بتلك الأعمال واستضافة جبايتها لنفسه** "(٣) ولا شك أن هذا يضر بالرعية ويؤدي لإفقارهم ،كما إنّ الدولة الزيانية بأحد فتراتها كانت تدفع ضريبة للدولة المرينية فيقول ابن خلدون : "**لم يزل الأمير أبو تاشفين ملكاً على تلمسان ومقيماً فيها لدعوة صاحب المغرب أبي العباس ابن السلطان أبي سالم مؤدياً الضريبة التي فرضها عليه** " .(٤)

وقد كانت الزراعة أكثر القطاعات تضرراً من السياسة الجبائية، وقد عكست النوازل الفقهية الدور الخطر الذي شكلته السياسة الضريبية بتوجيه الزراعة، إذ كانت السياسة الضريبية التي فرضها ملوك بني زيان كارثة على الفلاحين، فقد أرغموهم على دفع الضرائب ؛ لتعزيز قوة الدولة

---

(١) ابن مرزوق : المسند الصحيح، ص٢٨٦،٢٨٣ .

(٢) سالم بن إبراهيم : كان سالم بن إبراهيم هذا كبير الثعالبة المتغلبين على فحص متيجة. وكان أول من غمس يده في الفتنة بين أبو زيان بن عبد الرحمن وأبو حمو موسى الثاني حيث تصارعا على الحكم بعد مقتل السلطان أبو سعيد بن عبد الرحمن في سهل أنجاد ٧٥٣هـ/١٣٥٢م،حيث قام سالم باستدعاء أبا زيان ونصبه بالجزائر "ملك على المغرب الأوسط".، تولى الأمير أبي زيان قيادة التمرد. قام أبو حمو بتكليف ابنه عبد الرحمن أبو تاشفين لردع المتمردين، ممّا أدى لخسائر كبيرة في صفوف المتمردين وقتل معظم قادتهم، ولكن نصب أبو زيان ملك عن الجزائر من قبل الثعالبة. وزحف إليه أبو حمو بسرعة على رأس جيش قوي من سويد لتعزيز قوات ابنه عبد الرحمن؛ وعقد لهم السلطان من ذلك ما أرادوه على أن يفارقوا الأمير أبا زيان، وقبل أبو زيان العودة إلى بلاد الذواودة على أن يدفع إليه أبو حمو مبلغ من المال، وتعهد أبوحمو بمنح ابن عمه مالاً بشكل سنوي ، وبعد ذلك تم القضاء على سالم بن إبراهيم من قبل أبو حمو، يذكر أن عدداً من المراجع مثل بختة خليلي ذكرت أن الذي قام بالاستئثار بجباية الجزائر هو أبو سالم المريني والمعلومة خاطئة فهو سالم بن إبراهيم، ابن خلدون : العبر، ص١٨٥،١٨٣؛ بن فريحة : القبائل العربية ، ص٢١ ؛ خليلي : الفقر بالمغرب، ص ١٢٩.

(٣) ابن خلدون : العبر، ج٧، ص ١٨٤.

(٤) ابن خلدون : العبر، ج٧، ص ١٩٦.

ممادفعهم لترك أراضيهم أو تقليص مساحة الإنتاج التي يملكوها بقطع أشجارها ومزروعاتها،[١] يلاحظ هنا مدى ثقل هذه الضرائب على المزارع الذي فضل قطع أشجاره على أن يدفع الضريبة المفروضة عليها، وهذا على يدل أن ما تقوم السلطات بتحصيله من خلال الضرائب على الأرض أكثر بكثير مما تنتجه الأرض، فعندما يرى المزارع أن تعبه سيذهب سدى سيقوم بقطع المزروعات والتخلص منها، وربما سيبحث عن عمل آخر ممّا يؤدي إلى تراجع النشاط الزراعي، وإن أي خلل يصيب هذا النشاط سوف يؤثر حتماً في الغذاء والإنتاج معاً "**فالفلاحة هي العمران ومنها العيش كله، وفي الحنطة تذهب النفوس والأموال ،وبها تملك المدن والرجال ...وببطالتها تفسد الأحوال وينحل كل نظام** ". [٢]

ويتضح من ذلك أن السياسة الضريبية لم تكن تراعي الضرورات الاقتصادية والإنتاجية ومستوى الحياة الاجتماعية في ظل اقتصاد معيشي مهدد بالكوارث الطبيعية فأدنى تراجع في الإنتاج يدفع للمجاعة .

ويذكر أن الموانئ مصدراً مهماً من مصادر الجباية فقد أمدت المرينين بكثير من الأموال فكان إيراد ميناء سبتة من الضرائب في اليوم يتراوح بين ٥٠٠ دينار إلى سبعمائة، وفي بعض الأحيان يصل لألفي دينار في اليوم،[٣]ومن جملة المغارم المفروضة على المغرب الإسلامي ضريبة فيما يخص الثمار وتسمى بنصف الأثمن. [٤]

بالإضافة إلى وظيفة مغرم الماء التي كانت سائدة في تلمسان وأعماله، فقد كان ساقي البساتين يضطر إلى دفع مغرم للبراءة لصاحب الحوز والحراس، وهو من جملة المغارم التي ألغاها أبو الحسن المريني، عند استيلائه على المغرب الأوسط.[٥]

---

(١)خالد بلعربي : المجاعات والأوبئة، ص٢١؛ دندش : الأندلس،ص٢٢٩؛ خليلي : الحرب وأزمة الغذاء، ص٢٤٣ .

(٢) بروفنسال: ثلاث رسائل أندلسية، ص٥.

(٣) الحريري: تاريخ المغرب، ص٢٨٢.

(٤) المازوني : الدرر المكنونة،ج١، ص ٦٠ .

(٥) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص٢٨٦،٢٨٥؛ حساني : تاريخ الدولة الزيانية، ج٢ ،ص١٠٢،١٠١؛ إسماعيل (محمد محمد أحمد): ثورات العرب والبربر واليهود في المغرب الأقصى والأندلس في عهد بني مرين

ومن الطبيعي أن يشكل النظام الجبائي التعسفي ثقلاً على الفلاحين، فهذه الضرائب تمثل في الواقع أكثر من نصف المحصول، كما أنها غالباً ما كانت تسبق عمل الفلاح غير آبهة إن كان حرثه سيسلم من أي جائحة طبيعية أو من تجاوزات السلطة ، وقد عدّ بعض الفقهاء تسلط السلطان الجائر على الزرع جائحة أيضاً،[1] وقد يكون محصل الضرائب لديه منصب آخر كأن يكون والياً فيكون بذلك أشد على الرعية في جباية الأموال،[2] وبلغ تعسف الجباة في عصر ضعف الدولة المرينية وسيطرة الوزراء على الحكم في الدولة، أن أقدموا على ضرب الناس بالسياط من أجل تحصيل الأموال.[3] وهروباً من المغارم الثقيلة لجأ أغلب الفلاحين إلى طلب الوساطة من ذوي النفوذ؛ ليشفعوا لهم ويخلصوهم منها، فقد سئل الوغليسي " **عمن له أرض للحراثة ويعجز عن رفع المظالم التي ينشئها العامل على الحراثين ، فيأتي لذي السلطة والجاه ويقول له : اشترك معك في حرث الأرض على أن تلزم لي جميع المغارم والملازم** "،[4] وإذا تم التدقيق في هذه النازلة، يظهر في المستوى الأول أن الجبايات كانت ثقيلة على الناس ،وتفوق طاقتهم؛ لذلك يلاحظ أن الفلاح قام بالجوء إلى أصحاب النفوذ والجاه، يعرض عليهم الاشتغال في الأرض مقابل حمايته، ولعله من المفيد الإشارة إلى فتوى الوغليسي بعدم جواز هذه الشركة، لأن الفلاح قصد التملص من المظالم والمغارم بالجاه "**الذي هو من باب الرشوة وأكل المال بالباطل**" وهنا يجدر الاستغراب والتساؤل، ألم يكن يجدر بالوغليسي إدانة الأسباب عوضاً عن إدانة النتائج؟.

٦١٥-٨٩١هـ/١٢١٣-١٤٦٥م، القاهرة، دار الثقافة الدينية، ٢٠٠٨م، ص١٥٩ ؛ بلعربي :المجاعات والأوبئة، ص٢١.

([1]) فتحة : النوازل الفقهية، ص٣٧٩ .

([2]) إسماعيل : ثورات العرب والبربر،ص١٦٢ ؛ بروفنسال (ليفي): سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها ألقاها عام ١٩٤٧-١٩٤٨، تر، محمد عبد الهادي، مراجعة، عبد الحميد العبادي بك، القاهرة، المطبعة الأميرية،١٩٥١ م، ص٨١. .

([3]) إسماعيل : ثورات العرب والبربر، ص١٦٢ ؛السبتي (عبد الأحد)،فرحات(حليمة): المدينة في العصر الوسيط قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤م، ص١٢٤.

([4]) المازوني : الدرر المكنونة،ج١،ص٣٩ ؛ الوزاني (أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد الخضر ت ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م): النوازل الصغرى المسماة المنح السامية في النوازل الفقهية، المملكة المغربية، مطبعة فضالة، ١٩٩٢م، ج٣، ص٤١٧؛ فتحة : النوازل الفقهية، ص٣٧٩.

فقد كانت الجبايات في المجال الزراعي، تتم بمعاينة الزروع والمغروسات قبل حصادها، وقد يُستنتج من ذلك أن إنسان المغرب كان ينظر للضريبة على أنها تصب في مصلحة المخزن ، لا في صالح الرعية، فلو رأى إنسان المغرب أن الضريبة تعود لتصب في مصلحته في وجه من الأوجه، لما تهرب منها ووجدها عبئاً ثقيلاً وحاول التهرب منه، ممّايعني أن الفلاح وحده من يتحمل تجاوزات المخزن وقساوة الظروف الطبيعية .

أما عن الضرائب في الأندلس في عصر بني الأحمر فيصعب على الباحث معرفة ماكان يجمع في بيت المال في عهد بني الأحمر في غرناطة، لكن من الممكن تكوين فكرة تقريبية عندما يعرف أن محمد الأول٦٢٩-٦٧١هـ/١٢٣١-١٢٧٢م كان يدفع ضريبة سنوية لمملكة قشتالة ما قيمته مئة وخمسين ألف ذهبية ،أي مايقدر بربع مافي الخزينة ، وبعض المصادر تقول بأن الضريبة بلغت نصف خزانة المملكة،[1] وفي سنة (٧٠٩هـ/١٣٠٩م) رفع القشتاليون حصارهم عن الجزيرة الخضراء مقابل خمسين ألف ذهبية، دفعها السلطان أبو الجيوش نصر (٧٠٨-٧١٣هـ/ ١٣٠٨- ١٣١٣م) من بيت المال، يذكر أن محمد الخامس عامي٧٥٥- ٧٦٠هـ / ١٣٥٤ – ١٣٥٨م قد دفع عام ٧٨٠هـ/١٣٧٨م مبلغ خمسة ألاف دينار من الذهب لتجديد الهدنة لمدة عامين مع ملك قشتالة .[2]

هذه المعلومات لا تساعد في إعطاء فكرة واضحة ومحددة، عما كان يجمع في بيت المال لكنها تبرز النفقات الكبيرة التي أنفقها بنو الأحمر مقابل الهدنة وشراء السلام إذا أمكن القول، طبعاً هذه الأموال غالباً ماكانت تتحصل من الضرائب وتفقر الرعية وتضيق عليهم سبل العيش. وقد وجدت الكثير من الضرائب المغالى بها في غرناطة و غير الشرعية، إذ لم ترد في القرآن أو السنة لكن الظروف فرضتها، فبدون مال لايكون هناك جيش أو تنظيمات سياسية وإدارية أو مقدرة لأداء جزية قشتالة، فقد كانت هناك ضريبة على الأراضي الزراعية، وكان يتولى الإشراف على هذه الضريبة ، ديوان الخراص الذي يختص بحصر الأملاك وتقدير الضرائب

([1]) ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص٩٤ ؛ كولان : الأندلس، ص١٣٨؛ فرحات : غرناطة في ظل بني الأحمر، ص٦٧ ؛ كولان : الأندلس، ص١٣٨ .

([2]) الطوخي : مظاهر الحضارة، ص٢٦٥.

عليها.[1] وكانت قيمة هذه الضريبة تختلف تبعاً لطريقة ري الأرض، وكان أساسها يحدد بناءً على قرار مقررين يزورون الأراضي والمطامير أو يقدرون المحصول المنتظر أثناء الزرع أو بعد الحصاد.[2] وعلى الأراضي المزروعة بالكروم ، ضريبة مقدارها العشر ترتفع حتى الثلاثين مرابطياً، كذلك كانت ضريبة المخزن من الضرائب المعروفة في غرناطة، وكانت تحصل من المزارعين بعد تسليمهم قطعاً من الأرض لزراعتها في نظير دفع خمس المحصول أو التسع أو العشر وذلك بحسب جودة الأرض. وكما في عهود سابقة استمر العمل بما كان يسمى التعتيب، ولكن تحت اسم جديد يعرف بخراج السور، إذ كانت تلزم الرعية في كثير من الأحيان بإقامة التحصينات الدفاعية في الأماكن المهمة، وقد أفتى فقهاء الدولة مثل أبي إسحاق الشاطبي [3] بضرورة تحمل الأهالي نفقات الأعمال الدفاعية؛ لأن المصلحة تقتضي بذلك ومثال ذلك قوله:" **وكان خراج السور في بعض مواضع الأندلس في ذلك الوقت موظفاً على أهل الموضع** "[4] ويروي الشاعر أبو البركات بن الحاج البلفيقي أنّ جده أبا إسحاق بنى معظم سور مدينة بلفيق Belfiq[5]من ماله الخاص. [6]

([1])ابن الخطيب : الإحاطة،ج١، ص٢٢٩؛ الطوخي : مظاهر الحضارة في الأندلس، ص٢٦٦ .

([2]) بروفنسال: أدب الأندلس وتاريخها، ص٨٣ ؛ فرحات : غرناطة في ظل بني الأحمر، ص٦٩ .

([3]) الشاطبي : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق كان مفسراً محدثاً فقيهاً أخذ علومه عن ابن الفخار وأبي القاسم السبتي وأبي عبد الله التلمساني من مؤلفاته : المجالس وقد شرح فيه كتاب البيوع للبخاري والموافقات في أصول الفقه توفي في غرناطة عام ٧٩٠هـ/١٣٨٨م، ابن القاضي(أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م) : ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، تح، محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث، ١٩٧١م، ج١، ص ١٨٢ ،سيتم ذكر المصدر باسم ابن القاضي : درة الحجال ؛ التنبكتي :نيل البتهاج،ص٥٠،٥١ .

([4]) ابن القاضي: درة الحجال، ج١،ص ١٨٢؛ التنبكتي :نيل البتهاج،ص٥٠،٥١ ؛ العبادي : صورمن حياة الحرب، ص٢٤٥ .

([5]) بلفيق : مدينة تابعة للمرية تتواجد جنوب بلاد برشانة وقريبة من نهر المنصورة وشمالي ثغر المرية، ابن الخطيب : الإحاطة، ج٢، ص٤٥٥ .

([6]) المقري : نفح الطيب، ج٥، ص٤٧٧؛ العبادي : صور من حياة الحرب والجهاد، ص٢٤٥.

وهناك بعض القرارات الرسمية التي كان يصدرها سلطان غرناطة محمد الخامس الغني بالله إلى رعيته في أواخر القرن ٨هـ/ ١٤م، يحضهم فيها على بناء الحصن بجبل فارة[١] ولايزال هذا الجبل لليوم يسمى بجبل فارو " GibralfaroGibralfaro"

وثمة إشارة في المصادر إلى أن الرعية من مسلمين وغير مسلمين، لم يكونوا كثيري التذمر بشأن الضرائب التي كانت تفرض عليهم، حتى في الحالات الإنسانية ،حيث يقول ابن الخطيب:" **فطاعة أبناء هذا القطر للأمراء محكمة ، وأخلاقهم في احتمال المعاون الجبائية جميلة**"، فمحمد الأول " **لما تم له تملك الحضرة اضطر إلى المال فلبى القوم ندائه طائعين ، وابتنى حصن الحمراء وجلب له الماء وباشر بنفسه الحسابات، فتوفر ماله، ...وملأ بطن الجبل المتصل بمعقله حبوباً مختلفة،وخزائن دوره مالاً وسلاحاً** "[٢] ولكن يرجح أن هذا الكلام غير دقيق فقد كان لازدحام مملكة غرناطة بالسكان نظراً للهجرات المتوالية إليها من المدن الأندلسية التي كانت تسقط بيد الإسبان، وطبيعة أرضها الجبلية الوعرة أثر كبير في غلاء المعيشة فيها . وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى هذا الغلاء، عندما قال في معرض حديثه عما حدث في الأندلس في عصره " **إنهم لما ألجأهم النصارى إلى سيف البحر وبلاده الوعرة الخبيثة الزراعة النكدة النبات ، وملكوا عليهم الأرض الزاكية والبلد الطيب، فاحتاجوا إلى علاج المزارع والمدن لإصلاح نباتها وفلحها ،وكان العلاج بأعمال ذات قيم ومواد من الزبل وغيره لها مؤونة، وصارت في فلحهم نفقات لها خطرها، فاعتبروها في سعرهم، واختص قطر الأندلس بالغلاء منذ اضطرهم النصارى إلى هذا المعمور بالإسلام مع سواحلها لأجل ذلك**".[٣] وابن الخطيب نفسه يتحدث عن الغلاء بغرناطة :"**وأسعارها يشعر معيارها بالترهات** " [٤] ولكثرة المهاجرين منها بسبب غلائها سمي أحد أرباضها بحوز الوداع ، فقد كان الغرناطيون يودعون فيه المغادرين قبل رحيلهم .[٥]

---

(١) الطوخي : مظاهر الحضارة في الأندلس، ص٢٦٩ .

(٢) ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص٢٧،٣١؛ فرحات : غرناطة في ظل بني الأحمر، ص٦٨ .

(٣) ابن خلدون :المقدمة، ص٣٦٤.

(٤)ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص ١٢١.

(٥) ابن الخطيب :معيار الاختيار، ص٨٤ ؛ الطوخي : مظاهر الحضارة ، ص٢٥٨؛ العبادي : دراسات في تاريخ المغرب، ص٢١٥.

تجدر الإشارة إلى أن الرعية قد تشعر أنه من واجبهم المشاركة في العمليات الجهادية، وبالأخص تلك التي تصب في مصلحتهم أي بناء سور يدفع عنهم الأعداء لكن الغلاء الحاصل جراء هجرة قاطني المدن التي سقطت بيد الإسبان وثقل الضرائب غير الشرعية المجبية بغير وجه حق، لم تدع المجال لأداء تلك الضريبة عن طيب خاطر كما أشار ابن الخطيب الذي عاد وناقد نفسه وتحدث عن الغلاء وكثرة الضرائب .

مما سبق يلاحظ تعدد وتنوع الضرائب وأن كل دولة من الدول التي حكمت في المغرب والأندلس في الفترة مابين (٦-٨هـ/١٢-١٤م)، قد اجتهدت في ابتكار ضرائب جديدة لم تكن معروفة فيما سبق ولكل دولة سياستها الضريبية المختلفة عن الأخرى وأن الحكام بداية عهدهم ، يقومون بتخفيف الضرائب عن كاهل الشعب بغية كسب تأييدهم، ثم لايلبثون أن يعيدوا فرض الضرائب لتمويل مشاريعهم التوسعية أو لأغراض أخرى كبناء القصور وغيرها من مظاهر الترف، كما كان التشدد في جباية الضرائب عنواناً بارزاً في السياسة الضريبية ، فأغلب كتب الحسبة ، كانت توجه توبيخاً شديدة اللهجة عندما يتعلق الأمر بجابي الضرائب من السكان المغلوبين على أمرهم .

٢- الضرائب التي فرضتها القبائل الهلالية والتشطط في الجباية :

بنو هلال قبيلة عربية تنتسب إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هزان بن منصور بن عكرمة بن مضر من العدنانية، موطنهم كان جبل غزوان في الطائف، هاجرت القبيلة من الجزيرة العربية إلى الشام ثم صعيد مصر ومنه انتقلت إلى باقي المغرب العربي، ودخلوا الحياة السياسية بمشاركتهم في ثورة القرامطة بشمال شرق الجزيرة ضد الخلافة العباسية، ولجئوا إلى الفاطميين طمعاً في إقطاعهم أرضاً في مصر، تذكر المصادر التاريخية أنّ الوجود الهلالي بالشمال الأفريقي هو رد من قبل الخليفة الفاطمي المستنصر بالله على تمرد الأمير الزيري المعز بن باديس على الخلافة الفاطمية. حيث أباح الفاطميون للعرب عبور النيل، الأمر الذي كان ممنوعاً في السابق، فشجعوهم "**بفروة ودينار لمن جاز**"[1] لقد شكل العرب بعد الهجرة الهلالية سبباً في الاضطراب السياسي والاجتماعي والخراب الاقتصادي في المغرب حيث قيل فيهم : "**إن الأعراب أضحوا في رغد العيش وسعة من السلطان بلغوا من العزة والقوة مبلغاً سما بهم إلى قمة الغرور والطغيان والبطش** "،[2] وقد عانت الزراعة من تخريب القبائل الهلالية للمناطق الزراعية وعجزت زناتة [3]عن حماية السهول من عدوان البدو وغاراتهم، " **فعدمت الأقوات وانتشرت المجاعات** ".[1]

([1])ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م): جمهرة أنساب العرب، تح، عبد السلام محمد هارون، مصر، دار المعارف، ١٩٦٢م، ص ٢٧٥، سيتم ذكر المصدر باسم ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ؛ القلقشندي : صبح الأعشى، ج٥، ص ٣٤١ ؛ الطيبي(أمين توفيق): دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٧م، ج٢، ص٧٣؛ بن ديدة(قداري): تأثيرات الهجرات الهلالية على بلاد المغرب الأوسط٤٤٣-٥٥٧هـ/١٠٥٢-١١٦٠م،رسالة ماجستير،الجزائر،جامعة مولاي الطاهر سعيدة، ٢٠١٤-٢٠١٥،ص٢٩،٢٨.

([2]) إسماعيل(محمود): سيسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الانهيار، بيروت، مكتبة سينا،٢٠٠٠م، ص ٩٦ .

([3]) زناتة : يرجع أصلهم إلى كنعان بن حام وهم فرع من البتر، من أولاد جانا بن يحيى بن صولات بن مازيغ، من أشهر قبائلهم بنو مغراوة وبنو يفرن،بنو تاجن يضاف عليهم قبائل مكناسة وجراوة، لقد استقرت أقدم المجموعات الزناتية في النواحي الشمالية والشرقية خاصة تلمسان إضافة إلى تامسنا،وهاجروا في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ؛ بسبب ضغط الفاطميين عليهم لتعاونهم مع الأمويين في الأندلس، فامتدت مواطنهم من تاهرت إلى فاس وبدأوا بالتسرب نحو المغرب الساحلي عبر ممر تازة وكونوا إمارات في

لقد قام الولاة والأمراء بمصالحة القبائل الهلالية في بلاد المغرب وبالرغم من أن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي، ألغى أخذ الغلة مناصفة إلا أنه ضمهم إلى جيشه، وأقطع رؤسائهم بعض تلك البلاد،[٢]وهكذا فإن الدولة الموحدية استرضتهم بالإقطاعات مكافئة على خدماتهم وإتقاء لشرهم فنالت قبيلة زغبة[٣] إقطاعات في نواحي المغرب الأوسط، إذ تذكر المصادر أنهم :"**غالبوا زناتة عليها فغلبوهم في أكثر الأحيان، وأقطعتهم الدولة كثير من نواحي المغرب الأوسط وأمصاره في سبيل الاستظهار بهم**".[٤] كما أقطعت الدولة لبني يزيد[٥] "أحد بطون زغبة" أرض حمزة (البويرة حالياً)، وأصبحت تستخدمهم في أعمال الجباية على قبائل صنهاجة[٦]

تادلا وسلا وأغمات وفاس، ابن حزم :جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٥ ؛ ابن خلدون : العبر، ج٧،ص ٤٤؛ القلقشندي :صبح الأعشى، ج١، ص٣٦٢؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ، ص ٢٤،٢٥ .

(١) موسى : النشاط الاقتصادي ،ص ١٥٧ ؛ خليلي : الحرب وأزمة الغذاء ،ص٢٤٣ .

(٢) المراكشي: المعجب،ص١٨٩ ؛ حسن(حسن علي) : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠م، ص٣١٧.

(٣) زغبة : هذه القبيلة إخوة رياح يذكر أنّ زغبة ورياح أبناء أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، دخلوا إفريقيا وتغلبوا على نواحي طرابلس وقابس، وقتلوا سعيد بن خزرون من ملوك مغراوة بطرابلس، تمتد مواطن زغبة جنوب عمالتي الجزائر ووهران، نقلهم يغمراسن بن زيان من نواحي زاغر إلى جنوب تلمسان فكثر عيثهم فنقلهم للصحراء، ابن خلدون : العبر،ج٦، ص٥٤ ؛ الميلي :تاريخ الجزائر،ج٢،ص٣٧٣ .

(٤) ابن خلدون : العبر،ج٦، ص٥٥ ؛ سكينة (عميور): ريف المغرب الأوسط في القرنين ٥-٦هـ/١١-١٢م دراسة اقتصادية واجتماعية، رسالة ماجستير، الجزائر،جامعة قسنطينة،٢٠١٢-٢٠١٣م ، ص١٩٨ .

(٥) بنو يزيد : بطونهم كثيرة منها جواب وبنو كرز وبنو موسى والمرابعة بنو مربع والخشنة بنو خشين وحميان وأولاد لاحق وأولاد معافي وهم مجاورون للأثبج ورياح غرباً ويقطنون أرض حمزة والدهوس وأرض بني حسن من صنهاجة إلى متيجة ومايتصل من ذلك ريفاً وصحراء، ابن خلدون :العبر،ج٦،ص ٥٥؛ الميلي: تاريخ الجزائر، ص١٩٩ ؛ بن فريحة: القبائل العربية ، ص ٣١ .

(٦) صنهاجة : ينتسبون إلى صنهاج بن عاميل بن زعزاع بن يبرين بن مكسيلة بن دهيوس بن حلحال بن شرو بن مصرايم بن حام، وقد تضاربت روايات النسابة والمؤرخين حول نسب هذه القبيلة، فمنهم من أرجعهم إلى حمير، فقد ذكر أنها تنتمي إلى صنهاج بن عبد شمس بن وائل بن حمير والبعض الأخر يرى أنها جزء لا يتجزأ من قبائل البربر ويرجعون نسبهم إلى كنعان بن حام، ابن حوقل : صورة الارض، ص ١٠١؛ الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ٥٤٨هـ/١١٥٣م): وصف إفريقيا الشمالية مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تصحيح ونشر، هنري بيرس، الجزائر، مكتبة معهد الدروس العليا الإسلامية بالجزائر، ١٩٥٧م، ص ٣٥، سيتم ذكر المصدر باسم الإدريسي : وصف إفريقيا الشمالية ؛ ابن خلدون : العبر، ج٦، ص ٢٠١-٢٠٢ ؛ الدراجي : القبائل الأمازيغية، ج٢، ص،ص٧٤،٧٥ ؛ مؤلف مجهول : الحلل الموشية،ص١٨ ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ، ص١٢،١٣.

وزواوة،[1] وحظيت القبائل الهلالية في ظل الدولة الحفصية والزيانية بالعديد من الامتيازات والإقطاعات، إذ أقطعت الدولة الحفصية أرضاً من حمزة تسمى كدارة لصالح داود بن هلال رئيس قبيلة بني عامر بن زغبة لموالاته لها،[2] كما لاقت القبائل الهلالية اهتماماً من قبل الدولة الزيانية فقد أقطع السلطان يغمراسن بن زيان(٦٣٣-٦٨١هـ/١٢٣٥-١٢٨٢م) لقبائل سويد[3] الموالية له مناطق ببلاد البطحاء[4] وسيرات،[5] كما وسيطر الهلاليون على طريق القوافل، وفرضوا المكوس ولم يكن أحد يستطيع اجتياز الطريق إلا بإذنهم.[6] وبفضل هذه الامتيازات أصبح للعرب مكانتهم التي استطاعوا من خلالها التطاول على الرعية خاصة في المجال الجبائي، إذ أن هناك

---

(١) زواوة : البعض ينسبهم لقبائل البتر، ويرجع نسبهم إلى سمكان بن يحيى بن ضري، والبعض ينسبهم لكتامة البرنسيين بسبب تجاورهم في الأوطان، لكن لايمكن نسبة جماعة لجماعة أخرى بحكم تجاور الموطن فقط هناك بطون متفرعة عن قبيلة زواوة منها : بني مرانة وبني كوفي وبني كوزيت ومشدالة ومن أسماء قبائلهم بوشعيب،بنو صدقة،بنو فوارسن،بنو يتورغ، ابن حزم :جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٦؛ ابن خلدون : العبر،ج ٦، ص١٦٩،١٦٨ ؛الدراجي: القبائل الأمازيغية، ج١،ص ٣٦٢،٣٦٠ ؛الميلي: تاريخ الجزائر،ص ٢١٦،٢١٧.

(٢) ابن خلدون : العبر،ج٦،ص ٥٥،٦٩؛ حسن : المدينة والبادية، ج١، ص١٠٣ .

(٣) قبائل سويد : سويد بن عامر بن مالك هم أحد بطون بنو مالك بن زغبة، ترجع أصول قبيلة بني مالك إلى عرب بني هلال فهم بنو مالك بن زغبة بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال، ولسويد أفخاذ منها فليتة وجوث وصبيح وأولاد ميمون وشبابة، يقيمون في الصحراء بين إقليم نيوميديا وتنس وجاهر، ابن خلدون : العبر، ج٦،ص ٦١؛ كربخال : إفريقيا، ج١،ص ١٠٤ ؛ الميلي: تاريخ الجزائر، ج٢، ص ٢٠٠.

(٤) البطحاء : مدينة عتيقة بناها الأفارقة تقع على ثلاثة فراسخ من وهران داخل البلاد، خربت بسبب الحروب بين بني عبد الواد وبني توجين، نزل فيها محمد بن تومرت أثناء عودته من المشرق عام ٥١٣هـ/١١١٩م، فقد استضافه أهلها قبل سفرهم لفاس ثم مراكش يجهل موقعها الآن إلا أنها أغلب الظن ، تقع على الطريق الكبرى المؤدية من تلمسان إلى عاصمة الجزائر على الضفة اليسرى لوادي منى قرب إغيل إزّان (ربوة الذئاب) التي أخذ منها اسم المدينة غليزان المشيدة في سفح الربوة، الوزان : وصف إفريقيا،ج٢، ص٢٨،٢٧؛ كربخال : إفريقيا،ج٢، ص٣٢٦.

(٥) سيرات : تقع قرب تاهرت سميت بهذا الاسم نسبة لنهر سيرات الذي يمر بها ويسقى أراضيها، يسكن فحص سيرات قبائل كثيرة من البربر ومطغرة وغيرهم من قبائل زناتة، الحميري :الروض المعطار، ص٤٧٠.

(٦) ابن خلدون : العبر، ج٦، ص ٥٥-٦١-٦٩؛ الميلي: تاريخ الجزائر، ج٢، ص١٨٨.

قبائل عربية تحولت لقبائل مخزنية أُسندت لها مهمة جمع الضرائب شأن بني يزيد بن زغبة زمن الموحدين. [١]

وتذكر المصادر تحول العرب لقبائل مخزنية وتشططهم بالجباية " **وانبسطت أيدي العرب وأقطعتهم الدولة حتى الأمصار وألقاب الجباية ومختص الملك....ومازالوا يغالبون الدولة وقاسموهم في جبايات الأمصار الإقطاع ريفاً وصحراء وتلولاً وجروداً**". [٢]

وبالإضافة للأراضي التي يقطعها السلطان للعرب كان يمنحهم أعطيات ومرتبات فزدادت بذلك سطوتهم فضاقت السلطة لتطاولهم، وضاقت الجباية نتيجة سوء تصرفهم وسطوتهم على الأراضي الزراعية دون أن يدفعوا ماعليها من مغارم للدولة .

وقد كان للزواودة عطاء معلوم بقسنطينة مرتب على مراتبهم علاوةً على ما كان بين أيديهم من البلاد وما كان لهم من خفارات كما وكانوا معفيين من الضرائب.[٣]

وهناك إشارات لسيادة حالة من الفقر في مدن وبوادي وقرى المغرب بسبب فرض الأعراب للمغارم على أهلها من جهة واستيفاء الدولة للضرائب من هذه المناطق من جهة أخرى ، حيث أن الناس كانوا يدفعون الضرائب مرتين لجهتين مختلفتين، فكيف لهؤلاء الناس أن يعيشوا بلا فقر وجوع!؟ فإنسان المغرب الإسلامي كانت ترهقه ضرائب الدولة فكيف بجهة أخرى تطالبه بالمال وتأخذ منه لقمة عيشه ،فقد كان سكان مسيلة[٤] يعيشون في حالة من الفقر، لأن الأعراب يستلبونهم مدخيلهم وملك بجاية أثقل كاهلهم بالضرائب ،وكان السبب في فقر مازونة[٥] أن العرب أثقلوا كاهلهم بالضرائب،[٦] كما دفع سكان البادية الضرائب للأعراب مداراة لهم، ومن ذلك القطيعة أو

---

(١) ابن خلدون : العبر، ج٦، ص٥٥ ؛ بن فريحة: القبائل العربية، ص٣١ ؛ حسن : المدينة والبادية، ج١، ص١٠٢.

(٢) ابن خلدون: العبر،ج٦، ص١٠٣؛ حسن : المدينة والبادية، ج١، ص١٠٢.

(٣) الميلي : تاريخ الجزائر،ص٣٥٧؛ خليلي : الحرب وأزمة الغذاء، ص٢٤٢ .

(٤) مسيلة : من بلاد الزاب بالمغرب قرب قلعة أبي الطويل وهي مدينة جليلة على نهر يسمى سهر في بساط من الأرض ومنبع نهر سهر من مدينة الغدير، أسسها أبو القاسم إسماعيل بن عبد الله الشيعي سنة ٣١٣هـ / ٩٢٥م، البكري : المغرب، ص٥٩؛ الحميري : الروض المعطار، ص٥٥٨ .

(٥) مازونة :تلي حوض فروج تقع على بعد ستة أميال من البحر يحدها من الشمال البحر المتوسط ومن الجنوب والغرب سهل الشلف الفسيح ومن الشرق جبل زكار، الإدريسي :وصف إفريقيا الشمالية، ص٧٢ .

(٦) الوزان : وصف إفريقيا،ج٢، ص٥٢ .

القطيع، وهي ضريبة تؤخذ على الإنتاج الزراعي من حبوب وزيتون وتمور، وقد وجدت منذ القرن ٥هـ/١١م إلى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م حيث قام بإلغائه أبو الحسن المريني،[١] كما فرضوا الضرائب على القوافل التجارية المارة بأراضيهم، واعترضوا طريق القوافل التي لاتدفع الضريبة.[٢]

كل تلك الضرائب كانت تهدد النشاط الفلاحي، وتؤدي إلى الهجرة من البوادي للمدن بحثاً عن فرص عيش أفضل، ويشير ابن خلدون لذلك بقوله :"**إعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذٍ أن غايتها ومصيرها انتهى بها من أيديهم، وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها، انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون إنقباض الرعايا عن السعي لاكتسابها فإذا كان الاعتداء كثيراً وعاماً في جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالآمال جملة بدخوله من جميع أبوابها وإن كان الاعتداء يسيراً كان كان الانقباض عن الكسب على نسبته**".[٣] أي إن الإنسان عندما يرى أن تعبه وإنتاجه سيأخذه غيره من يده لن يسعى ويجهد بالإنتاج طالما أن جهة أخرى ستستلبه .

إذاً تراجع النشاط الزراعي في المغرب والأندلس وتجلت مظاهر التراجع في إهمال مشروعات الري والاستصلاح والصيانة، وازدادت ظاهرة بوار المزارع وإحجام الفلاحين عن زراعتها.[٤] وبديهي أن ينجم عن ذلك صراع بين الفلاحين الجدد والفلاحين الأصليين من سكان البلاد، وأصبح قانون الغلبة يحكم حيازة الأرض وبديهي أن تفوز العناصر البدوية الخشنة في مثل هذا الصراع ، حيث إن الأعراب كانوا مدعومين من قبل الدولة التي أقطعتهم الأراضي ، وتغاضت في كثير من الأحيان عن تعدياتهم الجبائية وإجحافهم بحق السكان، فقد وصل التعسف بهم إلى حد إراقة الدماء من أجل الحصول على المال [٥]

---

(١) ابن مرزوق : المسند، ص٢٨٦ ؛ حسن : المدينة والبادية، ج٢، ص٥٣٤ .

٢ بوتشيش : مباحث في التاريخ، ص٢٣٠ ؛ إسماعيل : ثورات العرب والبربر،ص١٦١،١٦٠.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ص٢٨٦ ؛ خليلي : الحرب وأزمة الغذاء، ص٢٤٣؛ حسن : المدينة والبادية، ج٢، ص٦٥٦.

(٤) إسماعيل: سيسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص٧٢ .

(٥) ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) : نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، نشر وتعليق، أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، د.ت، ج٢، ص ٧٧

هذا ممّا أدى إلى تراجع النشاط الفلاحي، وبالتالي نقص في الأقوات والسلع المجلوبة من البوادي للمدن ما أدى لندرتها وغلاء ثمنها ،كما إن كثرة الضرائب على المنتجات تؤدي للغلاء لأن التجار يحتسبون في سعر البضاعة كل نفقاتهم عليها فالضريبة أو المكس تكون داخلة بقيمة البضاعة ولهذا يحدث الغلاء الذي قد يؤدي نهاية المطاف للمجاعات .[١]

، سيتم ذكر المصدر باسم ابن الخطيب : نفاضة الجراب ؛ ابن غازي (محمد بن أحمد بن محمد العثماني ٩١٩هـ/١٥١٣م) : الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح، عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية،ط٢، ١٩٨٨م،ص٤٠سيتم ذكر المصدر باسم ابن غازي : الروض الهتون ؛ الوزان : وصف إفريقيا،ج١،ص٢١٧؛ إسماعيل : ثورات العرب والبربر، ص١٦٢؛ خليلي: الحرب وأزمة الغذاء،ص٢٤٣.

(١) ابن خلدون : المقدمة، ص٣٩٥ ؛ العلوش : أثر الكوارث، ص١٤٢ .

ثانياً – أسباب الأوبئة :

لقد وضحت العديد من المؤلفات الطبية في الفترة المدروسة (٦-٨هـ/١٢-١٤م) أسباب الأوبئة والطواعين من فساد الهواء والماء والمجاعات التي تفرض على الإنسان نمطاً غذائياً غير صحي والحروب التي تؤدي لتراكم جثث الموتى وحصول الإعاقات الجسدية، وبحسب المعتقدات الشعبية أنذاك كان الوباء يفسر على أنّة غضب من الله تعالى وعقاب على أعمال البشر السيئة أو بسبب الجن وأسباب فلكية أخرى لا أساس لها من الصحة، ستتم معالجة تلك الأسباب بشكل أكثر توسعاً فيما يلي :

١- فساد الهواء والماء :

يذكر أن فساد الهواء في نظر أغلب الأطباء الفترة المدروسة(٦ -٨هـ/١٢-١٤م) هو العامل الرئيسي المسؤول عن حدوث الأوبئة؛ نظراً لأن الناس جميعاً يشتركون في استنشاقه وعليه فإن فساده يعني هلاكهم بالجملة " **إذا اتصف الهواء بالصفة الوبائية أفسد الحياة بتعفن الروح الذي في القلب لشدة مخالطته ومجاورته له وكذلك يضر بالنباتات والحيوانات ويضر من يأكلها من الإنسان بظهور الحميات العفنة والجدري والطواعين** ".[١]

وأرجعت بعض المصادر سبب فساد الهواء لكثرة العمران ومايصاحبه من تعفن ورطوبة فاسدة ويقول :"**وإذا فسد الهواء وهو غذاء الروح يسري الفساد إلى مزاجه فإذا كان الفساد قوياً وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة**"،[٢] ولمخالطة الهواء للأبخرة المتعفنة التي تخرج من مطامير الطعام التي يطول اختزانها أو الهواء المتصاعد من قاع الآبار التي يموت فيها حيوان ما.[٣] كما ويتغير الهواء بمخالطته لأجساد الموتى المتعفنة خصوصاً إذا

---

(١) ابن زهر: الأغذية، ص١٤٣؛ الخطابي (محمد العربي) :ابن الخطيب السلماني وكتابه الوصول لحفظ الصحة في الفصول، مجلة أكاديمية المملكة المغربية، ع١-٢، المغرب، ١٩٨٥م، ق ١، ص١٤٠.

(٢) ابن خلدون : المقدمة، ص٣٠٢ ؛ بكاي : الحياة الريفية، ص٢٧٠٢٣.

(٣) محمود : الفناء الكبير، ص١٥١.

ما كان الهواء راكداً وجثث الموتى كثيرة مثلما هو الحال وقت الحروب أو لمخالطة الهواء لأبخرة السباخ[1]والمستنقعات القذرة المياه وأبخرة مناقع الكتان والأبخرة المتصاعدة من أكداس الأزبال.[2]

وعن فساد الهواء تشير بعض المصادر إلى انعدام شروط النظافة في بعض مدن المغرب خصوصاً في تلمسان، فقد كانت الطرقات تعج بالأزبال وجيف الحيوانات، فضلاً عن طين المطر المجتمع في الشوارع، وقيام بعض الحرفيين بأعمالهم التي تنجس الطرقات كالخرازون[3] الذين يبسطون جلود البقر في طريق المارة فيؤذونهم بذلك وكل هذا يدخل في باب منكرات الشوارع التي حذر منها الشرع.[4] والمياه الفاسدة كانت تتسبب أيضاً بحدوث العديد من الأمراض والأوبئة والحمى والأورام الطاعونية والجرب وحصى الكلى وخاصة المياه الراكدة والمتغيرة حتى النتانة ،ومع إن المدن المغربية التي تتسم بنتانة مياهها قليلة إلا أنه يجد بعضها مثل تنس،[5] التي يُذكر أنه قلما دخلها أحد وسلم من المرض، فمياهها غير صالحة للشرب ويصفها أحد الشعراء بقوله :

ومَاءُها من فَجٍ مَا خَصَت بِه　　　نَحس يَجرِي عَلى تُربِ نَجس[6].

ومرسى الخرز ماؤها فاسد لأن مصدر شرب أهلها من بئر أزارف، ويقال : عن فساد مياهها "**طعنة مزراق خير من شربة من بئر ابن راق .**"[7]

---

(1)السباخ : السبخة هي أرض ذات نَزٍّ ومِلح، والجمع: سِباخٌ، وقد أسْبَخَتِ الأرض، أي صارت سبخة، الفيروز آبادي : القاموس المحيط، ص٦٩٣ .

(2) ابن زهر : التيسير في المداواة، ص٥٣،٤٤ ؛ الشمري(غازي)، ياشوش (جعفر): ابن زهر دراسة في الكتابة والتطبيب، وهران، منشورات مخبر البحث التاريخي، ٢٠١٣م، ج١، ص٣٢٣ .

(3) الخرازون : صانعوا الأحذية الجلدية ، الأندلسي : أحكام السوق،،ص٦٣ .

(4) العقباني (محمد بن أحمد بن قاسم ت ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م) :تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح :علي الشنوفي، بيروت، د.د، ١٩٦٧م، ص٦٧،٦٥، سيتم ذكر المصدر باسم العقباني : تحفة الناظر .

(5) تنس :مدينة بقرب مليانة بينها وبين البحر ميلان،وهي حصينة ومسورة وبعضها على الجبل وبعضها في السهل ،البكري: المغرب،ص ٦٣؛ مؤلف مجهول :الاستبصار،ص ١٣٣ ؛ الحميري : الروض المعطار، ص ١٣٨ .

(6) البكري: المغرب، ص٦٣ .

(7) البكري : المغرب، ص٥٥ ؛ الحميري : الروض المعطار، ص٥٨٣ ؛ بكاي :الحياة الريفية، ص٢٧٠ .

وقد ذكرت المصادر أن شرب الناس في الحج للمياه الراكد، كان سبب حدوث العديد من الأمراض الخطيرة وأكثرها يكون في البطن، وهي تؤدي إلى مرض عدد كبير من الحجاج بسبب ذلك [1]، ولا شك أن رحلة الحج إضافة للرحلات التجارية، كانت عاملاً مساعداً على نقل الأمراض والأوبئة إلى مختلف البقاع ومنها إلى بلاد المغرب والأندلس.

---

(1) ابن مرزوق (أبو عبد الله محمد التلمساني ت ٧٨١هـ/١٣٧٩م): المناقب المرزوقية، تح، سلوى الزاهري، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، ٢٠٠٨م ، ص ٢٤٦ .

٢- **اضطراب المناخ :**

إنّ تغير المناخ له أثاره السلبية التي لاتقتصر على حدوث القحط أو الفيضانات، وإنما تتسبب في حدوث الأوبئة التي هددت حياة الإنسان في المغرب والأندلس، وقد يتسبب اضطراب المناخ خلال فصول السنة في ظهور الأمراض الوبائية، كأن يتسم فصل الربيع بالبرودة والصقيع،(١) أو أن يتسم الربيع والشتاء بصفات الصيف،(٢) أو أن تكون جميع فصول السنة على طبيعة واحدة من الحرارة أو الرطوبة أو البرد فهذه السنة تكون كثيرة الأمراض.(٣) فعندما تحصل تساقطات مطرية في غير موعدها كفصل الصيف مثلاً يتعرض الناس لمرض جلدي، تكون أعراضه الشعور بالحكة والحرقة في الجلد "**حتى يكادوا يسلخون جلودهم**"، فالحرارة والرطوبة في المناخ تؤدي للعفونة المسببة للوباء، وهبوب الرياح الشمالية مع سقوط الأمطار الغزيرة في الصيف، يفسد الهواء ويعفنه وتحدث الحمى الوبائية،(٤) وفي فترات القحط والجفاف يتغير الهواء ويفسد، وتحدث بذلك أوبئة مثل الرمد و أنواعاً من السعال وانبعاث الدم من المقعدة.(٥) والتغير الجوي المفاجئ من القحط والحرارة المرتفعة إلى كثرة الأمطار قد يسبب الوباء، ومثال على ذلك الأمطار التي أعقبت القحط والمجاعة التي اجتاحت مراكش عام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م، أسهمت بتفشي الوباء الذي استفحل في ظل واقع مثخن بالجدب ومخلفات المجاعة ، فارتفعت لذلك نسبة الوفيات وتفاقمت الأسعار. (٦)

تذكر المصادر حدوث الوباء المترافق مع الغلاء وذلك عام ٦٣٤هـ/١٢٣٦م ، فقد أودى هذا الوباء بحياة الكثير من الناس "**اشتدت وطأة الغلاء والوباء الذي رافقه ،وكان يدفن في**

---

(١) **محمود : الفناء الكبير، ص١٥١.**

(٢) **محمود : الفناء الكبير، ص١٥١.**

(٣) **الخطابي:ابن الخطيب السلماني، ق ١، ص١٨٧.**

(٤) **الوزان : وصف إفريقيا، ج، ١، ص٧٩؛ الشمري، ياشوش : ابن زهر، ص ٣١٨ .**

(٥) **ابن زهر : التيسير في المداواة، ص٤٥٣ .**

(٦)**ابن عذارى :البيان المغرب، قسم الموحدين،ص٣٤٥؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٣٥٥ ؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص٢٩ .**

الحفرة الواحدة مائة من الناس"،[1] ربما التعبير هنا يحمل القليل من المبالغة وذلك للتعبير عن حجم الحدث وشدة الأذى الذي لقيه الناس جراء ذلك الوباء، وفي نفس السنة كانت وفود من إشبيلية وسبتة وغمارة البحر، قد قصدت مراكش للاستنجاد بالموحدين، إذ وصلت الوفود إلى مراكش في آخر فصل الصيف وكان "**مزاجها الانحراف وهواؤها رديء بكثرة الأمطار من الجدب كان قد تقدم أعواماً فكثرت الرطوبة وحدث الوباء، فتغيرت أحوال أهلها فضلاً عمن سواهم لاسيما أهل البحر فنزل الوباء بهم وقتل منهم عدد كثير ومرض الأشياخ الوافدون كلهم من أهل سبتة وإشبيلية**"، وذكرت المصادر "**أن وباء جارفاً كان بحضرة مراكش أهلك الجميع من الغرباء**" واستمرت الأزمة خلال السنة التالية ٦٣٥هـ/١٢٣٧م، فقد عم فيها "**الموت الكثير بالمغرب والأندلس، وهروب أكثر أهل البلاد**"[2] .

---

(1) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٢٧٧،٢٧٦؛ السلاوي : الاستقصا، ج٢، ص٢٣٧ ؛ عبد الجبار : سقوط الدولة الموحدية، ص١٥٣ .

(2) ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٤٥؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص٢٥٥؛ بروفنسال : صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٩.

٣- المجاعات والحروب وعلاقتها بحدوث الوباء:

كانت المجاعات مقرونة في كثير من الأحيان بالأوبئة، مما زاد في حدة النزيف البشري ، في أواخر سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م قد عرفت مراكش ونواحيها طاعوناً جارفاً[١] وتجدر الإشارة إلى أن المصادر اعتادت على إطلاق مصطلح الطاعون على كل مرض وبائي، من دون أن تهتم بأعراضه التي تحدد هل هو طاعون أم وباء أخر؟، وعلى كل حال فإن الوباء بدأ في الأندلس التي كان الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٢-١١٨٤م) بها على رأس جيش في حملة عسكرية، وظهرت ملامحه بمدينة قونقة التي هاجمها نونة صاحب طليطلة في نفس السنة"**فاستغاث أهلها بأمير المؤمنين، وكانوا من ضعف المرض والطاعون لايقدرون على الحركة** "،[٢] وكانت النتيجة استسلام المدينة ٥٧٢هـ/١١٧٦م أمام عدم استطاعة السكان الدفاع عن مدينتهم، وعجز الدولة الموحدية عن التدخل،[٣] ومما يؤكد اتساع دائرة الوباء ذكر المصادر إلى أن الخليفة يوسف غادر الأندلس مستعجلاً "**ولم يسلم عليه من أشياخ إشبيلية، ولا رأوه لاستعجاله**".[٤] ومن خلال الأخبار المتفرقة عن هذا الطاعون ، يستنتج أنه لم يكن مقتصراً على مراكش وحدها، وإن كانت الخسائر بين سكانها أكبر من غيرها، وكانت له آثار في غيرها من البلدان بدرجة أقل فيما يبدو، لذلك ركزت المصادر أكثر على مدينة مراكش التي كان الوباء شديداً فيها بحيث"**لم يعهد مثله فيما تقدم من الأزمنة**"،[٥] وصورت المصادر شدة هذا الطاعون القول: "**وكان الناس يموتون فيه من غير مرض،فكان الرجل لايخرج من منزله حتى يكتب اسمه ونسبه وموضعه في براءة يجعلها في جيبه ،فإن مات حمل إلى موضعه وأهله** "،[٦]

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٣٦ ؛ كريمي : قراءة المدينة الموحدية والمرينية، ص١١٧.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٣٧؛ أشباخ : تاريخ الأندلس، ج٢، ص٣٩؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢، ص٩٧،٩٥ .

(٣) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق٢، ص٩٥؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص٢٥٠ .

(٤)ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٣٥.

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين،ص٢٦٦ ؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص٢٤ ؛ أسكان : المجاعات والأوبئة،ص١٤٥ ؛ كريمي : قراءة المدينة الموحدية والمرينية، ص١١١ .

(٦) ابن أبي زرع :روض القرطاس، ص١٤٥؛المنوني : العلوم والآداب، ص١٣٣؛ حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص٤١٠ .

وفي هذا النص إشارة إلى الحالة المزرية التي وصل إليها أهل مراكش الذين لم يكن لهم حول ولا قوة إلا أن يكتبوا أسماؤهم للدلالة على جثثهم عند الموت، وقد ارتفع عدد الموتى بمدينة مراكش، بحيث"**انتهى عدد الأموات في كل يوم مائة إلى مائة وتسعين شخصاً وأكثر من ذلك،حتى أن الناس لايستطيعون حملهم إلى الجامع للصلاة عليهم**"[١] وبجانب هذه الأرقام التفصيلية أشارت بعض المصادر إلى العدد الإجمالي لضحايا الوباء "**وانتهى عدد الأموات بمراكش إلى ألف وسبعمائة رجل**"، ومرض الخليفة حتى أشرف على الهلاك،وكان عدد القتلى من الخدم في قصر الخليفة ودور إخوته مايقارب ٣٠ شخصاً يومياً، حتى أصبحت شبه فارغة، وكان من نتائجه العامة نزوح العديد من سكان المدينة ،لكن" **كل من خرج منها فاراً بنفسه مات في الطريق**".**وتلى هذا الطاعون"الغلاء العظيم بالمغرب**".[٢] قد تحدث الأوبئة نتيجة للغلاء والمجاعات[٣]، ولكن يجب ألا يُسلم بذلك دائماً فقد تحدث مجاعة من دون أن يعقبها وباء والعكس صحيح فالمجاعة التي حدثت في المغرب عام ٦٩٣هـ/١٢٩٣م كانت مصحوبة بالوباء،[٤] في حين كانت المجاعة في تلمسان زمن الحصار المريني(٦٩٨-٧٠٧هـ /١٣٠٧.١٢٩٨م) غير متبوعة بوباء،[٥] ومما يذكر أيضاً أنه بعد هزيمة العقاب(٦٠٩هـ/١٢١٢م) تتابعت الأزمات والصعوبات التي فاقمت أثر الهزيمة، ففي السنة التالية٦١٠هـ/١٢١٣م "**وقع الوباء العظيم في المغرب والأندلس**". [٦]

والملاحظ أن الكوارث الطبيعية غالباً ما تتبع بعضها بعضاً، وبشكل متزامن أحياناً كثيرة، فقد اجتاحت البلاد سلسلة من المجاعات والأوبئة، حيث إن علي بن غانية حاصر جزيرة باشر، ثم

---

(١)ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٦٦ ؛ حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص٤١٠.

(٢)ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٣٦؛ حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص٤١٠ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة،ص٢٨٢؛ حسن : المدينة والبادية، ج٢، ص٦٠٧ .

(٤) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٥٤٠،٥٣٩ ؛ ابن خلدون :العبر،ج٧، ص٢٩٠؛ السلاوي : الاستقصا،ج٣، ص٩٠؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص٣٢.

(٥) ابن خلدون : العبر،ج٧، ص١٢٧؛ التنسي : تاريخ بني زيان، ص١٢٩؛ بلعربي : المجاعات والأوبئة، ص٢٢؛ بكاي : الحياة الريفية،ص٢٦٥ .

(٦)ابن أبي زرع : روض قرطاس،ص٢٧٢؛ ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص٤٩؛ السلاوي: الاستقصا، ج٢،ص٢٦٢ ؛ بولقطيب :جوائح وأوبئة،ص٤٧ ؛ عبد الجبار : سقوط الدولة الموحدية، ص١٠١.

دخلها ونهب وسلب ما فيها من الأموال والدواب وقتل سكانها وكان ذلك متزامناً مع فصل الشتاء ،فقد أهلك الناس البرد، ووقع فيهم الوباء، فأحصى منهم اثنا عشر ألفاً،[١] يلاحظ هنا أن العامل الطبيعي متمثلاً بالشتاء والعامل البشري متمثلاً بالحرب ، قد تكاتفا في تهيئة الظرف المناسب؛ لتفشي الوباء فجراء الحرب والحصار المفروض، عانى الناس سوء التغذية ليدخل الجيش الغازي، ويقوم بقتل الناس حيث إن انتشار الجثث مع الأمطار والرياح التي يحملها فصل الشتاء تساعد بانتشار الأوبئة .

والراجح أن كثرة الأمطار التي أعقبت القحط ،والمجاعة التي اجتاحت مراكش عام٦٣٢هـ/١٢٣٤م، أسهمت في تفشي الوباء الذي استفحل في ظل واقع مثخن بالجدب ومخلفات المجاعة ،فارتفعت لذلك نسبة الوفيات وتفاقمت الأسعار، ووافق ذلك تجديد البيعة للخليفة الرشيد سنة٦٣٤هـ/١٢٣٦م إذ "**اجتمعت الوفود من أهل سبتة وغمارة البحر من البلدين ،ووافقوا الصيف بمراكش ومزجها الانحراف وهواؤها رديء بكثرة الأمطار من الجدب الذي كان تقدم أعواما فكثرت الرطوبة وحدث الوباء فتغيرت أحوال أهلها فضلاً عمن سواهم**"[٢] ورافق مجاعة عام ٦٩٣هـ/١٢٩٢م وباء عظيم بالمغرب" **وفيها كانت المجاعة الشديدة والوباء العظيم في المغرب وبلغ القمح فيها عشرة دراهم للمد والدقيق ستة أواقى بدرهم**"،[٣] يلاحظ هنا تضافر الجوع مع الوباء والغلاء الثلاثي الذي قض مضجع إنسان المغرب وأودى بحياته.

كما تزامنت المجاعات في بعض الأحيان مع انتقال زمام الحكم من أمير لآخر، وفي هذا الصدد كان المغاربة في ضيق جراء القحط الذي ألم بهم عقب وصول أبو زيان[٤] المريني

([١]) التجاني : رحلة التجاني، ص١٤ ؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص١٦١ .

([٢]) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٤٥، أ ما ابن أبي زرع فقد أرخ لبيعة أهل إشبيلية وسبتة عام ٦٣٥هـ/١٢٣٨، ابن أبي زرع: روض القرطاس،ص ٢٥٥؛ كريمي : قراءة المدينة الموحدية والمرينية، ص١١١.

([٣]) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص٣٨٤ ؛حسن : المدينة والبادية، ج٢، ص ٦٠٧ ؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص٣٢ ؛ الهلالي : أثر القحط والمجاعات، ص١١٤ .

([٤]) أبو زيان : محمد بن يعقوب بن أبو الحسن المريني، كان الوزير عمر بن عبد الله قد راجع بصيرته في تقديم السلطان تاشفين بن علي الذي كان ضعيف العقل، و علم أن الأمر لا يستقيم له بذلك فبادر باستقدام أبي زيان الذي كان قد فر إلى رندة مطلع حكم عمه السلطان أبو سالم خوفاً من بطشه، واستقر في إشبيلية، كان عمر بن عبد الله قد بدأ بحكم قبضته على الدولة طلباً للنفوذ و المال و الثروة، و بدأ بالاستبداد حيث

للسلطة عام ٧٦٣هـ/١٣٦١م ونظراً لاستفحاله ترتب عليه وباء الطاعون الذي تفشى بالمدن الآهلة بالسكان إذ تذكر المصادر أنه " ..... **في عام ثلاث وستون وسبعمائة ظهر وباء الطاعون بأرض مكناسة وفاس وتازة**" .[١]

وتتسبب المجاعات بالأوبئة لأن المجاعة تفرض على الناس نمطاً غذائياً غير صحي، فالناس يكون همهم الوحيد سد رمقهم من الجوع ، فيقتصر غذائهم على الحبوب المتعفنة والفاسدة من طوال الاختزان واللحوم الرديئة كلحم الجيف والفئران والكلاب والأغذية التي لم يعتادوا أكلها مما يؤدي للأوبئة والأمراض، فأهل تلمسان أثناء الحصار أكلوا شتى أنواع الحيوانات التي تنفر منها النفس ولاتتقبلها وتسبب للناس الأمراض الخطيرة. [٢]

وهناك نظريات تقول إن وباء عام ٧٦٤-٧٦٥هـ/١٣٦٢-١٣٦٣م في زمن السلطان أبي حمو موسى الثاني الذي خلف الكثير من الضحايا، قد كان بسبب الصراع بين أفراد الأسرة الزيانية كالحرب بين أبي حمو موسى الثاني وابن عمه أبي زيان بن سعيد في الفترة مابين ٧٦٢-٧٨٩هـ/١٣٦٠-١٣٨٧م، [٣] وأثرت هذه الحرب سلباً في المنظومة الإنتاجية فقد خلفت هذه الحرب وراءها الدمار والجوع .[٤] ومن المعروف أن الأوبئة تحدث وقت المجاعات والحرب

عين المقربين له في بعض المناصب لتأمين نفسه، وكان كل هذا يتم و السلطان أبو زيان محمد يقيم في قصره مستبد عليه من قبل وزيره قتله وزيره عام ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م، ابن الأحمر : روضة النسرين، ص٣٢؛ المقري : نفح الطيب،ج٦،ص١٢،٧؛ السلاوي: الاستقصا،ج٤، ص٥١،٤٤ ؛ الحريري : تاريخ المغرب، ص١٦٦،١٦٢ .

(١) ابن الخطيب : نفاضة الجراب، ص ٦١ .

(٢) بلعربي : المجاعات والأبئة، ٢٢ ؛ خليلي : الحرب وأزمة الغذاء، ص٢٤٦.

(٣) الصراع بين أبو حمو وأبو زيان : هلك السلطان أبوسعيد بن عبد الرحمن الأب لأبي زيان وعم أبي حمو موسى الثاني بن يوسف بن عبد الرحمن في معركة سهل أنجاد في جمادي الأول سنة٧٥٣هـ /١٣٥٢م على يد السلطان أبي عنان المريني. قبض علي أبي زيان وأبي حمو موسى الثاني مع عمهما أبي ثابت بن عبد الرحمن في إقليم بجاية، وسيقوا إلى السلطان أبي عنان، فقتل أبا ثابت، واستبقى محمداً هذا وأودعه السجن بفاس سائر أيامه، وهرب أبي حمو الثاني، بويع أبو حمو موسى الثاني ٧٦٠هـ/١٣٥٨م وعندما حان الوقت المناسب أخرج أبو سالم المريني أبو زيان من السجن ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م وأمده بالسلاح؛ ليطالب بحقه في الحكم، وقام هذا الأخير بإثارة القلاقل ومعارك كثيرة ضد أبو حمو ولكن بلا طائل، يذكر أن الحرب بين أبو حمو وأبو زيان، استمرت حوالي العشرين عاماً ، بن فريحة : القبائل العربية ، ص٢١ .

(٤) ابن الخطيب : نفاضة الجراب، ص ٦١ ؛ بلعربي: المجاعات والأوبئة، ص٢٣.

بسبب كثرة الموتى من الناس وفساد الهواء الملامس لأجسادهم الذي ينشر الوباء بين من يتنشقه من الناس .

٤- انتقال الطاعون عبر التجارة :

كان الطاعون ينتقل عن طريق التجارة والسفر،[١]حيث يقال إن طاعون منتصف المائة الثامنة المسمى بالطاعون الأسود أو الموت الأسود الذي حدث عام(٧٤٨- ٧٥٠هـ/١٣٤٧-١٣٤٩م)، قد بدأ في الشرق الأقصى ومنها وصل لبلاد العجم وتركيا وأرض الحبشة ثم مصر وبلاد الشام سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م ثم العراق وبغداد والبصرة[٢]سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٨م وتسرب الطاعون لبحر قزوين[٣] ثم القسطنطينية[٤] ثم موانئ البحر المتوسط[٥] حتى بلغ مسينة[٦] سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م،

---

(١) بولقطيب : جوائح وأوبئة المغرب، ص٥١؛ حسن : المدينة والبادية، ج٢، ص٦٠٥ .

(٢) البصرة : تقع في العراق طولها أربع وسبعون درجة وعرضها إحدى وثلاثون درجة،والبصرة في كلام العرب الأرض الغليظة التي فيها حجارة وقيل أنها بصرة أي حصبة فيها حصى، الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٣٠.

(٣) بحر قزوين : أو مايعرف ببحر الخزر أو بحر طبرستان وجرجان وآبسكون،هو بحر واحد عظيم لاتصال له بغيره، ويسمى الخرساني والجبلي،وعليه من جهة الشرق جبال موقان وطبرستان وجبل جرجان، ويمتد قبالة دهستان، وهناك آبسكون، ثم يدور مشرقاً إلى بلاد الترك وكذلك في جهة شماله إلى بلاد الخزر،تصب فيه أنهار كثيرة منها الرس وإتل، الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٤٢.

(٤) القسطنطينية : كانت عاصمة الدولة البيزنطية إلى عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣ م حين سقطت على يد العثمانيين فدخل محمد الفاتح القسطنطينية، وأطلق عليها إسلامبول أو الآستانة، وبدخوله أصبحت المدينة عاصمة السلطنة العثمانية، غُيّر اسمها في عام١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م إلى إسطنبول ضمن إصلاحات أتاتورك القومية، تأسست المدينة عام ٦٥٨ ق.م، وكانت من قبل قرية للصيادين وعرفت باسم بيزنطة، وفي عام ٣٣٥ م جعلها الإمبراطور قسطنطين الأول عاصمة للإمبراطورية الرومانية الشرقية (الإمبراطورية البيزنطية)، وأصبح يطلق عليها القسطنطينية نسبة للإمبراطور قسطنطين الأول مؤسس الإمبراطورية.وأصبحت المدينة مركز المسيحية الشرقية ومركز حضاري عالمي، فأضحت أعظم مدن العالم في ذلك العصر، القزويني :آثار البلاد، ص٦٠٣ ؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٤٨٢،٤٨١؛

Pounds, (Norman John Greville): An Historical Geography of, Europe 1500–1840, CUP Archive, 1979,p124

(٥)البحر المتوسط : وهو بحر الشام والمغرب مأخذه من المحيط الأطلسي، ثم يمتد مشرقاً من شماليه الأندلس ثم بلاد الإفرنج إلى القسطنطينية، ويمتد من جهة الجنوب إلى بلاد كثيرة سبتة وطنجة وبجاية تونس طرابس الإسكندرية ثم سواحل الشام وأنطاكية ثم القسطنطينية من جزره صقلية وميورقة وقبرص ورودوس، الحموي : معجم البلدان، ج١، ص٣٤٥.

(٦) مسينة: هي مدينة في ركن صقلية في شرقيها، تحيط بها الجبال من الغرب،وهي إحدى قواعدها ساحلها بهيج فيها جنات وثمار والأنهار الغزيرة، فيها دار لصناعة الأساطيل ويقصدها التجار من بلاد الروم والإسلام، الحميري :الروض المعطار، ص٥٥٩.

ثم انتقل إلى نابلي[1] وبيزا[2] وجنوة[3] والبندقية[4] سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م وبلغ أرض الفرنجة ومنها إلى شمال الأندلس لأقصاها ووصل صقلية[5]وسيردينيا[6] ومن صقلية انتقل لإفريقيا ٧٤٩هـ/١٣٤٨م ثم شمل بلاد المغرب الإسلامي. [7]

كما إن الطاعون الذي ضرب بلاد المغرب عام (٧٦٤-٧٦٥هـ/١٣٦٣-١٣٦٤م)، وانطلق من أوروبا الغربية عام٧٦٠هـ/١٣٥٨م، وعاود ضرب انكلترا وفرنسا عام ٧٧٠هـ/١٣٦٩م وفي عام ٧٧٧هـ/١٣٧٥م أيضاً كان قد تتبع الطرق التجارية، وطاعون عام (٨٤٥هـ/١٤٤٢م) الذي حدث زمن السلطان الزياني أبي العباس أحمد العاقل بن أبي حمو موسى الثاني(٨٣٤-٨٦٦هـ/١٤٣٠-١٤٦١م) فقد قيل إنه ورد على المغرب الأوسط عن طريق الموانئ حيث كانت

---

(١) نابلي : عمل كبير في البر الكبير من بلاد الروم بينها وبين مرسى مسينة من جزيرة صقلية اثنان وثلاثون ميلاً وهي حسنة عامرة ذات أسواق وافرة ، الحميري : الروض المعطار، ص٥١٧.

(٢) بيزا: بلاد البَيازِنَة بفتح الباء الموحدة، والياء المثناة تحت، وألف، ثم زاي معجمة مكسورة، ونون مفتوحة، وهاء في الآخر، وهم فرقة من الفرنج، وقاعدة ملكهم: مدينة بيزة، وهي على الركن الشمالي من بلاد الأندلس في مقابل جزيرة سردانية المقدمة الذكر، وهي غربي بلاد رومية، وليس لهم ملك، وإنما مرجعهم إلى البابا خليفة النصارى، وإلى بيزة هذه تُنْسَب الفرنج البيازنة، والحديد البيزاني، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٤١١ ؛ الحميري : الروض المعطار، ص١٢٠.

(٣) جنوة : مدينة في بلاد الروم على ساحل بحر الشام، وهي مدينة قديمة البناء حسنة الجهات وافرة البشر كثيرة القرى والعمارات، وهي قرب نهر صغير وأهلها تجار مياسرة ولهم أسطول ومعرفة بالحيل الحربية، الحميري : الروض المعطار، ص١٧٣.

(٤) البندقية : وهي إقليم عظيم، ومدينتهم العُظمى تسمى بندقية، وهي على خليج يخرج من بحر الروم، ويمتد نحو سبعمائة ميل في جهة الشمال، وهي قريبة من جنوة، بينها وبين جنوة في البر ثمانية أيام، ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي، ج١،ص٨١؛ القلقشندي :صبح الأعشى ،ج٥، ص٤٠٥،٤٠٤ .

(٥) صقلية : جزيرة في البحر المتوسط بينها وبين أقرب بر من مالطة ثمانون ميلاً،عرضها مائة وسبعة وخمسون ميلاً وطولها مائة وسبعة وسبعون ميلاً وفيها بركان عظيم بينها وبين بر إفريقيا مائة وأربعون ميلاً وهي جزيرة طيبة كثيرة البلدان والقرى، البكري: المغرب، ص ٢١٣ ؛الحموي :معجم البلدان، ج٣، ص٤١٧،٤١٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣٦٧.

(٦) سيردينيا : جزيرة على طرف البحر المتوسط وهي كبيرة النظر كثيرة الجبال طولها مائتين وثلاثون ميلاً وعرضها من الغرب إلى الشرق مائة وثمانون ميلاً سميت سردانية نسبة إلى ساردوس بن هرقل غزاها المسلمون وملكوها سنة ٩٢هـ/٧١١م، الحموي : معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٩؛ الحميري : الروض المعطار، ص٣١٥،٣١٤.

(٧) راجع الخريطة في الملحق رقم (٨) والتي تبين طريق انتشار الطاعون.

السفن الواردة عليه تحمل جرثومة يارسين[1] إما بواسطة القوارض[2] التي تنتقل من السفينة للبر أو عن طريق البحارة المصابين لذلك نرجح أن الوباء انتقل للمغرب الأوسط عن طريق أوروبا؛ لظهوره في أوروبا قبل ظهوره بالمغرب الأوسط بفترة قصيرة .[3]

(1) جرثومة يارسين: يعد الميكروب عصوي الشكل المسبب للطاعون أحد أكثر البكتيريا الممرضة عدوانية في تاريخ البشرية، فريق علماء دولي اكتشف أن هذا الميكروب ينتمي لسلالة واحدة فقط، وذلك منذ القرن الثامن الهجري / الرابع عشرالميلادي وحتى يومنا هذا. وتوصل فريق الباحثين الدوليين تحت إشراف ألكسندر هيربيغ و كيرستن بوس و جوهانيس كراوزه من معهد ماكس بلانك الألماني لتاريخ البشرية إلى هذه النتيجة بعد عدة تحاليل للمجموع الجيني للميكروبات التي تسببت في الطاعون في كل من مدينة برشلونة الإسبانية و مدينة بولغار الروسية و مدينة إلفانغن الألمانية.

وأوضح الباحثون في دراستهم، التي نشرت نتائجها الأربعاء (الثامن من حزيران / يونيو ٢٠١٦) في مجلة "سيل هوست آند مايكروب"المتخصصة أن الميكروب عصوي الشكل المسبب للطاعون المعروف باسم اليرسينية الطاعونية (Yersinia pestis) أحد أكثر البكتيريا الممرضة عدوانية في تاريخ البشرية.

Herbig (Alexander), Krause (Johannes), A. spyrour(Maria), I. Bos (Kirsten) : Historical Y. pestis Genomes Reveal the European Black Death as the Source of Ancient and Modern Plague Pandemics,cell host and microbe(Science Direct), CambridgeUSA. ,8,june,2016,p,65

(2)العسقلاني (أحمد بن علي ابن حجر ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): بذل الماعون في فضل الطاعون،تح أحمد عصام الكاتب،الرياض، دار العاصمة، د.ت، ص٢٤ ، سيتم ذكر المصدر باسم العسقلاني : بذل الماعون ؛ محمود : الفناء الكبير، ص ١٥٤ .

(3) بلعربي: المجاعات والأوبئة، ص ٢٤ .

٥- أسباب أخرى (الخرافات والذهنيات وما وراء الطبيعة):

نادراً مايهتم المؤرخون التقليديون بقضية ذهنيات الناس أو المتخيل الشعبي ، فهم يعتقدون ربما أنها تدخل ضمن اهتمامات دارسي الأدب والعقليات، لكن في ظل التطورات التي عرفتها العلوم الإنسانية ومن ضمنها علم التاريخ فالتداخل بين التخصصات أصبح سمة بارزة من سمات البحث العلمي المعاصر، فالمؤرخ المحدث لم يعد يهتم بالظواهر السياسية من دون سواها بل أصبح يتجه إلى ظواهر أخرى لها أهميتها في تحديد مسار التجربة التاريخية للأفراد والشعوب، وفضلاً عن ذلك فإن المؤرخ أصبح على وعي تام بأن الإحاطة بمختلف أبعاد الظاهرة التاريخية والعوامل الفاعلة فيها ، يفرض عليه الاستعانة بمفاهيم الاقتصاد والاجتماع والدين و الإنثروبولوجيا " علم الإنسان" وغيرها .

عند البحث في متخيل المغاربة في المدة الزمنية (٦-٨هـ/١٢-١٤م) عن أسباب الوباء يلاحظ الإنسياق وراء التفسيرات الخرافية أحياناً والغيبية أحياناً أخرى، ولم يسلم أطباء ومثقفوا المرحلة المدروسة من الانسياق وراء الخرافات والغيبيات، فعندما يعجز الأطباء عن علاج الوباء كانوا يستنجدون بالفكر الغيبي والقول بأنه" **غضب من الله إذا وقع ليس للطبيب فيه مجال** "،[١] ويربط البعض بين بعض الأوبئة وبين ظواهر فلكية معينة، فقد عُد فساد الهواء وتغيره مرتبط بحركة الأجرام السماوية " **ذلك أن فساد الهواء وتعفنه يحدث بسبب مطارح أشعة الكواكب المفسدة للمزاج المسؤولة عن القرانات وتحاويل السنين** ". [٢]

كما قيل أن سبب الطاعون هو مس أو وخز من الجن وذلك استناداً للحديث النبوي الذي رواه أبو موسى الأشعري عن الرسول ﷺ :" **فناء أمتي بالطعن والطاعون قيل :هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال: وخز من أعدائكم من الجن وفي كل شهادة** ".[٣]

من النصوص السابقة يلاحظ أن عجز إنسان المغرب والأندلس في القرنين (٦ -٨ هـ/١٢ - ١٤م) عن فهم بعض الظواهر الطبيعية، جعله يلجأ إلى البحث عن مسبباتها في عالم ما وراء

---

(١) بولقطيب : جوائح وأوبئة، ص٢٩ .

(٢) بولقطيب: جوائح وأوبئة ، ص ٣٢؛ حسن : المدينة والبادية، ج٢، ص٦٠٧ .

(٣) ابن حنبل(أحمد بن محمد ت٢٤١هـ/٨٥٥م): المسند، شرحه،حمزة أحمد الزين،القاهرة، دار الحديث،١٩٩٥م، ج١٥،ص٢٢ ، سيتم ذكر المصدر باسم: بن حنبل: المسند .

الطبيعة،أو ربطها بفساد النظام الاجتماعي أحياناً، فقد كانوا يعتقدون أنه غضب من الله وعقاب للإنسان على تماديه في المعصية وإعراضه عن شكر الله على نعمه ،فالدولة الموحدية أيضاً كانت تستغل حلول الأوبئة والكوارث لترسيخ فكرة علاقة تلك الأوبئة والكوارث بالخروج عن تعاليم الدين،[1] يلاحظ ذلك من خلال رسالة يوسف المستنصر ٦١٧هـ/١٢٢٠م حيث أمر الرعية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يخفى ما شهدته مدة حكم الخليفة المذكور من أزمة سياسية كانت نتيجة لهزيمة والده الناصر في العقاب٦٠٩هـ/١٢١٢م واقتصادية جراء توالي سنوات الجدب ومن ثم حدوث مجاعة عام٦١٧هـ/١٢٢٠م،[2] كما كان هناك اعتقاد ببعض المسببات غير المعقولة في تلك الفترة حيث انتشرت في ضواحي طنجة مقولة أن من يشرب من عين موجودة هناك تسمى برقال يصاب بالحمق .[3]

مما سبق يلاحظ أن مسببات المجاعات والأوبئة، قد تراوحت بين الطبيعية والبشرية والاقتصادية فالطبيعة تؤدي دوراً أساسياً في المجاعات والأوبئة ، فوحدها العوامل المناخية من أمطار ورياح وسيول وعواصف هي من تحدد ما إذا كان العام سيكون خصباً أو مقفراً وجافاً ، إلى جانب العوامل البشرية التي قد تكون عاملاً مسبباً كالحروب التي تعطل الإنتاج وتحرق الأراضي ، وماينتج عنها من حصار للمدن وقطع المؤن والقوافل التجارية ماتسبب بالجوع الذي قد يتسبب بالوباء بدوره، أو قد تكون العوامل البشرية مساعدةً في حدوث الجوع والوباء كالضرائب التي أسهمت بإفقار الناس وتعطيل حركة الإنتاج، والتجارة زمن الوباء التي ساهمت بتفشي المرض على طول الطرق التجارية، فقد حملت معها السفن الجرذان التي تحمل المرض، كما وبرزت ذهنيات تلك الفترة التي تؤمن بأسباب ماوراء الطبيعة والخرافات التي تعكس تفكير الإنسان في ذلك الوقت .

---

(1) **ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٦٧؛ محمود: الفناء الكبير، ص١٥٢ .**

(2) **ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٦٦؛ بولقطيب : جوائح وأوبئة، ص٣٤؛ أسكان : المجاعات والأوبئة، ص١٣٥ ؛ بكاي : الحياة الريفية، ص٢٥٩؛ عبد الجبار : سقوط الدولة الموحدية، ص ١٣٨.**

(3) **الحميري : الروض المعطار، ص٢٦٩؛ بوتشيش : المغرب والأندلس، ص١١٠ .**

- **الفصل الثالث : الجهود المبذولة في مواجهة المجاعات والأوبئة.**

أولاً –الجهود المبذولة في مواجهة المجاعات :

١– جهود السلطة في مواجهة المجاعات .

أ– مساعدات السلطة التكافلية مع الرعية في سبيل مواجهة المجاعة .

ب– مخازن السلطة في المغرب والأندلس مواصفاتها وتهيئتها والإشراف عليها .

٢–جهود الفقهاء والأولياء في مواجهة المجاعة .

٣– جهود العامة في مواجهة المجاعات :

أ– سلوك الادخار في مواجهة المجاعات.

ب– سلوك التكيف الغذائي في مواجهة المجاعات .

ج– سلوكيات تغذوية شاذة في مواجهة المجاعة .

ثانياً – الجهود المبذولة في مواجهة الأوبئة :

١– الواقع الطبي في المغرب والأندلس ما بين القرنين (٦–٨هـ/١٢–١٤م).

٢– البيمارستانات والخدمات الصحية في المغرب والأندلس .

٣– العيون المعدنية وحارات الجذامى .

٤– أساليب العلاج في المغرب والأندلس ما بين الشعبية والطبية .

٥– العلاج بكرامات الأولياء شكل من أشكال مواجهة الأوبئة .

٦– طقوس تندرج ضمن العلاج "بالخرافة "

أولاً – الجهود المبذولة في مواجهة المجاعات :

تعددت الأساليب والتدابير التي اتخذت في مواجهة المجاعات وذلك بحسب الفئة الاجتماعية المعنية، حيث كانت للسلطة أساليبها التي اختلفت عن أساليب العامة والأولياء والفقهاء، وتراوحت تلك التدابير مابين تدابير احترازية، اتخذت للوقاية من حدوث المجاعات، وأخرى إجرائية اتخذت في زمن المجاعات في محاولة لمواجهة المجاعة أو على الأقل التخفيف من وطأتها على الناس .

فمن خلال هذا الفصل ستتم دراسة تضامن السلطة مع رعاياها، والأساليب المتبعة في ذلك سواء من خلال أعطيات المخزن أم السياسة المتبعة في ضرب المحتكرين، وغيرها من الإجراءات التكافلية للسلطة مع رعاياها المنكوبين، وبالنسبة لإجراءات الأولياء والفقهاء، فسيتم التطرق لتضامنهم مع الناس من خلال الأداء الكرامي أو التصدق والحث على الإنفاق والصدقة، و من خلال الفتاوى الميسرة لأمور الناس والتي تحل المشاكل التي تطرأ في مثل تلك الظروف، أما بالنسبة لجهود العامة فسيبحث في تدابيرهم المتخذة في مواجهة المجاعات المتمثلة بسلوك الادخار وتقليص النفقات مروراً بالسلوكيات التغذوية الجديدة التي فرضت نفسها إبان المجاعات، وصولاً للأساليب التغذوية الشاذة وذلك في الأوقات الأشد محنةً والأكثر قسوةً. كل من تلك الإجراءات والسلوكيات التي اتبعت في مواجهة المجاعة سيتم الخوض في تفاصيلها بدقة فيما يلي .

١- جهود السلطة في مواجهة المجاعات:

إن القارئ في المصادر التاريخية لسير السلاطين، يلاحظ حجم الجهود والمساعي المبذولة من طرف الحكام في سبيل تحسين الظروف المعيشية للرعية وخاصة في أوقات المحن و المجاعات .

وسيتم البحث في أهم التدابير والإجراءات سواء الاحترازية التي اتُخذت من قبل السلطة ، تحسباً لوقوع المجاعات، أو الإجرائية التي اتخذت من قبل السلطة أثناء وقوع المجاعات وحجم المساعدة والتكافل الذي أبدته السلطة تجاه الرعية أثناء المحن والشدائد الممثلةً بالمجاعات والأوبئة .

أ - مساعدات السلطة التكافلية مع الرعية في سبيل مواجهة المجاعة :

قامت السلطة في المغرب والأندلس بسلسلةٍ من الأعمال التي تندرج ضمن إطار الجهود في مواجهة المجاعات، حيث قدمت أشكالاً عديدةً من الدعم والتضامن مع رعاياها وخاصة ماتعلق بالإطعام والإنفاق والإنعام، فكانت شكلاً من أشكال الدعم لتخفيض الأسعار، وممّا يذكر في هذا السياق ماقام به الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف (٥٥٨- ٥٨٠ هـ/١١٦٢ -١١٨٤م) إبان المجاعة التي هددت أهالي قونقة إثر الغارات المسيحية عليها عام ٥٦٧هـ/١١٧٢م فقد قام بجمع المساعدات للأهالي بمشاركة الجيش والوزراء ووجوه الناس وأعيانهم ، فأمر الخليفة "**بكتابة أسماء القاطنين فيها من رجال ونساء وأطفال وبلغ عددهم سبعمئة نسمة فأمر للفارس اثني عشر مثقالاً وللراجل بثمانية مثاقيل ، وللمرأة بأربعة مثاقيل، وللطفل بأربعة مثاقيل، وأعطاهم سبعين بقرة، وفرض لهم على العساكر مداً غير ربع من زرع قمح أو شعير صدقة عليهم،....وتتابعت لهم من أعيان الناس الصدقات والعطيات والهبات** "،[1] يستنتج مما ورد أنّ الدولة قد قامت بإحصاء عدد ضعفاء الحال والفقراء ضمن قوائم معينة بغية توزيع المساعدات عليهم، أي أن الأمر كان يتم وفق معايير ونظم معينة كالإحصاء على سبيل المثال وليس عشوائياً، وذلك لتصل المساعدات إلى أكثر الناس حاجة وفقراً لتحسين أوضاعهم المعيشية

([1]) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص ٤١٦؛ الكركجي: الأزمات الاقتصادية، ص١١٠؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص٢٥١ .

السيئة، كما وقام أبو الحجاج يوسف بن مردنيش بموقف تضامني مع أهالي بلنسية، الذين كانوا قد هلكوا جوعاً، وعايشوا أوضاعاً معيشية قاسية، حيث أرسل " **رفقة كبيرة من بلنسية إلى حصن بنيول بالدقيق والشعير والفواكه هدية من قبله إلى أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف الذي كان يعاني مع جيشه في بلنسية**"،[1] أي أن المساعدة التي تم تقديمها هنا كانت للجيش الموحدي وللناس على حدٍ سواء أي أن الجميع كانوا متأثرين بالمجاعة.

كما أبدى الخليفة الموحدي المستنصر أبو يعقوب يوسف جهوداً حقيقية، لتجاوز مجاعة عام ٦١٦هـ/١٢١٩م بالمغرب، إذ فتح مخزن الطعام الذي جمعه طوال سنوات الرخاء والخصب وفرّقه فكان مجاناً للفقراء وحدد ثمناً للأغنياء، واستطاع الناس بفضله تجاوز هذه المحنة ،[2] وهنا نموذج آخر فالملاحظ أن سياسة الخليفة المستنصر تحمل بعداً اقتصادياً فعند منح الطعام للجميع من غير ثمن لن يترتب على ذلك أي مردود مادي لإعادة الشراء ودفع حركة الاقتصاد، أما توزيع الطعام مجاناً للفقراء وبثمن للأغنياء، هو الحل الذي لن يجعل ميزان المخزن خاسراً ولن يضعف ميزانية الدولة التي ستبقى تمتلك القدرة الشرائية لشراء الطعام أو استيراده من خلال أرباح الطعام الذي باعته للأغنياء .

بما إن الضرائب شكلت عاملاً مساعداً في حصول المجاعات، فإن تقليص الضرائب زمن المجاعات كان له دور في التخفيف من وطأة المجاعات على الناس، وفي هذا الإطار قام يغمراسن بن زيان (٦٣٣ -٦٨١هـ/١٢٣٦-١٢٨٢م) بدور في تخفيف الجبايات وكان جزءاً كبير منها على شكل غلات ومواد مختلفة، تجمع في مخازن الدولة لتمويل الجيش أو توزيعها على الأهالي في أيام المجاعات .[3]

وتذكر المصادر توجه الأهالي للسلطان شاكين أمرهم زمن المجاعات، ومثالاً على ذلك ماحدث في عهد السلطان أبي زيان عندما توجه إليه أهالي تلمسان، بعد أن عانوا من شدة الجوع جراء الحصار المضروب عليهم من قبل أبي يعقوب يوسف المريني عام (٦٩٨-

---

([1]) ابن صاحب الصلاة :المن بالإمامة، ص٤٢٢؛ أسكان : المجاعات والأوبئة، ص١٤٠ .

([2]) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٦٦، ٢٦٧ ؛ بكاي : الحياة الريفية،ص٢٦٦؛ أسكان : المجاعات والأوبئة، ص١٤٠ .

([3]) خليلي: الفقر، ص٣٠٥.

٧٠٧/١٢٩٨-١٣٠٧م) " **فلم يطق السكان تحمل هذه المجاعة واشتكوا إلى الملك ، فأجابهم بأنه قابل أن يطعمهم لحمه لو كان يكفي لإعالتهم جميعاً، إذ يعده بخساً بالنسبة لولائهم** "،[١] يبدو أن جواب السلطان يعني عجز السلطة في ذلك الوقت عن اتخاذ أي إجراء يخفف من معاناة الناس. كما أنّ يغمراسن قام بشق القنوات المائية وبناء الخزانات مثل الصهريج[٢] الكبير، وأمر بشراء الإنتاج من المزارعين ، لتخزينه في المطامير لوقت الحاجة،[٣] فقد كان الإنتاج الذي يزيد عن الحاجة ، يخزن لأوقات الحصار والحروب، مثلما حصل مع السلطان أبي زيان الأول (٧٠٣ -٧٠٧هـ/١٣٠٣-١٣٠٧م) سنة ٧٠٦ هـ/ ١٣٠٧م، إذ استدعى خازن الزرع وسأله: كم بقي من المطامير المختومة، وذلك حرصاً وتجنباً للوقوع تحت طائلة الجوع .[٤]

وفي سلوك احترازي يحمل في طياته بعد نظر وتحسباً للأيام العسيرة، قام السلطان أبو حمو موسى الأول (٧٠٧ - ٧١٨ هـ/١٣٠٧م -١٣١٨م) بالاهتمام بالزراعة، وكان يحصل على عشر الإنتاج من المناطق الشرقية ويرسله إلى أحد الحصون القريبة من تلمسان، لوضعه في مطامير وتخزينه لوقت الحروب والحصارات والمجاعات حتى وصفه المؤرخون بأنه " **بحر لا يدرك ساحله** " في إشارة لشدة اختزانه للطعام والمزروعات لوقت الحاجة، حيث " **لم يدع مايحتاج إليه المحاصر لسنين عدّة ، حتى حصله من الأقوات والآلات حتى سليت الشحوم ، وتمليت بها الصهاريج وملئت أبراج المدينة بالملح والفحم والحطب، واختزن (أرضاً) داخل المدينة كلها زرع** "،[٥] لكن السؤال هنا من أين اختزن كل هذه المؤن !، هل كان اختزانها على حساب الناس وقوت يومهم لصالح المخزن أم لصالح الناس؟، وأيضاً هل فتح مخازنه تلك للناس

---

(١)الوزان : وصف إفريقيا، ج٢، ص١٨.

(٢) الصهريج: أحد منشآت تخزين الماء السطحية المتأتية من السيول والأمطار،وهي على شكل حفائر تحت سطح الأرض تتم إقامتها قريباً من السفوح حيث تكون المساقي، يأخذ الصهريج شكل متوازي الأضلاع،ويتم تسطيح قاعها وبناء جدرانها إلى حد سطح الأرض،وتقام فوقها أقواس معقودة في شكل " حزام" يترك فيه المجال للفم وأحياناً أكثر من فم إذا تجاوز طوله العشرة أمتار، علوش (وسيملة): الثروة المائية في ريف المغرب الأوسط خريطتها منشآتها واستغلالها من القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن السادس الهجري، رسالة ماجستير،الجزائر، جامعة قسنطينة، ٢٠١٣م، ص٧٥،٧٦.

(٣) شقدان : تلمسان في العهد الزياني، ص ١٧٣.

(٤) ابن خلدون : العبر، ج٧، ص١٢٩.

(٥)العمري : مسالك الأبصار، ص٢٠٤ ؛ ابن خلدون : العبر، ج ٧، ص٧٧؛ خليلي : الفقر، ص٣١١ .

لدى حدوث المجاعات أم اكتزنها لنفسه؟، ولكن من خلال وصايا السلطان لابنه عن طريق كتابه واسطة السلوك يبدو أنه كان سلطاناً متعاوناً إلى حدٍ ما مع الناس زمن المجاعات إذا ماصدق في اتباع نصائحه ولم تكن مجرد حبر على ورق .

حرص السلطان أبو حمو موسى الثاني (٧٦٠ – ٧٩١ هـ/ ١٣٥٨ – ١٣٨٨م) على تحسين أوضاع العامة وهذا ما يلاحظ بوضوح من خلال الوصايا التي صاغها السلطان في كتابه "**واسطة السلوك**"، حيث وضع أبو حمو وصية لابنه وولي عهده ليكتسب ثقة الرعية ويستتب له الملك :

"**إن كان زمن القحط ومحل المجاعة ، فترفق بهم في المخازن والمجابي وتحسن لضعفائهم المحتاجين وتحابى، وتؤثرهم مما ادخرته لشدائدهم في زمن الرخاء من فوائدهم فإذا كنت يابني عاملاً على هذا الأسلوب جبلت على محبتك كل القلوب ودعت لك الرعية ببقاء الدولة** "،[١] قد يستنتج هنا أن موقف السلطة في أوقات المجاعات، كان نابعاً من رغبة السلطان في تثبيت أركان حكمه والحصول على الشرعية في الحكم، فموالاة الرعية له تستلزم منه الوقوف لجانبهم في أوقات المحن وإيجاد الحلول في وقت الجوائح سواء أكانت تلك الجوائح طبيعية أم حروب أم وباء، خاصةً وأن ما تم إدخاره في المخازن كان من الضرائب المفروضة على الناس كما أشار النص.

وفي السياق ذاته يذكر ما قام به السلطان أبو حمو موسى الثاني من جهود لصالح الطبقات الفقيرة والمحتاجة خاصة في أوقات المجاعات مثل مجاعة عام ٧٦٧ هـ/١٣٦٥م، حيث تذكر المصادر أنّ هذه السنة " **اشتملت على مجاعة شديدة نتيجة للرياح الإعصارية التي أهلكت الزرع والحيوانات ....فافتقر الناس إلى ما عند الخليفة بنصف جباية .... ثم اقتضى نظره الكريم أن ضمهم جميعاً بمارستان يأتيهم فيها رزقهم بكرة وعشياً** "،[٢]و تعد محاولة السلطان هذه بمنزلة الخطوة المهمة، لإيواء المحتاجين والتكفل بهم، ناهيك عن إخراج وفتح مخازن الزرع للبيع بثمن قليل تيسيراً لأمر المحتاجين والطبقة الفقيرة في المجتمع، التي كانت تعاني شدة

---

(١) أبو حمو: واسطة السلوك ، ص٨٨،٨٧.

(٢) ابن خلدون: بغية الرواد، ج٢، ص٥٧٥؛ خليلي : الفقر، ص٣١١؛ بكاي : الحياة الريفية، ص٢٦٦؛ الهلالي : أثر القحط والمجاعات، ص٢٠١ .

الغلاء المرافق للمجاعات، مايمنعها من شراء مايسد رمقها إبان قسوة الظروف المعيشية في فترة المجاعة، كما يلاحظ أن البيمارستان في فترة المجاعة قد اتخذ دوراً آخر إلى جانب دوره العلاجي، حيث أصبح بمثابة مركز إيواء للطبقات الفقيرة حيث كانوا يجتمعون فيه، لتسهل عملية العناية بهم والإشراف عليهم، حيث أن المجاعات تفرض نمطاً غذائياً سيئاً، قد يؤدي لأوبئة يصعب شفائها ، لذلك اتبع إجراء تجميع المحتاجين في البيمارستانات كخطوة احترازية مانعة لحصول الوباء .

كما أوصى السلطان أبو حمو موسى الثاني ابنه أبو تاشفين على الادخار كوسيلة لحماية رعيته من الأزمة الاقتصادية التي قد تنتج عن المجاعات والأوبئة و الحصارات الطويلة " **ينبغي ألا تفارق ذخيرة من الذخائر، مما غلا ثمنها وخف حملها كاليواقيت والجواهر الثمينة العظيمة، التي لها نفاسة و خطرو قيمةً، تصادر بها أعداءك، وتصلح بها آراءك، فإن اقتناء الذخائر عونة على الشدائد والضرائر** "،[1] ويلاحظ هنا بأن أغلب الأمراء قد تنبهوا إلى أهمية الادخار وأرادو أن يسير أولادهم على خطاهم .

و تعددت أوجه المساعدات واختلفت، فشملت رفع المظالم، ودفع الضرر، وتسريح أهل السجون ، وإبطال الكثير من الضرائب والمغارم أيام الشدة على الرعية، ومثال ذلك ما فعله السلطان الواثق يحيى بن المستنصر (٦٧٥- ٦٧٨هـ/١٢٧٦-١٢٧٩م) عند تسلمه الحكم " **فقد افتتح أمره برفع المظالم عن الناس، وتسريح أهل السجون وإفاضة العطاء على المحتاجين والفقراء، وسعياً منه لرفع الحرج عن رعيته لعدم تمكنهم من دفع الضرائب والمغارم أبطل الكثير منها، وأمر بإحراق دفاترها، وإزالة الكثير من الوظائف عن الناس**" ،[2] يلاحظ من النص السابق تعدد الأعمال التي قام بها السلطان تجاه الرعية ، لكن يلاحظ أنه قام بتلك الأعمال بداية عهده أي بعد تسلمه الحكم مباشرة مما يدفع للتساؤل هل كان عمله نابعاً من رغبة حقيقية بالوقوف إلى جانب الرعية في مبادرة صادقة للتعاون والتضامن معهم في وجه الظروف؟، أم أن عمله كان رغبةً منه في تثبيت دعائم حكمه الذي بدأ للتو وكسب تأييد الناس؟ وتجدر الإشارة هنا لأن قيمة

---

(١) بن حمادة (سعيد): الخطاب الإصلاحي في تلمسان خلال القرن ٨هـ/ ١٤م من خلال واسطة السلوك لأبي حمو الزياني، مجلة عصور الجديدة، ع٢، الجزائر، جامعة وهران، ٢٠١١م، ص٣٠٦ .

(٢) ابن خلدون : العبر، ج٦، ص ٤٣٣؛ ابن الشماع : الأدلة البينة، ص٧٤،٧٥ .

الضريبة تحتسب في ثمن البضاعة عندما يشتريها المستهلك وإسقاط الضريبة أوحتى تخفيفها سيؤدي لانخفاض ثمنها عند الشراء، وبذلك سيتم تزويد الأسواق بالبضائع بأسعار مقبولة تضمن لجميع شرائح المجتمع الحصول على حاجاتهم الضرورية .

وفي سياق توجيه أموال الضرائب والجبايات فيما يخدم مصالح الناس، ويحقق اكتفائهم الغذائي كان السلطان أبا فارس (٧٩٧-٨٣٨هـ/١٣٩٤-١٤٣٤م) مثالاً للسلاطين الذين لم يكتنزوا أموال الضرائب لأنفسهم بل كان يقوم بإرسال مداخيل العشر الذي يقدر بألفا قفيز من الحبوب والكثير من الطعام والحاجات الضرورية للأندلس كإعانة لهم . [١]

كما أولى المرينيون عنايةً كبيرةً بالعمل الإحساني سواء في الظروف العادية أم الاستثنائية فحبسوا العقارات والممتلكات؛ لتغطية متطلبات اجتماعية خيرية ودينية ورعاية صحية، وفي هذا الصدد بنى السلطان يعقوب بن عبد الحق(٦٥٦ -٦٨٥هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م) الزوايا وأوقف لها الأوقاف الكثيرة لإطعام عابري السبيل وذوي الحاجات، وشيد زاوية على مدفن والده لاستقبال المستضعفين وأوقف عليها ضياعاً وحرثاً . [٢]

كما تذكر المصادر الحضور الفعّال للسلاطين المرينيين زمن المجاعات والأزمات، حيث ظهر تكافلهم مع العامة، فالأمير أبو سعيد عثمان بن يعقوب(٧١٠ -٧٣١هـ/١٣١٠-١٣٣٠م) عام ٧١١هـ/١٣١٢م أقام صلاة الاستسقاء بسبب القحط ،ثم توجه لقبر أحد الصلحاء" **فدعى الله تعالى هناك فقبل المولى دعاءه، ورحم بلاده ولم يرجع من هناك إلا وعم المطر جميع البلاد**"،[٣] يتجلى من النص السابق ذهنيات الاعتقاد بالصالحين بعد موتهم في المرحلة المدروسة ما بين القرنين (٦-٨هـ/١٢-١٤م)، وتجدر الإشارة أنّ مثل هذه الروايات، قد تُذكر لتمجيد السلاطين فالسلطان هو الحاكم بأمر الله ودعاؤه مستجاب لمنزلته، فتمجده الرعية لذلك وتطيعه. كما يسجل للسلطان حضوره الفعال وتقديمه المساعدات عقب مجاعة ٧٢٤ – ٧٢٥هـ/١٢٢٦ -١٢٢٥م، إذ ترافقت المجاعة مع الغلاء، فقام الخليفة بفتح المخازن وباع القمح

---

(١) ابن الشماع : **الأدلة البينة، ص١١٤؛ برنشفيك : تاريخ إفريقيا، ج١، ص٢٥٨ .**

(٢) **ابن أبي زرع : الذخيرة سنية، ص٩١؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص ٣٠٧.**

(٣) **ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص٣٩٨؛ السلاوي: الاستقصا، ج٣، ص١٧٨؛ مسعد : الحرب والطبيعة ، ص٢٣؛ الهلالي : أثر القحط والمجاعات، ص٢٠٠ .**

بأربعة دراهم للمد من أجل إجبار التجار على تخفيض ثمنه، حيث كانوا يبيعونه بخمسة عشر درهماً، أي كانت بأكثر من ثلاثة أضعاف سعر مخازن السلطان، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل وزع السلطان الصدقات على المحتاجين أيام الشدة من ملابس شتوية ومساعدات مادية ، تراوحت بين الدينار الذهبي وربع الدينار وأمر لمن مات من الغرباء أن يجهز ويكفن في الثياب الجديدة ويقام بدفنه أحسن قيام،[1]يلاحظ هنا الجانب الإنساني من السلطان وحرصه على كرامة الإنسان حياً وميتاً، ومما يسجل للسلطان أبي الحسن المريني(٧٣١-٧٤٩هـ/١٣٣٠-١٣٤٨م) سياسته التضامنية مع الرعية خلال المجاعات حيث إنّه " **يخرج زرعه المختزن الخاص به، فيقيم به أود المحاويج عموماً، في كل ليلة بطول الجدب** ".[2]

مما سبق ذكره من النصوص أعلاه يلاحظ الدور الفعال والحضور القوي للدولة المرينية إلى جانب رعاياها إبان الأزمات، فالتدابير التي اتخذها السلاطين المرينيون، حققت نوعاً من الانفراج الاقتصادي عبر قطع دابر المحتكرين والمتلاعبين بالأسعار من خلال عرض البضائع وبسعر أقل من نصف السعر المعروض في الأسواق، وذلك في بادرة من السلطان لخفض الأسعار ليتمكن فقراء الناس من الحصول على حاجاتهم الضرورية، بغية إبعاد شبح المجاعة عنهم، واتجهت عناية الدول للمشاريع الخيرية المهتمة بإطعام الجياع وإسعاف المرضى وإيواء المشردين وتحبيس المياه في المناطق التي تعاني الجفاف. [3] وقد كان الولاة المرينيون يوقعون على التجار عقوبة المصادرة على السلع التي يحاول التاجر إخفائها ليرتفع سعرها، قد لايكتفي الولاة بمصادرة السلع بل يلزمون التاجر بدفع غرامة مالية في بعض الأحيان قد تصل لخمسة أضعاف السلعة المصادرة،[4] في خطوة لمحاربة الاحتكار زمن المجاعات .

ولكن لا تسجل المصادر حضوراً تضامنياً فعالاً لبني الأحمر في غرناطة مع رعاياهم خلال المجاعات، فيؤخذ عليهم أنهم إبان القحوط الدورية التي ألمت بغرناطة في القرن ٨ هـ/١٤م وفي

---

(١) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٤٠١؛ الهلالي : أثر القحط والمجاعات، ص٢٠٠؛ الحريري: تاريخ المغرب، ص١٠١ .

(٢) ابن مرزوق : المسند الصحيح، ص١٩١؛ الهلالي : أثر القحط والمجاعات، ص٢٠٠،٢٠١؛ أسكان: المجاعات والأوبئة، ص١٣٦.

(٣) البياض: الكوارث الطبيعية، ص٢٩٩،٣٠٦ .

(٤)محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي، ص٢٨٣.

الوقت الذي كان يتطلع فيه أهالي غرناطة لإسقاط المغارم لمواجهة مجاعة ٧٤١هـ/١٣٤٠م، قام السلطان النصيري أبو الحجاج يوسف الأول (٧٣٣-٧٥٥هـ/١٣٣٢-١٣٥٤م) بضرب آمال الرعية عرض الحائط، عندما أراد فرض ضرائب جديدة ، لمواجهة النفقات المتزايدة للجيش والإدارة، فأصدر الشاطبي (ت ٧٩٠هـ/١٣٨٨م)[1] فتوى أجاز فيها للسلطان فرض ضرائب جديدة على الرعية، معللاً ذلك " **بظهور مصلحته في بلاد الأندلس في زماننا لكثرة الحاجة** "،[2] يلاحظ هنا عجز السلطة الحاكمة عن القيام بواجبها تجاه رعاياها خلال المجاعة، فالسلطة لم تقدم المساعدة ولم تظهر سلوكاً تكافلياً مع العامة، بل ورغم الوضع المأساوي فرضت الضرائب على الرعايا المنكوبين تحت غطاء ديني من خلال استصدار الفتاوى، حيث إن الشاطبي أصدر فتواه بجواز فرض الضريبة من دون أن يأخذ أوضاع الناس بالحسبان، وهنا لابدّ من التساؤل هل فتوى الشاطبي بدافع الرهبة أم الرغبة ؟ ولوكانت بدافع الرهبة فمن المفروض أن يفتي بشرع الله، ولكن على مر العصور كانت السلطات تحاول في أغلب الأحيان أن تضع إلى جانبها من يجاريها في سياستها لايقف في وجهها ولو على حساب الناس، على الرغم من مساعدات الحكام للرعية واتخاذهم موقفاً متضامناً معهم أثناء المجاعات وفتحهم المخازن لمساعدتهم، وتخفيف حدة الاحتكار والغلاء، لكن اقتضى التنويه بأن مخازن السلطة، لم تكن تفتح دائماً في فترة المجاعات والمحن؛ لمساعدة الناس كما لوحظ في عهد السلطان أبو الحجاج، ولا يمكن إنكار أن المواد الغذائية كانت تباع بثمن منخفض جداً عند فتح السلطة مخازنها مقارنةً مع الأسعار المعروضة في الأسواق هذا يساعد إلى حد بعيد الطبقة المتوسطة من المجتمع في الحصول على حاجاتها الضرورية، لكن ماذا عن الطبقة الفقيرة إبان المجاعة، هل كانت ماتزال لديها القدرة الشرائية للحصول على مايسد رمقها؟ أي هل استفاد الفقراء والضعفاء حقاً من تلك التخفيضات!

([1]) الشاطبي : هو الإمام إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، أبو إسحاق، الشهير بالشاطبي ولد في مدينة غرناطة، قبيل سنة ٧٢٠هـ /١٣٢٠م تتلمذ الإمام أبو إسحاق الشاطبي على جماعة من العلماء، منهم ابن الفخار البيري و أبو علي منصور بن محمد الزاوي، من آثاره العلمية : الموافقات والاعتصام الإفادات والإنشادات المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، ابن القاضي : درة الحجال، ج١، ص١٨٢؛ التنبكتي : نيل الابتهاج، ص٤٨.

([2]) الشاطبي(أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م) : فتاوى الإمام الشاطبي، تح، محمد أبو الأجفان، تونس، مطبعة الكواكب، ط٢، ١٩٨٥م، ص ١٨٧،١٨٨.

وتجدر الإشارة أن كثرة المخازن الرسمية وضخامة طاقتها الاستيعابية، شكلت على طول الفترة المدروسة ما بين القرنين (٦ -٨هـ/١٢-١٤م) سبباً غير مباشر لاستمرار حالات البؤس و المجاعة، ذلك لأنها كانت ممتلئة دائماً، هذا ما استغله التجار فغلت الأسعار لقلة المواد المعروضة في الأسواق، بسبب احتكار السلطة لها في المستودعات المختومة الموجهة لتجهيز الحملات العسكرية بحاجاتها من المؤن والعلف، أي أن المخازن الرسمية كانت مسبباً للجوع وجزءاً من مواجهته أيضاً.

ب – مخازن السلطة في المغرب والأندلس مواصفاتها وتهيئتها والإشراف عليها :

تم بناء مخازن السلطة في المغرب والأندلس وفق شروط تراعي عوامل عدّة منها التضاريس والموقع، حيث غالباً ماكانت تختار المناطق الآمنة قرب القلاع والحصون مراكزاً لبناء المخازن، لتكون على مقربة من الجنود، لتسهل حراستها كي لاتتعرض للسلب والنهب حيث كانت المخازن هي حجر الأساس الذي ترتكز عليه السلطة في مواجهة المجاعات والحصارات،[١] كما يراعى عند بناء المخزن العوامل المناخية، لحفظ المواد المخزونة من التلف، إذ حرص مهندسوا الأهراء[٢] على ضرورة توافر عنصر التهوية اللازمة لسلامة المدخرات من الفساد أو التعفن،[٣] ونظراً لأن الدولة تحتكر ثلثي الأراضي الفلاحية حسبما يستنتج من الخراج الذي فرضه عبد المؤمن سنة٥٥٥ هـ/١١٦٠م،[٤] فمن المفترض أن المخازن كانت ذات مساحة كبيرة ووافية لتخزين كميات كبيرة من المواد الغذائية والمؤن، ومن التخزين جاءت كلمة المخزن التي عوضت مصطلح بيت المال وأصبحت تعني السلطة السياسية، مما يدل على العلاقة القوية بين الاثنين: السلطة والتخزين .

في هذا الصدد أشار أبو بكر بن زهر (ت ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م)[٥] على الخليفة المنصور الموحدي الذي عزم على بناء حصن إشبيلية وشحنه بالمؤن والعدة على اتخاذ موقع استراتيجي

---

(١) البياض : الكوارث الطبيعية، ص ٢٠٧؛ أسكان : المجاعات والأوبئة، ص١٤١ .

(٢) الأهراء : جمع هري : وهي كلمة لاتينية الأصل، مخزن كبير سفلي قد يعلوه بناء كالحصن وغيره ،يخزن فيها الزرع والسلع، السبتي : اختصار الأخبار، ص ٣٨ .

(٣) السبتي : اختصار الأخبار، ص ٣٨؛ البياض: الكوارث الطبيعية، ص ٢٠٨.

(٤) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص١٩٨،١٩٩ ؛ موسى : تنظيمات الموحدين، ص٢٣٢؛ بوتشيش : أثر الحروب، ص٨٥؛ مسعد : الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص ١٧٢؛ عبد الجبار : سقوط الدولة الموحدية، ص١٤١.

(٥) أبو بكر بن زهر : عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن مروان، ٤٦٤-٥٥٧هـ/١٠٧١-١١٦١م، يكنى "أبو مروان " ويعرف بابن زهر الإشبيلي. ولَقب "ابن زهر" هو كنيةُ أسرةٍ من علماء المسلمين، نشؤوا في الأندلس من بداية القرن العاشر إلى أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، وأشهرهم هو الطبيب "عبد الملك بن زهر"، ويسمى عادة "أبو مروانوي" وقد عُرف عند الأوربيين باسم Avenzoar. وهو ينحدر من عائلة عريقة في الطب، فقد كان والده "أبو العلاء" طبيباً ماهراً في التشخيص والعلاج، وكان جده طبيباً أيضاً، ولد عبد

" **على بعد ميلين منها لصحة الهواء .... بحيث بقيت الحنطة فيها ثمانين سنة لم تتغير صحتها** "[1] وبناء على ملاءمة مناخها للخزن قدر أن الزيتون إذا بقي فيها " **تحت الأرض أكثر من ثلاثين سنة ثم يعتصر فيخرج منه أكثر مما يخرج منه وهو طري** "،[2] وهذا فيه من المبالغة الشيء الكثير حيث يستبعد أن تكون تلك المدة عقوداً من الزمن ، وذلك لغياب أنظمة التبريد والحفظ الحديثة التي لم تكن قد اخترعت بعد، إذ إن هذا يستحيل قطعاً فالطبيعة الأم تلعب دورها حتى ولو كان مكان التخزين جيداً فهذا أمر مبالغٌ به وإنما ذكر لتوضيح أهمية العمل الذي قام به الخليفة.

وقد تنوعت أشكال المخازن فبعضها يكون على شكل منازل ومستودعات إما تحت الأرض أو فوقها ، ومثال عليه المخازن التي بنيت على الطرق التي تمر عبرها الجيوش في طريقها نحو الأندلس وذلك من أجل تموينها، ففي الرسالة التي وجهها الخليفة عبد المؤمن لولاته عام ٥٥٠هـ/١١٥٥م أي قبل ثلاث سنوات من حملته على إفريقيا أمرهم بالاستعداد للحملة واختزان المؤن "‌.. **فجمعوا غلات الحب ثلاث سنين ونقلوها إلى المنازل على الطريق وطينوا عليها فصارت كأنها تلال** "،[3] فالمخزن مبني على هيئة منزل و لم يكن يفتح بواسطة الأبواب، بل قاموا بتطينه ليتخذ شكل التلة، ومن المرجح أنه عند الحاجة إليه كان يُعمد لكسر الجدار لاستخراج ماحفظ فيه من مواد.

الملك في إشبيلية سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م لأسرة عريقة في العلم اشتغل أبناؤها بالطب والفقه، حفظ العالم المسلم ابن زهر القرآن، وسمع الحديث، واشتغل بعلم الأدب والعربية، ولم يكن في زمانه أعلم منه باللغة، له موشحات يغنى بها وهي من أجود ما قيل في معناها، ومن مؤلفاته كتاب التيسير في المداواة والتدبير، كتاب الكليات في الطب، كتاب الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد كتاب الأغذية والأدوية، ابن الأبار: التكملة ، ج٣، ص٧٠.

([1]) بنشريفة (محمد) : أبو مروان الباجي الإشبيلي ورحته الى المشرق ، المغرب، مطبعة فضالة، دعوة للحق، ع ٥، ١٩٩٩م، ص١٢٠،١١٩، البياض :الكوارث الطبيعية، ص ٢٠٨.

([2]) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢٠٨،

([3])ابن الأثير : الكامل، ج٩، ص٤٣٣ ؛ أرسلان (شكيب): الرحلة الحجازية المسماة الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، تح، حسن السماحي سويدان، دمشق، دار النور، ٢٠٠٧م، ص١١٠ ؛ مجموعة من المؤلفين: وقفات في تاريخ المغرب دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم بو طالب ، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠١م، ص٨٢؛ ؛ أسكان : المجاعات والأوبئة، ص١٤٢ .

بنى الموحدون مخازنهم بشكل أساسي من الحجارة ، وكانت تتراوح سعة المخازن الموحدية بين ٢٠٠٠ و ٥٠٠٠ م٢، وكانت الدولة الموحدية تخصص لكل قبيلة حيزاً معلوماً بعد أن تسجل مخزونها لديها،[١] أي أن عملية التخزين كانت تتم ضمن سجلات مخصصة وأن المخزن مقسم من الداخل بطريقة منظمة تسمح بتخزين حصة كل قبيلة من الضرائب في مساحة مخصصة حتى يسهل الإحصاء وتسهل معرفة أي تلاعب من قبل المشرفين على التخزين، و برع بنو العزفي في سبتة ومن بعدهم بنو مرين في إعداد الفنادق بكثرة والتي استخدمت كمخازن للمحاصيل الزراعية وليس لإقامة الناس، وذلك يدل على أن هاجس الخوف من المجاعات كان حاضراً في تشييدها مع إدخال بعض التعديلات عليها لهذا تجاوز عددها " **ثلاثمائة وستون فندقاً أعظمها بناء وأوسعها ساحة الفندق الكبير المعد لاختزان الزرع، وهذا الفندق بناه محمد أبو القاسم العزفي (ت ٦٣٦هـ/١٢٣٨م)،**[٢] **ومن آثاره الغريبة في سبتة أنه يحتوي على اثنين وخمسين مخزناً بين هري وبيت ، تسع تلك المخازن من قفزان الزرع الآلاف التي لاتبلغ حصراً**".[٣]

وظهرت المخازن الطابقية لأول مرة لدى المرينيين، وقد تفرد المرينيون ببناء مستودعات وأهراءات ذات طوابق وممرات تسمح بدخول الدواب المحملة بالمواد المراد تخزينها إلى أفنيتها، مما يعكس دقة التحسينات التي أدخلت على تصاميمها إمعاناً في سلامة المواد المخزونة ، وتصف المصادر أحد تلك المستودعات في سبتة كما يلي " **ومن ضخامته أن له بابين، باب إلى صحنه، والآخر إلى الشوارع المحملة الدائرة بالطبقة الثانية لكون الأرض مرتفعة من تلك الجهة، تدخل على البابين الجمال بأحمالها مع الارتفاع والاتساع الكبير، فإذا أبصر الرائي**

---

(١) أسكان : المجاعات والأوبئة، ص١٤١؛ البياض: الكوارث الطبيعية، ص٢٠٩

(٢) محمد أبو القاسم العزفي :بنو العزفي أسرة مشهورة من أعيان مدينة سبتة وعلمائها المستقلين بها وهم ينتمون إلى لخم في اليمن، وأول من كان لهم شأن في السلطة منهم هو أبو القاسم محمد بن أبو العباس أحمد، وكان أبو القاسم كبير المشيخة بسبتة، وعقد له المرتضى الموحدي على سبتة ينفرد في حكمها عام ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م وبقيت المدينة تحت نظر آل العزفي حتى احتلها أبو سعيد فرج صاحب مالقة من بني الأحمر، وكان احتلالها في لواحق الخلاف والمنافسة بين بني مرين وبني الأحمر، وكان العزفيون قد دخلوا في طاعة يعقوب المنصور المريني، وأخذت منهم سبتة في زمن خليفته يوسف، ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٩٧ ؛ ابن الأحمر: نثير الجمان، ص١١٩؛ ابن خلدون : العبر، ج٧، ص٣٢٦.

(٣) السبتي : اختصار الاخبار، ص٣٨ ؛ أسكان : المجاعات والأوبئة، ص١٤١

مايدخل منها على الباب الأعلى ودورانها في تلك الشوارع بأقتابها وغرائر الزرع المحملة عليها هاله ذلك وتعجب منه ".[١]

واشتهرت مدينة فاس بتجميع المطامير في موضع مخصص من " **فاس العتيقة بمقربة من قصبتها مخزن حكومي للغلال يسمى المرس،**[٢] **وهو يشتمل على مطامير ويستدير به سور منع به باب وغلق** "،[٣] وتواجد في مدينة فاس حوالي ١٥٠ مطمورة ضخمة يسع أقلها ١٠٠٠روجي [٤] لكنها أصبحت مهجورة مطلع القرن ١٠هـ/١٦م،[٥] إلا أن المصادر تسكت عن سبب هجرها فقد يكون السبب أنها تعرضت للتخريب أو انتقلت لمكان آخر .

وقد قام المرينيون بتطوير الهري المشيد منذ عهد الخليفة المنصور الموحدي المسمى بمخزن دار الملك بمراكش أو " قصر النصر" وتحديثه ، حيث أصبح الهري يتألف من ثلاثة طوابق السفلي خصص للعلف ، أما الطبقتين العلويتين فأحدها للقمح والآخر للشعير، بسعة٣٠,٠٠٠ألف روجي من الحبوب للطابق الواحد أي حوالي ١,٠٢٠,٠٠٠ كلغ، مصمم بطريقة تسمح للدواب بالصعود لسطح الهري عن طريق درج مخصص لذلك وصب حمولتها في نوافذ مخصصة على سطح الهري، أما أخذ الحبوب من الهري فيكون عن طريق فتح النوافذ موجودة في أسفله،[٦]هذا التصميم يدل على التقدم في تصميم الأهراء وعمارتها فقد بات شحن وتفريغ المواد أسهل من دون مشقة، فعندما تصب الدواب الحبوب في أعلى الهري تستطيع بفتح

---

(١) السبتي : اختصار الأخبار، ص٣٨،٣٩ .

(٢) المرس: هو مجموعة من المطامير بمكان زراعي مهم ولعل سبب تسميتها بالمرس أن المرس باللغة الأمازيغية هي الموقع الاستراتيجي، وميزة هذه المطامير الأمراس أنها تحفظ الحبوب عشر سنوات، خاصةً إذا نحتت في المرتفعات ذات الصخور الكلسية، السبتي : اختصار الأخبار، ص٤٤٢،٤٤٣؛ الوزان : وصف إفريقيا، ج١، ص١٢١؛ أسكان : المجاعات والأوبئة، ص١٤١ .

(٣) المنوني : ورقات عن حضارة المرينيين، ص١٤٦؛ فقادي (الحسين): من مظاهر التغذية في التاريخ الوسيط، مجلة أمل، ع ١٦، الدار البيضاء، ١٩٩٩م، ص٤٩.

(٤) روجي أو رودجي : ماينهاز ٥٧٦٠ طناً من الحبوب، المنصوري (عثمان) : التجارة في المغرب في القرن السادس عشر، الرباط، منشورات كلية الآداب، ٢٠٠١م، ص٢٠٧ .

(٥) وهي مطمر الزرع قرب جنة المصارة، ابن القاضي : جذوة الاقتباس، ص٣٩؛ أسكان : المجاعات والأوبئة، ص١٤١ .

(٦) الوزان : وصف إفريقيا، ج١، ص١٣٣ ؛ أسكان : المجاعات والأوبئة،ص١٤٠ ؛ مجموعة من المؤلفين : وقفات في تاريخ المغرب، ص٨٢ .

النافذة في الأسفل أن تحصل على الحبوب بطريقة سهلة ومبسطة عوضاً عن أن تكيله بمكيال يدوياً إذ تعبأ من المخزن مباشرةً إذ يكفي فتح النافذة لتنساب الحبوب منها إلى أكياس التعبئة، أما القائم على مستودعات ومخازن الدولة فكان يعرف بصاحب الطعام أو خازنه.(١)

وتذكر المصادر أنّ الخلفاء والسلاطين تعاملوا مع خازني الطعام أو مسؤولي المخازن بقدر كبير من الشدة والحزم، فلم يكونوا يتهاونون إزاء أي تقصير أو إهمال أو محاولة استغلال المنصب عن طريق الاختلاس والتصرف بالمخازن من دون إذن مسبق من الخليفة، وفي هذا السياق يُذكر أن الخليفة أبا يعقوب يوسف الموحدي، قام بتفقد المخازن عام ٥٧٩هـ/١١٨٣م، وقد كان عام شدة وضيق، وعندما فتح المخازن لخفض الغلاء والاحتكار وإجبار التجار على بيع بضائعهم بأسعار مخفضة ثبت للخليفة تعرض المخزن للسلب من قبل القائمين عليه وكان عددهم ثمانية عشر عاملاً فعاقبهم بالسجن ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم. (٢)

---

(١)   ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٣٧؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص٢٠٣؛ أسكان : المجاعات والأوبئة، ص١٤٠.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٥٨ .

٢- جهود الفقهاء والأولياء في مواجهة المجاعة :

قبل التحدث عن جهود الأولياء في مواجهة المجاعات وجب التعريف بالولي والكرامة ، فالولي اصطلاحاً : من يتولى عبادة الله تعالى وطاعته فيأتي بها على التوالي من غير أن يتخللها عصيان أو فتور،[١] الولي" هو صاحب الكرامة، لغة : هو اسم من أسماء الله الحسنى، وهو في اللغة بمعنى الناصر، أو المتولي لأمور العالم والخلائق، والقائم بها وهو مالك الأشياء جميعاً، المتصرف فيها، وكأن الولاية تشعر بالتدبّر والقدرة والفعل، وما لم يجتمع ذلك فيها لم يطلق عليه اسم الولي. [٢]

فإذا كان العبد قريباً من الذات الإلهية بسبب كثرة طاعته، ودرجة إخلاصه، كان الرّب قريباً منه برحمته وفضله وإحسانه وعندها تحصل الولاية، فالولاية ، هي صفة كل من تجرّد من علائق الدنيا، وانقطع لعبادة الله *وحده*،[٣] وحدثت على يديه الخوارق للعادة. [٤]

وقبل الخوض في تفاصيل مواجهة المجاعة من قبل الأولياء وجب أيضاً تعريف الكرامات وموقف الفقهاء منها، حيث يعرف الباحثون المعاصرون اليوم الكرامة أنها رواية والجانب الروائي فيها هو الأكثر أهمية وموضوعه تجارب صميمية، وإن اعتقد بصحة حوادثها المؤمنون. وهي كثيرة التعقيد ترتبط بكل الظواهر الاجتماعية، أو هي ظاهرة كلية متعاضدة مع النظم والمعتقدات الاجتماعية كافة. قد تبدو سريعة بسيطة ،مجرد خرافة أو قصة يرويها بفخر بطل أو تابع بطل ،لكن في الواقع الكرامة أعقد مما يظن للوهلة الأولى فهي تختصر المعتقد الديني والموروث في عقول الناس منذ القدم، وتهضم نظرات مجتمعها إلى الكون والإنسان والمستقبل، إذ يمكن القول أن فلسفة الكرامة تقضي بأن الكون منظم بواسطة قدرة عليا ، وأن الإنسان قادر على تخطي

---

(١) النبهاني (يوسف بن إسماعيل ت١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م) : جامع كرامات الأولياء، تح، إبراهيم عطوة عوض،الهند، مركز اهلسنة بركات رضا، ٢٠٠١م، ج١، ص١٤.

(٢) ابن منظور: لسان العرب،ص٤٩٢٠ .

(٣) زيتوني (فائزة) : نصوص الكرامات في كتاب البستان لابن مريم الشريف مقاربة سيميائية، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة قاصدي مرباح بورفلة، ٢٠٠٨م، ص ٥٩ .

(٤) الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر شمس الدين الرازي ت٦٦٠هـ /١٢٦١م) : حدائق الحقائق، تح، سعيد عبد الفتاح، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠٢م، ص٢٥٥، سيتم ذكر المصدر باسم الرازي : حدائق الحقائق.

تلك القدرة الأسمى، عندئذ يصبح هذا الإنسان خارقاً للقوانين التي تتحكم في عالم الواقع والإنسان العادي ،متمتعاً بالعيش في عالم ثالث بين العالمين: الواقي والإلهي ،الشهادة والغيب.(١) أما في التراث الصوفي فهي "**كل بعد خارق للعادة ظهر على يد عبد ظاهر الصلاح في دينه متمسك بطاعة الله في أحواله**"،(٢) ويشترط صحة الولاية كشرط أساسي لصحة الكرامة، واعتبرها البعض مكملة لمعجزات الرسول . (٣)

وقد لاقت الكرامات صدى كبير في الفترة المدروسة، إذ تزخر كتب المناقب والتصوف بالعديد من الكرامات والخوارق، مايطرح السؤال التالي: ما لذي جعل الاعتقاد بالكرامة ينتشر بهذا الشكل الكبير في صفوف المجتمع المغربي والأندلسي ؟ قد تكون الإجابة أن الكرامة أكثر الطرق التواءً وتمويهاً للنقد والتعبير عن الموقف ومجابهة السلطة دون اللجوء للعنف فهي إذا صح التعبير المنبر الذي استطاع من خلاله الأولياء أو الصلحاء توجيه طروحاتهم،(٤) كما إن الكرامة مرتبطة بالدين وبالنصوص المقدسة ممّا حتم على السلطات احترامها بسبب ما يكنه الناس من تعلق ذهني بكل مايتعلق بديانتهم،(٥) أو قد يكون هذا الانتشار الكبير لصدى الأولياء وكراماتهم وخوارقهم مدعوماً أساساً من قبل السلطات، كي توجه أنظار العامة عن العوامل المسببة للأزمات من حروب وضرائب وسوء إدارة، حيث قد تكون رفعت من شأن هؤلاء حتى يطرق الناس أبوابهم طلباً للحل عوضاً عن طرق أبواب الخلفاء والمعنيين قد يكون هذا الاحتمال مجانباً للصواب، لكون الأولياء وقفوا في مواجهة سياسات الحكام الظالمة في كثير من المواقف، مثال على ذلك أنه قد بلغ لأحد الأولياء أن عاملاً من عمال علي بن يوسف، طالب الناس بمغارم غير شرعية فدعا عليه، ولم تمض إلا أيام يسيرة حتى جاء كتاب الأمير بعزله "**فلم يؤدوا في ذلك العام**

---

(١) زيعور (علي): الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم القطاع اللاواعي في الذات العربية، بيروت ، دار الأندلس، ط٢، ١٩٨٤م، ص٨١،٨٢ .

(٢) بوتشيش : المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص١٤١ .

(٣) ابن قنفذ :أنس الفقير وعز الحقير، ص ٣،٤؛ ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ت ق١١هـ /١٧م) : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، مراجعة، محمد بن أبي شنب، الجزائر، المطبعة الثعالبية، ١٩٠٨م، ص ١١٠ .

(٤) بوتشيش: المغرب والأندلس، ص١٤١ .

(٥) زيعور : الكرامة الصوفية، ص٢٥،٢٦ .

شيئاً"،[1] ولابد من التساؤل : هل حقاً بسبب دعاء الولي أقيل من منصبه أم ربما ورد الأمير سوء إدارته فأمر بعزله؟، ربما الاحتمال الثاني أكثر منطقية.

أدت مخالطة الفقهاء والأولياء لأفراد مجتمعهم إلى إطلاعهم على أحوالهم ومعرفة مشاكلهم وحاجاتهم، فتباينت أدوارهم تجاه أفراد مجتمعهم، لأجل تحسين مستواهم المعيشي والتقليل من وطأة المحن والمجاعات عليهم من خلال التبرع لهم، أو حث الأغنياء على الصدقات أو من خلال الأداء الإكرامي أو حتى الدعاء لهم بتفريج كروبهم . [2]

كما تجلى دورهم في التوسط لدى السلاطين وأعوانهم خصوصاً المكلفين منهم بجمع الضرائب، فكانوا الواسطة بين الحكام والرعية من أجل مساعدة الرعية في تخطي فترة المجاعة ومواجهتها، إذ أنّ المجاعات قد أخرجت التصوف من فكرة الانزواء والخلاص الفردي إلى مشاركة الناس محنهم وآمالهم ومساعدتهم على تجاوزها فتصوف الفترة المدروسة (٦-٨هـ/١٢-١٤م) قد "**غلب عليه الاتجاه الاجتماعي** ". [3]

تزخر كتب التراجم والمناقب بالحديث عن مدى مساعدة الفقهاء والأعيان والأولياء للناس في وقت المحن والمجاعة و سيتم فيما يأتي ذكر نماذج من مساعداتهم المتنوعة في مواجهة المجاعات .

ففي سياق إسهام الصلحاء بمواجهة المجاعات من خلال الإطعام والتصدق، أسهم الشيخ أبو حفص عمر بن معاذ الصنهاجي (ت ٥٦١هـ/١١٦٥م)[4] في إطعام الجائعين خلال المجاعة التي تعرضت لها أزمور[5] عام ٥٣٥هـ/١١٤٠م " **فجمع خلقاً كثيراً من المساكين فكان يقوم**

---

(1) ابن الزيات: التشوف،ص، ١٥١؛ بوتشيش (إبراهيم القادري) : تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٤م، ،ص١١٠ .

(2) ابن الزيات : التشوف، ص٤٢٩، خليلي : الفقر ،ص٣١٤ .

(3) المنوني : ورقات من حضارة المرينيين، ص ٤١٤؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص٢٦١ .

(4) أبو حفص عمر بن معاذ الصنهاجي : من أهل إيفغل في أزمور مات عام ٥٦١هـ /١١٦٦م من أهل العلم والعمل وكان مؤثراً للعزلة، ابن الزيات :التشوف، ص١٨٣ .

(5) أزمور : مدينة في بلاد المغرب معناها الزيتون البري مدينة قديمة، أسسها الأفارقة على شاطئ المحيط عند مصب نهر أم الربيع،تقع في سهل رملي على بعد ثلاث فراسخ من مازغان (البريجة) في اتجاه الشرق ، كانت تحوي مايفوق ألف بيت، الحميري : الروض المعطار، ص ٥ ؛ كربخال : إفريفيا، ج٢، ص٨٧ .

بمؤونتهم، وينفق عليهم مايصطاده من الحوت وغيره إلى أن أخصب الناس"،[١] يرجح أنه وبسبب المجاعة لم يجد الشيخ مالاً يتصدق به فقام باصطياد الأسماك والتصدق بها بمبادرة منه لحث الناس على مساعدة الآخرين بأي طريقة كانت .

ومن وجوه تضامن الفقهاء مع الناس زمن المجاعة الفتاوى الميسرة لأمورهم ، والتي تحث على مساعدة ضعفائهم ، وفي هذا السياق وإبان المجاعة التي عصفت في الأندلس في الثلث الأول من القرن ٦هـ/١٢م أصدر ابن العريف[٢] (ت ٥٣٦هـ/ ١١٤١م) فتوى مفادها أن " **خدمة الفقهاء ومساعدة الضعفاء في حوائجهم من الأمور المفضلة على الحج** "،[٣] يتضح من خلال الفتوى مدى ارتباط العلماء بقضايا الإنسان في المنعطفات الصعبة وزمن الأزمات حيث قاموا بتقديم الإطعام على فريضة الحج، لدرء خطر المجاعة ؛ لأن حفظ النفس لها مكانة في أصول الدين إذ تعد منزلة "**القوت من الدين كالرأس من الجسد**"،[٤] ومن الأمثلة على تفضيل مساعدة الناس في وقت المجاعات والمحن على الحج أن أبا العباس الأقليشي" **قد أعد ستين ديناراً نفقة للحج فقدمها على الإطعام** "[٥] وذلك أثناء المجاعة التي شهدتها قرطبة وجزيرة شقر عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م ، كما أنفق أبو بكر المخزومي[٦] ألفي دينار لنفس السبب [٧] .

---

(١) ابن الزيات : التشوف، ص١٨٣؛ فقادي: من مظاهر التغذية، ص.٤٥

(٢) ابن العريف: ابن العريف أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي الإمام الزاهد العارف أبو العباس ابن العريف الصنهاجي الأندلسي من أهل المرية المريي المقرئ صاحب المقامات والإشارات. كان متناهياً في العلم والدين، منقطعاً إلى الخير، وكان العباد وأهل الزهد يألفونه ويقصدونه ويحمدون صحبته ولد٤٨١هـ/١٠٨٨م وتوفي عام ٥٣٦هـ/١١٤١م، ابن بشكوال(خلف بن عبد الملك بن مسعود ت٥٧٨هـ/١٠٨٣م): كتاب الصلة، تح: شريف أبو العلا العدوي، القاهرة، المكتبة الدينية ، ٢٠٠٨م، مج١، ص١٠١،سيتم ذكر المصدر باسم ابن بشكوال: الصلة؛ التنبكتي : نيل الابتهاج، ص٦٨ .

(٣) ابن العريف: مفتاح السعادة ، ص٢٩ .

(٤) ابن قنفذ : أنس الفقير وعز الحقير، ص ١٠٩.

(٥) الضبي : بغية المتلمس، ص ٢١٣.

(٦) أبو بكر المخزومي : أحمد بن محمد بن جعفر بن سفيان(توفي في حدود عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤-١١٨٥م) من أهل جزيرة شقر في شرق الأندلس كان زاهداً وورعاً وأديباً، الضبي: بغية المتلمس، ص ٢١٣،٢١٢.

(٧) الضبي: بغية المتلمس، ص٢١٢، ٢١٣.

وتصدق أبو الحسن الأنصاري علي بن خلف بن غالب[١] ت ٥٦٨هـ/١١٧٢م في أحد سنوات المجاعة في فاس بتركة أبيه كاملة، والتي تقدر بأثني عشر ألف دينار.[٢]

وفي السياق ذاته وأثناء مجاعة عانت منها فاس " **كان عند الشيخ أبو عبد الله محمد بن مليح[٣]عشر صحاف من القمح فقال لزوجته: إذا جاء من يسأل لاترده، وادفع له من ذلك الطعام وتصدق منه كل يوم بما تيسر حتى خرجت الشتوة** ".[٤] يلاحظ من النص السابق الموقف التضامني المتخذ من قبل الشيخ مع أفراد مجتمعه وخصوصاً المحتاجين في بادرة كريمة منه، إذ لم يبخل بمشاركتهم فيما يدخره من قمح حتى انتهى الشتاء .

طلب الشيخ أبو زكرياء التادلي[٥]من أحد مريديه أن يجمع له الجياع وذلك إبان مجاعة عام ٥٧١هـ/١١٧٥م بمدينة فاس "**حيث تصدق عليهم بمخزون غرفتين من القمح ، وترك ولده الضرير من دون قوت، ولم يبق عنده سوى قدر من السمن، فجعل يخرج السمن ويجعله**

---

(١) علي بن خلف بن غالب: علي بو غالب القصري القرشي الأندلسي الفاسي دفين القصر الكبير الشيخ الفقيه الإمام الورع المحدث الزاهد، من شيوخ أبو مدين الغوث، كما يعد من شيوخ الإمام العلامة عبد الجليل القصري ويعد من تلامذة ابن العريف، كان شيخ الصوفية في وقته وملقباً بالعارف، نشأ في شلب في الأندلس ثم رحل إلى قرطبة ثم فاس حيث بقي فيها سنين ينشر العلم بين المريدين، انتهى به المطاف في القصر الكبير توفي عام ٥٦٨هـ/١١٧٣ م ودفن بباب سبتة ، التليدي(عبد الله بن عبد القادر ت ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م): المطرب بمشاهير أولياء المغرب، الرباط، دار الأمان، ط٤ ، ٢٠٠٣م، ص٤٧،٤٦ .

(٢) التليدي : المطرب، ص٤٧.

(٣) أبو عبد الله محمد بن مليح : إمام مسجد عين إيصليتن بفاس في عدوة القرويين كان من المجتهدين في العبادة ، الفاسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي ت ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م) : المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تح محمد الشريف، تطوان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة عبد المالك السعدي ، ٢٠٠٢م، ج٢، ص ١٢٠،١٢١، سيتم ذكر المصدر باسم الفاسي : المستفاد.

(٤) الفاسي : المستفاد، ج٢، ص ١٢١،١٢٠

(٥) أبو زكرياء التادلي : أبو زكرياء يحيى بن محمد بن عبد الرحمن التادلي من أهل تادلا ومات بعد عودته من الحج بفاس سنة ٥٧٦هـ/١١٨١م ،كان صالحاً ورعاً مجاب الدعوة ودفن في روضة الفقيه أبي إسحاق بن قرقول التي تدعى ببرج الكوكب الذي يدعى اليوم سيدي علي المزالي قريبة من باب الجيسة، ابن الزيات :التشوف، ص ٢٤٦، ابن القاضي : جذوة الاقتباس، ص٥٤٢ .

على ورق كرنب ويناولهم إياه "،[1] وموقفه هذا ليس غريباً عن صلحاء عصره، فقد اعتادوا تقديم لقمة عيشهم وعيش أولادهم للمحتاجين وإيثار الغير على النفس، بغية مرضاة الله تعالى .

وفي ترجمة أبي القاسم عبد الرحمن اللخمي المعروف بابن الحكيم[2] (ت سنة ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م) ذكر لقحط وقع في بلده رندة قبل موته بيسير، أي على الأرجح في سنة وفاته، حيث يذكر أنه بسبب القحط والمجاعة الحاصلة قام ابن الحكيم بالتصدق ببعض ماله قبل موته على ضعفاء بلده، وبعد ذلك هطل المطر وتحسنت أحوال الناس، وعندما مات تُصدّق بباقي المال، وذكر ذلك من خلال رثائه في الأبيات التالية:

سَمَحتَ وَقَد ضنّ الغَمَامُ بِقَطرِهِ فَكُنتَ بِعَونِ اللهِ عَونَاً على القَطرِ[3] .

وعن توسط الصلحاء بين السلطة والرعية، أرسل الخليفة يعقوب المنصور في طلب أبو العباس السبتي[4]عندما حل الجفاف، فلما مثل بين يديه قال له:" **أما تنظر ما نحن فيه سيدي ؟ فقال الشيخ : أنت أردت ، قال : وكيف الأمر ؟ فقال له الشيخ : لو أردت صلاح المسلمين ينزل المطر الآن**"،[5] في كلامه دعوة صريحة وأسلوب تكافلي التزم فيه السبتي من منطلق مبادئه في التراحم والتضامن، إذ لم يحاب الخليفة بل أنكر عليه تقصيره في النظر في حاجات الضعفاء والمساكين والجياع، أما الحل فكان من منظور السبتي من خلال توسيع دائرة التضامن والصدقة بسخاء، حيث طلب الشيخ من الخليفة أن يفوض له الأمر لساعة فقط، فقبل الخليفة وقال:" **فوضت لك الأمر في كل ما أردت، فأمر الوكلاء على بيت المال أن يعطو الشيخ كل مايحتاج من الزرع والثياب،.... فسار الشيخ يفرق المال على الفقراء والمساكين ويقول : لايرحم الله**

---

(1) ابن الزيات : التشوف، ص ٢٤٦ ؛ ابن القاضي :جذوة الاقتباس، ص ٥٤٢ .

(2) ابن الحكيم: هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد اللخمي أبو القاسم،المعروف بابن الحكيم،جده يحيى المعروف بالحكيم كان تقياً وورعاً عارفاً بالطب والأدب والرواية ت٦٧٣ هـ / ١٢٧٤م، الغرناطي: صلة الصلة، مج٣، ص١٥٣ .

(3) الغرناطي: صلة الصلة، مج٣، ص١٥٣-١٥٤ ؛ ابن الخطيب : الإحاطة،ج٤، ص٤٦٤،٤٦٦.

(4) أبو العباس السبتي : أحمد بن جعفر الخزرجي الولي الزاهد العالم ذو الكرامات الشهيرة والمناقب المعروفة نزيل مراكش ودفينها ولد في سبتة سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م وأخذ العلم عن أبي عبد الله الفخار دفين تطوان وأحد تلامذة القاضي عياض توفي بمراكش سنة٦٠١هـ/ ١٢٠٤م ، التليدي : المطرب، ص٨٢،٨٩.

(5) ابن قنفذ : أنس الفقير وعز الحقير، ص٧،٩؛ التنبكتي :نيل الابتهاج، ص ٧١ ؛ السملالي :الإعلام، ج١، ص٢٧١.

من عباده إلا الرحماء، اليوم تمطرون إن شاء الله فلما صلينا العشاء بعث الله ريحاً باردة لا رعد ولا برق فيها فأمطرت بماء منهمر ثلاثة أيام بلياليها حتى أشفق الناس من الغرق والهدم"،[1] يلاحظ هنا منزلة هذا الشيخ لدى الخليفة الذي أرسل بطلبه في دلالة على ذياع صيته وكراماته ، كما يلاحظ إيمان السبتي بقناعة مفادها أن الله لا يرحم إلا الرحماء في مدعاة منه للتعاضد والتعاون فيما بين الناس وغرس بذور الرحمة والتآخي، كي يتخطوا أزمتهم المتمثلة بالقحط والمجاعة، فلعلّ الله يرضى عنهم حينها ويرحمهم بإنزال المطر بعد القحط وهو ماحصل فعلاً، الشاهد السابق يقود إلى تساؤل مفاده: لماذا أراد الشيخ حرية التصرف لمدة ساعة واحدة ؟ هل خشي ألا لايسمح له الخليفة بمدة أطول ؟ وهل ساعة كافية لإطعام الجميع و لتفرقة الطعام على الجميع ؟ ومن المرجح أنّ أبا العباس طلب هذه المدة، ليثبت للخليفة وجهة نظره أن الصدقة والإحسان وتراحم الناس فيما بينهم كفيلة بجعل الله يرضى عنهم وينزل المطر على مبدأ " **ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء** "، وكل الاحتمالات قائمة هنا .

و تزامن تعيين الشيخ البلفيقي[2] في مهمة القضاء بغرناطة مع القحط الذي ألم بها عام ٧٤٧هـ/١٣٤٦م ، فطلب الناس منه تولى إمامتهم في صلاة الاستسقاء فسقي الناس بعد أن عانوا مرارة شح المياه والجفاف. [3]

أسهم الفقهاء والوجهاء في التخفيف من المغارم أو إلغائها على بعض الفئات المتضررة ، ساعين لوضع حد لبعض تجاوزات السلاطين، فيذكر أن الضرائب شكلت عبئاً ثقيلاً على معدومي وضعيفي الدخل فقيل :" **فكم أدت المطالب بها إلى افتقار، وكم هتكت فيها من حرمة أموال وأعراض**" .[4]

---

(1) السملالي : الإعلام، ج١، ص٢٧١ .

(2) أبو البركات : محمد بن محمد بن إبراهيم بن المرداس بن أبي بكر يعرف بابن الحاج، نشأ في المرية وكان قاضياً في قنالش قرب بلفيق عام ٧١٥هـ/١٣١٥م ثم ولي مربلة وإستبونة جنوب غرب مالقة ثم أعيد لقضاء المرية من مؤلفاته شعر مسمى العذب والأجاج في شعر أبي البركات بن الحاج ت٧٧١هـ / ١٣٧٠م ، ابن الخطيب : الإحاطة، ج٢، ص٤٥٥، المقري : نفح الطيب، ج٥، ص٤٨٧،٤٧٣ .

(3) ابن الخطيب : الإحاطة، ج ٢، ص٤٦٠ .

(4)ابن مرزوق : المسند الصحيح، ص٢٨٦ .

ويـذكر أنّ قحـط أصـاب بجايـة فقـام الـولي أبـو الحسـن أحمـد بـن الحرالـي[١] (ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م) بالاستسقاء في الوقت الذي " **وصل الزق من الماء إلى أربعة دراهم ، فدعا الله بأن يمطرهم فاستجاب الله وأمطرهم مطراً غزيراً وأخذ يغسل ويشرب ويقول مرحباً بقريب من عند ربه**"،[٢] وارتفاع سعر الماء إلى أربعة دراهم يدل على غلائه الكبير والسؤال هنا من أين كان يباع هذا الماء؟ هل من آبار أو من جباب في المنازل؟ فمما سبق يلاحظ أن هناك آبار وجباب في آماكن خاصة لأشخاص معينين يستغلونها مادياً ويبيعونها للناس بأسعار عالية .

كما ورد عن أبي زكريا الزواوي[٣] (ت ٦١١هـ/١٢١٤م) أنه" **استأجر فندقاً بنحو ثلاثمائة دينار أيام المجاعة ببجاية، ثم مر بأعيان بجاية فكلمهم واحد بعد واحد في مونة المساكين فيدفع كل واحد مايطيقه .... ثم مشى بطرقات بجاية فكلما مرّ بمسكين قال له: اذهب إلى الفندق الفلاني، فلما اجتمع المساكين بالفندق اشترى لهم من اللباس مايدفع عنه البرد واشترى لهم ما يقوم بهم من طعام وجعل عليهم قيماً يقوم بهم وأغناهم عن السؤال** "،[٤] يلاحظ من النص السابق بذل الناس الأتقياء والصالحين لأموالهم الخاصة في محاولة كريمة منهم لحث الناس على التبرع والمساعدة في العمل الخيري لإطعام وايواء المحتاجين، إذ لم يكتفوا بالتنظير والخطابات الدينية بل أصبحوا مثالاً يحتذى لغيرهم من الناس عن طريق أعمالهم الحقيقية على أرض الواقع.

---

(١) أحمد بن الحرالي: أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن الحرالي التجيبي نسبة إلى حرالة قرية من أعمال مرسية في الأندلس، العالم الزاهد الورع، كانت بدايته في مراكش ثم ذهب بعد تحصيله العلم إلى المشرق ومن جملة من لقي بهم في المغرب أبو الحجاج ابن هوى وممن لقيهم في المشرق الإمام أبو عبد الله محمد القرطبي إمام الحرم الشريف له كتاب علم الفرائض، توفي في حماة سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م أو ٦٣٨/١٢٤٠م، الغبريني : عنوان الدراية، ص١٤٣،١٥٣ .

(٢) الغبريني : عنوان الدراية، ص١٤٩ .

(٣) أبو زكرياء الزواوي: يحيى بن علي الزواوي من أهل أمسيون خارج مدينة بجاية وفيها مات عام ٦١١هـ/١٢١٤م ولد في بني عيسى من قبائل زواوة وقرأ بقلعة بني حماد، رحل إلى المشرق وأخذ عن العلماء ثم عاد للمغرب عبداً صالحاً زاهداً ورعاً من أشياخه الشيخ إسماعيل بن مكي بن عوف الزهري روى عنه الموطأ والقاضي أبو سعيد مخلوف بن جاره روى عنه المصابيح والإمام أبو طالب أحمد بن رجا اللخمي، قرأ عليه وأخذ عنه الأصلين حفظاً وإتقاناً، ابن الزيات : التشوف، ص ٤٢٨، الغبريني : عنوان الدراية، ص ١٢٧،١٣١.

(٤) ابن الزيات : التشوف، ص ٤٢٩.

كما ذكرت المصادر في أحد النوازل جواز شراء الطعام للفقراء من الزكاة أيام المجاعة فقد سئل " **عمن وجب عليه زكاة فربما جاز به الرجل المريض والمرأة المريضة والصبي من هؤلاء الضعفاء وهو يصيح من الجوع فهل يجوز أن يشتري لهم الخبز ويعطيهم فأفتي بإجازته**". [١]

وتزخر كتب المناقب بالقصص التي تتحدث عن مدى كرم الصلحاء وتقشفهم وإيثارهم الآخرين ليس على أنفسهم فحسب بل على أهل بيتهم أيضاً، ولكن يجدر التنويه لأن مثل تلك الحوادث لاتسلم من المبالغة في كثير من الأحيان، وذلك لإبراز الخصال الحميدة لدى الصالحين والتقاة وفي السياق ذاته يذكر أن ضعيفاً جاء يشتكي جوعه وجوع عياله لعبد الرحمن بن يعقوب بن علي[٢] وكانت سنة مجاعة " **فأمر من جاء من الفرن بخبز عياله وأهل داره فرفع الضعيف جميعه فخرج ولده يشتكي الجوع ووقفت الخادمة تشتكي جوع أهل الدار فقال لها : ذهب بخبزكم من هو أشد حاجة منكم، وسيأتيكم إن شاء الله أكثر وأطيب، فما أتم كلامه إلا ومائدة كبيرة جاءته بعثها إليه أحد القواد[٣] وهو هلال بن عبد الله** "،[٤] مرة أخرى يلاحظ إيثار الصالحين وأهل الخير المحتاجين على أنفسهم حيث إن الشيخ أعطى خبز عائلته الذي لايملك سواه للمحتاج، ولم يتبق له شيء ابتغاء وجه الله، ويلاحظ من النص السابق أن أحد القواد قد أرسل للشيخ الطعام وهو مايعكس قيمة الصلحاء والشيوخ لدى الأعيان والقواد لما كان لهم من تأثير وكلمة مسموعة لدى العامة، فعندما ترضي السلطة الشيوخ والفقهاء بالمحصلة، سيرضى العامة الذين يتأثرون بكلامهم إلى حد بعيد، وستتقي السلطة بذلك ثورات الناس، نتيجة جوعهم ووضعهم المزري الذي كثيراً ما تسببت به الحروب والسياسات الضريبية المجحفة بحق الناس كما ذُكر سابقاً في الفصل الثاني .

---

(١)الونشريسي: المعيار المعرب، ج١، ص٣٨٥.

(٢) عبد الرحمن بن يعقوب: أبو زيد بن عبد الرحمن بن يعقوب بن علي الصنهاجي، المقري: أزهار الرياض، ج٥، ص٥٨.

(٣)ابن مرزوق : المناقب، ص٢٩٩ .

(٤) هلال بن عبد الله : حاجب السلطان أبي تاشفين أصله من سبي المسيحيين القطلونيين ؛ لذلك يسمى أحياناً هلال القطلاني، كان مهيباً فظاً غليظاً حج سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م وعندما عاد من الحج لم يجد مكانه من السلطان الذي سجنه ٧٢٩ هـ /١٣٢٩م وبقي مسجوناً حتى مات قبل فتح تلمسان ومهلك السلطان، ابن خلدون : بغية الرواد، ج١، ص١٣٣،١٣٢، ابن مرزوق : المناقب، ص٢٩٩.

لم يتوقف الاعتقاد بكرامة الأولياء عند وفاتهم بل استمر الناس باللجوء لقبورهم للتبارك وطلب الحوائج ومثالاً على ذلك زيارة ابن الخطيب لقبر السبتي، الذي لاحظ كثرة الزوار الذين يتصدقون عند قبره على الفقراء سواء بالمال أو بالطعام ثم يطلبون حاجتهم ويتضرعون لله،[1] هذه السلوكيات التي كانت سائدة في المرحلة المدروسة (٦-٨هـ/١٢-١٤م) تعكس مدى تعلق الإنسان بالأولياء وكراماتهم، وكان لهذه السلوكيات نتائج إيجابية تتلخص بأنّ تذهب الصدقات لصالح المحتاجين وتوزع عليهم .

وكثيراً ما تحولت رباطات التصوف إثر المجاعات إلى مرافق خيرية لإيواء المشردين وإطعام الجياع ، والسؤال هنا: هل حقاً أنفق المتصوفة كل تلك الأموال على الجياع والمحتاجين أم أنّ المصادر كانت تضخم الأمر؟! والأرجح ثانيهما لأنّ هذه الروايات تتناسب مع نمط التفكير في الفترة المدروسة الذي كان يميل للتصديق بالأولياء والصلحاء والاستعانة بهم واللجوء إليهم هروباً من الواقع الأليم، وربما اللجوء للمتصوفة لدى إنسان المغرب والأندلس في المدة الزمنية المدروسة ما بين القرنين (٦-٨هـ/١٢-١٤م) كالتعلق بالقشة الوحيدة ، فإن نجح الأمر نجوا، فالكل يعرف أن الأولياء لايدخرون " **مازاد على سد جوعة** "،[2] حيث دائماً ماكان الأولياء والمتصوفة زاهدين في الدنيا لباساً وطعاماً فمن أين ملكوا ما امتلكوا ؟!، البعض فسر الأمر على أنه " **بركة إكثار الطعام** "[3] حيث اكتسى الطعام والإطعام صفة القدسية لدى الفئات المستفيدة منه، ويجب أخذ هذه النصوص بحذر لأن المضمون كان في ظاهره شيء وفي باطنه شيء آخر فقد تم استغلال معتقدات الناس وأفكارهم من قبل أناس ربما كانوا محتالين، ومثالاً على بركة إكثار الطعام ما أفصح عنه الشيخ أبو الأمان الرفروفي[4] بشأن عشرة أمداد من

---

(1)ابن قنفذ : أنس الفقير وعز الحقير،ص٧ .

(2) الحضرمي(أبو عبد الله محمد بن أبي بكر توفي في القرن ٩ هـ /١٤ م) : السلسل العذب والمنهل الأحلى،تح محمد الفاسي، مجلة معهد المخطوطات العربية ، ١٩٦٤م، مج ١٠، ج١، ص ٦٧، سيتم ذكر المصدر باسم الحضرمي : السلسل العذب .

(3) البياض: الكوارث الطبيعية، ص٢٧٣، بولقطيب:جوائح وأوبئة، ص٣٥ .

(4) أبو الأمان الرفروفي : أبو الأمان بن مشو الرفروفي من أهل تاجنيت من بلاد تادلا صاحب أبي محمد بن يسكر وأبي صالح الهكسوري توفي سنة ٦١٥هـ /١٢١٨م، ابن الزيات : التشوف ٤٤٢،٤٤١ .

الشعير كانت مشتركة بينه وبين أبي محمد يسكر[١] ، فقال :" **كنا نأكل منه ونطعم من يزورنا من إخواننا في الله تعالى ، فلما عزم أبو محمد يسكر على الرحلة من تادلة إلى فاس قال : اكتلنا الشعير لنقتسمه فوجدناه كما كان**"،[٢] هذه الروايات ينبغي أن تؤخذ بكثير من الحرص والتدقيق، حيث تحمل في طياتها الكثير من المبالغة لكنها تنسجم مع ما آمن به الإنسان في ذلك الزمن.

وفي المجاعة التي عصفت بمنطقة الريف[٣] أواخر العقد الثالث من القرن ٧هـ/١٣م فيذكر ياسين بن الوزير الوطاسي[٤] أنه وبسبب شدة المجاعة قصد وأصحابه منزل الحاج إبراهيم[٥] فقدم لهم شيئاً يسيراً من الطعام، إذ أكلوا حتى شبعوا لكن الطعام بقي على حاله ولم ينقص[٦] .

وفي مجاعة سنة ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م في فاس قيل إنّ الشيخ عبد الرحمن أبو زيد الهزميري [٧]قد أدخل يده في جرة من الدقيق " **فأصبح الناس يأتون بالجموع الكثيرة من المائة إلى المائة**

---

(١) أبو محمد يسكر : يسكر أبو محمد موسى بن الجرائي فقيه فاس، كان شيخاً فقيهاً صالحاً شهيراً، أخذ عن أبي خزر يحلف الأوربي وأخذ عنه أبو محمد صالح الهكسوري ت٥٩٨هـ /١٢٠٢م، التنبكتي :نيل البتهاج،ص٦٤٠.

(٢) ابن الزيات :التشوف،ص٤٤٢ ؛ الصومعي(أحمد التادلي ت ١٠١٣هـ/١٦٠٤م) :المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تح، علي الجاوي، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة ، ١٩٩٦م، ص١٧٢، سيتم ذكر المصدر باسم الصومعي : المعزى .

(٣) الريف: إقليم الريف، يبدأ عند تطوان غرباً ويمتد نحو الشرق إلى نهر النكور على طول سهل تنيف مساحته على خمسين فرسخاً، يحده شمالاً البحر المتوسط ويمتد على خمسة وثلاثين فرسخاً نحو الجنوب، إلى الجبال التي يحاذيها نهر أركيل (ورغة) على تخوم إقليم فاس، البلاد مليئة بالزيتون وشجر الفواكه والحدائق وسكانها بربر، كربخال : إفريقيا،ج٢، ص ٢٢٩ .

(٤) ياسين بن وزير الوطاسي : حاكم بادس من قبل المرينيين وكان يتحكم في بلاد النكور كلها حوالي٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م، البادسي(عبد الحق بن إسماعيل ت ق٧هـ/١٣م) : المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف،الرباط ، المطبعة الملكية، ط٢، ١٩٩٣م، ص٦٢،سيتم ذكر المصدر باسم البادسي: المقصد الشريف.

(٥) الحاج إبراهيم : إبراهيم بن عيسى بن أبي داوود العابد الزاهد المرابط المجاهد ولد سنة ٥٦٠هـ/١١٦٦م وتوفي سنة ٦٥٠هـ /١٢٥٢م دفن بموضع من تمسمان، البادسي : المقصد الشريف،ص٦٠،٦٢.

(٦) البادسي : المقصد الشريف، ص٦٢ ؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص٢٧٤ .

(٧) عبد الرحمن أبو زيد الهزميري : عبد الرحمن بن عبد الكريم الهزميري أبو محمد دفين روضة الأنوار داخل باب الفتوح الشيخ الفاضل الصالح الناسك، كان عالماً بالأمور السماوية والمسائل الحسابية حتى إن محمد بن

والخمسين ونحو ذلك ، فما زلت أنفق منه حتى دخل المحرم"[1] أي إن الطعام كفى الجياع طول فترة المجاعة التي استمرت حوالي الستة أشهر، يذكر أن هذا الحديث منقول عن لسان أبي محمد بن عبد الله الجليل بن ويحلان خادم الولي الهزميري، وكما ذكر سابقاً يجب أن تؤخذ مثل هكذه الروايات بعين التمحيص والتدقيق ، فمن ذكرها قريب من الولي وقد يكون روى ذلك كي يمجده ويعظم أمره لدى الناس، لابدّ من الإشارة هنا، إلى أنّ مثل هذه الروايات تحمل في طياتها بذرة فنائها، فلو كان الأمر كما ذكرت المصادر لما مات فقيرٌ من الجوع زمن المجاعة.[2]

عثمان الأزدي المعروف بابن البناء المراكشي العالم الرياضي كان يقصده في حل المسائل العلمية من هندسة وغيرها توفي عام ٧٠٧/١٣٠٧م أو ٧٠٦هـ/١٣٠٦، ابن عيشون (أبو عبد الله محمد الشراط ت ١١٠٩هـ/١٦٩٧م) : الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تح، زهراء النظام، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، ١٩٩٧م، ص٢٠٦-٢٠٧-٢٢١، سيتم ذكر المصدر باسم ابن عيشون : الروض العطر الأنفاس .

(١)ابن عيشون : الروض العطر الأنفاس، ص ٢١٨؛ البياض : الكوارث الطبيعة، ص٢٧٤.

(٢) سيتم ذكر الموت والفناء الديموغرافي كنتيجة للمجاعات والأوبئة في الفصل الرابع .

٣ - جهود العامة في مواجهة المجاعات :

كان هاجس الخوف من شبح المجاعات والغلاء المصاحب سبباً في ظهور سلوكيات جديدة لدى إنسان المغرب والأندلس في المرحلة المدروسة ما بين القرنين (٦-٨هـ/١٢-١٤م)، أهمها: إدخار الإطعمة والأغذية الضرورية كسلوك احترازي في مواجهة المجاعة، لأن عدم اتباع هكذا إجراءات احترازية تجاه المجاعات غالباً ما كان يؤدي لنتائج كارثية ، حيث تصبح حياة الإنسان معرضة لخطر الموت جوعاً أو الإصابة بأمراض مرتبطة بنقص الغذاء أو نوعية الغذاء السيء الذي قد يضطر الإنسان لتناوله إبان المجاعات بسبب عدم توفر طعام أخر، حيث يكون الطعام لايحقق أدنى الشروط الصحية التي تخوله للاستهلاك البشري، والسلوك الأخر هو التكييف الغذائي ومحاولة إنسان المغرب والأندلس إيجاد وسائل تغذوية جديدة من المواد المتوفرة لديه كبديل عن المواد التي فقدت من الأسواق، بسبب المجاعات واحتكارات التجار المستغلين للأزمات بطبعهم، فيما يأتي ستتم مناقشة سلوك الادخار والتكيف الغذائي والسلوكيات التغذوية الشاذة التي مارسها الإنسان في مواجهته للمجاعات .

أ - سلوك الادخار في مواجهة المجاعات :

برزت أهمية سلوكيات " أخذ الحيطة " من المجاعات في التاريخ المغربي والأندلسي، بعدما تجرع الإنسان قساوة الظروف الطبيعية عامةً والبشرية خاصةً التي قد تأتي على شكل حصارات طويلة الأمد، تنهك الإنسان جوعاً وعطشاً وتودي بحياته حيث دائماً ما تكون الحروب غير أبهة بالجانب الإنساني، فالمصالح السياسية هي وحدها الهدف، وأما الجانب البشري فكان الضغط عليه يمثل ورقة رابحة لدى المعتدين في سبيل تحقيق الغاية السياسية وكانت الأمثلة على ذلك كثيرة.[١]

لجأ سكان مراكش لسلوك الادخار إزاء المجاعات التي عصفت بهم ، فقد عمدوا إلى توفير المؤن وتخزينها، إذ ذكرت المصادر أن مجاعة سنتي ٦٣٢-٦٣٣هـ/١٢٣٤-١٢٣٥م لم تكن لتزول عنهم لولا فتحهم لمخازن حبوب عرب الخلط[٢] الجماعية، ذلك أن " **الزرع كان في صدر هذه**

---

(١) الأمثلة تم التعرض لها في الفصل الثاني ضمن فقرة الحروب وأثرها في حدوث المجاعات.

(٢) الخلط : قبيلة عربية ترجع أصولها إلى جشم، وهم بنو المنتفق من بني عامر بن عقيل بن كعب كلهم شيعة للقرامطة في البحرين، هاجرو للمغرب وأقاموا في تامسنا وكان شيخهم هلال بن حميدان بن مقدم، ابن خلدون: العبر،ج٦،ص٤٠.

المدة من عام ثلاثة وثلاثين معدوماً وما كان سبب وجدانه إلا استخراج ماكان للخلط مخزوناً في الحضرة وحوزها وجهاتها".[١] وكانت قبائل البادية تتخذ قصبات جماعية للتخزين ، وعلى سبيل المثال كرسيف [٢] وهي قصبة بني مرين التي كانت تختزن فيها حبوبها عندما كانت تسكن الصحراء، [٣] وكانت مخازن جبل درن معروفة بشدة تحصينها وأمنها ففيها وحدها أكثر من٧٠حصناً، ممّا يفسر كون الموحدين في حركة عبد المؤمن الطويلة مابين ٥٣٤-٥٤١هـ/١١٣٩-١١٤٦م يمشون في " **الجبال المانعة حيث الأرزاق الواسعة** ". [٤]

وبرزت أهمية سلوك الادخار لدى أهالي سبتة على إثر عام ٦٣٧هـ/١٢٣٩م الذي حفر في الذاكرة الشعبية لشدته تحت مسمى "عام سبعة "[٥]، حيث أصبح الناس بعد هذا العام يتخذون تدابير احترازية ممثلة بالادخار ، وتخزين الطعام في المطامير" **كل عام حيطة على أنفسهم من مثل هذه المجاعة التي لم يعهد مثلها في الأعوام الماضية قبلها**"،[٦] و يذكر أن عدد المطامير قد بلغ" **أربعون ألف مطمورة متفرقة بالديار وببعض الحوانيت**"[٧] ومن الممكن أن يكون الرقم مبالغٌ فيه، لكن المراد منه التعبير عن شدة احتياط الناس للمجاعات بعدما قاسوه في عام سبعة المذكور، ولابدّ من القول أنّ تلك المطامير لم تكن تخزن الأطعمة فحسب، بل شملت المواد التي يفتقر إليها الناس في المجاعات ،ويحتكرها التجار وهذا مايقود إلى الاعتقاد بصحة الرقم نسبياً، إذ كان يخزن الحطب على سبيل المثال الذي يستخدم لأغراض كالتدفئة أو للطهو،

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٣٤ .

(٢) قصر كرسيف : هو قصر قديم جداً مشيد فوق صخرة قرب نهر ملوية، على بعد نحو خمسة عشر ميلاً من توريرت، تحول بعد أن كان مخزناً لحبوب بني مرين لمقر للإمارة على يد أبي عنان المريني (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م)، تحيط بهذا القصر القليل من الأراضي الزراعية وهي بساتين مغروسة بالتين والخوخ والكروم، الوزان : وصف إفريقيا، ج١، ص٣٥٠

(٣) ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص ٢٥ ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٢٨٢ ؛ الوزان : وصف إفريقيا، ج١، ص١٥٨ ؛ السلاوي : الاستقصا ،ج٣ ، ص٣.

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق،ج١، ص٢٢٩ ؛ مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، ص١٣٠؛ أسكان : المجاعات والأوبئة، ص١٣٩

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين ، ص ٣٥١؛ ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص٥٤، السبتي: اختصار الأخبار، ص ٨٣؛ الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص ٤٥.

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٥١ ؛ خليلي :الحرب وأزمة الغذاء، ص٢٤٧.

(٧) السبتي : اختصار الأخبار، ص٤٢.

فعقب المجاعة الأخيرة في سبتة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م قاموا بإدخار كل المواد بما فيها الحطب حتى قيل إنّ " **الحطب المعد للأزل**"[١] إشارةً إلى كثرته.

ترافق سلوك الادخار لدى أهالي سبتة مع سلوك أخر، ألا وهو الاقتصاد وتقليص النفقات على الاحتياجات الضرورية وعدم التبذير في سلوك وقائي لمواجهة المجاعات، حيث ذكرت المصادر في وصف ولائمهم " **واقتصادهم لاتلتبس منه طريقة، وأنساب نفقاتهم في تقدير الأرزاق عريقة، فهم يمصون البلالة مص المحاجم، ويجعلون الخبز في الولائم بعدد الجماجم**"،[٢] أي يوضع الخبز بعدد الأشخاص الذين يتناولون الطعام لا أكثر من ذلك ،وبهذا أصبحت سبتة مضرب المثل في الادخار، فقد قيل فيها " **الأمينة على الاختزان القويمة المكيال والميزان** " ،[٣] وبالمثل ورد أن أهالي مدينة أصيلة[٤] أيضاً كانت لهم خبرة بإعداد المطامير لإدخار الدخن ،[٥] واعتاد أهالي سجلماسة على اتخاذ مخازن للحبوب في القرن٦هـ/١٢م . [٦]

اعتاد الناس على التخزين فسكان فاس اضطروا في منتصف القرن٥هـ/١١م لاتخاذ مطامير لخزن الحبوب ببيوتهم بسبب إغارة قبائل مغراوة، واستمروا على ذلك حيث أكد ابن خلدون ذلك في القرن٨هـ/١٤م " **أفرطوا في نظر العواقب ، حتى إن الرجل منهم ليدخر قوت سنتين من حبوب الحنطة، ويباكر الأسواق لشراء قوته ليومه مخافة أن يرزأ شيئاً مما ادخره**"،[٧] يلاحظ من النص السابق إن التدبير المعقلن للمواد المدخرة في الأيام العادية، يؤكد الحضور القوي لهاجسي الخوف والقلق من المجاعات، إذ كان الإنسان ينزل للتسوق في كل نهار مخافة أن يصرف ما ادخره، وربما يدل ذلك أنّ القلق تعدّى الخوف من المجاعة إلى

---

(١) البياض : الكوارث الطبيعية، ص١٩٦.

(٢) ابن الخطيب : معيار الاختيار، ص٧٢ .

(٣) ابن الخطيب : معيار الاختيار، ص٧٢ .

(٤) أصيلة :بلد في غرب طنجة ويقال فيه أزيلة بالزاي وهي مدينة قديمة عامرة وآهلة كثيرة الخير والخصب، وكان لها مرسى مقصود، وهي أول مدن العدوة من جانب الغرب وهي في سهل الأرض وحولها رواب لطاف والبحر بغربيها وكان عليها سور له خمسة أبواب، البكري : المغرب، ص١١١ ؛ مؤلف مجهول : الاستبصار، ص١٣٩؛ الحميري : الروض المعطار، ص٤٢ .

(٥) الحميري : الروض المعطار، ص٤٢ .

(٦) ابن الزيات : التشوف، ص٢٧٨ ؛ أسكان :المجاعات والأوبئة، ص١٣٨ .

(٧) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص١١٤؛ ابن خلدون : المقدمة، ص٩٣ ؛ أسكان : المجاعات والأوبئة، ص١٣٨ .

الخوف من الاحتكار والاستغلال من قبل تجار الأزمات، فعندما يشتري البضائع في الظروف الآنية ستكون بسعر مقبول جداً مقارنةً بالغلاء في وقت المحن والمجاعات. [١]

فقد حاول الإنسان إيجاد مخازن مهما كانت ضيقة ومتواضعة المهم أن تفي بالغرض وهو اختزان الطعام و الاحتفاظ به لوقت الشدة والحاجة، فقد كان فقراء مراكش يخزنون الطعام في الغرف أو بحفر المطامير في المنازل، كما شاع استخدام دهاليز الدور مخازن للأقوات،[٢] كما اتخذ بعضهم من استئجار مطامير الدور سبيلاً للعيش ، فكانت تدر على أصحابها عائدات نقدية وعينية من جنس ما هو مدخر عادة، وقام أهالي مدينة فاس باستئجار الدكاكين لخزن الحبوب، وبسبب تخوف البعض من تعرض مدخراته للسلب والنهب قاموا بتخزينها قرب المساجد فقد أفادت نازلة " **أن أحدهم حفر مطمراً قريباً من باب مسجد وخزنها بالشعير** ". [٣]

وظهر ما يمكن تسميته بالمخازن الجماعية كشكل من أشكال التضامن والتكافل بين الناس في مواجهة خطر المجاعات، كانت المخازن الجماعية تقام خارج أبواب المدن، أو بمحاذاة المساجد في البوادي،[٤] ففي مدينة فاس " **كانت مخازن الغلال في مكان يستدير عليه سور منيع عليه باب وغلق داخله المطامير** "،[٥] كان يقابله من أبواب المدينة باب يؤدي إليه معروف باسم" **باب المطمر**"[٦] وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا الشكل من المخازن كان يعرف في المغرب تحت اسم "**المرس**"، وورد ذكر لهذا المرس الواقع شمال فاس في المصادر، فقد قيل إنه مطامير منحوتة " **في جبل من حجر كلسي حيث توجد حفر عميقة تحفظ فيها الحبوب سنين عديدة ، وتبلغ سعة بعضها أكثر من مائتي مد من الحبوب** ".[٧]

---

(١) ينظر جدول مقارنة بين الأسعار في الأوقات العادية والأسعار في أوقات المجاعات والأوبئة .

(٢) ابن الزيات : التشوف، ص٢٥٩؛ الونشريسي : المعيار المعرب، ج٧،ص٣٣٠/ج٦، ص ٢٣٠؛ القاضي عياض : مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، ص٩٢،٩٣ .

(٣) الونشريسي : المعيار المعرب، ج٨، ص٢٨٢/ ج٩ص٥٥٦ ؛ الوزان : وصف إفريقيا، ج١، ص٢٤٨.

(٤) البياض: الكوارث الطبيعية، ص ٢١٥ ؛ أسكان : المجاعات والأوبئة، ص١٣٨ .

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى، ج٥، ص١٥١ .

(٦) بروفنسال(ليفي) : الإسلام في المغرب والأندلس، تر، محمود عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي، مراجعة : لطفي عبد البديع، القاهرة،دار النهضة، ص٧٣ ؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص٢١٥ .

(٧)الوزان : وصف إفريقيا، ج١،ص٢٤٨؛ المنوني : ورقات عن حضارة المرينيين، ص١٤٦ .

أما في تامسنا انتشرت الأهراء لخصوبتها وجودة حبوبها، إذ تذكر المصادر في هذا الصدد " **دشار كبير يأكل من هري ويشرب من بير ،فقد النضارة وعدم مرافق الحضارة إلا أنه على الاختزان أمين ولحفظ الحبوب ضمين** ". [١]

كما عرفت الأندلس نوعاً من المخازن يجمع في تصميمه بين المخزن وقلعة لحماية السكان للأندلس إذ عرف هناك تحت اسم قامرة ،[٢] وقام الأعراب بتحويل المناطق المحصنة التي استولوا عليها إلى مخازن للمؤن مثل أرض مجانة،[٣] لتسهل حمايتها وذلك بسبب طبيعتها المنيعة،[٤] و كان يتم استئجار حراس يتولون مهمة حراسة المطامير والأطعمة خاصةً أن المرحلة المدروسة، لم تكن تتميز بالأمان والسلام إنما بالاضطرابات الأمنية ممثلةً بالثورات والحروب ومايترافق معها من التسيب الأمني، وكانت أجرة الحراس عينية " **مد واحد عن كل مائة مد** "، أما البدو الرحل غالباً أوكلوا حراسة المخازن لجيرانهم المستقرين بسبب ترحالهم الدائم، وفي فترات الحروب ستكون المخازن والمطامير المتواجدة خارج أسوار المدينة عرضة للسلب والنهب ولهذا السبب قام سكان فاس بنقل مخازن حبوبهم لداخل أسوار فاس الجديدة .[٥]

لم يقتصر سلوك الادخار على تخزين الطعام لوقت المجاعة، إنما تعداه ليشمل تخزين المياه للاستفادة منها في وقت الحاجة، وإقامة مشاريع للحد من هدرها وتقنينها للاستفادة منها لأقصى حد ممكن، فقد كان القحط أحد أسباب المجاعات الرئيسة لذلك قام الإنسان بمشاريع لحفظ المياه وتجميعها تجنباً للعطش والجفاف، فجفاف الأراضي الزراعية وخراب المحاصيل سيؤدي لفقد المواد الأساسية من الأسواق، فمنطقة دكالة مثالاً كانت تحتوي مخازن مائية عدّة التي وردت في المصادر تحت اسم " نطاف" حيث ذكر إنّ سقي أهاليها من " **نطاف عذبة تختزن بها بركات**

---

[١] ابن الخطيب : نفاضة الجراب، ج٣، ص٨٩.

[٢] ابن الخطيب(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) : مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في المغرب والأندلس، تح، أحمد مختار العبادي، الاسكندرية، مطبعة جامعة الاسكندرية، ١٩٥٨م، ص٦٠، سيتم ذكر المصدر باسم ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين .

[٣] مجانة : وتسمى أيضاً مجانة المطاحن، مدينة قديمة،فيها مقطع حجار الأرحاء ،وبينها وبين مرماجنة مرحلة كبيرة،وهي مدينة صغيرة عليها سور تراب، كان يزرع فيها قديماً الزعفران، بينها وبين قسنطينة ثلاث مراحل وبينها وبين بجاية ستة مراحل، البكري: المغرب، ص٤٩؛ الإدريسي : وصف إفريقيا الشمالية ، ص٨٧؛ الحميري :الروض المعطار، ص٥٢٥.

[٤] الإدريسي : وصف إفريقيا الشمالية ، ص٨٧ .

[٥] الوزان : وصف إفريقيا، ج١، ص٢١٥-٢٤٨-٣٠٢؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص ٢١٧ .

الأمطار فيقع بها أمنهم والاجتراء إلى زمن المطر "،[1] وفي السياق ذاته جمع سكان مراكش مياه الأمطار ومياه الأنهار وخاصةً نهرا نفيس وتنسيفت [2] في صهاريج أطلقوا عليها اسم برك وهي بمثابة خزانات كبيرة منها البركة التي كانوا يجمعون فيها " **ماء سيول المطر خارج باب الرُب أحد أبواب مراكش** "[3] ومنها " **الصهريج الكبير والصهريج في لغة أهل المغرب البركة، وهي بركة عظيمة عليها سور وباب يصب فيها النهر..... الداخل إلى مراكش، وفيها يوزع بقياس معلوم على قصور الناس ثم ينحدر بقية الماء في نهر يشق المدينة من جهة أخرى في وسط الأسواق ... وفيها برك تصب فيها المياه**"،[4] كما اعتمد أهل سبتة على مياه الأمطار المختزنة في الصهاريج أيضاً،[5] واستخدمت فاس نظام الصهاريج في اختزان الماء، حيث كانت تستمد ماءها من العيون إذ تحاط بجدران وتغلق بواسطة أبواب ،وتوزع على مختلف مرافق المدينة وقد كان ماء الصهاريج مرغوباً أكثر من مياه الأنهار لأنه أكثر نظافةً ولايجف صيفاً.[6] وبالمثل فعل سكان الأندلس حيث بنى سكان غرناطة الصهاريج، كما توسعوا بها للتخفيف من تبخر المياه المجموعة بجعلها على شكل سدود صغيرة ، و ذكرت المصادر إن " **فيها صهريج ماء قد أحدق به شجر نارنج وليمون... وغيرها**" ،[7] أما رندة التي عرفت بموسمية جريان أوديتها، فقد اعتمد سكانها على استجرار المياه المختزنة في " **قرية بشرقيها ومن جبل طلوبرة بغربيها**" .[8]

ممّا ورد سابقاً، يستنتج أنّ جهود الإنسان والسلطة في تجاوز المجاعات، اقتصرت على إتباع تدابير للتخفبف من وطأتها عند وقوعها وهذه التدابير اتخذت أشكالاً عديدةً منها : المطامير، الأهراء، الخزانات، الصهاريج وغيرها في محاولة منهم للتخفيف من وطأة المجاعات

---

(1) ابن الخطيب : نفاضة الجراب، ج٢، ص ٦٩ .

(2) نهر تنسيفت: نهر كبير ينبع من الأطلس قرب مدينة تدعى أنَماي شرق مراكش،ويجري نحو الغرب سهولاً حتى يصب في المحيط بإقليم آسفي من ناحية دكالة يلتقي قبل أن يصب بالمحيط بنهري آسيف ونفيس، الوزان : وصف إفريقيا، ج٢، ص٢٤٥ .

(3) السملالي: الإعلام ، ج١، ص١٣،١٤.

(4) العمري: مسالك الأبصار، ص٢٠٢.

(5) العمري : مسالك الأبصار، ص ١٣٧ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى، ج٥، ص١٥٨ .

(6) الوزان : وصف إفريقيا، ج١، ص٢٤٧.

(7) المقري : نفح الطيب، ج٣، ص٤٩٧.

(8) الحميري : الروض المعطار، ص٢٦٩.

وآثارها، وبالفعل ساعدت هذه التدابير في التخفيف من حدة المجاعات إلى حدٍ ما، وإن لم يكن لها هذا الأثر الفعال إلا أنها ساعدت ولو بمقدار بسيط في التغلب على الأزمة المتمثلة بالمجاعة.

ب – سلوك التكيف الغذائي في مواجهة المجاعات:

غيرت المجاعات من أسلوب حياة الإنسان في المغرب والأندلس، فقد تكيف مع الظرف الطارئ الذي واجهه ، فعندما اختفى الطعام الذي ألفه عن المائدة بدأ يبحث عن أسلوب جديد في التغذية وأصناف جديدة من الطعام لتحل محل الأصناف التي فُقدت ، فالمجاعات أحدثت تحولاً في نمطية الغذاء، بسبب الخلل الذي أحدثته المجاعات بين الموارد الغذائية وعدد السكان ففي حالات المجاعات يكون أكثر من الغذاء المتوفر، ممّا يدفع الناس إلى محاولة إيجاد سلوك يستجيب لمستجدات نظام غذائي خارج عن المألوف من أجل خلق التوازن البيولوجي والاستمرارية في الحياة، إذ اضطر الإنسان أن يصنع غذائه من المواد المتوفرة لديه عوضاً عن المواد التي فقدت من الأسواق، بسبب المجاعة أولاً و الاحتكار ثانياً والغلاء المرافق لها ثالثاً ، هذا الثلاثي قض مضاجع إنسان المغرب والأندلس في المرحلة المدروسة (٦–٨هـ/١٢–١٤م) فمن المؤكد لن يجلس الإنسان عاجزاً إزاء الظروف بل سيتكيف معها.

وتشير النوازل إلى مظاهر التضامن والتآزر داخل القبائل إبان فترات المجاعات ، ففي هذا الإطار توجد نوازل تتعلق "**بالوزيعة** " وسلف الطعام وهدايا الناس منه، فقد اعتاد أهل المغرب أن يقتسموا الوزيعة فيما بينهم ،وذلك بأن يشتروا بهيمة ويدخل كل واحد منهم بقدر من الأسهم ويكون له من اللحم حسب إسهامه بالطبع ،وكانت هذه العادة منتشرة بكثرة ويستدل على ذلك أن الناس كانوا يريدون معرفة رأي الشرع بذلك، العمل على توفير اللحم بهذه الطريقة يعني أنه كان من الصعب الحصول عليه بغيرها، وبتكلفة معقولة، بل وحتى بمساهمة عينية تتمثل في دفع قدر من الحبوب عوضاً عن المقابل المالي، مايؤكد ضعف التعامل النقدي زمن المجاعات ، ويبدو من الفتاوى المتعلقة بهذا الموضوع أن الفقهاء أبدوا تحفظهم بشأن هذا الموضوع لكنهم لم يذهبوا حد التحريم . [1]

ولا جدال في كون الخبز حجر الزاوية في نظام التغذية في المغرب والأندلس، وحين كانت الأزمات تطل برأسها، وتشتد بسبب المجاعات أو السنوات العجاف التي يغدو فيها القمح والشعير

---

[1] **الونشريسي : المعيار، ج٥، ص٩٢،٣٥ /ج٦، ١٢٥، ١٢٦؛ فتحة (محمد): أدب النوازل ومسائل الأطعمة بالغرب الإسلامي، مجلة أمل، ع ١٦، الدار البيضاء، ١٩٩٩م، ص٣٠ .**

وغيرها من أصناف الحبوب حلماً بعيد المنال ،كان الإنسان يبادر لإنقاذ نفسه من كارثة محققة، وإيجاد مخارج باللجوء إلى أكل الحشائش والنباتات البرية، ليجعلها بديلاً في صناعة الخبز .

لقد كان نبات النبق[١] نموذجاً من النباتات التي تم استغلالها لصناعة الخبز في سنوات المجاعات، وقد وصف النبق بأنه " **كثير بثغر الأندلس في حيز مدينة أقليش ومدينة سالم وغيرها، تؤكل هناك ويتخذ منها خبز في الجدب** ".[٢]

قام الإنسان بغرض التعويض عن الخبز المصنوع من القمح بجمع بلوط الغابات وتجفيفه ثم طحنه ويخلط بحشائش أخرى، ويصنع من دقيقه الخبز ، فعندما حبس أبو يعزى[٣] داخل صومعة جامع مراكش عام ٥٤١هـ/١١٤٦م وقد كان عام شدة وفتن " **كان معه أقراص من دقيق البلوط ،فكان يجعل معها أوراق اللبلاب ويطحنها ، فإذا صلى المغرب أخذ قدر نصف رطل من ذلك فيقتات به** "،[٤]ويرجح هنا أن استخدام خبز البلوط سابقة تفرد بها أهل المغرب والأندلس حيث لم يستخدمه سكان المشرق الإسلامي في نظامهم الغذائي خلال المجاعات التي حلت بهم.

وبالمثل تم اللجوء لنبات الشيلم[٥] الذي كان يستعمل في الأوقات العادية علفاً للماشية، ولكنه يصبح في فترات المجاعات بديلاً يصنع منه الخبز ، فقد كان " **يطحن ويعتصد ويعايش منه في**

---

(١) النبق : السدر وقيل ثمر العناب وهو الأصح ومنه نوع آخر بالثغر الأعلى يعرف هناك بغابش، الإشبيلي (أبو الخير ت ق ٦هـ/١٢م) : عمدة الطبيب في معرفة النبات، تح، محمد العربي الخطابي، بيروت،دار الغرب الإسلامي،١٩٩٥م، ج١،ص٣٨٤، سيتم ذكر المصدر باسم الإشبيلي : عمدة الطبيب .

(٢) الإشبيلي : عمدة الطبيب، ج١،ص٣٨٤ ؛ بوتشيش (إبراهيم القادري)،البياض (عبد الهادي) :ثقافة الطعام وتنوع خطاباتها زمن المجاعات المغرب والأندلس من القرن٦-حتى القرن٨هـ /١٢-١٤م نموذجاً، مجلة عصور الجديدة،عدد ٧-٨، وهران، ٢٠١٣-٢٠١٤م ،ص٣٤ .

(٣) أبو يعزى : هو يلنور بن ميمون أبو يعزى، ويعزى من اسم ولده ومعناه العزيز وإيلا النور معناه ذو النور أو ذو الحظ، قال البعض أنه من هزميرة إيروجان وهم قبيلة من المصامدة في مراكش وقيل من بني صبيح من هسكورة وموطنهم في الأطلس الكبير، خصص أبو العباس العزفي لأخباره ومناقبه كتاب بعنوان دعامة اليقين في زعامة المتقين وأفرد له الصومعي كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، مات وقد أناف على مائة سنة بنحو الثلاثين سنة ودفن بجبل إيروجان ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م، كان قطب عصره وإعجوبة دهره، ابن الزيات : التشوف،ص ٢١٥،٢١٤ ؛ العزفي : دعامة اليقين، ص١ ؛ الصومعي : المعزى، ص ٦٤؛ السملالي: الإعلام، ج١، ص٤٠٦ .

(٤) ابن الزيات : التشوف، ص ٢١٥.

(٥) الشيلم : هو نبات ورقه مائل للبياض تخرج له قصبة مجوفة، في أعلاه وشائع كوشائع الشيح،وكأنها ثمر البلوط ولونها بين الخضرة والبياض فيها حب يشبه الدخن، الإشبيلي : عمدة الطبيب، ق٢، ص٦٠٢

المحل ".[1] بالإضافة لذلك اقتات الإنسان في فترة المجاعات على جذور النباتات، وهذا ماورد على لسان أحد مريدي الشيخ أبو مهدي وين السلامة(ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م) إذ قال:" **أصابنا جدب شديد فاحتجنا إلى استخراج أصول النبات التي نأكلها في أعوام المجاعة** ". [2]

لم يكن التكيف الغذائي زمن المجاعات قاصراً على المغرب بل تعداه ليشمل الأندلس، ومثالاً على ذلك ماورد في رسالة رسمية من والي الموحدين على إشبيلية إلى الخليفة المستنصر مؤرخة سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م، وهي سنة مجاعة وحروب وأوبئة، حيث بعد المعاناة من الجوع والغلاء اضطر السكان لصناعة خبزهم من البلوط، وهذا جزء من نص الرسالة " **وكان من جميل صنع الله وفضله أن أغاث أهلها هذا العام بالبلوط، فإن شجرها حملت حملاً كثيراً فاتخذها أهلها قوتاً لأنفسهم ودوابهم، وسدت لهم مسداً كثيراً حتى لايكاد يوجد عندهم دقيق إلا منها** ".[3]

في الرسالة ما مفاده أن السكان بسبب الجوع والغلاء والقحط استبدلوا خبزهم المصنوع من القمح بأخر مصنوع من البلوط ، لكن هل البلوط يشكل مصدراً غذائياً كافياً وشاملاً للعناصر الغذائية التي يحتاجها الجسد ؟ بالتأكيد لا، إذاً لماذا كل هذه السعادة التي يظهرها الوالي والشكر والحمد الذي يبديه إزاء الوضع ؟ ألم يكن من واجب الخليفة الموحدي إرسال معونة عذائية لرعيته ومؤازرتهم عوضاً عن الاستماع لرسائل تعبر عن مدى سعادتهم المزعومة بخبز البلوط ؟ فالمصادر لم تذكر أي مساعدة للخليفة المستنصر عقب المجاعة المذكورة، فيلاحظ أن الإنسان اضطر للتكيف وتبديل نظامه الغذائي بسبب الظروف الطبيعية من جهة وإهمال السلطات من جهة فلا حل أمامه سوى أن يقتات على ماتجود به الطبيعة للبقاء على قيد الحياة .

لم يكن هذا الوضع قاصراً على إشبيلية حيث إن أهالي حصن بطروش خلال سنوات القحط اقتاتوا على غابات البلوط فصار أيضاً " **لهم اهتمام بحفظه وخدمته وهو لهم غلة وغياث في سني الشدة والمجاعة**".[4]

وقد ترسخ خبز البلوط في الذاكرة الشعبية على شكل أمثال ، وذلك كدلالة على أهميته ودوره في تجاوز المجاعات، إذ قيل " **فعام عفص وعام بلوط**"[1] أي أنهم كانوا يتغلبون على الجوع زمن

---

(1) **الإشبيلي : عمدة الطبيب، ق٢، ص٦٠٢.**

(2) **ابن الزيات : التشوف، ص٢٦٣ ؛ بولقطيب : جوائح وأوبئة، ص٤٣؛ أسكان : المجاعات والأوبئة، ص١٣٦ .**

(3) **العزاوي: رسائل موحدية، ج١، ص٣٠٢،٣٠١ .**

(4) **الحميري :الروض المعطار، ص٩٣.**

القحط والمجاعات، بتناول نبات العفص أو البلوط، ويبدو أن هذا المثل انتقل من الأندلس للمشرق فأهل المشرق يقولون :" **فلان يقول بالعفص والبلوط**"،[2] حيث كان يطلق على الأندلس "**بلاد البلوط**"،[3] لكن لا يمكن الجزم بأن المثل الأندلسي أصل للمثل المشرقي لكن المصادر التي تم الرجوع إليها لم تذكر اعتماد أهل المشرق على خبز البلوط في نظامهم الغذائي في أوقات المجاعات، مما يرجح أن الاعتماد على هذا الخبز هو سابقة تفرد باللجوء إليها أهل المغرب والأندلس بحكم وجوده بكثرة في تلك المناطق .

وفي مواجهة مجاعة عام٦٣٢هـ/١٢٣٤م في المغرب قام الناس بتغيير نمط تغذيتهم واعتمدوا على " **خبز يعمل من تابودا وهي نبات ينمو في الصهاريج والأنهار والسواقي، وهو شبه من القصب سم من السموم يتخير منه ماجف ويطحن كما تطحن الحنطة، ويعمل منه الخبز** ".[4] لايعرف لما وصف ابن عذارى هذا النبات على أنه سم وإذا كان سماً فكيف صنعوا منه خبزاً يأكل منه الناس!، وربما طريقة تحضيره تزيل سميته مثل نبات اللوف الذي تساعد ساعات طبخه الطويلة على إزالة سميته ، وربما قصد بكلمة سم أن الناس استغنت عن القمح بأشياء هي كالسموم في الحالات العادية التي لايمكن لها ولا بأي شكل من الأشكال التعويض عن الخبز الحقيقي المصنوع من القمح .

ومعلوم أن القمح لايوجد في سلاسل جبال الريف ذات السهول الزراعية الضيقة، لذلك دأب سكانه الفقراء على مزج بعض المواد ببعضها في أزمنة الشدة للحصول على خبز ضعيف الجودة ،وذكرت المصادر حول ذلك " **لأنه لاينبت شيء حسن في جبلهم عدا القليل من الدخن الذي يخلطونه مع بذر العنب ويستخرجون من دقيقاً يصنعون منه خبزاً أسود كريهاً شنيعاً حقاً**" [5].

([1]) ابن العوام : أمثال ابن العوام، ج١، ص١٠٧.

([2]) ابن العوام : أمثال ابن العوام، ج١، ص١٠٧.

([3]) ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف الأندلسي ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م) : المقتبس في أخبار بلد الأندلس، شرحه واعتنى به، صلاح الدين الهواري، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٦م، ق١٣، ص١٣٢، سيتم ذكر المصدر باسم ابن حيان : المقتبس .

([4]) ابن عذارى: البيان المغرب، ص٣٢٦ ؛خليلي : الحرب وأزمة الغذاء، ص٢٤٨؛ بوتشيش، البياض : ثقافة الطعام ، ص٣٥ .

([5]) الوزان: وصف إفريقيا، ج١، ص ٢٥٧ .

إلى جانب ذلك كانت "**بقلة دعداع**"[١]مورداً غذائياً لبعض أهالي الأندلس في فترات المجاعات، حيث كانت تنشر حتى تجف "**فإذا يبست جمع الناس مايبس منها ودقوه وذروه ،واستخرجوا منه حباً أسود فيطحنونه ويختزنونه ويعتصدونه**" .[٢] كما أقبل المغاربة خلال المجاعة المذكورة على استهلاك" **فيتور الزيتون وغيره فهو كان غذاء الناس لأنه كان كثيراً في البوادي الخالية فيجتلبه الضعفاء ويقتاتون عليه، وكذلك النارنج كان موجوداً كثيراً فصار الناس يميلون إلى شرائه مايدرون حامضاً هو أم حلو من سوء ماحل بهم**" ،[٣] ورد في النص السابق إشارة إلى تكيف الناس مع ظروفهم مرغمين على ذلك فلم يعد شكل الطعام أو طعمه مهماً المراد أن يؤكل فقط، فالعثور على مايسد الرمق كان الهم الوحيد في ظل مثل هذه الظروف القاهرة ، وبالمثل اعتاد سكان المناطق الجبلية بالأندلس على صنع الخبز والعصيدة من نبات "**استب**"،[٤] لمواجهة شبح الموت حيث كان "**يؤكل في المحل ،وهو قوت سكان الجبال يختبزونه ويعتصدونه**" .[٥]

ولم يتوان بعضهم تحت وطأة المجاعات عن السعي لإيجاد بدائل عن الخبز وتعويض وسائل العيش في البحث عن أجباح[٦] النحل وبقاياها، فقد كانت تستغل في صنع مادة تعرف باسم العكير ،وهو مادة ليست بشمع ولاعسل ، قليلة الحلاوة ، وغالباً ماكان يأتي بها النحل في سنوات القحط والجفاف، كما أنها تشبه الخبز، بيد أنها كانت مكروهة ولاتستعمل إلا لمقاومة الجوع .[٧]

---

(١) بقلة دعداع :ورقة كورقة الذاب تقوم وسطه براعم صغار من أولها إلى أخرها، الإشبيلي: عمدة الطبيب، ق١، ص٢٣٢ .

(٢) الإشبيلي :عمدة الطبيب، ق١، ص ٢٣٢.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٢٥ ؛ بوتشيش، البياض: ثقافة الطعام، ص٣٥ ؛ خليلي: الحرب وأزمة الغذاء، ص٢٤٨.

(٤) استب : له ورق يشبه ورق الزيتون وعليه دبقية وزهر يشبه الشقائق يخلفه حب مدور صلب مفرق في قدر الباقلي أصهب اللون إلى الخضرة، الإشبيلي :عمدة الطبيب، ق١، ص٧٢

(٥) الإشبيلي : عمدة الطبيب، ق١،ص٧٢-٧٣ ؛ بوتشيش، البياض: ثقافة الطعام، ص٣٥.

(٦) أجباح : مواضع النحل في الجبل وفيها تعسل، بوتشيش، ابن منظور: لسان العرب،ص٥٣٤.

(٧) ابن البيطار(ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) : الجامع لمفردات الأغذية والأدوية،، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م، ج٣، ص١٧٧، سيتم ذكر المصدر باسم ابن البيطار: الجامع لمفردات الأغذية ؛ بوتشيش،البياض : ثقافة الطعام، ص٣٧ .

كما قام أهالي المغرب والأندلس بسبب المجاعة باستباق الزمن الذي تنضج فيه الأطعمة عادة ، فبهذا السلوك كان الناس يواجهون القحط والجفاف، حيث يتم استهلاك الثمار قبل أوان نضجها ،وذلك تحسباً للجفاف المؤدي للمجاعات، وفي هذا الصدد ثمة إشارات مصدرية حول سكان مدينة سجلماسة الصحراوية التي كانت فترات القحط والجفاف تهددها باستمرار، وقد تجود الأمطار بغيثها في بعض الأيام ،متيحة الفرصة لنمو الزرع، ما يعطي الفرصة للأهالي الذين يسبقون خطر الجفاف، فيسارعون إلى جني زرعهم واستهلاكه قبل نضجه، وهذا مايفهم من بعض النصوص التي تفيد أنهم كانوا" **يأكلون الزرع إذا أخرج شطأه**" وذلك " **لغلبة الجفاف عندهم** "،[1] وتبدو العلاقة واضحة في هذا النص بين الإسراع في استهلاك الزرع بسبب الإكراهات التي يفرضها الجفاف، مما يؤكد أن الخطة الاستباقية التي نهجها سكان سجلماسة في أكل الزرع قبل النضج ،يعد سلوكاً ناتجاً عن التخوف من شبح المجاعات، حيث أجبر الناس على أكل القمح فريكاً في عام ٦٧٩هـ/١٢٨٠م .[2]

وتتواجد في كتب النوازل والفتاوى إشارات حول استهلاك الزرع قبل نضجه، بالرغم أنها لم تشر صراحةً إلى ارتباط الفعل بمسبباته المتمثلة في الظروف المناخية الصعبة، لكنها أشارت إليه بإيماءات ضمنية حيث وردت كلمة " الحاجة " للتعبير عن ضرورات غذائية مستجدة ، والسياق يدعم هذا التأويل، وفي هذا السياق سئل المفتين "**عمن وصلته الحاجة وله زرع أخضر فأكل منه شيئاً قبل يبسه**" ،[3] فالنص يؤكد بوضوح أن المحصول عند الحاجة (والإشارة هنا للمجاعة أو القحط) يستهلك في زمن متقدم عن المألوف، وثمة نازلة أخرى وردت حول أكل الفول قبل يبسه، وإعطائه على وجه السلف لسد رمق الجوع،[4] ممّا يؤكد ماتم التوصل إليه فالحاجة المتولدة عن أزمة الغذاء، كانت تختزل الزمن المألوف، وتستبق حدوث المجاعة، ولجأ الإنسان للغابات والبراري لالتقاط وجمع كل مامن شأنه أن يسد رمقه حيث تناولوا الجميز[5] وهو

---

(١) مؤلف مجهول : الاستبصار، ص٢٠١ ؛ الحميري :الروض المعطار، ص ٣٠٦؛ بوتشيش، البياض: ثقافة الطعام، ص٣٣ .

(٢) حسن : المدينة والبادية، ج٢، ص ٦٠٤ .

(٣) الونشريسي : المعيار المعرب، ج١، ص٣٩٠ .

(٤) الونشريسي : المعيار المعرب، ج٦، ص٤٤ ؛خليلي : الحرب وأزمة الغذاء، ص٢٤٧ .

(٥) الجميز : نبات من جنس الشجر ويشبه ورقه بورق التوت إلا أنه أصغر منه،وثمره يشبه التين بالخلقة إلا أنه أعظم منه،وقد يكون منه الصغير بحسب الموضع، الإشبيلي: عمدة الطبيب،ج١، ص١٣٧ .

نبات أسود الثمر يؤكل في سنوات المجاعة رغم مافيه من مخاطر حيث يؤدي تناوله لظهور البثور حول الفم،[1] مما سبق يلاحظ كيف أن الإنسان تكيف مع الظروف الطارئة وعاد لحياة الجمع والالتقاط للحصول على طعامه مماتجود به الطبيعة، وابتكر أصنافاً جديدة قد لاتكون مستساغة الطعم ولكن تسد الرمق وذلك المطلوب في تلك الفترة العصيبة والظروف غير الاعتيادية المتمثلة بالمجاعة حيث لم يقف الإنسان مكتوفاً ينتظر الموت جوعاً بل خرج للبحث عن طعام جديد بدافع غريزة البقاء .

([1]) الإشبيلي: عمدة الطبيب، ج١، ص١٣٧؛ بوتشيش، البياض : ثقافة الطعام، ص٣٦ .

ج – سلوكيات تغذوية شاذة في مواجهة المجاعات :

أُجبر أهالي المغرب والأندلس تحت وطأة المجاعات على تناول مواد غذائية ،تندرج في عداد الأغذية المنفرة والمقززة، حيث تذكر المصادر تناول الإنسان ما لا تطيب له النفس في الظروف العادية لكن المجاعة أجبرتهم على التغذي على مثل هذه الأشياء ، ولا تنعدم النصوص التي تؤكد اتباع سلوكيات تغذوية شاذة عندما تتحول الرغبة في الحصول على الطعام إلى طاقة عدوانية ، ففي سياق الحديث عن مجاعة عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م أقبل الناس على أكل الموتى "**وأمتكت العظام الرفات واستنقعت الجلود المستشنة(البالية)** ". [١]

وفي السياق ذاته يذكر أن سكان مكناسة قد اضطروا إبان حصار الموحدين لمدينتهم خلال العقدين الثالث والرابع من القرن٦هـ/١٢م، ونفاذ الأقوات وما نتج عنها من مجاعة إلى "**أكل خسيس الحيوان حتى عدم كل ذلك، وهلك الناس قتلاً وجوعاً**" ،[٢] كما يذكر أنه أثناء حصار الإسبان مدينة أفراغه حدثت مجاعة شديدة "**حتى أكل أهلها الجيف**".[٣]وقد يحمل التعبير الكثير من المبالغة إنما ذكر الحادث على هذا النحو الذي لا يتقبله العقل البشري للتعبير عن شدة المجاعة وقسوة الظروف التي عانى منها السكان .

ولاجدال في أن الجوع يغير سلوك الإنسان رأساً على عقب، ويتحول من القيم والمثل العليا للإنسان إلى مخالفة لطبيعته الإنسانية، وتتحطم شخصيته الإنسانية، فلا يتورع حينذاك عن القيام بأعمال شاذة، ولاشك أن أكثر أنواع الأطعمة خروجاً عن المألوف وانسلاخاً عن الطبيعة الفطرية للإنسان إبان المجاعات، تجلت في المشاهد الرهيبة التي يتحول فيها الإنسان إلى شخص يفتك بلحم أخيه الإنسان، وهو أمر سردته بعض أقلام المؤرخين، ففي المجاعة التي شهدتها سبتة سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م والتي دامت سنتين " **اشتد الغلاء والوباء فأكل الناس بعضهم بعضاً**"،[٤] هذا يعد سقف ماوصل إليه الإنسان في رد فعله تجاه المجاعات ، حيث برز لديه سلوك عدواني لم يكن

---

(١) ابن الخطيب : نفاضة الجراب، ج٢، ص٣٢٤ .

(٢) ابن غازي : الروض الهتون، ص٩ .

(٣) ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص٤٩ .

(٤) ابن أبي زرع :روض القرطاس، ص٣٦٢ ؛ مسعد: الحرب والطبيعة، ص٢٢ .

ليصل إليه إلا بعد انهيار توازنه النفسي واستحكام اليأس والتوتر في حواسه مما يولد تبلداً في الإحساس ويفعل الإنسان ماهو محرم أخلاقياً ودينياً. (١)

واضطر أهل إشبيلة لتناول الجلود نتيجة المجاعة والغلاء الحاصل سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م نتيجة لحصارها من قبل الإسبان. (٢)

وبحكم التردد الدوري للجفاف ومايعقبه من مجاعات ، فقد أصبح الجراد من بين الأطعمة الغريبة التي تناولها سكان المغرب والأندلس حيث كان المتضورون جوعاً يأكلون" **الجراد أكلاً كثيراً مقلواً ومملوحاً**"،(٣) وللتخفيف من قذارته ويبسه فضلوا طبخه مع الماء ومع ذلك " **يخرج منه في حال الطبخ ما يغير الماء**"،(٤) فبسبب المجاعة أقبل الناس على جمع الجراد وبيعه في السوق في ظل إقبال الجياع عليه، ما جعل الدولة تفرض على بائعيه رسوماً ضريبية، جراء مايدره عليهم من عائدات فكان أهل مراكش" **يأكلون الجراد ويباع منه بها كل يوم الثلاثون حملاً فما دونها وفوقها بقبالة عليه**".(٥)

يلاحظ هنا أن الإنسان إبان هجمات أسراب الجراد المتكررة التي ضربت بلاده وأتلفت محاصيله قام بجمع الجراد بغرض استهلاكه والاستفادة منه، ويلاحظ هنا أمر أخر هو رسوم الدولة على الجراد فمن المعلوم أن ثمن الضريبة يحتسب في ثمن السلعة أي عندما تبيع سلعة ما بدون ضريبة عليها ستكون أرخص ثمناً من تلك التي تفرض عليها ضريبة، وإبان المجاعات والإرهاق الذي عانى منه الإنسان الذي أدى به نهاية المطاف لتناول ماتعف عنه الأنفس ومالا تتقبله النفس البشرية كالجراد، تقابل السلطة في ذلك الوقت معاناته في أن تفرض ضريبة حتى على الجراد، يستدل من ذلك عدم مبالاة السلطة في كثير من أوقات الشدة بمعاناة الناس ومحاولتها استغلال أي شيء من شأنه أن يصب في مصلحة السلطان بغض النظر إذا ما كان

---

(١) بوتشيش، البياض : ثقافة الطعام، ص٣٧.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٨٠ .

(٣) الإدريسي : نزهة المشتاق، ج١، ص٢٢٨؛ أسكان : المجاعات والأوبئة، ص١٣٧؛ مكي : وثائق تاريخية،ص١٨٦،١٨٨ .

(٤) الوليدي(أبو الفضل راشد بن أبي راشد ت ٦٧٥هـ/١٢٧٦م) : الحلال والحرام، تح، عبد الرحمن العمراني الإدريسي، د.م، مكتبة محمد أبي سلمان العمراوي، ١٩٩٠م، ص١٨١، سيتم ذكر المصدر باسم الوليدي : الحلال والحرام .

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٢٣٥ .

هذا الأمر سيشكل ضغطاً إضافياً على الناس المنهكين عوضاً عن محاولة السلطة التخفيف عنهم بإزالة الضرائب تأتي وتفرض ضريبة جديدة، فكيف للإنسان الفقير إبان المجاعة أن يعيش؟

ورغم تأكيد الأطباء في تلك الفترة على أن تناول الجراد له أثار صحية سلبية " **يحرق الدم ويعقب آفات كثيرة** "[1] إلا أن الناس استمروا بتناوله فلا حل أخر أمامهم.

إذاً فرضت المجاعات سلوكيات تغذوية شاذة على الناس في المغرب والأندلس حيث تناولوا ما قد لايطرأ على بال الإنسان فقط في محاولة بائسة للبقاء على قيد الحياة ريثما تنفرج الأمور كان أول السلوكات التغذوية الشاذة الجراد لكن القائمة تطول فأهل بلنسية من الضعفاء في سنة المجاعة أكلوا جلود البهائم ولحومها التي تفاوتت أسعارها بحسب تفاوت أصنافها ،فبيع " **رطل اللحم البغلي بستة دنانير، ورطل الجلد البقري بخمسة دراهم ...وترمق سائر الناس بالجلود والأصماغ وعروق السوس ...وتوالى اليبس واستحكم الوباء، وبينما الرجل يمشي سقط ميتاً ،ولم يبق ما دب على أربعة** "[2] أي أن الناس تناولوا لحوم الحيوانات التي لاتستهلك في الحالة العادية ومثيرة للاشمئزاز إنما اضطرتهم الحاجة لذلك وحتى لحوم تلك الحيوانات أصبحت مرتفعة الثمن نظراً لندرتها ولزيادة الطلب عليها.

و كنتيجة حصار يوسف بن يعقوب لتلمسان عام ٦٩٨- ٧٠٧هـ /١٢٩٨- ١٣٠٧م حدثت مجاعة عظيمة حيث نفذت الأقوات من مخازن الطعام واستهلك الناس أموالهم وداقت أحوالهم،"**حتى أكلوا الجيف والحشرات والفئران والعقارب والحيات والضفادع وغير ذلك حتى أكل بعضهم بعضاً ، وكانوا يغوطون ويجعلون غائطهم في الشمس حتى يعود يابساً فيطبخونه ويأكلونه** "،[3] وغالباً ماتذكر المصادر الأحداث على هذا النحو المبالغ فيه والذي لايتقبله العقل البشري للتعبير عن قسوة الظروف التي عانى منها السكان ومدى مأساوية أوضاعهم، ومهما يكن فقد كانت المجاعة قاسية نظراً لطول الحصار فقد دام الحصار حوالي ثمان سنوات وثلاثة أشهر.

---

(1) ابن زهر: الأغذية، ص٣٠؛ بوتشيش، البياض : ثقافة الطعام، ص٤١ .

(2) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٤،ص٣٨،٣٩؛ خليلي : الحرب وأزمة الغذاء، ص٢٤٨ .

(3) ابن الأحمر: روضة النسرين، ص٥٠؛ بالعربي: المجاعات والأوبئة، ص٢٢؛ خليلي : الحرب وأزمة الغذاء ،ص٢٤٨؛ فقادي : من مظاهر التغذية، ص٤٩.

حقاً من المؤسف ماحل بإنسان المغرب والأندلس إبان تلك الفترات العصيبة من التاريخ فليس هناك كارثة تحطم شخصية الإنسان وتدمر كرامته كما يفعل الجوع ،يلاحظ من خلال المصادر أن حتى تلك المواد المنفرة التي اضطر الإنسان إبان المجاعات لاستهلاكها لم تسلم من الغلاء وتجار الأزمات حيث سجلت المصادر أسعار بعض تلك المواد "**سعر اللحم من الجيف فرطل من لحم البغال والحمير بمثقال، والقط والكلب بمثقال ونصف، أما الحية والفأر فبعشرة دراهم** ".[1] وبسبب القحط الذي ضرب برقة عام ٧٠٦هـ/١٣٠٦م " **لم يجد أهلها مايقاتون به حاشا لحوم الحيات فعاد عليهم سمها فأهلكهم** ".[2]

شهد ابن زهر على سلوكيات تغذوية شاذة عندما كان أسيراً في مراكش على زمن الأمير المرابطي علي بن يوسف وكان ذلك في سنة مجاعة فوصف ابن زهر ما شاهده بالقول:" **شاهدت بمراكش قوماً قد بلغ جهد الجوع بهم، فكانوا يكسرون عظام الجيف البالية من حفير مراكش ويطلبون مخاخها وكان قد ظهر فيهم الموت الذريع**"،[3] لا يعرف بالضبط مدى صحة ما نقله المصدر لكن يرجح أنه يحمل المبالغة فبالتأكيد المجاعات تحمل سلوكيات تغذوية شاذة، ولذلك غالباً ماتعقبها الأوبئة، لكن هل حقاً بلغ الحد بالإنسان التوجه للمقابر والاقتيات على الجيف، ربما يكون المصدر ذكر الأمر على هذا النحو للتعبير عن مدى معاناة الناس و حالة الشدة والضيق التي بلغت بهم الحد الذي لايحتمل .

---

(١) ابن خلدون :العبر، ج٧، ص١٢٨؛ فقادي : من مظاهر التغذية، ص٤٩.

(٢) التجاني : رحلة التجاني، ص١٩١ .

(٣) ابن زهر : التيسير،ص٤٦٠، الفشتالي(أحمد بن إبراهيم بن يحيى ت القرن ٦هـ/١٢م) : تحفة المغترب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان في كرامات الشيخ أبي مروان،تح، فرناند ودي لاجرانجا، مدريد، منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ١٩٧٤م، ص ٨٥، سيتم ذكر المصدر باسم الفشتالي : تحفة المغترب؛ البياض : الكوارث الطبيعية،ص١٩٣ .

ثانياً – الجهود المبذولة في مواجهة الأوبئة :

تنوعت أساليب مواجهة الأوبئة مابين الأسلوب الطبي العلمي المعتمد على الأدوية والعقاقير الطبية الممارس من قبل الأطباء والصيادلة، وبين الأسلوب الشعبي الذي يعتمد على العطارين والعلاجات المستمدة من الأعشاب والتجارب الشخصية .

كما شهدت الفترة المدروسة تنامياً في الحركة العلمية الطبية، والدليل على ذلك كثرة المؤلفات الطبية والمؤلفات التي تدرس النباتات وخصائصها،[1] ربما كان أحد أسبابها هذا الإقبال على البحث الطبي و وجود الدافع لدى الأطباء لإيجاد علاج لتلك الأوبئة التي أزهقت الكثير من الأرواح .

وقد نال العلاج بالمياه المعدنية والحامات الاستشفائية صدى كبير لدى أهالي المغرب والأندلس، كما عُرف أسلوب الحجر الصحي في محاولة لدرء تفشي الأوبئة وحظر نطاق انتشارها قدر الإمكان، إلى جانب عناية السلطة بالبيمارستانات وإجراء الأوقاف عليها .

وبما أن الإنسان كان مؤمناً بأن الوباء هو ابتلاء من الله تعالى على المعاصي فقد عمد للعلاج بكرامات الأولياء وهو الأمر الذي كان منتشراً في الفترة المدروسة .

وسيتم فيما يلي البحث بشكل أكثر تفصيلاً في ثنايا كل من تلك الجهود والإجراءات المتخذة في سبيل مواجهة الوباء ومعالجته.

([1]) سيتم التطرق لتلك المؤلفات في الفصل الرابع ضمن النتائج العلمية للوباء.

١- الواقع الطبي في المغرب والأندلس مابين القرنين (٦-٨هـ/١٢-١٤م):

يعرف الطب بأنه " **يبحث في بدن الإنسان من جهة مايصح ويمرض والتماس حفظ الصحة وإزالة المرض** "،[١] وقيل في الطب إنه " **صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبهما حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص عضواً من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الأدوية** ".[٢]

وعلى الرغم من قلة عدد الأطباء بالمقارنة مع الأعداد الهائلة من الفقهاء والمحدثين إلا أنه يمكن القول إن علم الطب قد لاقى اهتماماً من قبل المغاربة والأندلسيين على حد سواء، وربما شكلت الأوبئة والأمراض حافزاً في دفع الحركة الطبية للأمام في سبيل إيجاد العلاج الشافي من الأمراض التي هددت حياة الإنسان في الفترة المدروسة، وبما أن المنفعة الناتجة عن الإنجازات الطبية لا تقف على العصر الذي أنجزت فيه بل تتصف بالاستمرارية حتى العصور اللاحقة حيث تكون نواةً لاكتشافاتٍ أكثر فائدة و تبنى عليها نظريات أكثر تطوراً، يمكن القول أن حركة الترجمة للمؤلفات الطبية قد أسهمت في تقدم علم الطب والصيدلة في المغرب والأندلس نظرياً وعملياً من خلال تعريبهم للكثير من المصنفات ذات الأهمية الكبيرة لدراسة علم الأعشاب،[٣] فحركة الترجمة، ساعدت على اتساع آفاق الأطباء وتطوير نظرياتهم الطبية والإتيان بالجديد في علم الطب، حيث كان لترجمة كتاب الحشائش لديسقوريدس،[٤] دور كبير وفعال في إظهار موجة

---

(١) ابن الأكفاني(محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م): إرشاد القاصد غالى أسنى المقاصد في العلوم، تح، عبد المنعم محمد عمر، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت، ص١٧١، ابن الأكفاني : إرشاد القاصد.

(٢) ابن خلدون : المقدمة، ص ٤٩٠ .

(٣) الجوراني (آمنة حميد حمزة) : الصيادلة والعشابون في الأندلس، رسالة ماجستير، بغداد، جامعة بغداد، ٢٠٠٧م ، ص٤٧؛ زينل (نهاد عباس): الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أوروبا القرون الوسطى ٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت ، ص١٩٩ .

(٤) ديسقوريدس : وهو من عين زربة،شامي يوناني حشائشي، معنى اسمه ديشاقور :شجار وديوس :الله، أي ملهم الله على القول بالأشجار والحشائش، كان بعد بقراط وترجم لبقراط كتب كثيرة وهو أعلم من تكلم في أصل علاج الطب له كتاب الحشائش والنباتات أو هيولى علاج الطب أو الأدوية المفردة، يرجع الفضل الى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر في تكوين هيئة علمية من الأطباء الصيادلة واللغويين العارفين بأشخاص الأعشاب، عملت على ترجمة كتاب " الحشائش" لـ"ديسقوريدس"، وكانت الهيئة تتألف من الراهب نيقولا

من الحماس والتنافس بين أطباء المغرب والأندلس فاتجهوا إلى دراسة الطب والنباتات الطبية فاستلزم ذلك معرفة النباتات وجزيئاتها وخاصيتها، فقد كتب ابن جلجل(ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) كتاب "**تفسير أسماء الأدوية المفردة**" من كتاب ديسقوريدس، ألفه سنة ٣٧٢هـ / ٩٨٢م بمدينة قرطبة، وله مقالة في ذكر الأدوية التي لم يذكرها ديسقوريدس، وعلق ابن جلجل على عمله بقوله : "**إن ديسقوريدس أغفل ذلك ولم يذكره ،إما لأنه لم يره ولم يشاهده عياناً ،وإما لأن ذلك كان غير مستعمل في دهره وعند أبناء جنسه** "،[١] إذاً فقد قام المنهج الطبي على الملاحظة والتجريب وبالتالي عمل الأطباء والعلماء على التجول في السهول والجبال لمعاينة أنواع النباتات، فقد برع النباتي الجغرافي محمد بن محمد بن الشريف الإدريسي (ت٥٦٠هـ /١١٦٤م) بتأليفه كتاب في علم الأعشاب سماه "**الجامع لصفات أشتات النباتات** " أو كتاب" **الأدوية المفردة** "، اعتمده ابن البيطار عالم النبات،[٢] ومن الأطباء يونس بن إسحاق بن بكلارش توفي أواخر القرن ٥هـ/٦م، وهو طبيب وصيدلي من الأندلس يهودي مؤلف كتاب " **المستعيني في الأدوية المفردة** "وكانت له خبرة كبيرة في الأدوية المفردة، ويعد من أفضل صيادلة اليهود في الأندلس، وقام

العارف باللغة الإغريقية واللاتينية، والطبيب حسداي بن إسحاق بن شبروط، ومحمد الشجار، وأبو عثمان الجزار، ومحمد سعيد الطبيب، وعبد الرحمن بن إسحاق الهيثم، وأبو عبد الله الصقلي عملت هذه المجموعة من الأطباء على ترجمة الكتاب إلى اللغة العربية معتمدة الطريقة العلمية الميدانية، وذلك بالوقوف على أنواع النباتات ومعانيها والتأكد في النهاية من صحة النقل من اليونانية الى العربية، لكنه ترجم أولاً في بغداد بعناية اصطفن بن باسل وترجمه حنين بن إسحاق وكان رائجاً في الأندلس إلى أيام الناصر، ابن جلجل (أبو داوود سليمان بن حسان الأندلسي ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م) : طبقات الأطباء و الحكماء، تح، فؤاد السيد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٥م، ص٢١، ٢٢؛ سرّو(محمد): النظر والتجريب في الطب الأندلسي بين ابن رشد وابن زهر دراسة إبستيمولوجية تحليلية ،الرباط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والفنون إيسيسكو، ٢٠١٥م، ص٧٣؛ الجوراني : الصيادلة والعشابون، ص٤٧ .

(١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج٢، ص٤٦؛ أبو (عبد الغني): أنواع الصيدلة في ألوان الأطعمة، مجلة أمل، ع١٦، الدار البيضاء، ١٩٩٩م، ص١١.

(٢) المقري : نفح الطيب ج٢، ص٦٩١،٦٩٢؛ الجوراني : الصيادلة والعشابون ،ص٢٣٦؛ المنوني(محمد): حضارة الموحدين، الدار البيضاء، دار توبقال، ١٩٨٩م، ص٨٩ ؛ أبو العزم: أنواع الصيدلة، ص١٢ ؛ زينل : الإنجازات العلمية ، ص٢٦٠ .

بإنجاز معجم بأسماء الأدوية المشهورة "**وذكر مايقابلها باليونانية وعجمية الأندلس وأحياناً باللغة الأمازيغية** "[١] .

و أبو الصلت أمية بن عبد العزيز (ت٥٢٩هـ/١١٣٤م)، برع في العديد من العلوم كالرياضيات والفلك والموسيقا كما برع في له كتاب مرجعي " **الأدوية المفردة** "، وأوضح فيه منافعها، وشرح فيه طبائعها وأصنافها "**على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء والآلية، وهو مختصر قد رتبه أحسن ترتيب** " .[٢]

وقد ألف أبو مروان عبد الملك بن زهر الأيادي (ت٥٥٧هـ/١١٦١م) كتاب في الأغذية لمحمد بن عبد المؤمن بن علي، ويجدر التنويه إلى أن هذا الكتاب مضمونه أوسع من عنوانه فهو يجمع الأصناف الغذائية النباتية والحيوانية ومنافعها ومضارها ويتكلم عن خواصها وعن أصناف العطور والطيوب والرياضة والاستحمام وأغرب أبوابه هو الباب الذي أفرده المؤلف للحديث عن الخواص التي تكمن في الحيوان وبعض النباتات والأحجار، وهو كلامٌ بعيدٌ عن العلم التجريبي بمفهوم اليوم، كما له كتاب التيسير في المداواة والتدبير، والاقتصاد في إصلاح الأنفس والاجتهاد، [٣] وعُرف أيضاً أبو الحجاج يوسف بن فتوح القرشي (ت٥٦١هـ/١١٦٥م) الذي كانت له معرفة بالنبات، فقد كان يجلبه ويتجر فيه ، وقد كان طبيباً من أصحاب الدراية الكبرى بخصائص النبات والعشب، ولهذا كان يعرف بالعالم العشاب، لأنه كان يجمع بين العلم بالتفسير وأصول الفقه وتدريسهما للطلبة، وبين الصيدلة وتصنيع الدواء وتقطيره من الأعشاب المختلفة.[٤] وبرز أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الحفيد (ت ٥٩٥هـ/١١٩٨م) ، والذي تميزت طريقته الطبية بالدراسة وتحري الحقائق ثم يعقب ذلك تسجيل ملاحظاته ومقارنتها مع غيرها بشيء من النقد

---

(١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج٢، ص٥٣، الخطابي (محمد العربي) : الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م، ص٢٢؛ زينل: الإنجازات العلمية، ص٢٧٢.

(٢) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج٢، ص٥٣؛ الخطابي: الأغذية والأدوية، ص٢٣،٣٣٧ .

(٣) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج٢، ص٦٦،٦٧ ؛ المنوني : العلوم والآداب،ص١٢٦؛ زينل: الإنجازات العلمية، ص١٥٨.

(٤) المنوني : حضارة الموحدين، ص٨٩ ؛أبو العزم : أنواع الصيدلة . ص٢٢ ؛ دندش : الأندلس ، ص٤١٧.

والتمحيص، لـه كتـاب الكليـات فـي الطـب ويحـوي علـى فصـول : تشـريح الأعضـاء، الصـحة، المرض، العلامات، الأدوية والأغذية، حفظ الصحة، شفاء الأمراض. [1]

وكان أبو الحجاج يوسف بن يحيى بن إسحاق الإسرائيلي الفاسي (ت ٦٢٣هـ/١٢٢٦م) من المهتمين بالطب وله كتاب في ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها،[2] وكان للطبيب ابن البيطار أبو محمد ضياء الدين بن عبد الله المالقي النباتي(ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) كتاب" **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**" ويعد من أشهر الكتب في هذا الباب ، رتبه على حروف المعجم بحسب الأدوية والأغذية، حيث قيل فيه " **أوحد زمانه وعلامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختياره، وموضع نباته ونعت اسمائه على اختلافها وتنوعها** "[3] وتعود أهمية كتابه لرجوعه للعديد من المصادر مع ذكره لمؤلفيها .

ومن أطباء القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي أبو العباس أحمد بن محمد بن شعيب الجزنائي نسبة إلى قبيلة أجزناية من إقليم الريف، بلده تازة واستقراره كان بمدينة فاس، لا يُعرف تاريخ ميلاده، ولكن وفاته كانت بتونس عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م، إذ كان هناك صحبة السلطان أبي الحسن المريني، قال عنه ابن الأحمر في كتابه "**نثير فرائد الجمان**" ما مفاده أن قدمه كانت راسخة في الطب، وله براعة في علم التنجيم والحساب بالإضافة إلى الفقه والأدب. ويتعجب ابن الأحمر من نبوغ الجزنائي في اللغة العربية والأدب مع أنه أمازيغي الأصل، وهذا تعجب في غير محله، لأن كثيراً من نوابغ الفكر الإسلامي والأدبي كانوا من غير العرب[4].

تلك كانت مجرد وقفة بسيطة عند أشهر أعلام الطب في المغرب والأندس، تنوعت اختصاصات هؤلاء الإطباء فمنهم عالمون في الطب مدرسون له ومعالجون مثل أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأوسي الأندلسي المعروف بابن الرقام (ت ٧١٥هـ/١٣١٥م)، الذي ألف كتاب

---

(1) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج٢ ،ص٧٥،٧٦؛ الخطابي : الأغذية والأدوية، ص١٦٩؛ العامري (محمد بشير حسن) : مظاهر الإبداع الحضاري في التاريخ الأندلسي،بغداد، دار غيداء، ٢٠١٢م، ص٤٠ ؛ عفيفى(محمد الصادق): تطور الفكر العلمي عند المسلمين، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٧م، ص٢٠ .

(2) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج٢، ص٢١٣ ؛ المنوني: حضارة الموحدين، ص٨٩ .

(3) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج٢، ص٢٢٠ ؛ الخطابي : الأغذية والأدوية، ص٢٨،٢٩؛ محمد(عاطف): مؤسس علم الصيدلة ابن البيطار، القاهرة، دار اللطائف، ٢٠٠٣م، ص٥؛ بو عامر : الهجرة الأندلسية، ص٩٥.

(4) ابن الأحمر : نثير الجمان،ص٢٥٤ ؛ ابن القاضي :درة الحجال، ج١، ص٤٥.

الشفا وكتاب الزيج القويم،[1]ومنهم من اختص في ميدان الجراحة والتشريح مثل محمد بن فرج القربلياني الملقب بالشفرة (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م) والذي تخصص بدراسة الجراحة وله كتاب " **الاستصقاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام** " والكتاب ثلاث مقالات في الجراحات والأورام والأدوية المفردة والمركبات المستعملة في علاج الأورام والجراحات [2] وأبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني المعروف بالعلوي (ت٧١٠هـ/١٣١٠م)،[3]ويذكر ممن ذاع صيتهم الطبيب والصيدلي أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الثغري التلمساني صاحب مخطوط " **قائمة مصطلحات صيدلية مرتبة على حروف المعجم** " والذي يتحدث فيه عن أدوية مرتبة على حروف المعجم ويشير إلى معلومات مهمة في مجال الصناعة الصيدلية في تلمسان،[4]وبرز في مجال العقاقير الطبية والأدوية والأعشاب أبو جعفر أحمد بن محمد بن السيد الغافقي (ت ٥٥٩هـ/١١٦٣م) الذي ألف كتاباً في الأدوية المفردة وكان مورداً لابن البيطار حيث نقل عنه القرن ٧هـ/١٣م ، وقد ضاع أصل كتاب الأدوية المفردة ولم يبق سوى مختصر له،[5] ومن الأطباء من كان طبيب بلاط يختص بمعالجة السلاطين والأمراء من دون غيرهم فاتخاذ السلطان طبيب لنفسه كان يعد أحد أولوياته، حيث أوصى أبو حمو ابنه بذلك قائلاً :" **يابني واختر لنفسك طبيباً ماهراً عاقلاً فاضلاً ثقة محباً ناصحاً**"[6] فقد كان الحفيد أبو بكرمحمد بن أبي مروان بن أبي العلاء بن زهر طبيباً للناصر [7] .

---

(1) ابن الخطيب : الإحاطة، ج٣، ص٦٢٣،٦٢٤ ؛ زينل : الإنجازات الطبية، ص٢٤٩ .

(2) زينل : الإنجازات العلمية، ص٢٥٠ ؛ سيدي محمد : هجرة الأندلسيين، ص ٩٥ .

(3) ابن مريم : البستان، ص١٧٣،١٦٤.

(4) شخوم(سعدي): الصناعات الصيدلية في الدولة الزيانية من خلال مؤلفات إبراهيم بن أحمد الثغري التلمساني القرن الثامن هجري /القرن الرابع عشر الميلادي، مجلة الناصرية، ع ٤، الجزائر، ٢٠١٣م، ص٥٢٠ .

(5) دندش : الأندلس، ص٤١٥؛ بالنثيا (أنخيل غونثاليث):، تاريخ الفكر الأندلسي، تر، حسين مؤنس، القاهرة، مطبعة النهضة المصرية، د.ت، ص ٤٧٢ .

(6) أبو حمو : واسطة السلوك، ص٢٠ .

(7) ابن أبي أصيبعة :طبقات الأطباء، ج٢،ص ٦٦؛ زينل : الإنجازات العلمية، ص٢٥٦ .

٢- البيمارستانات[١] والخدمات الصحية في المغرب والأندلس :

عنيت السلطة في المغرب والأندلس بالشؤون الصحية لرعاياها وخاصةً في وقت الوباء، وقد وجد في عصر الموحدين مايسمى بيت الأشربة والمعاجين الطبية وكان خاصاً بخلفاء الموحدين وقد تولاه أيام يوسف أبو يحيى قاسم الإشبيلي والذي "**كان خبيراً بقوى الأدوية المفردة والمركبة**"[٢] وتولاه أيام يعقوب أبو يحيى بن قاسم وبقي بوظيفته حتى توفي أيام المستنصر (٦١٠هـ -٦٢٠هـ/ ١٢١٣م-١٢٢٣م) فخلفه ابنه،[٣] قد يستنتج من وجود مصنع دوائي في القصر الخلافي وجود مصانع خارج هذا القصر، وإلا كيف يعالج الأطباء المرضى خارج القصر، ولذا يفترض أن العديد من الأطباء والصيادلة والعشابين كانوا يمتلكون مصانع صغيرة أو كبيرة لصناعة الأدوية والعقاقير، ولكن مع الأسف لم يرد ذكرها في المصادر التي تم الرجوع إليها، كما كانت الصيدليات أحد أهم أقسام البيمارستان كونها متعلقة بتخصيص العلاج وصرف الدواء للمرضى،[٤] وبالإضافة لدور البيمارستان العلاجي كان له دور علمي، إذ كان يتم فيه تدريس الطب وتعليمه للطلاب حتى يكتسبوا الخبرة قبل ممارسته كمهنة،[٥] وكدليل على رقي الطب في البيمارستانات وجمعها بين الخدمة الطبية والإنسانية يذكر أن المريض كان يحصل على خمس قطع نقدية ذهبية بالإضافة إلى الكساء كي لايضطر للعمل في فترة النقاهة. [٦]

في سياق الجهود في تجاوز أزمة الوباء ابتنى يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤- ١١٩٨م) بيمارستانات عديدة في شالة والقصر تخصصت بالمرضى

---

(١) البيمارستان : كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض أو عليل و(ستان) بمعنى أو دار فهي إذا دار للمرضى ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان، عيسى (أحمد): تاريخ البيمارستانات في الإسلام،بيروت، د.د، ١٩٨١م، ص٤؛ أحمد (أحمد عبد الرازق): الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى العلوم العقلية ، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩١م، ص١٦٩ .

(٢) ابن ابي أصيبعة، عيون الأنباء، ج٢، ص٧٩؛ الجوراني : الصيادلة والعشابون، ص٥٠.

(٣) المنوني : العلوم والآداب والفنون ، ص١٢٨ ؛ الجوراني :الصيادلة والعشابون، ص٥٠ .

(٤) زينل : الإنجازات العلمية، ص٣٤٥ ؛ حسين (محمد كامل) : الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.ت، ص٢٣٣.

(٥) زينل : الإنجازات العلمية، ص٣٢٩ ؛ حسين : الموجز، ص٢٣٠.

(٦) زينل : الإنجازات العلمية، ص٣٣٢ ؛ عفيفي : تطور الفكر، ص١٨٧.

والمجانين وأنفق عليها،[1] أما أهم البيمارستانات التي أنشأها فهو البيمارستان المقام شرقي الجامع المكرم في مراكش وقيل" **بنى يعقوب المنصور بمدينة مراكش بيمارستان ما أظن في الدنيا مثله حيث أنه فسيح بأعدل موضع في البلد وأحسن البنائين بنائه وزخرفته ،وغرس فيه الأشجار وأجرى فيه المياه وفرشه بأفضل الفرش وأجرى له ثلاثين ديناراً في كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة ،خارجاً عما جلب من الأدوية وأقام فيه من الصيادلة لعمل الأشربة والأدهان والأكحال وأعد للمرضى ثياب نهار وليل ونوم وإذا برأ المريض وكان فقيراً أمر له عند الخروج بمال يعيش به ريثما يستقل وفي حال كان غنياً دفع المال وكان في كل جمعة بعد الصلاة يزور المستشفى ويسأل عن أحواله**"،[2] يلاحظ هنا تطور العناية الطبية والخدمة العلاجية في البيمارستانات ووجود الجانب الإنساني في معاملة المريض، فالفقير لايتلقى العلاج المجاني فحسب بل يصرف له المال عند خروجه أيضاً كي لايضطر للعمل في فترة نقاهته، كما إن بعض السلاطين كانوا يقومون بزيارة البيمارستانات لتفقد سير العمل في بادرة إيجابية تطورية تعكس حس المسؤولية لدى الحكام وحرصهم على مصلحة الناس .

ومن ابتكارات الموحدين وتنظيماتهم الطبية أنه في زمن الطاعون الشديد والذي ذكر في الفصل السابق، إن الرجل لايخرج من بيته إلا وكتب برأة فيها اسمه ونسبه وموضعه ويضعها في جيبه فإن مات حمل لموضعه وأهله وهذا الابتكار لم يسبق أحد الموحدين في إيجاده،[3] يذكر أن الأدوية على عهد الدولة الموحدية لم تكن تسلم للمرضى إلا بعد أن تجرب فعاليتها على الحيوان، ولعل هذا يدل أن الدولة كانت تعتبر رعاياها رأس مالها الذي لاتفرط به و إن للإنسان قيمة وكرامة في ذلك العصر،[4] وأقيم بالقرب من سوق العطارين وسوق الحناء بفاس، مكان لإقامة ذوي الأمراض العقلية ويسمى ذلك المكان سيدي فرج ،على أنه لم يدفن فيه أحد بهذا الاسم وليس به قبر وإنما بني كملجأ لمرضى المسلمين الذين لا مأوى لهم، وسمي باب الفرج لأن

---

(1) المنوني : العلوم والآداب، ص ١٢٩ ؛ حسين : الموجز،ص٧٩ ؛ أحمد : الحضارة الإسلامية، ص١٧٥،١٧٦ .

(2)المراكشي: المعجب، ص ٢٣٧،٢٣٨؛ المنوني : العلوم والآداب، ص١٣٠ ؛ عفيفي :تطور الفكر، ص١٨٣؛ عيسى : تاريخ البيمارستانات، ص٦٨٥ .

(3) المنوني : العلوم والآداب، ص١٣٣؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس،ص١٤٥؛ حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص٤١٠ .

(4) بولقطيب، جوائح وأوبئة، ص ١٢٦ .

المرضى كانوا يجدون فيه ما يفرج كربهم، وقد حبست له الحبوس التي كانت تصرف غلتها عليه، يعود بناء هذا البيمارستان للسلطان المريني أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق وأدخل عليه السلطان أبو عنان تعديلات عظيمة .[1]

يلاحظ مماسبق عناية السلاطين المرينيين بالشؤون الصحية لرعاياهم، فحتى ذوي الأمراض العقلية قد لاقوا عناية من السلطة كما إن زيارة السلطان للبيمارستان تؤكد على مدى اهتمام السلطان بتفقد سير الأمور عن كثب وعدم الاكتفاء بالتقارير التي تصل إليه من المشرفين على البيمارستان. وفي إطار تكافل السلطة المرينية مع الرعية في مواجهة الوباء يسجل للسلطان يعقوب بن عبد الحق المريني اعتناؤه بالمجذومين حيث " **رتب لهم الأطباء لتفقد أحوالهم**" [2] كما " **أجرى على الجذامى والعميان والفقراء مالاً معلوماً يأخذونه في كل شهر من جزية اليهود**"،[3] ويوجد بيمارستان في تونس يرجع تاريخه للقرن ٧هـ/١٣م يذكر أن السلطان أبو فارس عبد العزيز الحفصي قد أحدثه للضعفاء والغرباء وذوي العاهات من المسلمين وأوقف له العديد من الأوقاف،[4] وعندما قدم أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن عاشر الأنصاري الأندلسي من الأندلس أقام في سلا وذلك في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، وأخذ يعالج المرضى واشتهر بسيدي بن عاشر و أنشأ بالقرب من قبره بيمارستان ابن عاشر وذلك في عام ٧٦٤هـ -٧٦٥هـ / ١٣٦٢-١٣٦٣م .[5]

كانت الأوبئة التي حدثت في الأندلس منتصف القرن٨هـ/١٢م دافعاً لسلطان غرناطة محمد ابن يوسف بن إسماعيل بن فرج بعد وفاة أبيه عام٧٥٥هـ/١٣٥٤م لاستحداث بيمارستان في غرناطة سنة ٧٦٧هـ-٧٦٨هـ/١٣٦٦-١٣٦٥م للرفع من حجم الخدمات الصحية، وتدبير مضاعفات الطاعون القاتل، لاسيما أن معظم المصابين قد قتلوا بسبب العدوى، ومما يبرز القيمة التضامنية والتكافلية لهذا البيمارستان ما ذكرته المصادر " **ومن مواقف الصدقة والإحسان من خرق جهاد النفس بناء البيمارستان الأعظم حسنة هذه التخوم القصوى ومزية المدينة**

---

(1) **عيسى : تاريخ البيمارستانات، ص ٢٨٦،٢٨٤ .**

(2) **ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص ٩١ ؛ السلاوي :الاستقصا، ج٣، ص ٦٥.**

(3) **ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٣٨٩ ؛ عفيفي : تطور الفكر، ص١٨٦.**

(4) **الزركشي : تاريخ الدولتين،ص١٠٢،٩٩؛ عيسى البيمارستانات، ص ٢٧٩.**

(5) **عيسى : تاريخ البيمارستانات، ص ٢٨٤،٢٨٢.**

الفضلى"، يذكر أن هذا البيمارستان قد تحول بعد استرداد غرناطة من قبل الإسبان لدار لضرب السكة وأدخلت عليه تعديلات بدلت معالمه.[١]

---

(١) عيسى : تاريخ البيمارستانات، ص٢٨٩ ؛ عفيفي : تطور الفكر، ص١٨٨؛ الطوخي : مظاهر الحضارة، ص٣٧٩.

٣- **العيون المعدنية وحارات الجذامى :**

عرف المغرب و الأندلس عيون معدنية بعضها بارد وبعضها حار يستشفى بمياهها ويطلق عليها (الحمة)،[١] إذ تذكر المصادر أنه على بعد ثلاثة أميال من بجانة[٢] يوجد جبل فيه معادن وفيه الحمة التي تقاطر عليها المرضى[٣] لأن " **أكثر من يواظب عليها يشفى من مرضه**"[٤] حيث لم يكن هناك نظير لنقاء مائها وصفائه وبركته وكما ذكرت المصادر وجود حمة أخرى في بجانة أغزر من الأولى وأنجع في الأسقام وأصلح للأبدان وأهالي المنطقة يزعمون أن الحمة الأولى تحتوي على الكبريت أما الثانية فتحتوي على النحاس،[٥] ووجدت عين في تدمير[٦] يطلق عليها الناس" **العين المباركة فيها ماء يزعمون إن من قصدهُ وفيه ريح أو وجع واغتسل به شفي وهو ماء بارد**".[٧]

---

[١] الحمة: عين حارة يستشفى بالغسل منها،ابن سيده(أبو الحسن علي بن إسماعيل ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م):المخصص، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ج١٠، ص٣٣، سيتم ذكر المصدر باسم ابن سيده : المخصص.

[٢] بجانة : مدينة في الأندلس،بينها وبين المرية خمسة أميال كانت قديماً أشرف قرى أرش اليمن،وسميت كذلك؛ لأن بني أمية لما دخلو الأندلس أنزلوا بني سراج القضاعيين في هذا الإقليم وجعلوا إليهم حراسة ما يليهم من البحر وحفظ الساحل، فكان ماضمنوا منه من مرسى كذا إلى مرسى كذا يسمى أرش اليمن أي عطيتهم ونحلتهم،وبقرب بجانة كان جامع الإقليم الأعظم إلا أنها كانت حارات متفرقة حتى نزلها البحريون وتغلبوا على من كان فيها من العرب فصار الأمر لهم فجمعوها وبنو لها سوراً وامتثلوا في ذلك بنية قرطبة وترتيبها، الحميري: الروض المعطار، ص٧٩،٨٠.

[٣] ابن الابار : المعجم، ص٣٠٣. ؛ زينل : الإنجازات العلمية،ص٣٢٦ .

[٤] القزويني: آثار البلاد، ص ٥٠٩ ؛ بروفنسال : صفة جزيرة الأندلس، ص٣٩،٣٨ .

[٥] بروفنسال :صفة جزيرة الأندلس، ص٣٩ .

[٦] تدمير : بالضم والسكون ثم كسر الميم وياء ساكنة، من كور الأندلس تتصل بأحواز كورة جيان، وهي شرقي قرطبة بينها وبين قرطبة سبعة أيام للراكب القاصد وتسير العساكر أربعة عشر يوماً سميت باسم ملكها تدمير بن غندرش، فيها المعادن والمعاقل والمدن، الحموي : معجم البلدان،ج٢،ص١٩ ؛ الحميري : الروض المعطار،ص١٣١-١٣٢.

[٧] العذري (أحمد بن عمر بن أنس ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م) : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تح، عبد العزيز الأهواني، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، د.ت، ص٩، سيتم ذكر المصدر باسم العذري : نصوص عن الأندلس .

و للعيون المعدنية فوائد طبية و اقتصادية بآن واحد فعلى الرغم من اشتهار حمة المرية بأنها " **بديعة الوصف، مقصودة للعلاج والقصف** "[1] إلا أن أهل المرية كانوا يقصدون الحمة "**الموجودة بشرق بجانة في فصل الربيع بنسائهم وأولادهم باحتفال في المطاعم والمشارب والتوسع في الإنفاق فربما بلغ المسكن في الشهر بها ثلاثة دنانير مرابطية وأقل او أكثر**".[2]

ومن الأمكنة التي اشتهرت بكثرة العيون المعدنية لبله فيها " **ثلاثة عيون إحداها عين لهشر أغزرها ماء وأعذبها والثانية عين الشب منها ينبعث الشب،**[3] **والثالثة عين الزاج** [4] **منها ينبعث الزاج**" [5] بما أن لهاتين المادتين فوائد طبية لذا قام الأطباء والصيادلة باستغلالها في أغراض علاجية، فالشب أصناف عديدة إلا أن المستعمل من قبل الأطباء ثلاثة أصناف المستدير والمشقق والرطب أجوده المشقق الشديد البياض، يستخدم في علاج غشاوة البصر بإذابة اللحم الزائد في الأجفان، ويمنع قروح الخبيثة من الانتشار إذا ماطبخ بورق الكرم أو ماء العسل أوقف الجرح المتقرح،[6] أما الزاج فقد نقل عن ابن جزلة قوله فيه: "**إنه قابض محرق ينفع من الجرب والسعفة والرعاف وقروح الأذن وتآكل الأسنان وفيه قوة سمية فإنه يجفف الرئة ويؤدي إلى السل**".[7] وعلى أربعين ميلاً من مرسيه عين ماء عذب، يقصدها من علق العلق بحلقه، " **وذلك لأن العلق إنما ينشأ في الماء العذب، فيطرأ عليه من خلاف ذلك المزاج ما يستروح منه الى الماء، وكثيراً ما يطب به الأطباء**"،[8] ووصفت حمة لكة[1] بأنها " **أشرف حمات الأندلس** " لدورها العلاجي .[2]

---

(1) **ابن الخطيب : معيار الاختيار، ص١٠٣.**

(2) **الحميري: روض المعطار، ص٨٠.**

(3) **الشب:عبارة عن رطوبة مائية التأمت مع أجزاء غضة أرضية وانعقدت بالبرد عقدا فكونت الشب، الجوراني : الصيادلة والعشابون، ص١٠١ .**

(4) **الزاج:ضرب من ضروب الملح ناتج عن مزج كبريت مع زئبق يسير، الجوراني : الصيادلة والعشابون، ص١٠٢.**

(5) **القزويني: أثار البلاد، ص٥٥٥ .**

(6) **الغساني(المظغر يوسف بن عمر بن علي ت٦٤٩هـ/١٢٥١م) : : المعتمد في الأدوية، تح، محمود عمر الدمياطي، بيروت،دار الكتب العلمية،٢٠٠٠م، ص١٨٦،سيتم ذكر المصدر باسم الغساني : المعتمدفي الأدوية.**

(7) **الغساني: المعتمد في الأدوية، ص١٤١.**

(8) **باسم : النشاط الاقتصادي، ص٧٧ .**

وهذا ماجعل المصادر تصف الحمات على أنها " **للصيد والحجل والنجاعة**"،[٣] كما لجأ أهل الأندلس لعيون الماء اعتقاداً منهم بأهميتها الشفائية فإزاء قرية باغة [٤] وجدت عين ماء " **إذا شرب منه من به الحصا فتته له و برئ منه**"،[٥] ورية [٦] التي عدت من أهم حمات الأندلس يخرج منها ماء حار وبارد،[٧] أما في المغرب فاشتهرت حمات فاس " **حيث يكون الماء فيها بارداً صيفاً وحاراً شتاءً** "،[٨] وعرفت حمة خولان ووشتاتة بالمياه الساخنة ذات الدور العلاجي.[٩]

إلى جانب بناء البيمارستانات ، اهتمت دول المغرب والأندلس بتشييد أحياء لأصحاب الأمراض المعدية بعيداً عن المدينة، كشكل من أشكال الحجر الصحي ، لتجنب انتقال العدوى من الإنسان المريض للسليم ،وبالأخص أمراض الجرب والجدري والجذام، بعدّها من أكثر الأمراض العصية العلاج في الفترة المدروسة (٦-٨هـ/١٢-١٤م)،[١٠] ويستدل على ذلك من الأمثال الشعبية في تلك الفترة حيث ورد في الأمثال " **قيل للمجذوم اغسل يدك قال ما بعد الجذام علة** "،[١١] وذلك في إشارة إلى أن الجذام أحد أصعب أمراض الفترة المدروسة وأكثرها

([١]) لكة : مدينة في الأندلس من كور شذونة،قديمة آثارها باقية وعلى نهر لكة، التقى فيها لذريق ملك إسبانيا مع طارق بن زياد ٩٢هـ /٧١١م حيث انتصر المسلمون، الحميري : الروض المعطار، ص٥١١.

([٢]) الحميري : الروض المعطار، ص٥١١.

([٣]) ابن الخطيب : معيار الاختيار، ص١٢٤ .

([٤]) باغة : مدينة بالأندلس من كورة إلبيرة بين المغرب والقبلة منها، وفي قبلي قرطبة منحرفة عنها يسيراً، وبينها وبين قرطبة خمسون ميلاً،يجود فيها الزعفران ويحمل منها للبلدان الأخرى، الحموي : معجم البلدان، ج١، ص٣٢٦.

([٥]) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس، تح، تر، لويس مولينا، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية المعهد ميغيل أسين، ١٩٨٣م، ج١، ص٢٥، سيتم ذكر المصدر باسم مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس .

([٦]) ريّة : كورة من كور الأندلس من قبلي قرطبة، قيل هي ذاتها مالقة، حصونها منيعة وهي أزلية قديمة، من حصونها ومدنها مربلة وسهيل وقرطمة وقمارش وبلش والحمة وكلها حصون منيعة كثيرة التين والزيتون والعنب والرمان، نزلها جند الأردن من العرب وهي كثيرة الخيرات، الحميري :الروض المعطار، ص ٢٧٨،٢٧٩، مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس،ج١، ص ٦٨.

([٧]) الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ١١٦.

([٨]) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ٤٤ .

([٩]) حسن : الحضرة الإسلامية ،ص٤١٢.

([١٠]) الهلالي : أثر القحط والمجاعات،ص١٩٧؛ بكاي : الحياة الريفية بالمغرب الأوسط، ص١٦٠.

([١١]) ابن العوام : أمثال ابن العوام،ج١، ص١٣٢.

استعصاءً على العلاج، ومن نوازل الفترة المدروسة يلاحظ أن الناس قد تخوفوا من مخالطة المجذومين، فقد أفتى الفقهاء بمنع الجذامى من السقي والاستحمام داخل المدن " **لأن ورودهم الماء وإدخالهم أوانيهم فيه يضر بالأصحاء جداً**"،[١] وعلى هذا الأساس لم يتفق سكان فاس مع نقل السلطة المرينية الجذماء من حارة لمرضى بباب الخوخة إلى كهوف قريبة من نهر فاس ورفعوا شكواهم إلى " **يعقوب بن عبد الحق في أمر الجذامى وتصرفهم وغسل ثيابهم وآنيتهم وأقذارهم في نهر مدينة فاس لقربهم منه وأن لذلك ضرر لأهل المدينة، فأمر عامله أن ينقلهم من هناك ليبعدوا عن ماء النهر، فنقلهم إلى كهوف برج الكوكب** "،[٢] ومن الحارات التي ترددت أخبارها "**حارة الجذماء خارج حضرة مراكش**"[٣] وهي التي كانت تعرف "**بحارة الجذامى العتيقة**"،[٤] حيث أقاموا فيها في الفترة مابين(**٦١٩-٦٣٧هـ / ١٢٢٢-١٢٣٩م**) إلى أن تم نقلهم مسكنهم إلى " **الكهوف التي خارج باب الشريعة**" .[٥]

ويهدف عزلهم ألا تلوث أبخرتهم هواء المدن وألا يتصرفوا بالماء إلا بعد خرجه من المدن ليكونوا آخر مستخدم لها حيث ذكر بشأن مسكن الجذاى خارج باب الخوخة في فاس " **ليكن سكناهم تحت مجرى الريح الغربية، فتحمل الرياح أبخرتهم ولايصل إلى أهل المدينة منها شيء ،وليكون تصرفهم من الماء وغسلهم بعد خروجه من البلد**"[٦] وعلى الرغم من ذلك تذكر المصادر تمتع مرضى الجرب والجذام والجدري بالعناية من حيث نوعية التغذية والإطعام والعلاج ومن حيث

---

(١) الونشريسي : المعيار المعرب، ج٦، ص ٤٢٢.

(٢) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ٥٠.

(٣) توفي فيها تلميذ أبو يعزى أبو عصفور يعلى بن وين يوفن الأجذم عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م وفيها توفي تلميذ سيدي عصفور عام ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م الشيخ أبو يعقوب يوسف علي المبتلى، فقد ابتلي بالجزام سقط بعض جسده ذات يوم فصنع طعاماً كثيراً للفقراء شكراً لله تعالى، السلاوي :الاستقصا، ج، ٢ص ٢١٢ ؛حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص٤١١.

(٤) كانت هذه الحارة قبلي المدينة حيث يوجد حي سيدي يوسف بن علي حالياً، ابن الزيات :التشوف، ص ٢٦٨؛ حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص٤١١.

(٥) وهي الكهوف التي بقرب الوادي بين مطامير الزرع وجنة المصارة (دار الدبيبغ الحالية)، وفي عهد يعقوب بن عبد الحق المريني وتحديداًعام ٦٥٨هـ/١١٩٣م نقلهم إلى كهوف برج الكوكب الذي بخارج باب الجيسة، ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٤٠،٤١.

(٦) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ٤٠،٤١، بولقطيب : جوائح وأوبئة المغرب، ص ٥٦.

تعهدهم بالنظافة والاستحمام حيث كان لكل حارة في الأندلس ساقية تسمى مواضع غسل المجاذيم .[١]

كما يذكر أن هناك ربضاً في مدينة فاس يسكنه المجذومون، ويضم قرابة المائتي بيت لهؤلاء المجذومين إمامهم ورئيسهم الذي يجمع عائدات بضعة عقارات موقوفة على المجذومين في سبيل الله حبسها عليهم بعض الأشراف وأشخاص أخرين، وتتوافر لهؤلاء المرضى كل الضروريات بحيث لايحتاجون إلى شيء، ووظيفة أئمة المجذومين إخراج الشخص المصاب بالجذام من المدينة وإسكانه في هذا الربض . [٢]

---

(١) ابن زهر : التيسير في المداواة والتدبير، ص٣٧٠،٣٧١؛ النباهي :المرقبة العليا، ص ٨٩.

(٢) بودالية (تواتية): المقاصد البيئية للوقف في المغرب الإسلامي من خلال بعض النماذج، مجلة عصور الجديدة، ع٧-٨، وهران، ٢٠١٢-٢٠١٣م، ص٨٤ .

٤- أساليب العلاج في المغرب والأندلس مابين الشعبية والطبية :

على الرغم من وجود الأطباء في الفترة المدروسة، إلا أن الكثير من الناس فضلوا الاستشفاء بالأعشاب و العقاقير التي اشتروها من العطارين الذين منعهم ابن عبدون من بيع أدويتهم بسبب فسادها.[١] ويندرج العلاج الشعبي ضمن أكثر أنواع الأدوية انتشاراً واستقطاباً للمرضى فهو علاجٌ نابعٌ عن التجربة،[٢] وليس بعيداً عن **الطب العلمي** بل يمكن القول إنه كان مأخوذاً عنه،[٣] حيث تذكر المصادر في هذا الصدد أن" **للبادية من أهل العمران طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثاً عن مشايخ الحي وعجائزه، وربما يصح منه البعض إلا أنه ليس على قانون طبيعي ولا على موافقة المزاج**".[٤] ومن وسائل العلاج في هذا النوع استعمال الأدوية النباتية، وتشمل الأصماغ والزهور والقشور والأوراق، ومنها تحضر الأدوية بوضعها في أواني فخارية وتغلّى على النار ثم تصفى وتوضع في أواني زجاجية أو فخارية، أما صلاحية الدواء فيعتمد فيها على الخبرة وذلك بملاحظة التغيرات التي قد تطرأ على اللون أو الرائحة أو الطعم ، ومايراعى في كمية الدواء المقدمة للمريض فهو مقدار ما يدفعه، ومن أشهر الأعشاب النباتية زريعة الكتان، البابونج، الحنظل، الحلبة، الكراوية، الشيح، الزعتر، الرمان..... ،[٥] واستعمل سكان السوس زيت الهرجان[٦] في معالجة الكلى والبول،[٧] واستعمل أهل آنقال[٨] شحوم النعام ضد الصمم وسائر الأوجاع البدنية [١] وفي الريف جرت العادة أن يضع الناس الحناء على رؤوسهم كلما شعروا بصداع أو ألم. [٢]

---

(١) بروفنسال : ثلاث رسائل أندلسية، ص٤٧ ؛ بوتشيش : المغرب والأندلس، ص١٠٢ .

(٢) خليلي : الفقر، ص ٢٧٩.

(٣) بكاي :الحياة الريفية ، ص١٦٢ .

(٤) ابن خلدون :المقدمة،ص٤٩٣ .

(٥) بلحاج (نادية) :ا لتطبيب والسحر في المغرب،الرباط، الشركة المغربية لناشرين المتحدين، ١٩٨٦م، ص٥٤،٥٨ ؛ بكاي: الحياة الريفية، ص١٦٣.

(٦) زيت الهرجان : شجرة تشبه الكثمرى أغصانها ثابتة في أصلها ولاساق لها وهي شوكاء ثمرها يشبه الإجاص تجمع حتى تذبل ثم توضع على النار في آنية فخارية لاستخراج زيتها، البكري : المغرب، ص١٦٢.

(٧) البكري: المغرب، ص ١٦٢ .

(٨) آنقال: تقع في في المغرب الأقصى ويقال لها دار المرابطين أيضاً وبها عين عليها أقباء وماؤها معين، وهي حسنة في موقعها كثيرة الزروع والمواشي فيها الإبل والبقر والغنم والنعام ومن آنقال إلى قرية مكول مرحلة، الإدريسي : وصف إفريقيا الشمالية، ص٤٧ .

ومن أساليب المعالجة في الطب الشعبي النار والكي ففي إقليم حاحا " **تكاد تكون جميع الأدوية والمعالجات بالكي والنار** "،[3] والكي هو كي العضو المتضرر بواسطة المكاوي المتعددة الأشكال التي تناسب كل حالة في أنحاء الجسم من الرأس للقدم ، حيث كانت هناك مكاوي تشبه المسبر ، والدائرة، المسمارية، الهلالية والزيتونية، السكينية، وذات السفودين وذات الثلاثة سفافيد، وهو آخر دواء "**إنه متى استعملت ضروب العلاج في مرض من الأمراض فلم تنجح تلك الأدوية، ثم استعمل آخر شيء الكي فنجح فمن هنا وقع أن الكي أخر الطب**".[4]

وقريباً من الكي يوجد الفصد ويقوم على مبدأ تقليل ضغط الجسم بإخراج جزء من الدم عن طريق العروق، أو لتجديد الدم والعروق التي جرى فصدها ثلاثون، عرقان خلف الأذن وعرقان في الصدغين الظاهرين، وعرقان في العينين والعرق المنصب في الجبهة، والعرق الذي في طرف الأنف، وعرقان في العنق وعرقان في الشفة السفلى وعرقان تحت اللسان وخمسة عروق في كل يد وثلاثة عروق في كل رجل، ومن الأمراض التي تعالج بالفصد البهق والجزام و القروح ،ويفصد العرق الذي يقع قرب الموضع المتضرر كما اشتُرط أن لايتم الفصد إلا في آنية معلومة مرسومة المقادير، ليرى مايخرج من الدم . [5]

وهناك الحجامة التي لها غرض الفصد نفسه من حيث استخراج جزء من الدم من جسم المريض، مقدار أوقيتين من كل من شراب الخل وشراب الورد ثم تجرى له العملية، وتتم الحجامة بواسطة آلات تسمى المحجمة والتي هي من الزجاج أو النحاس أو الحديد ،وتكون العملية بأن تفرغ المحجمة من الهواء وتوضع على الجلد فيحدث فيه تهيجاً وينتفخ الموضع ويحمر وعند ذلك يشرط ويعاد المص فينجذب الدم بقوة.[6]

---

(1) الإدريسي : وصف إفريقيا الشمالية، ص٤٧ .

(2) البادسي : المقصد الشريف، ص٥٩.

(3) الوزان : وصف إفريقيا، ج١، ص ٩٨.

(4) الزهراوي(خلف بن عباس ابو القاسم ت بعد٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) طبيب وجراح الفم والأسنان وموسوعته الطبية التصريف لمن عجز عن التاليف،تح، عبد الله عبد الرازق مسعود السعيد، الأردن،وزارة الثقافة، ٢٠٠١م،ص١٢١،١١٧.سيتم ذكر المصدر باسم الزهراوي : التصريف لمن عجز عن التأليف .

(5) بروفنسال : ثلاث رسائل أندلسية، ص ٤٦؛ محمود : الفناء الكبير، ص ١٦٠؛ بكاي : الحياة الريفية في المغرب، ص ١٦٤.

(6)بلحاج : التطبيب والسحر، ص٦٦ ؛ بكاي : الحياة الريفية، ص١٦٤ .

وورد في المصادر إشارة لنوع من التذمر تجاه التداوي الشعبي كما وصف من يمارسونه بالعوام " **أما عوامهم (عوام الأطباء) ومن يعد منهم في إعداد القوابل فعندما يسأل يجيب بغير علم ولقد رأيت من كان مبخوتاً في الطب يعالج المرضى فتخفى عليه الشكاية فيعالجها بالحارة تارة وبالباردة تارة، بحيث ينظر فإن نجح فيها أحدهما استمر عليه**"،[1] وتفسير ذلك أنه ربما هؤلاء العوام يعتمدون في تقديم العلاج على قاعدة الأضداد فإذا أصيب الإنسان بنزلة برد اعتقد الطبيب أنه شرب ماء بارد فوصف له دواء مسخناً. [2]

كان يوصى باستئصال أورام الطاعون إن أمكن ذلك، مع ضرورة مسح تلك الأورام بقطعة من الإسفنج بها ماء وخل، ومعروف أن الخل كحامض إذا تخلل الأنسجة المصابة بالبكتيريا المسببة للطاعون،والتي تتخلل الجسم لطبيعته القلوية، فإن الخل يعمل نوعاً من التعادل، ويخلق بيئة غير صالحة لتكاثر البكتيريا، حيث كان ينصح في تلك الفترة بتناول بعض الأطعمة مثل العدس بالخل واللحوم المطهية بالخل،[3] كما ودرجت بعض العلاجات الشعبية مثل التمسح بالتراب الأرميني حول دمل الطاعون،[4] و "**شراب السكنجبين** "الذي يتكون من الخل والعسل والشراب الحصرمي والإكثار من أكل الكزبرة الخضراء أو اليابسة والحصرم والليمون الدقيق لأن كل ذلك ينفع من مضرة المياه المتلوثة مع تجنب أكل الأسماك لأنها تساعد على نقل مضرة المياه الرديئة للإنسان.[5] وعرف "**العلاج بالموسيقى**" الذي أدخله الأندلسيون إلى فاس، "**حين تولى رئاسة البيمارستان سيدي فرج طبيب من بني الأحمر يسمى فرج الخزرجي فأصلح فيه وجعل الموسيقيين يلحنون أمام المرضى**"[6] ومما كان ينصح به الأطباء مرضى الطاعون والأمراض الوبائية الأخرى على العموم بتجنب الرياضة والحمام وكل ما يجهد بدن المريض، لأن عليهم السكون والهدوء الجيد ويكون ذلك خطراً كبيراً على جسم المريض،[7] ففي حالة أورام

---

(1) الغبريني :عنوان الدراية ص ٧٦،٧٥ .

(2) خليلي : الفقر ، ص ٢٨٠ .

(3) محمود : الفناء الكبير، ص ١٦١.

(4) الوزان : وصف إفريقيا،ج١، ص ٨٥ ؛ زينل: الإنجازات العلمية،ص٣٣٦ ؛ السامرائي (كمال): مختصر تاريخ الطب، لبنان، دار النضال، د.ت،ج٢، ص٤٣١ .

(5) ابن زهر : التيسير، ص ٤٥٦ .

(6) عيسى : تاريخ البيمارستانات، ص ٢٨٧،٢٨٦ .

(7) ابن خلدون: المقدمة، ص٣٨٥.

الرئة على سبيل المثال كان ينصح بالتخفيف من الطعام "**ومنع المريض من الحركة والصياح والكلام المرتفع** " .[١]

كما استعمل البنفسج حيث كان يدهن به الجسم كله، وربما كان السبب في كثرة استخدامه راجع لأثره الحامضي والذي توصلوا إليه من خلال خبرتهم اليومية .[٢]

وقد حاول المسؤولون عن الأسواق والمحتسبين منع هذه الظاهرة حيث يقول ابن عبدون في ذلك " **لايبيع الشراب ولا المعجون ولايركب الدواء إلا الحكيم الماهر ولايشترى ذلك من عطار ولاشرائبي ، فإنهم حرصاء على أخذ الثمن بلا علم فيفسدون الفتوة ويقتلون الأعلاء لأنهم يركبون أدوية مجهولة مخالفة للعمل** "،[٣]يستنتج من النص السابق مدى الوعي بخطورة العمل في مجال الأدوية والعقاقير الطبية على غير المختصين ومحاولة تنبيه عامة الناس لكون الطبيب هو وحده القادر على تشخيص المرض ووصف الدواء المناسب أما العطار قد يصف دواء قد لاينفع بل على العكس يمكن أن يكون ضاراً أو يزيد وضع المريض سوءاً فقط في سبيل الكسب المادي .

---

(١) ابن زهر : التيسير،ص١٧٢؛ يايوش، الشمري : دراسة في الكتابة والتطبيب، ج١، ص١٧٩ .

(٢)السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ت٩١١هـ/١٥٠٥م) : مارواه الواعون ، دير الأسكوريال، إسبانيا، مخطوط رقم ١٥٤٤، ورقة ٨٩،٨٨ .

(٣) بروفنسال : ثلاث رسائل أندلسية، ص٤٧؛ أحمد : الحضارة الإسلامية، ص١٧٩.

٥- العلاج بكرامات الأولياء شكل من أشكال مواجهة الأوبئة:

من منطلق ديني وعندما يقف الطب عاجزاً إزاء إيجاد حل للوباء كان يلجأ الناس للأولياء للعلاج من الأمراض بفضل الكرامة، بسبب اعتقادهم ببركة الولي، برز دور الأولياء في بعض الطقوس العلاجية، فما هي الطرق التي اعتمدها الأولياء في علاج الأمراض والأوبئة ؟ وما جدوى هذا النوع من العلاج لدى الناس عامةً ؟

من أساليب العلاج لدى الأولياء يذكر مايأتي :

١- الرقية [١]: وقد استخدم أولياء المغرب أسلوب العلاج بالرقي بصفتها علاجاً شرعياً يقوم على أساس الدعاء واعتماداً على آيات وسور من القرآن الكريم،[٢] فالرقية تستخدم لعلاج الحالات المرضية المستديمة الميؤس من علاجها مثل الصرع والجن والعين، حيث ذكر أن ابن مرزوق كان مصاباً بالدمامل والأورام التي لم تنجح معالجتها بالفصد إنما شفي بفضل رقى والده.[٣]

وكان أبو العلاء المديوني[٤] من المخصوصين بالعلاج بالرقية،[٥] كما إن أحمد بن إدريس البجائي[١] كان يداوي المرضى بالرقية فقد مر بمصاب ومعه بعض الطلبة فقرأ في أذنه الفاتحة فبرأ.[٢]

([١]) الرقية : جمع رقى،وهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغيرها، واصطلاحاً : هي ما يلجأ إليه الإنسان ويعتصم به من السوء من غير الوسائل الطبية، وقيل هي العوذة بضم العين مايرقى به من الدعاء لطلب الشفاء ، ابن منظور : لسان العرب، ص١٧١١، آبادي (محمد شمس الحق العظيم ت ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م): عون المعبود شرح سنن أبو داود، تح، عبد الحق محمد عثمان، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ط٢،١٩٦٩م، ج١٠ ، ص٣٧٠.

([٢]) ابن الأثير (مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م): النهاية في غريب الحديث والأثر، تح، محمود محمد الطناحي، طاهر أحمد الزاوي، د.م، المكتبة الإسلامية،١٩٦٣م، ج٢، ص٢٥٤، سيتم ذكر المصدر باسم ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ؛ الجزاع (محمد بن صالح) :الأحكام الفقهية في الرقية الشرعية، حائل، دار الأندلس،٢٠٠٦ م، ص٢١،٢٢.

([٣]) ابن مرزوق : المناقب، ص٢٣١ .

([٤]) أبو العلاء المديوني : محمد بن علي المديوني من أكابر الأولياء الصالحين المخصوصين بالكشف والرقية (ت٧٣٥هـ/١٣٣٤م) وقبره بمسجد الرحمة وهو معروف بإجابة الدعوة عند قبره، ابن مريم : البستان،ص٧٠.

([٥]) ابن مريم : البستان، ص٧٠.

وقد عرفت رقية لمرض الجرب حيث يؤخذ الكبريت أو التربة وتخلط بالزيت ويطلي بها جميع الجسد يوم السبت ويقرأ عليه : الأعراف١٦٣ ثلاث مرات، ثم يقال رقيتك بألف لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم وبتوراة موسى .... غير بقدرة الواحد ثم آيات من سورة البقرة تكرر سبع مرات.[٣] وكان من السائد الاعتقاد برقية من يرقى بها لايصيبه الطاعون ولا الجدري ولابرد ولا فالج ولاحكة، وهي أن يؤخذ من المطر ويوضع في إناء وتقرأ عليه الفاتحة سبعين مرة ، ثم يشرب من هذا الماء سبعة أيام متتالية على الريق وعند العشاء.[٤]

٢- التفل: ويعد من أساليب الشفاء المعتمدة عند أولياء المغرب وتندرج ضمن أشكال الرقي حيث عُدّ ريق الولي أولعابه مصدر بركة وسبب للشفاء من مختلف الأمراض، اشتهر بكرامة التفل الشيخ أبو شعيب أيوب السارية [٥]**(ت٥٦١هـ/١١٦٥م)** الذي كان يبرئ العلل بالتفل عليها والراجح أن العلل التي يشفي منها هي التي أرقت الأطباء،[٦] مثل الجدري والجذام أما إذا عاين موضع العلة "**وتفل وهو يلمسه ويدلكها بيده وتبرأ في الحين**" ،[٧] ولم يكن هذا الأسلوب من

---

(١) أحمد بن إدريس البجائي : يكنى أبا العباس الإمام العلامة الصالح كبير علماء بجاية في وقته، كان ورعاً زاهداً توفي بعد ٦٧٠هـ /١٢٧١م له تعليق على بييوع الآجال في مختصر ابن الحاجب، كان واحد قطره في حفظ مذهب مالك جمع بين العلم الغزير والدين المتين تخرج من بين يديه مجموعة من الأئمة الفضلاء منهم الوغليسي، ابن القاضي : درة الحجال،ج١، ص٨١،٨٠؛ التنبكتي : نيل الابتهاج، ص٩٩ ؛ المقري : نفح الطيب، ج٥، ص٢٥٥.

(٢) التنبكتي : نيل الابتهاج، ص٩٩.

(٣) البسكري(عيسى بن سلامة بن عسى ت ٨٦٠هـ/١٤٥٥م) : اللوامع والأسرار في منافع القرآن والأخبار، مخطوط مكتبة حسن حسني عبد الوهاب في تونس، الخط مغربي، رقم المخطوط ١٨٢٤٥، ورقة ٣٩،سيتم ذكر المخطوط باسم البسكري : اللوامع .

(٤) البسكري : اللوامع، ورقة ٦٣ .

(٥) أبو شعيب أيوب السارية :هو أيوب ابن سعيد الصنهاجي من أهل أزمور وأشياخ أبي يعزى قدم مراكش بعد عام ٥٤١هـ /١١٤٦م، ومات بأزمور ٥٦١هـ /١١٦٦م م ويذكر ابن أبي زرع وفاته عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م، كان معلماً للقرآن في قرية يليسكاون في دكالة، وهو ولي أزمور المشهور "مولاي بوشعيب " ويعرف باسم أيوب السارية لطول قيامه في الصلاة، ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ٢٦٥؛ ابن الزيات : التشوف، ص١٨٧؛ الصومعي : المعزى، ص٧١؛ السملالي : الإعلام، ج١، ص٣٩٦ .

(٦) ابن الزيات :التشوف، ص، ٤١٤ ؛ بوتشيش : تاريخ الغرب الإسلامي،ص١٢٠ .

(٧) الفاسي : المستفاد في ناقب العباد، ق٢، ص ٣٩؛ السملالي :الإعلام، ج١، ص ٤٠٧ .

الكرامات العلاجية قاصر على الرجال حيث اشتهرت امرأة من صالحات الأندلس تنفث على مرضى العيون فيتعافون بحسب اعتقادهم.[١]

تجدر الإشارة إلى أن مثل هذه المعتقدات تثير الحيرة بسبب انتشارها الكبير في المغرب والأندلس ولا يعرف مدى صحتها ومصداقيتها لكن كان هناك إجماع على التصديق بها.

٣- **اللمس** :كان اللمس من الأساليب الشفائية المعروفة وتكون مصاحبة للرقية، وفي مدينة سلا اشتهر أبو محمد حسين الأبله[٢] كان حياً سنة(٧٦٥هـ/١٣٦٤م) بإبراء العاهات "**إذا لمس بيده مريضاً شفي وإذا قرأ في أذن مصروع أفاق** ".[٣]

وورد عن أبي يعزى أنه كان يلمس بيده صدور النساء وبطونهن ويتفل عليهن بقصد الرق وقد استنكر بعضهم الأمر وبعضهم الآخر لم يتخذ موقفاً مناهضاً للأمر كون النساء كن يشفين بهذه الرقية بحسب زعمهم.[٤]

يجدر التنويه أن ذكر تلك الأحداث لايعني مصداقيتها بالضرورة لكنها تعكس ذهنية وأفكار إنسان الفترة المدروسة خلال القرنين (٦-٨هـ/١٢-١٤م) الذي لجأ للأولياء علـه يجد لديهم علاجه بعد أن يأس من الأطباء .

٤- **الدعاء**: هو من أساليب العلاج الروحاني استخدمه أولياء المغرب للاعتقاد بأن دعائهم مستجاب عند الله لتقواهم وورعهم، ولم يقتصر دور الأولياء على العلاج بل تعداه لأكثر من ذلك والشيخ أبو عبد الله الحلفاوي محمد بن موسى[٥] توفي ٧٥٨هـ/١٣٥٦م مثال على ذلك حيث كان يقدم للمرضى سواء في إشبيلية أم فاس عندما انتقل إليها الأطعمة كشكل من أشكال المواساة

---

(١) ابن الزيات :التشوف،ص ٢٣٧ .

(٢) أبو محمد حسين الأبله : : أصله من سلا من موضع يقال له أسمير، لقي أبا العباس ابن عاشر مرات عديدة كانت له كرامات عديدة ونزعات عجيبة شاذة الطريقة نادرة النوع توجه للمشرق ٧٦٥هـ/١٣٦٣م ولم يسمع عنه بعدها، الحضرمي : السلسل العذب، ص٧٢،٧١ .

(٣) الحضرمي: السلسل العذب، ص ٧١.

(٤) الصومعي : المعزى، ص١٢١.

(٥) أبو عبد الله الحلفاوي: محمد بن موسى الإشبيلي، نزل بمدينة فاس وكان أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر،وقمع الأشرار عن أفعالهم، أخذ التصوف عن يعقوب الزيات الفاسي،كان صاحب صدقات وكرامات حافظاً للقرآن وكثير من الحديث ذاكراً لفقه العبادات مستفتياً لأهل العلم مستشيراً لهم مثل أبا عبد الله السطي توفي ٧٥٨ هـ/ ١٣٥٦ م ، الكتاني(أبو عبد الله محمد بن جعفر ت ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م) :سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، الدار البيضاء، دار الثقافة، د.ت، ج٣، ص ٣٤٦.

"**ويتفقد بالفواكه الرطبة واليابسة – في أوانها– من تميل إليها نفسه ...ويبتاع منها الكثير...ويضعها في حانوته بالحلفاويين من فاس ...ويملأ الوعاء فيقصد به المظان إلى أن يفرغ الوعاء فيعيد امتلاءه، فيلحق تلطفه الضعفاء بالأغنياء ...ويبعث العيون للبوادي فيعين بها المرضى ويلين لهم خشن العيش**".[1]

ومن ضمن الإجراءات التي اتخذت في مواجهة الوباء خروج الناس في جماعات للمسجد للتضرع لله وسؤاله رفع الوباء عنهم[2] ويبدو أن عمل الدعاء لله كان أول عمل قاموا به ،وذلك لاعتقادهم أن الدعاء أنفع من الأدوية، وأن الله قادر على دفع البلاء أو تخفيفه [3] أو لكونهم اعتقدوا في أن العامل المسبب للوباء هو غضب الله تعالى على عباده وعقاب لهم على معصيتهم . [4]

وجرت العادة بصوم ثلاثة أيام، وألا يطبخ الناس في الأسواق وعقب الصوم يجتمعون في المساجد طوال الليل مابين ساجدٍ وداعٍ، ثم يصلون الصبح ويخرجون على أقدامهم وبأيديهم المصاحف والأمراء حفاة ومعهم المسيحيون واليهود الذين يخرجون مع النساء والأولاد،[5] هذا يعزز القول إن الناس كانوا مؤمنين أن المرض ناتج عن غضب الله أو امتحان للبشر، ولكن من الناحية الطبية تلك التجمعات البشرية في أوقات الوباء تشكل عاملاً خطراً على الصحة لأنها تزيد من احتماليات انتقال العدوى من المصاب أو الحامل للمرض للإنسان السليم.

ولكن تجدر الإشارة إلى أن الإقبال على الرقية الشرعية جعل بعض المحتالين يتخذون الرقية وسيلة لجمع الأموال،[6] ونتج عن ذلك تداخل بين ما هو مشروع كالرقية وماهو محرم كالسحر وهذا ما أشارت إليه النوازل حيث سُئل بعض الفقهاء عن" **رجل من أهل الخير والصلاح يكتب للحمى ويرقي ولا يأخذ على ذلك شيئاً ويعالج أيضاً أصحاب الصرع والجنون بأسماء الله والعزائم، وينتفع بذلك كله من عمله**" وكان جواب المفتي جواز استعمال هذا العلاج دون أخذ

---

(1) **الحضرمي : السلسل العذب، ص٥٥ ؛ المنوني :ورقات عن حضارة المرينيين، ص٤١٤ ؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص٣٠١ .**

(2) **ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص، ٢٢٦ ؛ ابن بطوطة: تحفة النظار، ج١، ص١٠٠ .**

(3) **محمود: الفناء الكبير، ص١٥٩ .**

(4) **ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحين، ص ٢٦٧ .**

(5) **محمود: الفناء الكبير، ص١٥٩ .**

(6) **بكاي :الحياة الريفية في المغرب، ص١٦٤.**

أجر ودون كتابة حروف غير مفهومة،[1] إنما عدم أخذ أجرة لم يكن ثابتاً فقد أجيز للراقي في نازلة أخرى أخذ أجرة على مايقوم به خاصة إذا اشترطه. حيث يجدر التنويه أن الراقي كان من حقه أخذ أجرة لم تحدد بوضوح ،على شرط أن تكون الرقية بها كلام من القرآن أو أسماء الله.[2]
وقد طلب سكان الأندلس إلى شيخ ابن الخطيب أبي عبد الله الطنجالي[3] الإشراف على مهمة الإشراف على دور التكافل ورعاية الموبوئين ،ونقلت المصادر أدائه لهذه المهمة بالقول : " **وقد نجمت به بواكي الوباء الأكبر وذلك صدر عام (٧٥٠هـ/١٣٤٩م) بعد نمنع منه وإباية ،فلم يوسعه الأصحاب عذراً في التوقف وشرطوا عونهم إياه** ".[4]

ولم تقتصر جهود الأولياء في سبيل التخفيف من أزمة الوباء على الأداء الكرامي بل أسهموا في التخفيف من الوباء عن طريق الفتاوى حيث أفتى الفقهاء بأن :" **القيام بحقوق المسلمين من التمريض والغسل والدفن فرض لايجوز إهماله .وكذلك عيادة المريض** ".[5]
ولهذا قام أهل مالقة بتجميع المساعدات المادية، ووثقوا وصايا المرضى في رعايتهم، وصرفوها في الوجوه التي حددوها بعد موتهم، منها رعاية الأرامل واليتامى والإحسان للضعفاء والمحتاجين، وإعالة من لا عائل له كل ذلك تحت إشراف القاضي الطنجالي الذي " **أظهر من النزاهة والعدالة مايناسب منصبه، فلجأ الناس إليه في كائنة الوباء العظيم بأموالهم وقلدوه عهود صدقاتهم**"[6]
ولأن الوباء في المعتقد السائد لدى الناس كان ناجماً عن غضب الله اندفع الناس لبذل الصدقات، كنوع من التكفير عن ذنوبهم ونوع من التضامن والتكافل في سبيل تخفيف مضاعفات الوباء عن

---

(1) الونشريسي: المعيار المعرب، ج١١، ص ٢٩

(2) الونشريسي : المعيار المعرب، ج٨،ص ٣٧١،٣٧٠/ ج١١، ص٢٩.

(3) أبو عبد الله الطنجالي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الطنجالي، والطنجاليون ينتسبون من أولاد هاشم بن عبد مناف إلى جعفر بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وآل هاشم هم آل الرسول (ص)، تسلم القضاء في مالقة زمن الوباء سنة ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م وبذل جهده في سبيل التخفيف عن الناس وتوزيع الصدقات وما إن انتهت أزمة الوباء حتى ترك منصبه بسبب النوازل المشتبهات عليه بعد انصراف الطاعون، واختلاف من عاش بعده من الفقهاء، عند الأخذ معهم فيما يشكل عليه من المسائل والبعض يقول استعفى نفسه من المنصب لأنه شعر بدنو أجله،فقد توفي عام ٧٥٣هـ /١٣٥٢م،فتسلم من بعده أبو القاسم بن سلمون الكناني، النباهي : المرقبة العليا، ص١٥٥، ١٥٩.

(4) النباهي : المرقبة العليا، ص١٥٥.

(5) الونشريسي : المعيار المعرب، ج١١، ص ٣٥٨.

(6) المقري : نفح الطيب،ج٥، ص ٣٨٩.

المصابين به، فجمع القاضي الطنجالي من الموال "**واستقر لنظره من الذهب والفضة والحلي ...وغير ذلك ماتضيق عنه بيوت أموال الملوك ...وأرسل طلبته لتفقد أحوال الناس وصار كل يوم يعد مائة قبر حفراً وأكفاناً برسم من يضطر إليها من الضعفاء، ليشمل النفع الأحياء والأموات وبقي على ذلك هو وغيره زماناً مشاركة في الأموال ومساهمة في المصايب والنوازل إلى أن خف الوباء، وقل عدد الذاهبين به** ".(1) وفي سياق مجابهة الوباء من خلال الصدقات طالب أبو العباس السبتي الناس بأداء الصدقات، فعندما قصدته إمرأة لرفع علة الجذام عن ابنها قال لها "**وأين الفتوح؟ فأخرجت له المرأة درهماً صغيراً فقال اشتري به خياراً وتصدقي به إلا خيارة واحدة أطعميه منها فنفذت الأمر ...فعرق المريض ونام نوماً طويلاً... واستفاق وقد شفي...** "،(2) ومن هنا كان الإنفاق في سبيل الله وسيلة استشفائية لدى الأولياء وذلك اعتماداً على حديث رسول الله (ص) "**داووا مرضاكم بالصدقة ، وادفعوا البلاء بالصدقة ،واستعينوا على قضاء حوائجكم بالصدقة** ".(3)

ويجدر القول أن للكرامات دوراً إيجابياً فقد كانت وسيلة تكيف وطريقة تفريج وأعطت سلاحاً حمى الذات من القنوط ،ومنحت الأمل في التغلب والانتصار، والانتقال لواقع ألطف وزمن أقل مرارةً وأسى، وفي ذلك توسيع للخيال الخلاق وتصوير إبداعي لدنيا غير الدنيا وفوقها وأكثر منها، لكن كان للتصوف أثرٌ سلبيٌ على العقل فالكرامات ماهي إلا حلول سهلة ووهمية وتفكير نقوصي وسلوك طفولي تعارض الحس النقدي وتعمق الاستسلامية والخنوع والمعالجة غير المجدية للواقع، وجعلت الكرامات من الولي بديلاً لاواعياً للأم الحنون وغدت درجة المعرفة تقوم على السماع والخبر أو ماسمع وماقيل، فالتراث العربي الإسلامي يشكو من تخمة في الكرامة والتصوف ومهما بدى التصوف حلاً شفافاً براقاً يعلن الحب والإنسانية إلا أنه يبقى أقل نفعاً من السلاح الذي شهره المعتزلة " لاحكم إلا للعقل "، فالكرامة كحل لأزمات المجتمع ومن بينها المجاعات والأوبئة قد تخفف وطأة القلق وقد تزيل الشعور به كبلسم مؤقت، ولكنها لاتحل الأزمة ولاتجتث جذورها فالكرامة تلجأ لحل المشاكل لا بجدلية الفكر مع الواقع

---

(1) **النباهي: المرقبة العليا، ص١٥٦،١٥٧ ؛ المقري : نفح الطيب، ج٥، ص٣٨٩.**

(2) **السملالي : الإعلام، ج١، ص ٢٦٢ ؛ البياض: الكوارث الطبيعية، ص ٣٠٤.**

(3) **ابن الحاج : المدخل، ج٣، ص ١٧٨.**

والفـرد مــع المجتمــع أو بقــانون العقلانيــة ومقـولات المنطــق بـل عـن طريـق حلـول تميـزت بكونهـا فـاترة أولاً سـلبية ثانيـاً وإنسـان يحـل مشـاكله وقلقـه ويـرد مشـاعره بالإحبـاط والصـد بطـــــرق ســـــلبية بـــــنمط اســـــتجابي غيـــــر مجـــــدٍ وغيـــــر بنـــــاء.

٦- معتقدات تندرج ضمن العلاج "بالخرافة" :

انتشرت في بعض الأماكن أساليب علاج أقل مايمكن وصفها بأنها خرافية حيث يذكر أن المريض إذا اشتد به المرض ،يذهبون به إلى بئر غامضة في منبع وادي مجهول، ثم يلقونه فيه بعد أن يقوموا بطقوس وشعوذة، زاعمين أنها تبين لهم علامات موته أو شفائه" **ثم يخرجونه فإن كان على فمه دم يستبشرون بحياته ،وإن لم يخرج من فمه دم أيقنوا بهلاكه وهذا عندهم متعارف عليه لاينكر !**".(١) مثل هذه الأساليب تشكل خطراً على حياة الإنسان فمن المؤكد أن الإلقاء بمريض في بئر قد يميته أو يتسبب له بكسور وغيرها، هكذا أساليب لم تكن منطقية أبداً وتدل على طفولية العقل الذي يصدق بمثل تلك المعتقدات الخرافية .

وفي السياق ذاته يذكر أن المرضى وأصحاب العاهات المختلفة كانوا يترددون على شواطئ بحر الظلمات "المحيط الأطلنطي" **لالتقاط أحجار كثيرة وذات ألوان شتى وصفات مختلفة ويتنافسون في أثمانها ويتوارثونها بينهم ويذكرون أنها تتصرف في أنواع من العلاجات الطبية**"،(٢) وهناك من لجأ للشعوذة للعلاج، فالكثير من المرضى لجؤوا للعرافين الذين ينظرون الأكفاف والغبار والرصاص الذائب وهو ما اعتبره الفقهاء محرماً مطلقاً.(٣)

فيما سبق يلاحظ تعدد أساليب مواجهة المجاعات والأوبئة من الادخار على المستوى الرسمي والشعبي إلى التكيف الغذائي وصولاً للتغيرات الفيزيولوجية التي تحدثها المجاعة في ذوق الإنسان حيث يتغير ذوقه في الطعام عندما يضطر لتناول أطعمة منفرة لا يتناولها في الأحوال العادية لكن المجاعة ألجأته إليها، أما عن طرق مواجهة الوباء فقد تراوحت مابين الطرق الشعبية والطبية، كما برز دور الأولياء في مواجهة المجاعات والأوبئة من خلال الكرامات والرقية أو الحث على الصدقات .

---

(١) **مؤلف مجهول : الاستبصار، ص١٨٤؛ بوتشيش : المغرب والأندلس، ص١٠٩.**

(٢) **الإدريسي : وصف إفريقيا الشمالية، ص١٦.**

(٣) **الونشريسي: المعيار المعرب، ج ١١،ص ٢٩؛ بكاي: الحياة الريفية في المغرب، ص ١٦٥ .**

- **الفصل الرابع : نتائج المجاعات والأوبئة.**

أولاً . النتائج الاجتماعية :

أ- الحرابة والسرقة.

ب- التسول .

جـ _ الرقيق .

ثانياً - النتائج الديموغرافية :

أ- الهجرة والنزوح السكاني.

ب- الوفاة والفناء الديموغرافي .

ثالثاً - النتائج الاقتصادية:

أ- الغلاء والاحتكار وظاهرة التسعير في الأسواق المغربية والأندلسية .

ب- أثر المجاعات والأوبئة على الحرف والصناعات والتجارة .

ج- انخفاض قيمة العملة.

د- بروز ظاهرة الدين والسلف.

رابعاً - النتائج السياسية .

خامساً - النتائج النفسية والذهنية:

- بروز طبقة الأولياء والإيمان بالخرافات والأساطير والشعوذة.

سادساً. النتائج العلمية :

- نتائج المجاعات والأوبئة على البحث العلمي إيجاباً وسلباً .

- نتائج المجاعات والأوبئة :

إن المجاعات والأوبئة بوصفها حدثاً جللاً وأزمةً حقيقيةً طرأت على المغرب والأندلس لا يمكن أن تكون قد مرت دون ترك بصمة دامغة في تاريخ المغرب والأندلس، حيث شملت نتائجها كافة الأصعدة الاجتماعية، الديموغرافية، الاقتصادية، السياسية وحتى النفسية والذهنية والعلمية .

فالمجاعات والأوبئة كرست آفات اجتماعية، وعززت من وجودها كاللصوصية والتسول وأحالت بعض الناس للعبودية وسلبت حريتهم مقابل لقمة العيش، أما على الصعيد الديموغرافي فتمثلت النتائج بالهجرة والوفيات التي غيرت البنية الديموغرافية والتوزع السكاني للمغرب والأندلس وأدت لنقص حاد في السكان، أما اقتصادياً تمثلت النتائج بالغلاء والاحتكار وتدني قيمة العملة الشرائية وبروز ظاهرة الدين والسلف للعجز عن الدفع نقداً، وعلى الصعيد السياسي أدت المجاعات للثورة على السلطة، وتلاشي قوى سياسية وظهور قوى سياسية جديدة بمظهر المنقذ المخلص، بالتأكيد كانت لها نتائجها المدمرة على نفسية الإنسان الذي عانى هواجس الخوف والحزن جراء فقدان أعزائه، وشكلت المجاعات والأوبئة منبراً برزت من خلاله طبقة الأولياء بالإضافة لطقوس الشعوذة والخرافة، وأدت المجاعات والأوبئة؛ لتعطل الحركة العلمية مع بروز بعض المؤلفات الطبية التي بحثت في ماهية الوباء.

أولاً _ النتائج الاجتماعية :

تسببت المجاعات والأوبئة بالعديد من النتائج على الصعيد الاجتماعي، فكثيراً ما يكون الجوع سبباً في الانحلال الخلقي، حيث ينشأ عن تزايد الجوع تزايد في الجريمة والسرقة و أعمال السلب والنهب التسول والتدني الأخلاقي كما وتكون المجاعات والأوبئة عاملاً مسبباً للهجرة والوفيات، وظهور أعداد جديدة من الرقيق، حيث ينشأ عنها تغيراً ديموغرافياً كبيراً في المناطق التي تحل بها .

أ- الحرابة والسرقة :

لقد تم تعريف الحرابة على أنها " الخروج لإخافة سبيل لأخذ مال محترم بمكابرة قتال أو خوف أو لذهاب عقل أو قتل خفية أو لمجرد قطع الطريق لا لمشكلة ولا عداوة "،[1] وهي كل فعل يقصد أخذ المال على وجه تتعذر فيه الاستغاثة، وورد أن المحارب هو القاطع للطريق المخيف للسبيل الشاهر للسلاح الطالب للمال، واعتبر الخناقون[2] الذين يسقون الناس السيكران[3] ليأخذوا أموالهم محاربين،[4] وحد الحرابة أربعة : القتل أو الصلب أو القطع من

---

(1) ابن عرفة (محمد الورغمي التونسي ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠ م) : المختصر الفقهي، دبي، مؤسسة خلف أحمد الحبتور للأعمال الخيرية، ٢٠١٤م، ج٧ ، ص٢٥٣، سيتم ذكر المصدر باسم ابن عرفة : المختصر الفقهي ؛ البرزلي : جامع مسائل الأحكام، ص١١ ؛ الرصاع (أبو عبد الله محمد الأنصاري ت ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م): شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، تح : محمد أبو الأجفان، الطاهر المعموري، بيروت،دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م ص ٤٦٧، سيتم ذكر المصدر باسم الرصاع : شرح حدود ابن عرفة .

(2) الخناقون :الخنق بكسر النون يخنقه خنقاً فهو مخنوق والخناق الحبل الذي يخنق به والخنّاق نعت لمن يكون ذلك شأنه وفعله بالناس ويمارس الخنق كوسيلة للقتل والسرقة، ابن منظور : لسان العرب، ص١٢٨٠.

(3) السيكران : وهو البنج نبات له ورق عريض صالحة الطول مشققة الأطراف إلى السواد عليها زغب ولثمره بذور تشبه بذور الخشخاش وعلى القضبان ثمر شبيه بالجلنار، وله أزهار تختلف ألوانها بين الأحمر والأصفر يستخدم في التخدير وتسكين الأوجاع، ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية، ج١، ص١٦٠.

(4) حسن : المدينة والبادية، ج٢، ص٦٤٦.

خلاف أو النفي، ويذكر أن جهادهم أحب من جهاد الروم،[1] وقد افتى الفقهاء بضرورة قتال المحاربين بالأخص عندما يقطعون الطرق وينشرون الذعر ولكن دون ملاحقتهم بعد هروبهم إذا لم يكونوا قد ظفروا بشيء أو قتلوا أحد فمنعت الفتوى عن تتبعهم[2]وعد الفقهاء مسؤولية قتال المحاربين مسؤولية تقع على عاتق جميع الأهالي، ولا يعفى عن المحارب إذا ظفر به، على إن إقامة الحد تسقط عن المحارب إذا تاب قبل القبض عليه،[3] وبدهي القول إن هذه الأحكام القاسية عكست واقعاً اجتماعياً مضطرباً كثرت فيه عمليات السطو وقطع الطرقات.

وفي هذا السياق تذكر المصادر وجود" ثلاثين نفساً مصلوبين من قطاع الطريق "[4] في تعبير واضح عن عدم التهاون مع قطاع الطرق والمعتدين على أموال الناس وأرواحهم، واحتفظت كتب النوازل بكثير من الحالات التي تذكر الحرابة وذلك دليل على وجودها بقوة حيث سئل عن شراء الأنعام من عرب إفريقيا "الذين لا شغل لهم إلا شن الغارات ". [5]

وإن حالة الفقر لدى الفئات البدوية ألجأتهم للسرقة والنهب " رزقهم في ظلال رماحهم "، فكانت المواشي تنتزع بأن يقوم أحدهم بإخراج الحيوان فيما يظل أصحابه متحفزين للرد بأسلحتهم، و يخفون ما تمت سرقته في مكان بعيد عن العيون، وفي الحالات العادية لا ترجع لصاحبها إلا بعد دفع غرامة ،وقد يتم الأمر في وضح النهار وعلى مرآى سكان المدينة ومسمعهم .[6]

برزت مجموعة من المهمشين الذين اتخذوا من قطع الطريق والسرقة حرفة لهم وعرفوا بتسميات خاصة مثل :

– الخناقون :التجأوا إلى الخنق وسقي الناس السيكران، حتى أصبحوا يعرفون في تونس بالخناقين.[7]

---

(1) ابن عرفة : المختصر الفقهي، ج٧، ص١٧٦؛ حسن : المدينة والبادية، ج٢، ص٦٤٦.

(2)ابن الشماع : الأدلة البينة، ص ١٣٥ ؛ حسن : المدينة والبادية، ج٢، ص ٦٤٧ .

(3) الونشريسي : المعيار، ج٢،ص٤٣٥،٤٣٤.

(4) المقري : نفح الطيب، ج ٣، ص٣١٦،٣١٥.

(5) البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ص١١١؛ الونشريسي : المعيار، ج٢، ص٤٣٦ .

(6) حسن : المدينة والبادية ،ج٢، ص٦٥٣.

(7) ابن عرفة : المختصرالفقهي ، ج٧، ص٢٧٢ ؛ حسن : المدينة والبادية،ج٢، ص٦٦٠.

– الشفارون : يرجع أصل التسمية ، لأن الواحد منهم يحمل شفرة حادة ، وينظر للناس فإن ظهر له المال في ذراع أو وسط الرجل ينهال عليه بالشفرة على موضع المال وربما جرح المأخوذ منه أو قطع عضواً منه بشدة الضربة بلا رحمة ولا إنسانية .[1]

وانتشرت ظاهرة " الصقورة "، وتعني جماعة الصعاليك الفتاك، وقد تعاظم خطرهم في المدن والبوادي ،وقد ألحقت جماعات الصقورة الهزائم بالحملات الرسمية التي أرسلت للقضاء عليهم ، ويبدو أن هذه الظاهرة كانت موروثة منذ عهد الموحدين، إذ كان لهم دور في عهد الرشيد في " تدمير البحائر وقطع مياهها وشجيراتها ، فخلت أمامهم القرى إلا من كان عليه سلطان من الرعية "[2] ما يعني أن هذه الجماعات قد كونت كيانات محلية مستقلة وخارجة عن طاعة السلطة الرسمية، وركز الصعاليك نشاطهم على حركة التجارة مع بلاد السودان .[3]

ويجدر القول أن المجاعات لم توجد السرقة والحرابة بل هي ظاهرة موجودة في المجتمع منذ القدم ،لكن المجاعات وتدني مستوى المعيشة أدى لتزايد هذه الظاهرة في المجتمع، أي أن الشخص الذي لم يمتهن السرقة قط قد ولكن اضطرته المجاعة إلى السرقة بسبب الحاجة .

ولعل أكثر ما يبرز أن ظاهرة الحرابة واللصوصية كانت في ازدياد زمن المجاعات أن الخليفة الموحدي عبد المؤمن وبنص رسالة ، أكد ضرورة محاربة اللصوص والمحاربين وقاطعي الطريق " لنكف بعقابهم نوعهم الظالم وصنفهم " فبملاحقتهم وعقابهم سيرتدع اللصوص و يعتبرون مما حل بسواهم .[4]

فنتيجة للمجاعة المتزامنة مع القحط والجراد، ازدادت مأساة أهل الأندلس في الربع الأول من القرن ٦هـ/١٢م، وخصيصاً في مدينة إشبيلية، حيث ذكرت المصادر حدوث أعمال سلبٍ وسرقة وتشطط الفلاكي قاطع الطريق على التجار في الإغارة وأعمال السلب [5]

---

(١) حسن : المدينة والبادية،ج٢، ص٦٥٣ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣١٨ ؛ إسماعيل : سيسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص١٨٣.

(٣) إسماعيل : سيسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص١٨٤.

(٤) العزاوي : رسائل موحدية، ص٦٦،٦٥ .

(٥) عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ١،ص٢٢٧ .

ففي سياق الحديث عن حريق مراكش عام٦٠٧هـ/١٢١٠م ،حيث ذكرت المصادر أن الحريق قد شب " والناس أووا إلى مضاجعهم وسكنوا إلى هدوئهم ...فتمكنت النار بيابس العيدان وشفوف الثياب وأسرعت كالشهاب في سقف الأسواق، فما هب الأقربون من نومهم ...إلا وقد شب لهبها بين الآفاق وعلت ضجته المدينة، وهتكت العامة بما والاها من الدروب المقفلة ".[١]

وعلى الرغم من أن الحريق قد شب في فصل الصيف إلا انه قد حدث مساءً والناس نائمون ممّا يرجح أن هذا الحريق حدث بفعل فاعل فقد ذكرت المصادر "واقتحمت النار سفلة الغوغاء وضروب الغرباء فسلبوا بعض ما ألفوه مما سلم من الحريق وتسللوا به كل طريق...فما طلع الصباح وبقي من أمتعة مراكش ذبالة مصباح" ،حيث يشير النص لأعمال النهب والسرقة التي حدثت والناس منشغلة في الحريق فيرجح أن الحريق أحدثه اللصوص؛ لإشغال الناس عما سيقومون به من سلب ونهب خاصة إذا عُلِمَ أن السنة التي شب فيها الحريق هي السنة نفسها التي أمر فيها الناصر الموحدي عماله بادخار المؤن والأقوات استعداداً للسير نحو الأندلس، "فاشتدت محن العوام و لقي الناس من تنوع المسغبة وانتشار المجاعة وعدم الأقوات ما لم يعهده الناس"[٢] ، فنتيجة لجوع الناس والمجاعة الناتجة عن سوء التدبير السياسي قام اللصوص بتدبير الحريق للظفر بقوتهم، وليس المراد من ذلك القول أن الفقراء هم لصوص، إنما يرجح أن الحاجة ، قد دفعت الفقراء لاقتراف مثل هذا العمل فليس كل فقير لص وليس كل لص فقير ولكن الحاجة والمجاعة أودت بالناس لمثل هذا السلوك ، فبحسب المثل المغربي " بات بلا لحم تصبح بلا دين " أي أن المجاعة قد تجعل الأنسان يلجأ لتصرفات ما كان ليفعلها في الأوقات العادية .[٣]

قد يكون السطو والتعدي سلوكاً اتبعته الجهات الرسمية وليس فقط اللصوص وحدهم فخلال مجاعة ٦٠٧هـ/١٢١٠م، تذكر المصادر تشدد الخليفة الناصر الموحدي على عماله الذين نهبوا مخازن المؤن مما زاد من ضيق الحال والشدة،[٤] لكن الخليفة لم يقم بإخراج الحبوب من المخزن أو القيام بأي إجراء من شأنه تكسير طوق الغلاء، بل اكتفى بالمعاقبة فربما كان إجراءه ذلك يقصد منه

([١]) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٥٨،٢٥٧.

([٢]) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٥٩ ؛ العلوش : أثر الكوارث، ص١٣٦؛ بولقطيب : جوائح وأوبئة،ص٦٢ ؛ عبد الجبار: سقوط الدولة الموحدية، ص١٣٩.

([٣]) (محمد) : أقنعة الطعام ،الدار البيضاء، مجلة أمل التاريخ الثقافة المجتمع، ع١٦، ١٩٩٩، ص١٦٢.

([٤]) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٥٨،٢٥٩ .

مصادرة أموال العمال وضمها لمخزنه لا أكثر، إذ كان يقوم بادخار المؤن والأقوات استعداداً للسير نحو الأندلس وكان هو ذاته سبباً في انتشار المجاعة على نطاق أوسع، فتعاقب المختلس وتصادر أمواله ثم تعيدها مجدداً للخزينة، هو أمر لا يصب في مصلحة الناس بل المخزن وحده من يستفيد من مثل تلك الإجراءات، أي أن الخليفة كان قد صم أذانه تماماً عن معاناة الناس وصب اهتمامه على الحملة المتوجهة للأندلس .[١]

قد تتحالف السلطة مع اللصوص وقطاع الطرق وما يزيد من الجور والتعسف الذي يعانيه الناس، فيذكر أن الوزير أبا سعيد بن جامع[٢]الذي نهب أموال المسافرين والتجار، إذ يذكر أن تجاراً قد سُلبوا، فتوجهوا للوزير بن جامع للشكاية، فوجدوا مسروقاتهم، تدخل دار الوزير فكفوا عن الشكاية، ما يدل على أن هؤلاء اللصوص ما هم إلا أفراد لعصابة يقودها الوزير نفسه.[٣]

وشهادة العبدري عند اجتيازه مدينة تلمسان تؤكد انتشار مثل هذه الظواهر :" لا يسلم منم صالح ولا طالح ، ولا يمكن أن يجوز عليهم إلا مستعد يتفادون من شره ، وطلائعهم أبداً على مرقب، لا يخلوا منها البتة ". [٤]

وتصف المصادر صعوبة اجتياز الطريق بين تلمسان ورباط تازة بسبب قطاع الطرق ، إذ وُصِفَ الطريق بأنه منقطع وموحش " لا يخلوا من قطاع الطرق وهم بها أشد خلق الله ضراراً وأكثرهم جرأة وأقلهم حياء ومروءة " حيث كاد العبدري ذاته يقع ضحية اللصوص؛ لولا وجود الحراس،[٥] لكن وجود الحراس على الطرقات لا يعني أمانها بشكل تام وذلك لأن الطرقات طويلة جداً، ولا يمكن تغطيتها أمنياً بشكل كامل.

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٥٩ ؛ العلوش : أثر الكوارث، ص١٣٦؛ بولقطيب : جوائح وأوبئة،ص٦٢؛ عبد الجبار: سقوط الدولة الموحدية، ص١٣٩.

(٢) أبو سعيد بن جامع: أبو سعيد عثمان بن عبد الله بن جامع أخذ منصب الوزارة والحجابة للخليفة الناصر الموحدي ولم تكن الأمور المتعلقة بالدولة وشؤونها تصل للخليفة إلا بعد مشقة لشدة نفوذه، السامرائي(أسامة عبد الحميد حسين): تاريخ الوزارة في الأندلس ١٣٨-٨٩٧هـ/٧٥٥-١٤٩٢م، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ص١٧١.

(٣) ابن عبد الملك : الذيل والتكملة، س٨، ق ١، ص١٧٧،١٧٦.

(٤) العبدري : رحلة العبدري، ص٢٥.

(٥) العبدري : رحلة العبدري، ص٢١٢.

وعن سوء الحالة الأمنية على طرقات تلمسان يذكر أنه خلال مجاعة عام ٧٧٦هـ/١٣٧٤م كان الطريق عرضة للصوص، حيث يتعجب الناس إذا وصل أحدهم لتلمسان سالماً، ويحزنون لرحليه، وكأنهم يتنبؤون بأن مكروهاً سيحصل له لا محالة من جراء قطاع الطرق " وكان أمر الطريق في الخوف والجوع ما مقتضاه أن كل من يقع قدومنا عليه يتعجب من وصولنا سالمين ثم يتأسف علينا عند ارتحالنا حتى أن منهم من يسمعنا ضرب الأكف تحسراً "،[١] كما أشارت المصادر إلى ظاهرة التعدي التي استهدفت مدخرات مدينة تلمسان ٧٣٢هـ/١٣٣١م من المؤن ، فعانى الناس جراء ذلك من نقص المؤن وشظف العيش،[٢] ويرجح أن كثرة اللصوص قرب تلمسان وعلى طرقاتها ناجم عن المجاعات وحالة الفاقة الشديدة الناجمة عن الحصارات الطويلة، وغياب الأمن وحضور الدولة في تلك المناطق.

كما أنّ أهل باجة قد عانوا من إغارة الأعراب وسطوهم المتكرر عليها حتى شبهت بالبوادي بعد أن كانت مدينة عامرة " قد هتكتها الأيدي العادية ... حتى صارت وهي حاضرة بادية ". [٣]

ووردت في شأن قطاع الطرق واللصوص عدد من الفتاوى تدين أعمالهم وتجرمها وتؤكد أن ينالوا عقابهم وحد مالك في الحرابة " القتل أو الصلب أو القطع من خلاف أو النفي " ، وقيل "جهادهم إليه أحب من جهاد الروم" [٤] كما ذُكر أن "على المسلمين التعاون على قتالهم لكف أذيتهم عن المسلمين". [٥]

---

(١) ابن قنفذ : أنس الفقير، ص١٥٠،١٤٩؛ بلعربي : المجاعات والأوبئة، ص ٢٤.

(٢) ابن خلدون : العبر،ج٧، ص٣٠١، العلوش : أثر الكوارث، ص١٣٨ .

(٣) العبدري : رحلة العبدري، ص٦٦ .

(٤) الكشناوي (أبو بكر بن حسن بن عبد الله ت ١٣٩٧هـ /١٩٧٨م): أسهل المدارك شرح إرشاد السالك في فقه إمام الأئمة مالك، بيروت، دار الفكر، ط٢، د.ت، ج٣، ص٦٢ ؛ حسن : المدينة والبادية،ج٢، ص٦٤٦ .

(٥) ابن الشماع: الأدلة البينة، ص١٣٥.

وقد ورد أن أعراب الديلم وسويد وبني عامر في المغرب الأوسط أقدموا عام ٧٩٦هـ/١٣٩٣م على قطع الطريق والاعتداء على القوافل وسرقتها، ووصل الحد بهم إلى قتل أصحابها واختطاف نسائها ولم يتمكن ولاة الأمر من وضع حد لاعتداءتهم.(١)

حتى إن التجارة كانت تضررت جراء هكذا أعمال، إذ كانت اللصوص وقطاع الطرق يغيرون على الطرق الرئيسة التي تعبرها القوافل التجارية ،ومنهم من انتحل صفة المخزن، وأصبح تمييزهم عن المخزن الحقيقي أمراً صعباً على التجار وذلك في عهد الخليفة الموحدي عبد المؤمن وتحديدً خلال مجاعة عام ٥٤٣هـ/١١٤٨م،(٢) ووجدت بعض المحاولات لتفريق عمال المخزن عن اللصوص والمحتالين، ولكن لا يمكن عدها فعالةً بشكل كبير؛ لأنها تقوم على الحدس والتخمين والاستدلال بملابس المعتدي وهيئته الخارجية،(٣) كما كانت الطرق الرئيسة الرابطة بين القيروان والجريد والقيروان وباجة معرضة لأعمال السلب نهاية القرن ٦هـ/١٢م و أواسط ٧هـ/١٣م، حيث كانت مجموعة من فرسان بني وائل من حكيم (٤) مكونة من مئة فارس تغير على بلاد الجريد. (٥)

وأثناء المحنة التي شهدها المغرب عام ٦٢٤هـ/١٢٢٦م، عانى المغرب من الغلاء، وساد الخراب واشتد الضيق والخوف في المسالك الرئيسة ممّا زاد معاناة المستضعفين وعكس جلياً العلاقة بين المجاعات والاضطراب الأمني، وانتشار اللصوصية، وقطع الطرق .(٦)

---

(١) الونشريسي : المعيار، ج٦، ص١٥٦،١٥٣.

(٢) ابن الأثير : الكامل،ج٩، ص ١٥٥ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٩،٣٨؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٩٤؛ العلوش : أثر الكوارث، ص ١٣٧.

(٣) الوليدي : الحلال والحرام ، ص ٧٤ ؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص٨١.

(٤) بنو وائل من بنو حكيم : هم من بنو حصن بن علاق لقد نزل بنو حكيم ٦٣٠هـ/١٢٣٢م بأطراف بلاد الساحل بين سوسة والجم، وكان المنتجعون منهم أحلافاً لبني كعب، وبنو وائل أحد بطونهم النازلة بناحية القيروان وقد اشتهر منهم أولاد عبد الرحيم،وخصوصاً ميمون بن كرفاح الوائلي الذي أقطعه المستنصر هناشير شاسعة بناحية القيروان لمشاركته الفعالة ضد الصليبيين، ابن خلدون : العبر، ج ٦، ص ١٠٧؛ حسن : المدينة والبادية، ج١،ص١٢٦ .

(٥) مجموعة من المؤلفين : المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، تونس، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ٢٠٠٠م، ص ٣٤١ .

(٦) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ٣٢٦ ؛ العلوش : أثر الكوارث، ص ١٣٧ .

ويذكر أن الأعراب قد قطعوا الطريق الساحلي من الإسكندرية[١] إلى طنجة حتى أن المارين بهذا الطريق حرصوا على ألا يحملوا معهم شيئاً ثميناً خشية نهبه، كما كانت قوافلهم تتسلح بفرق من الحراس لحمايتهم،[٢]ما يحمل دلالة واضحة على مدى خروج الطرقات عن سلطة الدولة ممّا اضطر التجار؛ لاستئجار الحراس لحمايتهم، واضطر المسافرين لعدم حمل ماهو ثمين بسبب انعدام الأمن على الطرقات .

وفي الفترات التي يقل بها الأمن، تتوجه أنظار قطاع الطرق نحو أرباب المال وكبار الملاك وأصحاب المواشي،[٣] وتصف المصادر اللصوص وتتحدث عن أحوالهم ، حيث يتصفون بشعرٍ طويلٍ، ويحملون رماحاً طويلة وخناجر وغالباً من الشباب العزاب، كانوا يختارون أوقاتاً محددة للسرقة، كفصل الصيف وعندما تخمد القرى وتخف الحركة، حيث ينتظرون حلول الليل وغفلة الحراس عن مراقبة الطرقات، فيقدمون على نهب الأموال وانتهاك الحرمات،[٤] وقد تنوعت الحيل إذ كانوا يتلثمون في الأندلس على العهد المرابطي؛ ليوهموا الناس أنهم من المرابطين الذين درجوا على ارتداء اللثام، فيستغل اللصوص ذلك للإغارة وقطع الطريق وانتهاك الحرمات وهو ما تفطن له ابن عبدون حيث قال : " يجب أن لا يلثم إلا صنهاجي أو لمتوني أو لمطي، فإن الحشم والعبيد ومن لا يجب أن يلثم يلثمون على الناس ويهيبونهم ويأتون أبواباً من الفجور كثيرة بسبب اللثام". [٥]

---

(١) الإسكندرية : مدينة عظيمة من ديار مصر وقاعدة من قواعدها على البحر المتوسط بناها الإسكندرالكبير ونسبت إليه، الحميري : الروض المعطار، ص٥٤،٥٦ .

(٢) إسماعيل : سيسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص٨٠.

(٣) بوتشيش : مباحث، ١٩٢ ؛ عمرون (بلال) : الآفات الاجتماعية في المجتمع الأندلسي من خلال كتب النوازل ورسائل الحسبة منتصف القرن ٥هـ/١١م إلى منتصف ٦هـ/١٢م، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة لونيسي علي، ٢٠١٥-٢٠١٦م ، ص٦١ .

(٤) ليفي : ثلاث رسائل أندلسية، ص ١٨؛ بوتشيش : مباحث، ص ١٩١ ؛ عمرون : الآفات الاجتماعية، ص ٦٢.

(٥) البكري : المغرب ، ص ١٧٠ ؛ ليفي : ثلاث رسائل أندلسية، ص ٢٨ ؛ عمرون : الآفات الاجتماعية، ص٦٣ .

وتتحدث المصادر عن أن الأذى بلغ باللصوص أنهم لم يحترموا حرمة المساجد ورهبتها بل قاموا بانتهاكها وتسببوا للقارئ إسحاق بن مطهر[1] بإعاقة في ساقه فعرف من بعدها بالأعرج.[2]

وبالرغم من التشديد والمراقبة المستمرة للأزقة والدروب فإن اللصوص كانت لهم أساليبهم في تسلق المباني المشيدة وفتح الأغلاق الصعبة، وقتل صاحب الدار حتى " ولا تكاد الأندلس تخلومن أن دار فلان دخلت البارحة، وفلان ذبحه اللصوص على فراشه" .[3]

وعن اللصوصية في قرطبة يذكر أن أهلها " كانوا في بلاء عظيم يتحارسون الليل كله ويكابدون من روعات طراقه ما لا يكابد أهل الثغور من العدو"[4] ولتأكيد انتشار الظاهرة يذكر الوزان أن عنان فرسه قد سرق في لحظة غفلة منه في معسكر.[5][6]

ويذكر أنه في صحراء أنقاد يأوي عصابة من اللصوص الأعراب على استعداد دائم للفتك بالمارين من هناك،[7] وفي السياق ذاته تعرض أحد أصحاب الشيخ أبي زيد عبد الرحمن

---

(1) إسحاق بن مطهر : الفقيه العالم العلامة هو من قبائل بني ورياغل فخذ بني يملك كان شيخه أبو محمد الهسكوري، كان أوحد زمانه في الفقه والسخاء مالان جانبه قط لسلطان، البادسي : المقصد الشريف، ص ١١٠.

(2) البادسي : المقصد الشريف، ص ١١٠ ؛ بنحمادة : الإعاقة الجسدية ، ص ٢٩ .

(3) المقري : نفح الطيب، ج١، ص ٢١٩ ؛ دندش : الأندلس، ص ١٣٤ ؛ بوتشيش : مباحث، ص١٩٢ .

(4) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ج٢، ص٢٢٦ ؛ بوتشيش : مباحث ، ص ١٩٢.

(5) معسكر : تقع في الجزائر في مرتفعات إقليم بني راشد، الوزان : وصف إفريقيا،ج٢،ص٢٦

(6) الوزان : وصف إفريقيا، ج٢، ص٢٧؛ بكاي : الحياة الريفية، ص١٦١.

(7) الوزان : وصف إفريقيا، ج٢، ص١١ ؛ بكاي : الحياة الريفية ، ص ١٦١ .

الهزميري[1] بأغمات للسرقة بالحمام وكانت المسروقات ثمانين ديناراً من الذهب وحجر من الياقوت وكرة من العنبر، فلجأ الوالي لتفتيش الناس وسجن بعضهم.[2]

وكانت السرقة تستوجب إقامة الحد، أما من اشتهر بالسرقة فيسجن حتى الموت،[3] وقامت طائفة من أهل فاس في العصر المرابطي بالإخلال بأمن المدينة والقيام بالسرقة "عاثوا فيها فساداً ومنعوا جفون أهلها السبات وأخذوا البنين من حجور أمهاتهم والبنات " فقام يوسف بن تاشفين بسجنهم في سجنٍ بأغمات.[4]

ويستدل على تفاقم أعمال السلب والنهب في مدينة رية الأندلسية في الربع الأخير من القرن٨هـ/١٤م من خلال الفتوى التي صدر تحول تحريم شراء اللحم المسروق [5] في محاولة لمقاطعة البضائع المسروقة وبالتالي تقليص السرقات لعدم إقبال الناس على شرائها، وكانت عقوبات اللصوص تتراوح بين الضرب الذي يكون على قدر الجرم، أو الغرامة المالية أو يصل حد هدم الدار وإتلاف أموال اللص ردعاً لأمثاله .[6]

---

(1) أبو زيد عبد الرحمن الهزميري : عبد الرحمن بن عبد الكريم الإمام العارف الكبير من أهل فاس توفي حوالي ٧٠٧هـ /١٣٠٧م خصه الشيخ محمد بن عبد الله بن تيجلات المتوفي بعد٧٢٠هـ/١٣٢٠م وأخاه بكتاب إثمد العينين بمناقب الأخوين، ابن عيشون : الروض العطر الأنفاس، ص٢٠٦؛ التنبكتي (أحمد بابا ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٦م) : كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٠م، ج١، ص٢٣٨، سيتم ذكر المصدر باسم التنبكتي : كفاية المحتاج .

(2) نشاط (مصطفى): السجن والسجناء نماذج من تاريخ المغرب في العصر الوسيط ، الدار البيضاء، مطبعة إفريقيا الشرق، ٢٠١٢م، ص١٩ .

(3) الونشريسي :المعيار، ج٢، ص٢٨٦ .

(4) نشاط : السجن والسجناء، ص٢٦.

(5) النباهي : المرقبة العليا ، ص ١٢٨؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص٩٦.

(6) الونشريسي : المعيار، ج٢، ص٢٨٦؛ خلاف (محمد عبد الوهاب): وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي، مراجعة، محمود علي مكي، القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام، ١٩٨٠م، ص ٩١؛ بكاي : الحياة الريفية، ص١٥٣.

كما وجدت العقوبات العرفية حيث عمد في الصحراء إلى إحضار عود وقطعه لنصفين ويشد به على صدغي السارق إلى أن يعترف إذ كان يؤلم بشدة ولا يستطيع الصبر والتحمل.[١]

كما إن البدو من زناتة قد قطعوا الطرق إلى تجارة السودان ، كما وعرفت خطة الطواف بالليل وحرس الليل أو مايعرف بالدرابين في الأندلس.[٢]

وقد لخص أحد الشعراء خطر القراصنة[٣] في البحر وقطاع الطريق في البر فيقول :

نَاهِيكَ عن بَلدَةٍ من حُلِّ سَاحَتِهَا

عَانَى بِهَا العَادِيين : الرُّومُ وَ العَربُ

كَم ضُلّ في البَرِّ مَسلُوباً بَضَاعَتُهُ

وَبَاتَ في البَحرِ يَشكُو الأَسَر والعَطَبَا .[٤]

يبدو أن الظروف القاهرة التي ألمت بالناس في خضم المجاعات جعلتهم لا يفرقون في عمليات السلب والسرقة بين غني وفقير، ولا يقيمون أي اعتبار لذلك، فإن كانت السرقة لها آثارها السلبية على الأغنياء والتجار، فكيف إذاً بالفقير عندما يتعرض للسلب ؟

---

(١) البكري : المغرب، ص١٧٠ ؛ بكاي : الحياة الريفية، ص ١٥٤.

(٢) المقري : نفح الطيب ،ج١، ص٢١٩؛ ليفي : ثلاث رسائل أندلسية، ص ١٨؛ الطوخي : مظاهر الحضارة، ص ٢٠٧؛ إسماعيل : سيسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص٨١ .

(٣) حيث هيمنت الأساطيل المسيحية على الملاحة في المتوسط وتعاظمت حركة القرصنة التي أثخنت سواحل المغرب والأندلس قتلاً وأسراً وسلباً،كما وقام البيازنة بغارات نالت من السفن الموحدية وتحالفت أساطيل النورمان والمدن الإيطالية مع الإسبان على تخريب ميناء المرية، العزاوي : رسائل موحدية،ص٢١٢؛ إسماعيل : سيسيولوجيا الفكر الإسلامي،ص٧٨،٧٨ ؛ مسعد : الحياة الاقتصادية، ص١٤٩.

(٤) إسماعيل : سيسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص٨١.

ب- التسول [1] :

إن المجاعات أحد أبرز العوامل التي تبدل حال الأنسان من الغنى إلى الفقر ، فيضطر للتسول طلباً للقمة العيش، والباحث في التاريخ يجد المتسولين من أكثر الشرائح الاجتماعية التي تعرضت للتهميش من قبل المؤرخين، فالمصادر التي تناولت سيرتهم ، ذكرتهم بشكل مقتضب وفي سياق الأحداث وليس بوجه محدد ما يجعل تقصي أخبارهم أمراً صعباً .

كانت شريحة المتسولين ناتجة عن التمايز الاجتماعي والمجاعات والأزمات المتعددة من غلاء وارتفاع الأسعار والجفاف والحصارات الطويلة التي عرفها المغرب والأندلس ، بالمقابلة مع مظاهر الترف والملذات التي أفرغت بيت المال، وتطلبت ابتكار ضرائب إضافية أثقلت كاهل الرعية ما أنتج شريحة اجتماعية غير قادرة على الاندماج في عملية الإنتاج.[2]

من خلال نوازل الفترة المدروسة يلاحظ أن ظاهرة التسول كانت منتشرة إذ " سئل عن من له قريبة فقيرة لا تقدر على التسول ولا على التصرف هل يخصها بماله"،[3] حيث يلاحظ من خلال النازلة أن هناك الكثير من المحتاجين كانوا يلجأون للتسول؛ لتحصيل قوتهم ، ولذلك تم عرض القضية على المفتين لأخذ رأيهم لو كانت حالة عابرة غير متواجدة بكثرة في المجتمع .

ومن خلال كتب الفتاوى والنوازل يستطيع الباحث التعرف على أماكن تجمع المتسولين وفي مقدمتها المساجد والأسواق العامة،[4] وتذكر كتب الحسبة أنه يجب "ألا يترك ساع في

---

(1) التسول : طلب الصدقة والاستجداء وطلب النقود من الناس، أما التشرد فهو يعني عدم وجود محل إقامة معروف ولا وسائل معيشية والركون إلى الخمول رغم القدرة على العمل والاعتماد على التسول والصدقات ،والتسول صورة من صور التشرد، بدوي (محمد زكي): معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٢م، ص٣٧ ؛ العادلي (فاروق محمد): ظاهرة التسول،مصر، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، ٢٠٠٦م، ص١٤.

(2) خليلي : الفقر، ص٢٣٩؛ بوتشيش : مباحث، ص٢٠١ .

(3) البرزلي : جامع مسائل الأحكام، ص ٥٧٦ .

(4) خليلي : الفقر، ص٢٤٠؛ بوتشيش : مباحث، ص١٩٢،١٩١.

رحاب الجامع "، يرجح أن ظاهرة التسول تكثر زمن المجاعات إذ تغدوا المساجد دوراً للإغاثة والإطعام .[١]

لا تمد المصادر الباحث بالمعلومات الكافية حول استجابة الناس للمتسولين ، لكن يذكر أن في الأندلس من يتسول وهو قادر على العمل، ولا علة جسدية فيه يزجر ويوبخ،[٢] وفي أحد كتب التراجم ذكر أن متسولاً وقف على باب أبي شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي[٣] واشتكى له مرضه وفقره وكثرة عياله، فطلب من أحد مريديه أن يحسن إليه،[٤] يلاحظ مما سبق أن المتسولين كانوا يلجأون لاستثارة عواطف الناس الإنسانية من خلال إبراز الحاجة ذكر الأطفال الجائعين من أجل كسب المال، كما جرت العادة أن يقوم المتسولون في الأندلس بجولات في الطرقات وإنشاد مقاطع من الأغاني الشعبية والزجل كسباً لعطف المارة وشفقتهم مثل: يا مطر ابن شلبطاط تن حزين وتن يناط ترا اليوم وشطاط لم تذق فيه غير لقيمة، وتن تعني حيناً ويناط تعني الشدة ومعنى القول : يا أماه تعالي أنجديني أنا حيناً حزين وحيناً أتألم ، فطوال هذا اليوم لم أذق فيه غير لقيمة،[٥] كما وكان المتسولون في المغرب، يستغلون الأعياد والمناسبات الدينية، لطلب الصدقات مثال على ذلك أنه في الاحتفال بيوم عاشوراء، كانت توزع الصدقات والزكاة على الحتاجين والمتسولين الذين يتجمعون قرب المساجد . [٦]

كما كان المتسولون يطلبون الصدقات قرب أبواب الأضرحة أو بداخلها كأولئك الذين يلازمون باب ضريح أبي شعيب الغوث بتلمسان حتى غدوا جزءاً من المشهد العام المحيط

---

(١) ابن قنفذ : أنس الفقير وعز الحقير، ص٧؛ ليفي : ثلاث رسائل أندلسية، ص ٢٤.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢٠٥ ؛ بوتشيش : مباحث، ص ١٨٩ .

(٣) أيوب بن سعيد الصنهاجي: من بلد أزمو وهو من أشياخ أبو يعزى قدم إلى مراكش بعد عام ٥٤١هـ/١١٤٦م وتوفي بأزمور كان معلماً للقرآن بقرية يليسكاون من بلد دكالة، ابن الزيات: التشوف،ص١٨٧.

(٤) ابن الزيات : التشوف، ص١٨٨،١٨٧

(٥) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي، ص١٦١.

(٦) بوتشيش : مباحث،ص ١٩٠؛ خليلي (بختة) : دور بعض السلاطين والفقهاء والوجهاء الزيانيين في كواجهة ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع ١٥، الجزائر، ٢٠١٦م، ص٢٩ .

بالمسجد وطقساً من المراسيم المتبعة من قبل زواره الذين بعد القراءة والدعاء يقدمون للمتسولين بعض المال على سبيل الصدقة.(١)

لا مراء أن المتسولين كانوا يكابدون ظروفاً أقسى من غيرهم في فترات المجاعات ،حيث تقل فرص حصولهم على الطعام وربما تنعدم حيث وصل الأمر بالناس العاديين لتناول أطعمة غير عادية ومنفرة هذا بالنسبة للناس العاديين، فما هو حال المتسولة بالتأكيد أن أغلب ضحايا المجاعات هم من فئة الفقراء والمتسولة ؟

خلال مجاعة عام ٧٧٦هـ/١٣٧٤م يذكر وجود المتسولة قرب قبر الولي أبو مدين شعيب(٢) حيث ذكر نصيحة ابن قنفذ للزائرين " وإن تيسرت لك صدقة للضعفاء والمساكين الملازمين على الباب فادفعها "،(٣) كما ورد عن بن مرزوق الولي أبي زيد بن يعقوب الصنهاجي جاءه سائل يسأل قوته وقوت عياله خلال مجاعة كانت بتلمسان ، فأثره الشيخ بالخبز على الرغم من حاجة أهل بيته إليه .(٤)

من الجدير بالذكر أن ظاهرة التسول لم تكن حكراً على الرجال إذ وجدت النساء المتسولات، حيث ورد في إحدى النوازل جاءت امرأة إلى زوجة الولي أبي عمران موسى بن إسحاق، تطلب منه الصدقة التي كان قد وزعها للفقراء من ماله الذي ورثه .(٥)

كان التسول مقياساً يمكن من خلاله معرفة مستوى المدينة الاقتصادي ورخاء السكان، حيث تذكر الأمثال الشعبية مثل " إذا ابتليت بالسعي، أقصد الديار الكبار"،(٦) أي المدن الكبرى المأهولة ذات النشاط الاقتصادي الواسع يكون أهلها في حالة من الرخاء تمكنهم من التصدق على ذوي الحاجات، على عكس سكان المناطق الصحراوية أو النائية، فالمتسولة يختلفون في

---

(١) ابن قنفذ : أنس الفقير وعز الحقير، ص ١٠٦.

(٢) أبو مدين شعيب: بن حسين الأنصاري أصله من حصن قطيانة ثم نزل ببجاية وأقام فيها وتوفي وهو في طريقه لمراكش عام ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م ودفن بالعباد خارج تلمسان، كان فاضلاً زاهداً عارفاً بالله، ابن الزيات: التشوف،ص٣١٩.

(٣) ابن قنفذ :أنس الفقير وعز الحقير، ص ١٤٩،١٥١.

(٤) المرزوقي : المناقب، ص ٢٩٩.

(٥) خليلي : الفقر ، ص٢٣٤.

(٦) بوتشيش : مباحث، ص ٢٢٠.

مطالبهم باختلاف الأمصار والعمران[1] فالمتسولة في فاس يسألون أيام الأضاحي أثمان أضحياتهم وكثيراً من أحوال الترف واقتراح المأكل مثل سؤال اللحم والسمن والملابس والماعون، ولو سأل متسول مثل هكذا أمور في تلمسان ووهران لعنف وزجر.[2]

وكان عدد الفقراء والمتسولين الملازمين لزاوية القديدي[3] في تزايد من الستين إلى الثلاثمائة، إذ كانوا يلجأون للزاوية للاستفادة من الأموال التي يتبرع بها الزوار،[4] وفي زاوية الجديدي[5] مئة رجل من الفقراء [6]، والأرقام تدل على زيادة في أعداد الفقراء والمتسولين المحتاجين للصدقات وكذلك على دور الزوايا في تأمين احتياجاتهم .

---

(١) بنشريفة (محمد): تاريخ المثال والازجال في الاندلس والمغرب بحوث ونصوص، الرباط، منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م، ج١، ص٣٢٧.

(٢) ابن خلدون : المقدمة، ص٣٤٣.

(٣) زاوية أبو علي سالم القديدي: نشأت في قرية قديد بالساحل وسط منطقة فلاحية ٧هـ/١٣م، لم يدرس صاحبها بالقيروان بل التجأ إلى قلعة سدادة بالجريد ليتعلم على يد سيده أبي هلال السدادي الذي حثه على إنشاء زاوية بالساحل،ففعل ذلك وأصبح للزاوية سعاة في كافة جهة الساحل والقيروان وبلاد هوارة وقبائل الكعوب ودباب وكان الفلاحون يفدون عليها محملين بالهدايا لأبي سالم لحمايتهم من الظلم والآفات والكوارث، الدباغ(أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري ت ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م)، ابن ناجي (أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى التنوخي ت ٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م) : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح، محمد الأحمدي أبو النور، محمد ماضور، تونس، المكتبة العتيقة، د.ت، ج٤، ص ٤٩، سيتم ذكر المصدر باسم الدباغ ، ابن ناجي : معالم الإيمان؛ مجموعة من المؤلفين : المغيبون، ص ٣٣٧ .

(٤) مجموعة من المؤلفين : المغيبون، ص٣٢٤ .

(٥) زاوية الجديدي : نسبة لمؤسسها أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن العزيز السبائي الجديدي المتوفي ٧٨٦هـ/١٣٨٥م وهي التي تعرف حاليا بالزاوية الغريانية نسبة إلى أبي سمير عبيد الغرياني الذي ورثها عن شيخه الجديدي، الدباغ، ابن ناجي : معالم الإيمان، ج٤، ص ٢٢٧ ؛ مجموعة من المؤلفين : المغيبون، ص٣٢٣.

(٦) الدباغ، ابن ناجي : معالم الإيمان، ج٤، ص ٢٢٦ ؛ مجموعة من المؤلفين : المغيبون، ص٣٢٣.

ج . الرقيق :

على الرغم من قلة ما تجود به المصادر في هذا السياق إلا أنه وجب التنويه لوجود حالات من تحول الأحرار لرقيق كأحد نتائج المجاعات التي عانى الناس منها، فقد فضلوا الطعام على الحرية، فخلال مجاعة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م عانى الريف خلال ثلاث سنوات من الجوع حتى أن بعض الناس كانوا " يسلمون أنفسهم للمسيحيين ليشبعوا عندهم الطعام ".[١]

وتذكر المصادر أن العرب المقيمن نواحي دكالة، سافروا إلى البرتغال في سنة مجاعة وعرضوا أنفسهم كعبيد لمن يتولى شؤونهم المادية، وزعم أنه لم يبق منهم بدكالة أحد،[٢] أما الأعراب المقيمين في صحراء برقة فقد كانوا مجبرين على تسليم أولادهم للتجار المسيحيين في أوقات المجاعات مقابل ما يجلبه هؤلاء من القمح من صقلية، ويشترطونهم على أن يدفعوا ديونهم إلى أجل معلوم فإن لم يفعلوا يسترقون أبنائهم ويستعبدونهم، وكثيراً ما عجز الأعراب عن سداد الدين فيقع أولادهم ضحية الاسترقاق والاستعباد حتى أصبحت نسبة لا يستهان بها من أولاد الأعراب عبيداً في صقلية .[٣]

واحتفظت كتب النوازل بشواهد على الحال السيئة للرقيق زمن المجاعات فقد سئل "عمن اشترى وصيفته قبل الإثغار ، وحبس البائع أمها وذلك في عام مسغبة، ولحق الوصيفة الضرر العظيم، حتى إن مبتاعها حملها على ظهره لما بها من الجوع ، فأراد بعض الناس فسخ هذا البيع الآن للمتفرقة فهل له ذلك أم لا ؟ فإن قلتم بفسخه فهل للمبتاع رجوع على البائع بما كان أنفق ". [٤]

من تلك السطور القليلة التي جادت بها المصادر يلاحظ أن المجاعة أسهمت بخلق أعداد جديدة من الرقيق وزادت من أوضاع الرقيق الموجودين أساساً سوءاً فإلى جانب الجوع لديهم العمل الشاق الذي جعلهم يقاسون أضعاف الناس العاديين .

---

(١) البادسي : المقصد الشريف، ص ٦١.

(٢) الوزان : وصف إفريقيا، ج١، ص٦٣.

(٣) الوزان :وصف إفريقيا، ج٢، ص١١٢ .

(٤) الونشريسي : المعيار ،ج٥، ص١٠٠.

ثانياً – النتائج الديموغرافية :

أ- الهجرة والنزوح السكاني :

شكلت المجاعات والأوبئة التي عصفت بالمغرب والأندلس خلال القرنين(٦-٨هـ/١٢-١٤م) دافعاً قوياً لهجرة السكان ونزوحهم إلى مناطق أكثر أماناً ووفرةً، وعلى الرغم من عدم توفر المعطيات الرقمية، إلا أن المصادر تؤكد ذلك ،فكثيراً ما تزامنت المجاعات مع الجوائح الطبيعية من سيول وجفاف وغيرها أو بشرية مثل الحروب والحصارات الأمر الذي جعل المجاعة أشد وأقسى، فقد ذكرت المصادر " أن المجاعات التي سادت في إفريقية قد أرهقت السكان حتى أصبح هؤلاء الفقراء يهاجرون بمحض إرداتهم"،[١] يلاحظ من القول السابق أن المجاعات كانت أشد وطأةً وتأثيراً على الطبقة الفقيرة من الناس حيث كانوا من أكثر الفئات تضرراً ما اضطرهم للهجرة علهم يجدون ما يسد رمقهم في مكان أخر، وعن هجرة الفقراء ومدى بؤسهم جراء المجاعات يذكر "أن الضعفاء كانوا يخرجون على الأبواب فإن البلد ضاق بهم وآثروا الفرار بأنفسهم ولم يبق بالبلد إلا الأقل ممن لا يستطيع الخروج" .[٢]

ويذكر أن أهل بياسة قد هاجروا من مدينتهم خلال الوباء الحاصل عام٦١٠هـ/١٢١٣م. [٣]

وللتقارب الجغرافي بين المغرب والأندلس كثيراً ما لوحظ هجرة المغاربة جراء الأزمات التي لحقت بهم من جوع و وباء إلى الأندلس والعكس صحيح فخلال مجاعة ٥٣٤هـ/١١٣٩م توجه الأندلسيون إلى المغرب ذكرت المصادر هذا الحدث بالقول " وانجلى أهل الأندلس إنجلاءً عظيماً إلى المغرب "،[٤] وإن كانت المصادر تسكت عن ذكر أرقام إحصائية لعدد المهاجرين ففي كلمة إنجلاء المذكورة في المصادر يتبين للباحث أن الهجرة كانت على نطاق واسع وأن عدداً كبيراً من السكان قد هاجر .

---

(١) خليلي : الفقر، ص ٢٨٩.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٢٦.

(٣) ابن أبي زرع : الروض المعطار، ص٦ ؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص١٢٦.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب،ج ٤، ص٩٨ .

وفي عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م شهدت الأندلس مجموعةً من الأزمات المترافقة كالغلاء والوباء ونتج عنه هجرة الأهالي بحثاً عن مناطق تتوافر فيها سبل العيش الكريم بعيداً عن شبح الموت واللقمة الصعبة إذ يذكر بحسب المصادر " هروب أكثر أهل البلاد ". [١]

كما وجدت هجرات منظمة نظمتها الدولة في المغرب في سياستها مع الأعراب، وانتهاج الدول المغربية للتهجير المنظم للقبائل ، كان له أثر واضح على البنية الديموغرافية للسكان حيث أقبل الموحدون بعد وباء عام ٦٣٥هـ/١٢٣٨م على ملىء المناطق التي هجرها سكانها بقبائل عربية لإعادة إعمارها، وتحركات تلك القبائل أدت لظهور الهلالية ثم القبائل الزناتية في السهول الغربية ، بينما توزعت قبائل المعقل على الشريط بين سهل السوس وبين أقصى الشمال الشرقي للبلاد،[٢] لكن يبقى السؤال هل عمر العرب المناطق التي سكنوها أم كانوا بلاءً عليها؟ حيث افتقر الأعراب أو البدو من العرب للمهارات الفلاحية، وأهملت مشروعات الري والاستصلاح والصيانة وكثرة نوازل المياه والمساقاة كما وذكر بوار المزارع وإحجام الفلاحين عن زراعتها لغارات الأعراب أحياناً للضرائب والحروب أحياناً أخرى، إذ يذكر أن الهلالية بوجودهم في المغرب قد " عم ضررهم وأحرق البلاد "،[٣] كما وأصدر الرشيد الموحدي قراراً بتهجير جماعي لسكان شرق الأندلس للمغرب لتعمير رباط الفتح عام ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م .[٤] ونتج عن المجاعات المتكررة المترافقة مع القحط والجفاف هجرة السكان بحثاً عن المراعي لمواشيهم والمياه، الأمر الذي كانت له انعكاساته السلبية على المناطق المهاجر منها والمناطق المهاجر إليها،[٥] فقد نتج عن ذلك تزاحم سكاني في المدن التي تمت الهجرة إليها وزيادة في نسبة البطالة والعاطلين عن العمل، ونتيجة لذلك حدث تضخم بعدد السكان إزاء الموارد المتوفرة ممّا أدى للغلاء أما المناطق المهاجر منها، فقد أضحت مقفرة وخالية وخرجت من القطاع الإنتاجي.

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٤٥ ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٢٥٥ .

(٢) البياض : الكوارث الطبيعية، ص١٢١ ؛ برودويل (فرنان) : المتوسط والعالم المتوسطي، تر، مروان أبي سمرا، بيروت، دار المنتخب العربي، ١٩٩٣م، ص ٢٧.

(٣) ابن خلدون : المقدمة، ص ١١٥ ؛ إسماعيل : سيسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص٧٢؛ حسن : المدينة والبادية، ج١، ص ٦٢.

(٤) العزاوي : رسائل موحدية، ص ٣٩٣ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، ق ٢، ص٧٣٧، ٧٣٨.

(٥) خليلي : الفقر، ص٢٨٩.

وغالباً ما تكون للهجرات الجماعية للسكان آثارٌ سلبيةٌ ،ومثالٌ على ذلك الهجرة الهلالية منذ أول القرن ٥هـ /١١م ، وماحل بالمغرب من الخراب جرائها حتى قيل :" وعادت بسائطه خراباً كلها ، بعد أن كان كله عمراناً ". (١)

وتحتفظ النوازل الفقهية ببعض المسائل حول الهجرة والهروب من شبح الجوع والوباء " فقد سئل عن فقير سافر بسبب الحاجة وكان عليه دين كبير ولم يترك لزوجته شيئاً ولا يعرف أحد هل هو حي أم ميت ، فلحق الزوجة من ذلك ضرر كبير فهل تستحق زوجته الزكاة "، وجاء الجواب بإعطائها الزكاة،(٢) ما يهم من النازلة السابقة الإشارة الواضحة للهجرة الناتجة عن الجوع والفقر حتى أن المهاجر قد استدان ولم يقدر على الإيفاء بدينه وزوجته لم تستطع أن تعيل نفسها في غيابه ممّا اضطرها لأخذ الصدقة من الناس .

ويبدو أن المناطق المهاجر إليها لم تكن دائماً مرحبة بالمهاجرين الفارين من الجوع والوباء إذ تذكر المصادر إغلاق المدن أبوابها في وجه النازحين إليها المتضورين جوعاً، حيث أغلق أهالي فاس أبواب مدينتهم خلال مجاعة ٦٢٠هـ /١٢٢٣م،(٣) ويرجح أن سبب إغلاق الأبواب كان الخوف من الجياع على المدينة أو قيامهم بتخريبها ، فقد كانت جموع المهاجرين من الفقراء الهاربين من واقع مرير وربما بلا درهم واحد ما يعني أن تلك الجموع الغفيرة ستشكل عبئاً اقتصادياً على المدينة مالم يقم المهاجرين بالسلب والسرقة ضمن المدينة للحصول على الطعام.

أحدثت الهجرة جراء المجاعات والأوبئة نقصاً في اليد العاملة وفي عدد المزارعين والفلاحين، وعانت باجة من نقص في عدد المزارعين جراء هجرتهم وتحولت الأرض الزراعية لأرض بور قاحلة، وأثناء مجاعة مراكش زمن الرشيد الموحدي (٦٣٠-٦٤٠هـ/١٢٣٢-١٢٤٢م) آثر العديد من فقراء المدينة بالإضافة للعمال للفرار بأنفسهم " ولم يبق بالبلد إلا الأقل ممن لا يستطيع خروجاً "،(٤) و وصفت مراكش من قبل الوزان بعد الطاعون الجارف عام

---

(١) ابن خلدون :المقدمة، ص١٥٢.

(٢) الونشريسي : المعيار، ج١، ص٣٩٢.

(٣) البياض : الكوارث الطبيعية، ص ١٢٠ ؛ حسن : المدينة والبادية، ج٢، ص٦٢٦.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب،قسم الموحدين، ص ٣٢٥،٣٢٦ ؛ الهلالي : أثر القحط والمجاعات، ص١٨٨ ؛ خليلي : الفقربالمغرب، ص٢٩٠ .

٧٦٤هـ/١٣٦٢م " بالمدينة المسكينة القليلة السكان جداً ،وأن ثلثيها غير مسكون " [١] ومن خلال التسع صفحات التي خصصها لهذه المدينة التي نعتها بالعظمى، لم يفرد سطراً للحديث عن أنشطتها الاقتصادية، على غير عادته في وصف المدن الكبرى كفاس مثلاً ، فمن خلال ذلك يظهر أن المدينة بقيت مدةً طويلة تعاني آثار الانهيار الديموغرافي جراء الوباء، كما وتسبب الطاعون الجارف بخراب مدينة سلا،[٢] وبالتأكيد كان الخراب ناتج عن هجرة السكان و اليد العاملة أو وفاتهم جراء الوباء .

و نتيجة لمجاعة عام ٦٣٣هـ/١٢٣٥م والظروف المعيشية القاسية، هاجر سكان قرطبة إلى المغرب جراء المجاعة المذكورة ،" ولم يبق من أهلها إلا البشر اليسير "،[٣] وبالتأكيد مدينة بحجم قرطبة هكذا تغيير ببنيتها الديموغرافية في واقع أزمة اقتصادية معاشة سوف يكون أشبه بنكبة لديموغرافية واقتصاد المدينة حتى في مرحلة التعافي من المجاعة، حيث ستنقصها اليد العاملة لإعادة الإعمار، كما كان لتلك الهجرة نتائج إيجابية فلم تكن جموع القرطبيين من الجموع التي تدخل المدن فتهدمها بل كانت من الأيادي البناءة المبدعة حيث يذكر من أعمالهم في المغرب استنباط للمياه والعمل بالزراعة وإحداث الأرحى الطاحنة بالماء.[٤]

قد تكون الهجرة بأمر من السلطان زمن المجاعات ، وذلك لإعمار منطقة ما وشحذها بالعناصر السكانية وإعادة تاهيلها لتدخل القطاع الإنتاجي مجدداً، فخلال مجاعة القرن ٧هـ/١٣م، قام السلطان أبو بكر بن عبد الحق عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م بتهجير القبائل الجبلية لتعمير السهول الفارغة والقرى الخالية.[٥] إذا ما عرف أن المهاجرين يعانون من المجاعات، فإنهم بأجسادهم الهزيلة قد لا يصلون وجهتم المهاجر إليها و قد لا يتحمل البعض مشقة الطريق فتكون رحلة الفرار من الموت جوعاً هي بحد ذاتها المسببة للموت، فتذكر المصادر" أن ركباً فيه

---

(١) الوزان : وصف إفريقيا، ج١، ص١٣٥،١٢٦؛ الهلالي : أثر القحط والمجاعات، ص١٩١.

(٢) ابن عاشر (أحمد الحافي ت ٧٦٦هـ / ١٣٦٤م): تحفة الزائر بمناقب الحاج بن عاشر، تح،مصطفى بو شعراء، سلا، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، ١٩٨٨م، ص١٧، سيتم ذكر المصدر باسم ابن عاشر : تحفة الزائر .

(٣) الحميري : الروض المعطار، ص ٤٥٨.

(٤) المقري : نفح الطيب، ج٣، ص١٥٢ .

(٥) خليلي : الفقر، ص٢٩١.

نيف على سبعمائة نسمة جاء من برقة وأنه لم يخلص منه حاشا مائة أو نحوها ، وذلك لأنهم لم يجدوا ما يقتاتون به "،[١] من النص يستشف حدة النزيف الديموغرافي الناتج عن الهجرة بسبب الجوع .

بالإضافة لكتب النوازل وجدت في كتب التراجم ذكر لهجرة بعض علماء المغرب نتيجة الحصارات والمجاعات الناتجة عنها ، فقد خرج أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي[٢] إلى الحج بسبب حصار تلمسان الطويل،[٣] وقد هاجر محمد المكودي[٤] إلى غرناطة " مفلتاً من رهق تلمسان حين حصارها"[٥]، وكذلك بالنسبة لعمران بن موسى المشدالي البجائي[٦] الذي هاجر إلى الجزائر عند حصار الزيانيين لبجاية .[٧]

وتسبب وباء عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م المترافق مع الغلاء في الأندلس بهجرة أكثر أهل البلاد [٨] وهو نص يوضح أن الفرار من الجوع والوباء لم يقتصر على المغرب بل أيضاً شمل الأندلس .

وفي زمن الوباء كثرت النوازل المتعلقة بالفرار من الوباء ومدى شرعيته ورأي الفقه والشرع به ، وتراوحت الأجوبة بين مؤيد ومعارض من قبل الفقهاء،[٩] حيث عد بعض الفقهاء الطاعون

---

(١) التجاني : رحلة التجاني، ص ١٩١.

(٢) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي : شيخ المغرب في العلوم العقلية وإمام وقته وصف بأنه رحلة وقته في القيام على الفنون العقلية وإدراكه وصحة نظره وبإنه عالم الدنيا نشأ في كفالة جده محمد بن غلبون وأخذ عنه وانتفع بالإمام أبي الحسن التنسي ارتحل للمشرق ومصر والحجاز ت ٧٥٧هـ /١٣٥٦م ، المقري : نفح الطيب، ج٧، ص٢٧٤،٢٧١؛ ابن مرزوق : المسند الصحيح، ص٢٦٦ ؛ التنبكتي : نيل البتهاج، ص٤١١.

(٣) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م): التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، لبنان،دار الكتاب اللبناني،١٩٧٩م ، ص٢١-٣٣-٣٨ ؛التنبكتي : نيل البتهاج، ص٤١١.

(٤) محمد المكودي : أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المكودي من أهل فاس شاعر لايتعاطى ميدانه يسعى في اجتلاب المعاني وتنجح مساعيه، ابن الخطيب: الإ حاطة، ج٣، ص٥٠٣.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣، ص٥٠٣ .

(٦) عمران بن موسى المشدالي البجائي : ولد ٦٧٠هـ / ١٢٧١م، كان فقيهاً حافظاً، أخذ عنه العلامة المقري وغيره توفي ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م ، التنبكتي : نيل البتهاج، ص٣٥١ .

(٧) المقري : أزهار الرياض، ج ٥، ص٣٠؛ التنبكتي : نيل ابتهاج، ص ٣٥١ .

(٨) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٣٣٦.

(٩) الونشريسي : المعيار، ج ١١، ص٢٥٢،٣٥٦ .

قدراً من الله تعالى ولا موجب للاحتراز منه أو الفرار،[1] وذهب البعض الآخر لعده رحمةً من الله تعالى وأن الميت به كالميت في ساحات المعارك وله أجر شهيد ،وذلك بناءً على الأحاديث التي ذكرت في فضل الطاعون حيث يقول ﷺ : " الشهداء خمسة : المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله".[2]

وقد نهي عن القدوم على أرض الطاعون أو الخروج منها ،سواء للأصحاء أو المرضى فإذا خرج الأصحاء من سيعيل ويعتني بالمرضى فشرعاً، من واجبات المسلم على أخيه التمريض والغسل عند الموت والدفن، ومع ذلك كان هناك حالات خاصة أفتى فيها الفقهاء بالسماح بالخروج من أرض الوباء للأشخاص الذين تحتم عليهم أعمالهم ذلك كالصناع والتجار ومن في حكمهم. [3]

وهرب الأنسان وسلوك الهجرة يعكس الرغبة الإنسانية في البقاء، فمع تزايد الجوع والوباء، يتزايد دافع الخوف لدى الأنسان ما يؤدي لهجرته، ونجم عن الهجرة تغير في الخريطة البشرية ومواطن الاستقرار وتعمير مناطق فارغة وإخلاء مناطق كانت عامرة. [4]

وخلال مجاعة عام ٧٧٥هـ /١٣٧٣م المتلازمة مع القحط الشديد، توفي العديد من الناس وهاجر قسم كبير ممن بقوا على قيد الحياة، الأمر الذي تسبب بالضغط على المناطق المهاجر إليها وعدم التناسب بين عدد الناس والمواد الغذائية، ممّا أدى لاستفحال أزمة المجاعة عام ٧٧٦هـ/١٣٧٤م فقد ذكرت المصادر حصول " المجاعة العظيمة في المغرب والخراب" .[5]

---

(١) ابن حجر : بذل الماعون، ص ٣٠٢.

(٢) البخاري : صحيح البخاري ، ص٢٣٣؛ السيوطي: ماروا ه الواعون ورقة ١٦٣،١٦٦ .

(٣) الونشريسي : المعيار، ج١١، ص٣٥٦،٣٥٨.

(٤) بوتشيش : مباحث، ص ٢١.

(٥) ابن قنفذ : أنس الفقير وعز الحقير، ص١٠٥ ؛ كريمي : قراءة المدينة الموحدية والمرينية، ص١١٣؛ بكاي : الحياة الريفية، ص٢٦٠ .

أحدث الطاعون جدلاً فقهياً وتأليف في أسئلة وأجوبة حول الهجرة والفرار من الطاعون أو القدوم عليه ومسألة شهادة المطعون وشروطها، وإبطال العدوى والخضوع التام للقضاء والقدر بغية الحصول على الشهادة.[1]

هكذا كانت المجاعات والأوبئة سبباً في تعزيز السلوك الانهزامي المتمثل بالفرار والهجرة الذي يعكس رغبة الأنسان في البقاء والبحث عن ظروف معيشية أفضل وسط جدل الفقهاء بين مؤيد ومعارض للهجرة، إلا أن الأغلبية القادرة على الهجرة قد آثرت الرحيل ولم تعبأ بالفتاوى ، والدليل الأثر الديموغرافي للهجرة فلو كانت هجرة أشخاص وأفراد قلة لما شكلوا تغيراً في الخارطة الديموغرافية للمغرب والأندلس، فقد اختلطت الأعراق والأنساب بسبب الهجرة ، وشكلت تلك الهجرات ضغطاً على المرافق في المدن المهاجر إليها، ممّا تسبب بإغلاق الأبواب في وجه جموع الماجرين في بعض الأحيان، وهذا بالتأكيد ليس لأنهم مجموعة ضئيلة من الناس، كما وحلت قبائل مكان السكان الأصليين المهاجرين في سياسة الحكام لإعادة الإعمار مانتج عنه تغير في الوجه الأصلي لسكان المناطق المنكوبة.

---

(1) **حالي (محمد): الديموغرافيا التاريخية في العصر الوسيط من خلال ابن خلدون،مجلة المستقبل العربي ، ع ٤١٦، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٣م، ص٦٧ ؛ البزاز (محمد الأمين) : تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٢م، ٣٨٩،٣٩٣.**

ب- الوفيات والفناء الديموغرافي :

تعد المجاعات والأوبئة من المسببات الرئيسة للكوارث الديموغرافية أحداثاً غير عادية تضرب بعمق وتهلك السكان بأعداد كبيرة، وتخلف بصمات حالكة في الأذهان، وفي الذاكرة الجماعية للسكان، وإذا كان الوصف الكيفي لهذه الأزمات سهلاً فإن تناولها كمياً أمر صعب جداً بسبب ندرة المتون النصية التي تذكر أرقاماً إحصائية دقيقة، ودائماً كان حضور الذكور في الوقائع السكانية المدونة أكثر من الإناث،[1] بيد أن ذلك عائد لوضع المرأة الحساس في المجتمع الإسلامي، فقد كان للمرأة حضورها في شتى الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، لكن حضور الذكور يطغى هذا ما تثبته كتب التراجم التي ترجمت للأعلام الذكور بما لايقارن بتراجم الإناث .

لقد أدت المجاعات والأوبئة لتزايد في أعداد الوفيات، وأسهمت بشكل كبير في الوهن الديموغرافي للمغرب والأندلس في الفترة المدروسة خلال القرنين (٦-٨هـ/١٢-١٤م)، قد يتواجد بين صفحات المصادر بعض الإشارات حول الموت أو الفناء جراء الجوع أو الطاعون، لكن من دون التطرق لأعداد الضحايا ما يجعل تناول الوفيات كمياً أو إحصائهم أمراً صعباً، وغير ممكنٍ، إذ للتعرف على حجم الكارثة الديموغرافية يجب معرفة نسبة الوفيات إلى الأحياء أي معرفة عدد الأحياء أيضاً في تلك الفترة وهو مالم تجد به المصادر،[2] فالمعطيات وصفية لا إحصائية مثل " هلكت أمم لا تحصى "،[3] أو "ذهب بأهل الجيل"[4] أو كان "يدفن في الحفرة الواحدة المائة من الناس "[5] أو " المجاعة العظمى التي خلا منها المغرب ". [6]

إن المعلومات المتعلقة بالوفيات تظل غامضة وجزئية وغير مضبوطة في الغالب تستدعي التعامل معها بحذر شديد فلا تمكن من إخضاع المجاعات والأوبئة إلى دراسة ديموغرافية يمكن من خلاها معرفة عدد ضحاياها في المغرب والأندلس .

---

(1) **حالي : الديموغرافيا التاريخية، ص٥٨،٦٥ .**

(2) **حالي : الديموغرافيا التاريخية، ص٢٤،٢٥،؛ خليلي : الفقربالمغرب، ص٢٨٦.**

(3) **ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين،ص ٣٢٥،٣٢٦ .**

(4) **ابن خلدون : المقدمة، ص ٥٣ .**

(5) **ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ٢٧٦،٢٧٧.**

(6) **ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ٤١؛ ابن القاضي :جذوة اقتباس، ص٣٤.**

وخلال الوباء الذي أصاب مراكش عام ٥٧١هـ / ١١٧٥م، تذكر المصادر أن عدد الأموات "قد انتهى في اليوم إلى مائة ومائة وتسعين شخصاً " .[١]

في حين تذكر بعض المعطيات الوصفية أنه خلال المجاعة الواقعة ببجاية عام ٥٨١هـ/١١٨٥م المتزامن مع احتلال بني غانية لها " عجز أهل البلد عن تكفين الموتى ، وعن مواساة الأحياء ، فكانوا يصبحون في الخرب وفي سكك المدينة زمراً أمواتاً ذكوراً وإناثاً "،[٢] يلاحظ مما سبق حجم الخراب والموت الجماعي في المدن زمن المجاعات التي تكون أقسى على الناس عندما تحصل جراء الحصارات والحروب فإضافةً للجوع سيكون هناك خطر تدمير الممتلكات والبنى التحتية والمزروعات .

والمجاعة المقرونة بالوباء تكون أشد وطأة وفتكاً بالأنسان مثال عليها مجاعة عام ٦٩٣هـ/١٢٩٣م التي شملت مساحةً شاسعة مصر وإفريقيا والأندلس وعلى امتداد تلك المساحة الجغرافية، شهد الناس ما يمكن تسميته الموت بالجملة، فقد ذكر أن " الموتى كانوا يحملون اثنين وثلاثة وأربعة على المغتسل ".[٣]

وفي الحديث عن الوفيات بسبب المجاعات لا يمكن إغفال حصار تلمسان من قبل المرينيين والكارثة الإنسانية التي حلت بسكانها، فقد أفصحت المصادر عن معطيات رقمية حول عدد الموتى إذ مات زهاء " ألف وعشرين ألف شخص بسبب القتل والجوع معاً "،[٤] ويرجح أن الرقم يحمل المبالغة لكن غالباً ما تعمد المصادر للمبالغة في كتابة الحقائق للدلالة على فداحة الخسائر البشرية جراء المجاعة والحصار.

وتذكر المصادر أعداد الوفيات الضخمة جراء الأوبئة والطواعين مثل الوباء الذي حل عام ٧٤٨-٧٤٩هـ/١٣٤٧-١٣٤٨م المعروف بالطاعون الأسود الذي " تحيف بالأمم وذهب بأهل

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٣٦ ؛ كريمي : قراءة المدينة الموحدية والمرينية، ص ١١٧.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٨١.

(٣) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٣٨٤؛ ابن خلدون : العبر، ج٧،ص٢٩٠؛ السلاوي : الاستقصا، ج٣، ص٩٠؛ كريمي : قراءة المدينة الموحدية والمرينية، ص١١٢.

(٤) ابن خلدون : بغية الرواد ،ج١، ص١٢٥.

الجيل "[1] الطاعون الذي أحدث بصمته ولاقى صداً كبيراً لدى المؤرخين لنتائجه الوخيمة، إذ قيل فيه " وعم الموت أرض إفريقية بأسرها ،جبالها وصحاريها ومدنها، وجافت من الموتى وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها ... وماتت المواشي بأسرها "[2] :" فلا ترى متصرفاً إلا في علاج، أو عيادة مريض، آخذا في جهز ميت، أو تشييع جنازة أو انصراف من دفن، وكان الضعفاء يجتمعون إلى باب سلم وهو أحد أبواب القيروان فتحفر لهم أخاديد ويدفن المائة والأكثر في الأخدود الواحد، فمات من طبقات الناس وأهل العلم والتجار والنساء والصبيان مالا يحصى عددهم إلا خالقهم تعالى، وخلت المساجد بمدينة القيروان، وتعطلت الحمامات والأفران .... وقيل أن أهل البادية أكلوا بعضهم بعضاً "،[3] يلاحظ مما سبق تخييم شبح الموت على المجتمع وانشغال الناس به، فأصبح أشبه بالروتين اليومي أن تزور مريضاً أو تحضر جنازة، ويلاحظ العدد الكبير من الموتى، ممّا اضطر الناس لحفر قبور أشبه بالجماعية، والموت لم يكن قاصراً على فئة محددة بل نال جميع فئات المجتمع، وأعداد الوفيات المتزايدة أدت لتعطل الإنتاج لموت العمال والفئات المنتجة ما أدى لحدوث المجاعات جعلت الواقع المعاش أكثر مرارةً وزاد من حدة النزيف الديموغرافي .

وفي وصف للفناء الديموغرافي الذي شهدته مالقة إبان الطاعون الجارف، ذكر أن عدد الموتى قد بلغ ما يزيد عن الألف خلال شهر حتى " خلت الدور وعمرت القبور وخرج أكثر الفقهاء والفضلاء والزعماء "[4] في دلالة واضحة لأن ضعفاء الناس والفقراء هم أكثر الناس تأثراً بالوباء وموتاً، فهم لا يملكون المال للسفر حتى، فيجدون في الفتاوى التي تقول بعدم الهرب والأولياء مخدرهم الوحيد فيقبعون في مكانهم ينتظرون الموت علَّ ما ينتظرهم عند الإله خيرٌ من حياة محفوفة بالمشقة تنتهي بموتٍ أسود، والسؤال هنا لماذا اعتمد البسطاء على الفتاوى وصدقوها؟ ألم يكن الأجدى بهذه الفتاوى الوقوف إلى جانب هؤلاء المعدمين ،ولكن للأسف ما يلاحظ أن المسؤولين عن الفتاوى كانوا مرتبطين بالسلطات التي لم تكن تفعل شيئاً لحل الأزمة المتمثلة بالوباء سوى أن تدفع للمفتين ليقفوا إلى جانبها، ويدعوا الناس تتحمل الفقر والعدم

---

(1) **ابن خلدون : المقدمة، ص٣٨.**

(2) **حسن : المدينة والبادية، ج٢، ص٦١٠.**

(3) **خليلي : الفقر، ص٧٨٧.**

(4) **النباهي : المرقبة العليا، ص ١٥٦.**

والوباء وانتظار الموت انتظاراً مهما طال مقتنعين بأنه الحل الوحيد لما بهم الحل الذي يعتقدون أنه يرضي الله .

ويذكر تزايد في عدد الوفيات إبان مجاعة في الربع الأول من القرن٧هـ/١٣م في المغرب الأقصى فقد "قلت جبايات المدينة ومات أكثر الناس جوعاً وقل الإنفاق" في إشارة واضحة للموت الناتج عن الجوع وأن المجاعات تترافق مع شلل الاقتصاد، فيتعذر على الناس الإنفاق على أو دفع الضرائب للسلطة .

ويذكر أن أولاد وأحفاد الولي الصالح يوسف بن يحيى بن يوسف حفيد التيفرسي، قد توفوا جميعاً في الوباء سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م [١]

وعندما تتزامن المجاعة مع الوباء تتفاقم أعداد الوفيات بين أفراد المجتمع ككل عامةً وبين فقرائه خاصةً حيث يعاني هؤلاء أكثر من غيرهم سوء التغذية ومحدودية الإمكانات المادية ما يجعلهم أكثر الفئات عرضة للموت بسبب المجاعات والأوبئة، ومثال على ذلك مجاعة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م، فقد كانت " المجاعة الشديدة والوباء العظيم في المغرب "[٢] حيث ذهب الفقراء ضحايا له أكثر من سواهم .

وقد لوحظ من خلال الدراسة أن الجوع قد ينشأ نتيجة لعوامل طبيعية كالجفاف وجراء قحط حدث خلال القرن ٨هـ/١٤م "عانى المستضعفون أكثر من غيرهم"،[٣] في إشارة واضحة وصريحة لكون الفقراء أكثر شرائح المجتمع تضرراً جراء المجاعات والأوبئة، كما حظي العلماء والصلحاء المتوفين بالوباء على قبور بقرب المساجد مثل أبو عبد الله الصفار القسنطيني ، المتوفي بوباء عام٧٥٠هـ/١٣٤٩م بقبر قرب مسجده بساحة القنطرة بقسنطينة [٤] والأمر طبيعي خاصةً وأن المسجد مسجده ، ووصف وباء عام ٧٦٣هـ/ ١٣٦١م بالوباء الذي "احتجز الكثير

---

(١) ابن مرزوق : المناقب، ص ١٨٧ .

(٢) ابن أبي زرع : روض القرطاس،ص ٥٣٩.

(٣) ابن الأحمر : روضة النسرين،ص ٥٣٩ ؛ ابن خلدون : العبر، ج٧،ص ٢٩٠؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٥٤٠،٥٣٩ ؛ السلاوي : الاستقصا، ج٣، ص٩٠.

(٤) أبو عبد الله الصفار القسنطيني :أحد أشياخ ابن قنفذ ومن أقران والده حسن بن علي الوفيات، علم أخوة ابن قنفذ القرآن حتى حفظنه، ابن قنفذ : كتاب الوفيات، ص٣٥٦؛ ابن قنفذ : أنس الفقير وعز الحقير، ص٤٥ .

إلى القبور".[1] وعن هول الكارثة التي أهلكت الأعيان والمشايخ ولم تفرق بين قوي وضعيف يقول ابن خلدون " ذهب الأعيان والصدور وجميع المشيخة وهلك أبواي "، ثم تحدث عن مشايخة تونس فقال :" ثم درجوا كلهم في الطاعون الجارف ".[2]

يبدو أن عدد السكان كان في تناقص شديد جراء المجاعات والأوبئة نتيجةً لتناقص أعداد المواليد مقابل ارتفاع نسبة الوفيات، فقد تكررت المجاعات والأوبئة بصفة تكاد تكون دورية إذ لاحظت المصادر تكرر الوباء كل عشرة سنين أو خمسة عشر عاماً،[3] وإذا كان ما ذهبت إليه المصادر صحيحاً فهذا يعني أن المصادر لم تشر إلى جميع الأوبئة والمجاعات، فمن خلال الملحق رقم (١٢) يتبين أن المدة الفاصلة بين مجاعة وأخرى هي سنة واحدة كحد أدنى مثل المجاعة سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م والمجاعة ٥٣٠هـ/١١٣٥م و ٥٢ سنة كحد أقصى مثل المدة بين مجاعة عام ٧٢٣هـ/١٣٢٣م ومجاعة عام ٧٧٥-٧٧٦هـ/١٣٧٣-١٣٧٤م، وبالنسبة للأوبئة فمن خلال الجدول رقم (١٣) يتبين أن المدة الفاصلة بين وباء وآخر هي سنة واحدة كحد أدنى أي ما بين وباء سنة ٥٧١هـ/١١٧٦م ووباء سنة ٥٧٢هـ/١١٧٧م، و٥٨ سنة كحد أقصى كما بين وباء ٦٣٥هـ/١٢٣٧م ووباء سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م .

---

(1) ابن الخطيب : الإحاطة، ج٣، ص٩٠ ؛ بلعربي (خالد) : آثار المجاعات والأوبئة على تراجع الحرف والصناعات بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، مجلة الناصرية،ع ٤، الجزائر،٢٠١٣م، ص١١٧ .

(2) ابن خلدون : العبر،ج٧، ص٥١٢،٥٣٢.

(3) الوزان : وصف إفريقيا، ج١، ص٨٥.

ثالثاً– النتائج الاقتصادية :

أ– الغلاء و الاحتكار و ظاهرة التسعير في الأسواق المغربية والأندلسية:

كان حدوث الغلاء مقروناً بالمجاعات في أغلب الأوقات ، فدائماً مايذكر حدوث الجوع مترافقاً مع الغلاء، وذلك لأن المجاعات قد تنتج عن الوباء الذي يودي بحياة اليد العاملة ويتسبب بهجرتها وتوقف العمل الإنتاجي، والكوارث الطبيعية كالجفاف والقحط أو السيول والعواصف والجراد أو الحروب والحصارات ، وهذا ما تم إيضاحه في الفصل الثاني، أي أن الكوارث والحروب كانت تأتي على المحاصيل وتدمرها أو تقطع الطرق التجارية للقوافل التي تمد المدن بحاجاتها، فتؤدي لانعدام المواد الغذائية في الأسواق ولندرة تلك البضائع يحدث الغلاء .

توفرت في المصادر أدلة على اقتران المجاعات بالغلاء، ففي مجاعة قرطبة في القرن ٦هـ/١٢م ذُكر حدوث مجاعة مقترنة بالغلاء فقد " **بلغ مد القمح خمسة عشر ديناراً**". [١] ومجاعة عام ٥٣٦هـ/١١٤١م تزامنت مع غلاء شديد في الأسعار " **فبلغ سعر الشعير ذلك الوقت ثلاثة دنانير للسطل** "،[٢] واستمر الغلاء والجوع في السنوات التالية أي ما بين عامي ٥٣٧هـ/١١٤٢م و ٥٤٣هـ/١١٤٨م .[٣]

وعن حمى الأسعار في إشبيلية خلال عام ٥٤٣هـ/١١٤٨م ، تسجل المصادر أسعار بعض المواد الضرورية للسكان كالخبز الذي بلغ سعر الخبزة منه درهم ونصف، وقدح القمح بستة وثلاثين درهماً ، واضطر الناس إزاء ذلك لبيع ممتلكاتهم بأسعار رخيصة للحصول على الطعام "**حيث بيع دار يساوي مائة دينار بعشرة دراهم**" .[٤]

---

(١) ابن القطان :نظم الجمان ، ص٢٢٦ ؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص١٠٠.

(٢) البيدق :أخبار المهدي، ص ٥٣ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب،ج٤، ص٩٩.

(٣) ابن الأثير : الكامل،ج ٩، ص١٥٥ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٨،٣٦ ؛ النويري : نهاية الأرب،ج٢٢، ص٣٧٠.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ٣٨،٣٩، ١٨٢ ؛ ابن الزيات : التشوف ، ص١٥٣.

يلاحظ إن ارتفاع أسعار الحبوب ، يمكن أن يكون مقياساً لشدة المجاعة والقحط "**فالقمح صاحب القول الفصل في تاريخ بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط** "،[١]وهذا طبيعي خاصة وأنه العنصر الأساسي في الغذاء والخبز الذي يعتمد عليه الناس في حياتهم اليومية .

وخلال مجاعة بلنسية عام ٥٦٧هـ/١١٧١م " **وصل الدقيق لأربعة دراهم للرطل ،ومد الشعير المراكشي أربعة دراهم ، وكذلك القمح غير موجود ، وحبة التين بدرهم** " [٢]

لم تكن المجاعة وحدها سبباً في الغلاء ، فالوباء ومايسببه من فناء ديموغرافي ونقص باليد العاملة وتراجع عجلة الإنتاج وقطع الطرق التجارية خوفاً من العدوى، حيث لايأتي التجار للمناطق الوبيئة ما يؤدي لفقد المواد الغذائية ، ويحدث الغلاء وبسبب وباء عام٦١٠هـ/١٢١٣م،[٣] غلت الأسعار في المغرب والأندلس ، ويبدو أن البلاد لم تقدر على التعافي الاقتصادي بعد الوباء بسرعة و ترددت أصداء موجة الغلاء من ٦١٠هـ/ ١٢١٣م وحتى عام ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م،[٤] هذا مايعكس الواقع المعيشي المرير طوال خمسة عشر عاماً والضرر الاقتصادي الكبير الذي، لم تستطع الدولة إيجاد حل له وإيقافه والتخفيف من وطأته فحتى عام ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م ذكر أن الأسعار استمرت بالارتفاع لكن هذه المرة بسبب المجاعة الناتجة عن هجوم أسراب الجراد فبلغ " **قفيز القمح في المغرب قد بلغ خمسة عشر ديناراً** ".[٥]

وعن الغلاء الذي عانته مراكش خلال سنتي المجاعة عام ٦٣٢ – ٦٣٣هـ/ ١٢٣٤– ١٢٣٥م، بلغ مد القمح سبعة دراهم ، والربع الواحد من الدقيق سبعة وثلاثين درهماً.[٦]

---

(١) برودويل : المتوسط والعالم المتوسطي، ص ٣٢ ؛ البياض، الكوارث الطبيعية، ص١٠١.

(٢) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص ٥٠٩– ٥١١–٥١٢ .

(٣) السلاوي : الاستقصا،ج٢، ص٢٦٢ .

(٤) البياض : الكوارث الطبيعية، ص ١٠٥.

(٥) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٢٧٤ ؛ السلاوي : الاستقصا، ج٢، ص٢٦٤ ؛ بولقطيب : جوائح وأوبئة، ص٤٥ .

(٦) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٣٥٥ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٤٥ .

ومرة أخرى اضطر أهل الأندلس وعلى وجه الخصوص أهل مالقة لبيع ممتلكاتهم لمواجهة الجوع والغلاء وذلك عام ٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م " **وبيعت فيها الحاجة المثمنة بالثمن الرخيص**".[١]

وإبان الغلاء الذي أعقب مجاعة ووباء عام ٦٩٣هـ/١٢٩٣م، طبق المرينيون إجراء " **توحيد الصيعان وجمعها على مد النبي ﷺ** "، ممّا يدل على غش التجار وإنقصاهم بالأوزان، وقيامهم ببيع الناس بمكايل ناقصة وأسعار غالية، فقد بلغ مد القمح عشرة دراهم، وفي العام التالي لهذا الإجراء عادت الأسعار رخيصة وبيع القمح بعشرين درهماً للصحفة.[٢] وعن الغلاء المواكب للمجاعة في المغرب بين عامي ٧٢٤-٧٢٥هـ/١٣٢٣- ١٣٢٤م، فقد ارتفعت الأسعار ارتفاعاً خيالياً حتى بلغت " **صحفة القمح تسعين ديناراً ،ومد القمح خمسة عشر درهماً، والدقيق أربعة أواقي بدرهم ،وعدمت الخضر بأسرها** ".[٣]

ولكن ما يلاحظ أنه خلال المجاعات الناجمة عن القحوط وموجات الجراد أي التي تهلك فيها المحاصيل والمراعي يحدث غلاء كبيراً في المواد الغذائية الزراعية النباتية، أما الماشية فيرخص ثمنها، وذلك لانعدام المراعي، والعشب فيقوم أصحابها ببيعها بأرخص ثمن للتخلص منها قبل أن تموت جوعاً هي الأخرى، وهذا ما حصل خلال عام٥٨٠هـ/١١٨٤م "**بيع الثور بدرهم واحد، والبقرة بثلاثة دراهم** ".[٤]

وخلال عام ٧٧٦هـ/١٣٧٤م حصلت مجاعة في المغرب الأوسط ناتجة عن إعصار ضرب تلمسان، ووصل الحال بأحد الميسورين أن اشتكى غلاء المواد الغذائية جراء المجاعة وعدم قدرته على تحمل النفقة الباهظة للمواد إذ تكلفه المعيشة أربع دنانير ذهبية في اليوم الواحد .[٥]

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٤٥.

(٢) ابن أبي زرع : روض القرطاس،ص٤٠١ .

(٣) ابن أبي زرع : روض القرطاس،ص ٥٣٠- ٥٤٤؛ السلاوي : الاستقصا،ج٣، ص٧٩ .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين،ص١٦٠.

(٥) ابن قنفذ : أنس الفقير وعز الحقير، ص ١٠٥ .

ولتوضيح ارتفاع الأسعار الناتجة عن الجوع والوباء تم إنشاء الجدول التالي[١] :

نوع السلعة	المكان	الزمان	الثمن وقت الرخاء	ثمنها وقت الغلاء	المصدر/المرجع
الخبزة الواحدة	إشبيلية	٥٤٣هـ/١١٤٨م	١٥ أوقى بربع درهم	درهم ونصف	ابن عذارى : البيان المغرب ، قسم الموحدين ،ص٣٨،٣٩ موسى : النشاط الاقتصادي ،ص ٤٠٣.
قدح القمح	إشبيلية	٥٤٣هـ/١١٤٨م	غير مذكور	٣٦درهم	ابن الزيات : التشوف ، ص١٥٣؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، قسم الموحدين ،ص ٣٨،٣٩.
رطل من الدقيق	بلنسية	٥٦٧هـ/١١٧١م	غير مذكور	٤دراهم	ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ، ص ٥١١،٥١٢.
القفيز من القمح	المغرب	٦٢٤هـ/١٢٢٦م	غير مذكور	١٥ دينار	ابن أبي زرع : روض القرطاس،ص ٣٥٩.
القفيز من القمح	المغرب	٦٣٠هـ/١٢٣٢م	غير مذكور	٣٠ديناراً	ابن أبي زرع : روض القرطاس ،ص ٣٦١
الربع	المغرب	٦٣٤هـ/١٢٣٦م	غير	٣٧ درهماً	ابن عذارى : البيان

(١) **عمل الباحثة .**

الواحد من الدقيق			مذكور		المغرب ، قسم الموحدين ،ص٣٣٩.
الصاع من القمح	تلمسان	٦٩٨-٧٠٧هـ/١٢٩٨-١٣٠٧م	ثمانية صيعان قمح بدينار	ديناران وربع وقت الغلاء	يحيى ابن خلدون : بغية الرواد ،ج١،ص١٢٤، ١٢٥؛ التنسي :نظم الدر ،ص ١٣٤.
ثمن الصاع من الشعير	تلمسان	٦٩٨-٧٠٧هـ/١٢٩٨-١٣٠٧م	غير مذكور	نصف ثمن القمح أي دينار و٠,١٢٥	يحيى ابن خلدون : بغية الرواد ،ج١،ص١٢٤، ١٢٥.
الدجاجة	تلمسان	٦٩٨-٧٠٧هـ/١٢٩٨-١٣٠٧م	درهمان	٨دنانير ذهبية	العمري: المسالك ،ص ٥٣؛ التنسي :نظم الدر ،ص١٣٢.
القفيز من القمح	إفريقية	٧٤٩هـ/١٣٤٨	٥دنانير	٨دنانير	ابن الشماع: الأدلة البينة،ص٩٨ ؛ مزدور(سمية) :مقاربات حول مستوى معيشة التجار والحرفيين في المغرب الأوسط أواخر الفترة الوسيطة ، مجلة الناصرية ،ع٤، الجزائر ، ٢٠١٣، ص٢١٥.
الرطل من اللحم	إفريقية	٧٤٩هـ/١٣٤٨	١درهم	-	العمري: المسالك،ص ٥٢،٥٣ ؛ مزدور: مقاربات حول مستوى معيشة التجار

					والحرفيين،ص٢١٥.
مـــد مـــن القمح	قرطبة	٥٧٦هـ /١١٨٠م	بدرهم	١٥دينار	ابن صاحب الصلاة : المـن بالإمامـة ،ص ٤٩٨؛ ابـن عـذارى :البيان المغرب ،قسم الموحدين ،ض ١٣٤؛ موسى : النشاط الاقتصادي ،ص٤٠٢.
٥ أمـداد من القمح	شـرق الاندلس	ق٦هـ/١٢م	خمسة أمـداد بدرهم	المـد بثلاثـة دراهم	ابـن صاحب الصلاة :المـن بالإمامـة ، ص٥٠٩ موسـى: النشـاط الاقتصـادي ،ص٤٠٢.
التين	بلنسية	ق٦هـ/١٢م	الحبـة بدرهم	سـتين نوعـاً مـن التـين بدرهم	ابن صاحب الصلاة: المـن بالإمامـة،ص ٥١٢؛ موسى: النشاط الاقتصـادي ،ص ٤٠٤.

من خلال هذا الجدول يلاحظ الاختلاف الكبير والتفاوت في سعر المواد الغذائية الضرورية قبل المجاعات وخلالها .

كما كان من عوامل الغلاء التجار المحتكرون حيث كانوا يعمدون إلى إخفاء البضائع وعدم بيعه حتى يضاعفوا أسعارها و يغلو سعرها فالبضائع خاضعة لقانون العرض والطلب. و هكذا كانوا يسهمون في تأجيج الأزمة الغذائية للناس وبالأخص الفقراء والطبقة المتوسطة التي قد لا تستطيع شراء ما يسد رمقها في ظروف الغلاء، والأسعار الخيالية التي يطرحها التجار التي قد تصل لأضعاف أضعاف السعر وقت الرخاء والأيام العادية، وقد تنبه

المؤرخون لمدى ضرر الاحتكار على العامة حيث ذكر إن " **احتكار الزرع لتحين وقت الغلاء مشؤوم ،ويعود على فائدته بالتلف والخسران** " .[1]

ولنتائج الاحتكار السلبية قام الفقهاء بتحريمه ومنعه كي " **لا يستبد أهل القوة بالسلع دون الضعفاء والمساكين** "،[2] فهم متفقون أن علة المنع من الاحتكار تغلية السعار، وإنما اختلفوا في جوازه لاختلافهم باجتهادهم في وجود العلة وعدمها[3] فمن الفقهاء من منع الاحتكار بالكامل، ومنهم من أجاز احتكار بعض السلع وبعضها الأخر لم يجيزوا احتكار كالقمح والشعير أو السمن والعسل والفاكهة بينما أجاز بعضهم احتكار القمح والمواد الغذائية إذا لم يكن لذلك آثار سلبية على الناس،[4] وذكرت كتب الحسبة منع قوانين من شأنها منع الاحتكار عن طريق أن لا يسمح لأصحاب الحوانيت أن يدخروا ويخزنوا شيئاً من الطعام من الزيت والعسل والسمن والتين وأي شيء أخر يحتاجه الناس،[5] كما منع التجار من الوقوف بوجه أهل البادية القادمين بالطعام إلى الأسواق ،وبعدم إنزاله في الدور والفنادق كي لايخفيه التجار ويتحكموا بوجوده في الأسواق ويرتفع ثمنه .[6]

---

(1) ابن خلدون : المقدمة، ص٣٦٨.

(2) ابن فرحون (برهان الدين أبو الوفاء إبراهيم بن شمس الدين ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م): تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، علق عليه، جمال مرعشلي، الرياض، دار عالم الكتب، ٢٠٠٣م، ج٢، ص ٢٠٠، سيتم ذكر المصدر باسم ابن فرحون : تبصرة الحكام ؛ بروفنسال : ثلاث رسائل أندلسية، ص٤٢.

(3) العقباني : تحفة الناظر، ص ١٣٠

(4) ابن رشد (أبو الوليد القرطبي ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م): البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تح، محمد العرايشي، أحمد الحبابي، بيروت،دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٨م، ج١٧، ص٢٨٥، سيتم ذكر المصدر باسم ابن رشد : البيان والتحصيل ؛ العقباني : تحفة الناظر، ص ١٢٩،١٣٠ ؛ الونشريسي: المعيار ،ج٦، ص ٤٢٦ .

(5) بروفنسال : ثلاث رسائل أندلسية،ص ١٠٩.

(6) ابن فرحون تبصرة الحكام، ج٢، ص٢٠٠ ؛ الونشريسي : المعيار، ج٦،ص٤٢٦ ؛ المجليدي(أحمد سعيد ت ١٠٩٤هـ/١٦٨٢م) : كتاب التيسيرفي احكام التسعير ، تح، موسى القبال، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧١م، ص٥١،٥٢ ، سيتم ذكر المصدر باسم المجليدي : التيسير ؛ بروفنسال : ثلاث رسائل أندلسية، ص ٨٨،٨٩ .

ولمنع الاحتكار أجبر الفقهاء التجار على إخراج بضائعهم للبيع قسراً إذا ما امتنعوا وبيعها، وإعطائهم رؤوس الأموال وتوزيع الربح على الفقراء عقاباً للتجار على عدم الالتزام بالأوامر، وإن لم يلتزموا تم عقابهم بالسجن والضرب .[1]

وحتى مدخرات الناس زمن الشدة والجوع كانت تخرج بأمر من الفقهاء للبيع في الأسواق ،حيث ذكرت النوازل حول هذه القضية " **يبيعون ما عندهم مما فضل عن قوت عيالهم ما يعني أن يترك لهم قوت سنة** "،[2]وهذا لتوفير الطعام للجميع مع ضمان عدم نفاذه لدى الشخص المجبر على إخراج مؤنه للبيع حيث يترك له ما يكفيه لعام، وهذا ما يطرح التساؤل عن حجم المدخرات التي تدخرها العامة احترازاً من الجوع، فيبدو من النازلة أنهم يدخرون حاجاتهم لعدة سنوات ما يدل على حجم هاجس الخوف من الجوع الذي ترسخ في نفوسهم جراء سنوات المجاعة المتكررة المريرة، لكن تجدر الملاحظة لأن سياسة احتكار الزرع من قبل الناس عن طريق تخزين أضعاف احتياجاتهم لسنوات عدة وشراء أكثر من حاجاتهم كانت تفضي للجوع والغلاء .

كما وأمر المحتسب بقصد قطع دابر الاحتكار بتقييد التجار المعروفين بأنهم من المحتكرين بعدم ببيعهم " **أكثر من قفيزٍ من الحنطة** "[3]

ومنع الفقهاء التجار من مزاحمة الناس والمباكرة لشراء المواد من الأسواق بغية اكتنازها واحتكارها " **بل يأتي إلى الشراء في آخر النهار، فإن فضل شيء عن المسلمين في ذلك اليوم اشتراه وإلا فلا، وتكون نيته أن يبيعه في شهر معين، غلا السعر أو رخص** " [4]

ومن خلال جهود الدولة في كسر طوق الغلاء قامت الدولة بإخراج ما في مخازنها للبيع بثمن للأغنياء وبالمجان للفقراء،[5]وتعددت الأمثلة على ذلك. [6]

---

(1) العقباني : تحفة الناظر، ص ١٢٧،١٢٨؛ الونشريسي :المعيار، ج ٦، ص ٤٢٥ .

(2) الونشريسي : المعيار، ج٦، ص ٤٢٥.

(3) بروفنسال : ثلاث رسائل أندلسية، ص٤٢.

(4) ابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م): المدخل، القاهرة، مكتبة دار التراث، د.ت، ج٤، ص ٥٩.

(5) ابن عذارى : البيان المغرب ، قسم الموحدين، ص ٢٦٦، ٢٦٧ ؛ أسكان : المجاعات والأوبئة، ص١٤٠؛ بكاي : الحياة الريفية، ص٢٦٦.

(6) تم التطرق للأمثلة في الفصل الثالث ضمن فقرة جهود السلطة في تجاوز المجاعات .

وبسبب الغلاء الشديد لجأت السلطات لتسعير البضائع والمنتجات الغذائية في الأسواق في المغرب والأندلس رعاية للمصلحة العامة، وعلى الرغم من أن التسعير محرم إسلامياً ، إلا أن الفقهاء أجازوه في وقت المجاعات والشدة حتى لا يقوم التجار بإخراج البضائع المحتكرة وزيادة أسعارها، حيث كانوا يجبرون على إنزال السعر وتسعير البضائع بسعر محدد كي لا يتضرر الناس .[١]

وحددت الأسعار في تلمسان خلال القرنين٨-٩هـ/١٤-١٥م بما يسمى " **قيمة العمل**" [٢]أي بتحديد قيمة البضائع بالإضافة لربح معقول يمنع الزيادة عليه .

وكان يتم التسعير بالطرق الودية بين المحتسب ووجوه التجار حيث كان يجتمع بهم ويسألهم كيف يشترون ويبيعون، ويحضر غيرهم ليشهدوا على صدقهم ويضعون تسعيرة بما فيه مصلحتهم، ولا يرهق العامة أي بما يحقق العدل، وإذا أراد واحد أو اثنان البيع بأرخص من السعر المحدد لم يمنع من ذلك وإن كثر هؤلاء قيل لباقي أهل السوق إما أن تبيعوا كبيع هؤلاء وإلا فارفعوا، ولا يحل التسعير إلا بالتراضي . [٣]

---

(١) العقباني : تحفة الناظر، ص ١٣١،١٣٤ ؛ المجليدي : التيسير،ص ٤٨،٥٢ ؛ مطيرات (عادل مبارك): أحكام الجوائح في الفقه الإسلامي وصلتها بنظرتي الضرورة والظروف الطارئة، رسالة دكتوراه، جامعة الكويت، كلية الشريعة، ٢٠٠١م ، ص١١٩،١١٣.

(٢) فتحة : النوازل الفقهية، ص ٧٥ .

(٣) الونشريسي : المعيار،ج٥، ص ٨٤،٨٣ / ج٦ص٤٠٩،٤٠٨ ؛ بروفنسال : ثلاث رسائل أندلسية،ص٨٩ .

ب- أثر المجاعات والأوبئة على الحرف والصناعات والتجارة:

تعد المجاعات والأوبئة من أخطر الكوارث التي هددت المجتمع المغربي والأندلسي بالفناء، وإذا كان لهما دور في تقليص عدد سكان المغرب والأندلس فإن انعكاستهما على الاقتصاد يمكن وصفها بالخطيرة ، إذ إن الانهيار السكاني الذي شهدته البلاد في الفترة المدروسة ما بين القرنين (٦-٨هـ/١٢-١٤م) كان كفيلاً بتعطيل الكثير من أوجه الاقتصاد، ومنها الصناعات والحرف التي عرفت تراجعاً حاداً بسبب قلة الصناع والحرفيين من جهة، والوهن والضعف الذي أصاب الصناع كما كافة الناس بسبب الجوع والوباء، فضلاً عن ضعف القدرة الشرائية للسكان بسبب الغلاء .

فخلال المجاعة التي شهدها المغرب الأوسط جراء الحصار المريني من ٦٩٨-٧٠٧هـ/١٢٩٨-١٣٠٧م) عانى المغرب الأوسط من المجاعة القاسية والتدهور الاقتصادي كما عرف تقلصاً في عدد الصناع والحرفيين الذين هلك أغلبهم بالجوع لاسيما أن العاصمة الزيانية أصبحت شبه خالية بعد أن كان عدد السكان يفوق المائة وخمسة وعشرون ألف نسمة وقد يحمل الرقم المبالغة لكن تضع المصادر أرقام كبيرة للدلالة على حجم الضرر والفناء الديموغرافي، وقد تسببت هذه المجاعة بتراجع صناعات متعددة يذكر منها صناعة النسيج والجلود و طحن الحبوب وتجفيف التين والعنب وغيرها من الصناعات والحرف. [1]

يمكن القول إن الضرر الذي لحق القطاع الفلاحي جراء المجاعات والأوبئة المتلاحقة التي شهدها المغرب والأندلس، قد ترك بصمته على النشاطين الحرفي والتجاري .

فقد أدت المجاعات والأوبئة لموت العديد من الأيدي الحرفية، ولا غرو أن الفقر الذي عاش فيه قسم عريض منها ساهم بشكل كبير في موتها، فالمدينة التي تعد بمثابة العاصمة الاقتصادية للمغرب والأندلس، تعرضت لسلسة من المجاعات والأوبئة قضت على الكثير من سكانها ومن بينهم الحرفيون، وتأثر الحرف من جراء المجاعات والأوبئة لم ينتج عن وفاة اليد العاملة الحرفية فقط بل عن فرارها وهجرتها أيضاً بحثاً عن ظروفٍ أفضل ،ونتيجة لذلك أضمحلت " **الكثير من الورشات الحرفية** "،[2] والبنيات التحتية التجارية (حوانيت، طرق،

---

(1) بلعربي : آثار المجاعات الأوبئة، ص ١١٥.

(2) الهلالي : أثر القحط والمجاعات، ص١٨٩؛ زنبير(محمد) : الصناعة في نسق ابن خلدون الاجتماعي، الرباط، منشورات كلية الآداب، ١٩٧٩م، ص٣٠٥.

قناطر وغيرها) في سياق عام، أصيبت فيه العديد من المدن المغربية والأندلسية بالخراب من جراء الكوارث الطبيعية والمجاعات والأوبئة، فخلال المرحلة الأخيرة من حكم الموحدين للمغرب، عرفت البلاد مجاعات امتدت لسنوات طويلة، أصيبت على إثرها العديد من المنشآت الحرفية بالخراب ، فمدينة فاس مثلاً كانت تحوي سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م على ٤٦٦٩فندقاً و ٩٢٨٠حانوتاً وقيساريتان، وداران للسكة، و ٣٠٩٤ ورش للأطرزة، و٤٧ داراً لعمل الصابون ،و٨٦ داراً للدباغ ، و١٢داراً لسبك الحديد والنحاس، و ١١داراً لعمل الزجاج ، و٨٨٨داراً لعمل الفخار، زيادةً على حوانيت الصباغين والحاكة وغيرهم، خرب أغلب هذه المنشآت أيام المجاعة والفتن التي كانت أيام العادل (٦٢١-٦٢٤هـ/١٢٢٤-١٢٢٦م) وأخيه المأمون (٦٢٦-٦٣٠هـ/١٢٢٨-١٢٣٢م) [1] وقد عمم ابن أبي زرع وضع الخراب هذا على كل بلاد المغرب الأقصى، حين تولي هذا الأخير مقاليد الحكم. [2]

وبالانتقال إلى منتصف القرن٨هـ/١٤م يلاحظ أن الدمار الذي مسّ قطاع الحرف والتجارة قد شكل إحدى معالم الخراب العام الذي أصاب المغرب والأندلس جراء الطاعون الأسود، فقد انكمشت الحركة التجارية بعد أن " **قلت المواد في الأسواق**" إثر تراجع الإنتاج واندثار الكثير من عناصر البنية التحتية المساعدة على نقل السلع داخل البلاد باندثار " **السبل والمعالم** ".[3]

وقد تضررت مراكش كثيراً جراء الطاعون الجارف حيث وصفها الرحالة في منتصف القرن ٨هـ/١٤م بأنها " **قد استولى عليها الخراب** "[4] ووصف خرابها بالهائل الموحش،[5]وإذا ما قورنت بوصف الكتب الجغرافية لها ما قبل الطاعون عرف الخراب الهائل الذي تعرضت له تلك المدينة،[6]وإجمالاً لقد لخص ابن خلدون نتائج الطاعون بقوله "**وخربت الأمصار والمصانع**".[7]

---

(1) **الجزنائي :جنى زهرة الآس، ص٤٥،٤٤؛ الهلالي: أثر القحط والمجاعات، ص١٩،١٨.**

(2) **ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص٢٥٠.**

(3) **ابن خلدون : المقدمة، ص٤٣.**

(4) **ابن بطوطة : تحفة النظار،ج٢، ص٦٨٣ .**

(5) **ابن الخطيب : معيار الاختيار، ص ١٦٣ .**

(6) **الحميري :الروض المعطار،ص ٥٤٠؛ كربخال : إفريقيا، ج٢،ص٤٧،٤٦ .**

(7) **ابن خلدون : المقدمة، ص٤٣.**

وفي سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م كانت المجاعة العظيمة في المغرب "**وعم الخراب** ". [١]

وأثر الطاعون الأسود ٧٤٩-٧٥٠هـ/١٣٤٨-١٣٤٩م على القدرة الشرائية للسكان ما انعكس على النشاطين الحرفي والتجاري ،فقد كان ارتفاع الأسعار من أهم المضاعفات السلبية الناتجة عن الطاعون، وحتى الشعير الذي لم يكن يلتفت إليه أحد أصبح " **لايجده إلا أبو فلان وأما القمح فقد صار جملة من الأدوية التي يصفها الطبيب للمرضى** "،[٢] أما صاع الحنطة فقد قفز ثمنه من عشرة دراهم إلى خمسة عشر درهماً أو أكثر، وأصبح ثمن التين من أربعين حبة بدرهم قبل الطاعون إلى درهم واحد لنصف الكمية أو أقل من ذلك، وعن التحول الذي أصاب أسواق فاس يوجد في المصادر مقارنة لأحوالها قبل الوباء وبعده " **لا تكاد تسمع فيها بأذن من كثرة الصياح والضجيج ، ولكن كل هذا فيما خلا من الزمان ، أما اليوم فهو بمنزلة أحد أسواق الغبار الضعيفة التي تكون في البوادي**" . [٣]

إن ارتفاع الأسعار مع ضعف القدرة الشرائية أسهما في تضرر الحركة الحرفية والتجارية نتيجة قلة الإنتاج، فجل ماكان يملكه الناس، إن كانوا يملكونه أصلاً، وجه لاقتناء ما يسد به الرمق إن وجد بدوره دون المواد الأخرى ومنها المنتجات الحرفية

ووصفت أسواق مراكش أثناء المجاعة بأنها كانت خالية أو مغلقة وما بقي منها لا يبيع " **إلا الأطمار التالفة**" مايفيد ازدهار تجارة البالي على هامش المجاعات، وليس الوباء حيث لاتتداول حاجيات الناس مخافة العدوى .

إن الكساد الاقتصادي الذي طال التجارة في الأسواق داخل المدن جراء المجاعات والأوبئة، طال أيضاً الحركة التجارية بين المدينة ومحيطها، باعتبار المحيط هو المزود الأساسي للأسواق بالمواد الغذائية ،وفي مقدمتها الحبوب والمواد الأولية، وفي المقابل كانت المدينة تزود البادية بالأدوات المصنعة الخاصة بالنشاط الزراعي، فخلال مجاعة مراكش زمن الرشيد كانت كل أبواب المدينة مغلقة بسبب حصار عرب الخلط لها عام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م. [٤]

---

(١) ابن قنفذ : أنس الفقير، ص ١٠٥.

(٢) الهلالي : أثر القحط والمجاعات، ص١٩٣.

(٣) الهلالي : أثر القحط والمجاعات، ص١٩٦،١٩٣.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٢٦،٣٢٥.

وعـودة الطـاعون للمغـرب الأوسـط خـلال حكـم أبـو حمـو موسـى الثـاني (٧٦٠-٧٩١هـ/١٣٥٨-١٣٨٨م) أدى لموت عدد كبير من السكان ومن بينهم الصناع والحرفيون، وظهر تأثيره على الصناعة من خلال ظاهرة الضمور السكاني والقوة المنتجة، وبالتالي اندثار الكثير من الصناعات والحرف جراء الوباء، وتطاول الضرر إلى طمس المراكز الصناعية التي كانت تضم الكثير من الحرفيين والصناع مثل دار الصناعة التي أنشأها أبو حمو موسى الثاني (٧٦٦هـ/١٣٦٤م) " **فأغلقت دار الصناعة لعدم الصناع** " . [1]

قصارى القول إن المجاعات والأوبئة كانت تنقص وتعرقل نشاط الحرفيين والتجار وتخرب الشروط اللازمة لتقدم حرفهم وتجارتهم .

---

(1) **بلعربي : آثار المجاعات والأوبئة، ص ١١٨**

ج- انخفاض قيمة العملة :

يلاحظ إبان المجاعات تدني قيمة النقد وانخفاض قيمة العملة أو السكة المتداولة ، ولكن هذا لا يعني أن كل المجاعات خلال الفترة المدروسة قد واكبها انخفاض في قيمة العملة، فهناك مجاعات سكتت فيها المصادرعن ذكر أسعار أو قيم العملة، فبلغ وزن الدينار الحفصي٧٢, ٤غ وسمي الدبلون، ولكن يبدو أنه ضرب في بداية الدولة وفي فترة قوتها، فخلال المجاعات أوضحت المصادر أن قيمة العملة قد تدنت ومثالاً على ذلك مجاعة عام٦٣٢هـ /١٢٣٤م تدنت قيمة العملة في المغرب حتى أصبح الدرهم الفضي يعادل نصف درهم، ومجاعة عام ٦٣٤هـ/١٢٣٦م في المغرب ترافقت مع انخفاض في قيمة العملة " **الدرهم الواحد أفضله عشرون درهم**". [١]

حيث يلاحظ أن الدنانير الحفصية اختلفت جودتها ونقائها إذ عثر على دنانير غير معتدلة الحروف والأطراف ومشوهة السبك، بحيث حكم عليها بعدم تناسقها ، وقلة العناية بضربها لاسيما أواسط وأواخر الدولة الحفصية الأمر الدال على انهيار الدولة وتدهور الحضارة فيها، وبلغ وزن الدرهم الحفصي غراماً ونصف بعد أن كان يبلغ ٧٢, ٤غ، وأطلق اسم الدرهم الجديد أو التونسي على السكة الفضية الحفصية وهو يساوي ثلاثة من الدراهم الصغيرة المعروفة بالجدودية، ما اضطر الأفراد في كثير من المعاملات النقدية للجوء للفقهاء وذلك بسبب ظهور اللبس في القيم المختلفة للدراهم المتعددة التي انتشرت في الدولة الحفصية كنتيجة للإصلاح النقدي فعندما انحطت قيمة الدرهم الحفصي أدخلت عليه إصلاحات لرفع قيمته فمنذ النصف الثاني من القرن٧هـ/١٣م، تداول الناس درهماً جديداً ذا قيمة مرتفعة لجانب الدرهم القديم الذي له نفس الوزن ولكنه فقد خمس قيمته نتيجة ارتفاع مزيجه.[٢]

ضربت دنانير بعد فك الحصار عن تلمسان عام ٧٠٧هـ/١٣٠٧م كتب عليها " **ما أقرب فرج الله** " كناية عن الفرح بالنصر وتم التعامل بها بين الناس وكان وزن الدينار الزياني٤,٤٤ غ و٩٥, ٤غ، وإلى جانب الدينار الذهبي تعاملوا بالدرهم الفضي ووزنه غرام ونصف واستخدِم نوعان من الدراهم الدرهم الكبير (الجديد) والدرهم الصغير(القديم) وكل

---

(١) **ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٢٥،٣٣٩.**

(٢) **برنشفيك : تاريخ إفريقيا، ج٢، ص٧٢.**

عشرة دراهم قديمة تساوي ثمانية جديدة وهي نفسها تساوي ديناراً، ووجدت دنانير منقوصة الوزن في عهد الدولة الزيانيةبعيار ٠٥, ١غ في عهد السلطان محمد الثاني (٨٤-٨١٣هـ/١٤٠١-١٤١٠م). [١]

وقد انتشرت ظواهر غش العملة في فترات الضعف الاقتصادي والسياسي وبسبب تعدد العملات ودور السكة فأمر الفقهاء بإنزال العقوبات بالمدلسين. [٢]

وظهر غش العملة في العهد الحفصي على شكل دراهم منقوصة سميت بالحندوس مصنوعة من النحاس ضربت عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م فمنع المستنصر الحفصي(٦٤٧-٦٧٥هـ/١٢٤٩-١٢٧٦م) التعامل بها وعاقب من قام بتدليسها. [٣]

وفي عهد السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦-٦٨٥هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م) وجدت دراهم متداولة بيد اليهود ولم تكن على سكته إي لا يوجد عليها شعار الدولة ومكان الضرب ومنقوصة الوزن فأصدر الأمر بعدم السماح بسك العملة خارج دار السكة . [٤]

بعد وفاة السلطان أبي عنان عام ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م ضعفت السلطة المركزية للدولة المرينية ما أدى لضعف الاقتصاد وصارت العملة الذهبية قليلة، لاشتغال اليهود بتجارة الذهب والفضة ونقص دخل دار السكة وعائداتها منها [٥]

وأفتى الفقهاء بجواز التعامل بالعملة المغشوشة بعد أن أصبحت متداولة كما هي حالها وبالتالي لم تعد مدلسة ما يعني أن قيمتها باتت معروفة ومضبوطة. [٦]

وانتشر التعامل بالدراهم المغشوشة في تلمسان ويستدل على ذلك من خلال ذكر المصادر "للدراهم المبهرجة " الظاهرة التي أطاحت برؤوس أموال الناس " **إن فساد سكة المسلمين**

---

(١) كربوع (مسعود): نوازل النقود والمكاييل والموازين فيكتاب المعيار للونشريسي جمعاً ودراسةً وتحليلاً رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة الحاج لخضر، ٢٠١٢-٢٠١٣م، ص٩٤،٩٣.

(٢) فتحة : النوازل االفقهية، ص٢٩٩.

(٣) الزركشي : تاريخ الدولتين،ص ٣٨ ؛ ابن خلدون : العبر، ج٦، ص ٦٥٨ ؛ حسن : المدينة والبادية، ج١، ص١٠٩ .

(٤) ريه (عطا علي محمد شحاته) :اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، دمشق، دار الكلمة، ١٩٩٩م، ص١٨١.

(٥) الحكيم (أبو الحسن علي بن يوسف ت٨هـ/١٤م): الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تح، حسين مؤنس، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٦م، ص٩٥، سيتم ذكر المصدر باسم الحكيم : الدوحة المشتبكة.

(٦) الونشريسي : المعيار، ج٦، ص١٢٩ .

وغش دراهمهم قد عم وقوعه في البلاد المغربية بأسرها، ولم يقع لمادة ذلك حسم ولا إزالة حتى كادت رؤوس أموال الناس تنقرض من أيديهم بغلاء الأسعار وكل شيء، لطي العدد في المبيعات بالزيوف عن قيم العدل حتى في الأكرية و الاستئجار "[١]

كان بنو نصر يسكون عملتهم من فضة خالصة وذهب طيب محفوظ وكانت على نمط العملة الموحدية بشكلها المربع [٢] ولكن في القرن٩هـ/١٥م كانت العملات الذهبية نادرة في مملكة غرناطة حيث كان بنو نصر يواجهون أزمة اقتصادية حيث أن أبا الحسن علي بن سعيد بن إسماعيل (٨٦٨-٨٨٧هـ/١٤٦٣-١٤٨٢م) ضرب دنانير الفضة والنحاس والبرونز لها قيمة الدنانير الذهبية، تراوحت أراء المؤرخين حولها بين من يقول أنها مزورة ومصنوعة بشكل دنانير مربعة من المعادن ومغطسة بالذهب ، وبعضهم الآخر يرى أن الدنانير الفضية التي ضربت بسكة الدينار الذهبي ليست مزيفة بل هي عملات صحيحة كانت متداولة بقيم شرعية، وإن كانت تعد دون الذهبية في القدر، كما هو الحال في العملة الورقية اليوم،[٣] وكانت عقوبة تزوير العملة شديدة حيث يطاف بالمزور في الأسواق وينكل به. [٤]

([١]) العقباني :تحفة الناظر، ص١٠٥.

([٢]) ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص٢٩ ؛الطوخي: مظاهر الحضارة، ص ٢٧١ .

([٣]) لوثينا (لويس سيكودي): الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية، صحيفة المعهد المصري للدراسات في مدريد، مديد،١٩٥٩ -١٩٦٠م، مج٧-٨،ص١٠٨،٨٥ ؛ الطوخي : مظاهر الحضارة، ص ٢٧٣.

([٤]) الونشريسي : المعيار، ج٥، ص٨٢،٨٣/ ج٦، ص٧٥ ؛ دندش : الأندلس، ص٢٣٨ .

د – بروز ظاهرة الدين والسلف:

إن ارتفاع الأسعار المترافق مع الأزمة الاقتصادية الناتجة عن المجاعات أفرز ظاهرة الدين والسلف، حيث جسدت النوازل لجوء الناس لسلف الطعام وقت المجاعات ويأتي في مقدمة ذلك الحنطة والشعير باعتبار الأنسان يعتمد عليها كغذاء أساسي .

والنوازل المتعلقة بسلف الطعام تصدح بحقائق مهمة حول مظاهر التآزر داخل المجتمع، فكل الحالات المتوفرة ذكرت في سياق ظروف قاهرة في حياة المجتمع فإما تكون بسبب المجاعات أو شدة الحال والصعوبات المادية، وقد أجاز الفقهاء السلف في الأطعمة حتى إن كان الوفاء بالدين لا يحصل دائماً بالنوع نفسه كما يفترض، لأن الناس تعودوا على رد سلفهم بما توفر لديهم، حيث حصلت نوازل رد فيها بالسمن على سلف الزيت .[١]

قد يكون الدين والسلف إلى أجل مسمى يتفق عليه الطرفان المدين والدائن وقد يكون لأجل غير معلوم، وغالباً ما يترتب على ذلك جملة من المشاكل بين الطرفين نتيجة عدم قدرة المدين على سداد دينه في الوقت المحدد، فيضطر لرهن ممتلكاته كمنزله أو أغراضه الأخرى كضمان للدائن سئل في أحد النوازل " **عن بدوية رهنت بيتاً لها في الشدة في ساحة القصر وفيها مطمورتان في سبعة دنانير، وحازه المرتهن، وأخو المرأة حاضر في المنزل ولم ينكر ولم يغير عليها** ". [٢]

وفي نازلة أخرى سئل " **عن إمرأة ترتب عليها دين لرجل وهو ثمن قمح فرهنت دارها لذلك ولما حان وقت إيفاء الدين جاء رجل وكانت سنة مجاعة، فهددها وأحضر من يشتري بيتها بثلاثة دنانير ذهباً فاضطرت لبيع الدار الذي يساوي٦٠ دينار بمبلغ زهيد فهل يجوز ذلك؟** "،[٣] من النازلة يتوضح لجوء الناس للإستدانة في أوقات المجاعات ورهن أملاكهم في مقابل المال وعجز الناس في الكثير من الأوقات عن سداد ديونهم واضطرارهم لبيع أملاكهم الغالية المرهونة بثمن بخس جراء ذلك .

---

(١) الونشريسي: المعيار، ج٥، ص٢٦١/ج٦،ص١٠٤.

(٢) الونشريسي : المعيار، ج٥، ص١٠٢.

(٣) الونشريسي : المعيار، ج٥، ص١٠٢.

وفـي عهـد أبـي عنـان المرينـي (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٧م) حلـت بـالبلاد المجاعة والوباء قام اليهود بدور كبير في عملية الإقراض بالربا، مايدل على أن مثل هذه العمليات كانت تحصل في أوقات الأزمات بسبب حاجة الناس واستغلال المرابين لهم. [١]

يتبين من النوازل أن عمليات الدين والسلف وما ينتج عنها من رهن للممتلكات كانت تشتد زمن المجاعات وتعرض أصحابها للتهديد من قبل الدائنين، والخوف بأي لحظة من أن تؤخذ أملاكهم ومنازلهم رخيصةً لأجل الطعام الذي استلفوه لسد جوعهم .

---

(١) **ريه : اليهود في بلاد المغرب، ص١٨١ .**

رابعاً – النتائج السياسية :

كان للمجاعات والأوبئة نتائج بارزة على الصعيد السياسي، حيث شكلت المجاعات عنصر ضغط تستخدمه السلطات على المناطق المراد السيطرة عليها فالحصار كسياسة حربية متبعة ضد المدن وإحداث مجاعة مفتعلة شكل ورقة سياسية رابحة للضغط على الشعب وإجباره على الخضوع، وتعددت الأمثلة على ذلك فمن المدن التي تم حصارها حتى تمت السيطرة عليها بفعل الجوع

ولم تنأ بلاد المغرب والأندلس عن التأثيرات السياسية للمجاعات والأوبئة فموجات الجفاف التي اندلعت على أثرها مجاعات طاحنة تركت بصماتها على الأوضاع السياسية حينئذ. فألمّت بالمغرب مجاعة عام ٦٠٧هـ/ ١٢١٠ م امتدت تأثيراتها على مدى سنتين، وكانت سبباً في هزيمة الخليفة محمد الناصر الموحدي على يد تحالف الجيوش الأوروبية في موقعة العُقاب بالأندلس عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م، ما شجع قبائل بني مرين على اكتساح شرق المغرب وبسط السيطرة على سهوله، حيث لم يدخر المرينيون جهداً في إلقاء اللوم على أعدائهم الموحدين وإظهارهم على أنهم هم السبب فيما يعاني منه الناس بسياستهم الغير الحكيمة متخذين من الوضع المأساوي للرعية في الأزمات والكوارث شعاراً للنيل منهم وواجهة للتقرب من المنكوبين والمحتاجين . [١]

وكان وباء عام ٦١٠هـ/١٢١٣م عاملاً مهماً ساعد المرينيين في اكتساح بلاد المغرب خصوصاً بعد أن تأكدوا أن الوباء أباد أهله ورجاله،[٢] حيث نظم المرينيون هجرة جماعية هدفها اكتساح التلال الشمالية الشرقية للمغرب في مرحلة أولى قبل أن تتم مهاجمة سهلي الهبط وأزغار بالشمال الغربي.[٣]

عانى المغاربة مرة أخرى من القحط والمجاعة التي امتدت من عام ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م إلى عام ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م وهي المعروفة بـ"أيام المجاعة"، وكانت مجاعة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٥٩؛ ابن خلدون : العبر، ج٦، ص ٣٣٥،٣٣٦؛ أسكان : المجاعات والأوبئة، ص ١٣٥ ؛ عبد الجبار : سقوط دولة الموحدين، ص ١٠١ .

(٢) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، ص٢٦ .

(٣) البياض: الكوارث الطبيعية، ص١٢٦.

أخطرها، إذ اشتد الغلاء واختفى الطعام بمدينة سبتة في هذا العام، ويذكر أن هذه المجاعة الشديدة شجعت ثوار بني مرين على اكتساح باقي أجزاء المغرب.(١)

وبعد قضائهم على الوجود الموحدي بالمغرب نهائياً عام٦٦٩هـ / ١٢٧٠م أخذ بنو مرين في ترتيب أمورهم الداخلية والإعداد لمنازلة الجيش الإسباني في الأندلس، والذي كان يحكم الحصار على إشبيليه، غير أنهم انشغلوا بأمورهم الداخلية بعد أن تأثر المغرب بمجاعة عام ٦٧٣هـ/ ١٢٧٥م وكان وقعها شديداً في رجراجة وفاس بينما ألّم جفاف شديد عانى منه عوام رندة.(٢)

ويلاحظ أن الفترات التاريخية التي شهدت قحطاً ومجاعات تزامنت مع مراحل الفتن والثورات. فقد شهدت منطقة السوس مجاعة قاسية عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧ م تزامنت مع اندلاع ثورة الماسي التي قام بها محمد بن هود بن عبدالله الذي انقلب على الخليفة عبد المؤمن الموحدي بعد أن بايعه، وسيطر على تامسنا وبلاد أخرى وبايعته قبائل كثيرة، لكن الخليفة أرسل له جيشاً كبيراً قضى على ثورته .(٣)

وأعقبت مجاعة عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨ م ثورة أهل سبتة على الموحدين ، ثم اندلعت ثورة أبي مزكيدا (ثائر من برغواطة على الساحل الأطلسي) بتامسنا سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م .(٤)

وعرفت إفريقية عام ٦٧٨هـ/١٢٧٩م نقصاً في الإنتاج الفلاحي ، يفسر بالتجاء الناس لأكل القمح فريكاً في ربيع السنة الموالية، لكن حلت كارثة طبيعية بالموسم قبيل الحصاد ففسد الزرع وتلفت الماشية،(٥) وفي السنة الموالية قامت حركة ابن أبي عمارة عندما قام أبو

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين ، ص ٣٤٧ ؛ الجزنائي : جنى زهرة الآس ، ص ٤٥ ؛ السبتي :اختصار الأخبار، ص ٨٣ .

(٢) الغرناطي :صلة الصلة ، مج ٣،١٥٣،١٥٤؛ ابن الخطيب : الإحاطة، ج٤،ص٤٦٦،٤٦٤؛ السملالي : الإعلام ، ج٤، ص٢٧٤ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين،ص ٣٠،٣٢ ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص١٩٠ ؛ السلاوي : الاستقصا،ج٢،ص١١٣،١١٠ .

(٤) أبو مزكيدا: ثائر برغواطي عام ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م كانت ثورته بأرض بندغل المتصلة بعين غبولة من أرض تامسنا أطاعته قبائل عديدة من البربر وبقي يحارب الموحدين إلى أن تم قتله، البيدق : أخبار المهدي، ص٨٣؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص١٩١ .

(٥) الزركشي : تاريخ الدولتين، ص ٤٥ ؛ حسن : المدينة والبادية، ج٢، ص٦٧٧؛ مجموعة من المؤلفين : المغيبون، ص٢٣٤.

إسحاق (٦٧٨-٦٨٢هـ/١٢٧٩- ١٢٨٣م) باتباع سياسة ضريبة مجحفة تميزت بالإسراف زمن الشدة . [١]

ويعد الوباء سبباً في نهاية عمر الدولة بحسب ابن خلدون ويسرع في خرابها وزوالها حيث يذكر في سياق حديثه عن الطاعون الجارف " **وهذا ما نزل بالعمران شرقاً وغرباً في منتصف المائة الثامنة من الطاعون الجارف، الذي تحيف الأمم وذهب بالجيل وطوى كثيراً من محاسن العمران ومحاها، وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وفل من حدها وأوهن الأمصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل، وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن ....،وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض، فبادر بالإجابة والله وارث الأرض ومن عليها**". [٢]

حيث أن المجاعات والأوبئة كانت عقبة أمام التطور الاقتصادي والنمو الديموغرافي الذي يعد أساساً لقيام الدول، فالفراغ السكاني والخراب الاقتصادي الناتج عن الجوع والوباء عجل بأفول دول وزوالها وقيام أخرى على حساب تلك المنقرضة وتوسعها .

---

(١) ابن الشماع : الأدلة البينة، ص ٧٧،٧٨.

(٢) ابن خلدون : المقدمة، ص ٣٨.

خامساً – النتائج النفسية والذهنية :

– بروز طبقة الأولياء والإيمان بالخرافات والأساطير والشعوذة

انعكست نتائج المجاعات والأوبئة على نفسية المجتمع المغربي والأندلسي وذهنياته ، فانعدام الوعي الكافي، أدى إلى تفشي الخرافات والشعوذة والتنجيم، حيث عرف عن سكان غمارة ممارستهم الشعوذة(1) والرقادة. (2)

فقد صدق الناس المشعوذين والدجالين دونما تفكير أو معارضة وعن أولئك الدجالين ،فلو فكر الإنسان ملياً لما انساق وراء مثل تلك الخرافات تذكر المصادر أنهم " **يبيعون للجمهور الجاهل أوراقاً صغيرة كتب عليها كلمات ووصفات ضد أوجاع مختلفة كما يزعمون** "،(3) من البديهي أن الأنسان لو حمل تلك الأوراق دهوراً، لن تؤدي لشفائه، لكن مما سبق يلاحظ مدى اليأس والنفسية المحطمة التي وصل إليها الإنسان، فيأسه من علاج ألمه جعله يلجأ لمثل تلك الحلول التي قد يكون لجأ إليها من مبدأ أنها إذا لم تنفع فلن تضر.

قد تكون الطبقة المثقفة قد أسهمت بشكل غير مقصود بتشجيع العامة على مثل تلك الذهنيات حول التنجيم بسبب اتساع دائرة التعليل الخرافي، إذ كان العامة يجهلون الكثير من الظواهر ويعللونها بطرق خرافية،(4) ويذكر من الطقوس التي مارسها أهل غمارة استعانتهم بالساحرات لإنزال المطر، وهي طقوس قديمة ترجع للقرن٤هـ/١٠م، واشتهرت نساء أغمات بالقيام بالسحر أيضاً. (5)

كما وشهد المغرب والأندلس تنامياً في التصديق بكرامات الأولياء واللجوء إليهم للاستشفاء أو للإطعام .

---

(1) مؤلف مجهول :الاستبصار، ص١٩٢ ؛ العلوش : أثر الكوارث،ص١٤٥،١٤٤؛ المنوني :حضارة الموحدين، ص٨١.

(2) الرقادة : هي ظاهرة تعني أن يدخل الرجل بغيبوبة بعدها يأتي بالغرائب والعجائب، مؤلف مجهول : الاستبصار ،ص١٩٢.

(3) الوزان: وصف إفريقيا، ج١، ص٢٧٦ .

(4) الوزان : وصف إفريقيا،ح١، ص٧٠؛ البياض: الكوارث الطبيعية، ص ١٣٩ .

(5) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٨ ؛ البياض: الكوارث الطبيعية، ص١٣٦ .

ومما لاشك فيه أن مظاهر الجوع والوباء السلبية، قد انعكست على نفسية السكان التي سادها التشاؤم والحزن والخوف من مصير يكاد يكون محتوماً. [1]

وفي السياق ذاته ذكرت المصادر مدى المعاناة الجسدية والنفسية جراء الحصار المريني لتلمسان " **ونالهم من الجهد والجوع ما لم ينل أمة من الأمم** "،[2] ففضلاً عن الجوع والنفسية المجهدة للسكان، اعتراهم الخوف والقلق ففي أي لحظة قد يقتحم الأعداء أسوارهم ويفتك بهم .

كما عمد السكان لطقوس سحرية وإذا صح القول عديمة النفع تقوم على ربط ذيول الأبقار بأغصان للشجر وإضرام النار فيه كي ينزل المطر !،[3] ومن المرجح أن هذا الطقس ما هو إلا تطور لطقوس تتصل بهذا الإله الثور، ويبدو أن البقر شكل قرباناً للاسترضاء من الإله في ذلك العصر واستمرت العادة لعصور لاحقة [4]

ومن الممارسات الخرافية يذكر احتفال العنصرة المقام في المغرب والأندلس ومن طقوسه ارتداء الملابس البيضاء، وإضرام النار في شعلة تدعى العنصرة والقفز فوقها والتراشق بالماء في دلالة للخصب، واعتقدوا أن هذا الاحتفال يقي من القحط ويجلب الماء ويقي من الوباء.[5]

وقبل الشروع ببناء فاس تم استحضار طقوس سحرية، لجعلها خالية من الأمراض وكي لا يموت بها خليفة،[6] وهذا ما أثبت التاريخ زيفه، لكن الناس ظلوا منساقين وراء الدجالين والذهنيات الخرافية. كما كان الناس يقعدون عن العمل والحرث وقيامهم بحياتهم الإنتاجية فقط؛ لأن مشعوذاً ما تنبأ لهم بحلول الجفاف والجوع والوباء وهو ما لايتقبله عقل. [7]

---

(1) كريمي: قراءة المدينة الموحدية والمرينية، ص١١٦ .

(2) ابن خلدون : العبر،ج٧، ص١٢٨

(3) التجاني :رحلة التجاني، ص ٣١٣،٣١٤ ؛ البياض : الكوارث الطبيعية، ص١٤٢

(4) التجاني : رحلة التجاني، ص ٣١٥؛ بنعبدالله (محمد بن عبد العزيز): الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي، المغرب وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٦م، ج١، ص٣١٤/ج٢، ص٣٩٤-٤٠٦-٤٠٧ .

(5) ابن خلكان : وفيات الأعيان،ج٧، ص٢٢٧؛ دندش ٣٢٧: الأندلس، ص ٣٢٨

(6) ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص١٦١؛ السلاوي : الاستقصا،ج٣، ص٤٤

(7) البياض : الكوارث الطبيعية، ص١٤٠

سادساً – النتائج العلمية :

– نتائج المجاعات والأوبئة على البحث العلمي إيجاباً وسلباً

على الرغم من النتائج السلبية للمجاعات والأوبئة وآثارها السلبية على قطاع التعليم والثقافة إذ تتعطل دور العلم، ومثال على ذلك توقف سير الحركة العلمية في تلمسان حيث سافر مؤدب الرصاع وهلك أغلب المتعلمين لديه . (١)

وحال الطاعون الجارف دون إكمال ابن خلدون رحلته العلمية فاستاء بسبب ذلك وتوفي عدد من شيوخه "**ولم أزل منذ نشأت وناهزت مكباً على تحصيل العلم حريصاً على اقتناء الفضائل متنقلاً بين دروس العلم وحلقاته، إلى أن جاء الطاعون الجارف وذهب بالأعيان والصدور وجميع المشيخة وهلك أبواي رحمهما الله** ".(٢)

كان للوباء والجوع أثرهما السلبي من هجرة المثقفين أو الطبقة المتعلمة وإغلاق الكتاتيب ودور العلم ففي حالة الهلع والخوف تلك لن يستطيع الناس الإقبال على العلم.

ولكن كان للوباء جانبه الإيجابي على النخبة المثقفة في المجتمع المغربي والأندلسي، حيث كان بمنزلة دافع لحثهم على العلم والبحث والتقصي حول أسباب الوباء وعوامل انتشاره وأفردوا مؤلفات حوله فقد يخرج من رحم الأزمات من لا يرضخ لخرافات المجتمع ومن لا ينساق وراء الترهات ويتسلح بالمنهج العلمي في السعي خلف اكتشاف الحقيقة، فأفرز الطاعون الجارف(٧٤٨-٧٥٠هـ/١٣٤٨-١٣٤٩م) العديد من المؤلفات والكتب مثالاً عليها:

– لسان الدين ابن الخطيب توفي عام ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م وصف الطاعون الجارف الذي كان معاصراً له وشاهد عيان على أهواله وفتكه بالناس وأفرد له مؤلفاً تحت عنوان " **مقنعة**

---

(١) الرصاع (أبو عبد الله محمد الأنصاري ت ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م) : فهرست الرصاع، تح : محمد العنابي، تونس، المكتبة العتيقة، د.ت، ص١٦،١٤.

(٢) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون،ص ٧٥.

السائل عن المرض الهائل" تناول فيه الأسباب وأثبت وجود العدوى علمياً وأعاب على القائلين بعدم وجودها . [1]

– أحمد بن علي بن محمد بن علي ابن خاتمة توفي ٧٧٠هـ /١٣٦٨م طبيب المرية وشاعرها وكتابه" **تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد**" [2] أفرد فيه الحديث عن الطاعون الجارف ومناطق انتشاره والوفيات الناتجة عنه في المرية وتلمسان والعدوى ومسألة الفرار .[3]

– حسن بن علي الخطيب والد ابن قنفذ ألف كتاب المسنون في أحكام الطاعون [4]

– ألف أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني ابن أبي حجلة توفي ٧٧٦-١٣٧٤م[5] كتاب "**الطب المسنون في دفع الطاعون**" .[6]

– محمد بن محمد الأسلمي ويعرف بالبلياني توفي ٧٦٤هـ/١٣٦٢م من المرية عن الطاعون في تأليف أسماه " **إصلاح النية في المسألة الطاعونية**" [7]

وإذا كانت الأوبئة والطواعين قد شكلت حافزاً للكتابة حولها، فإن اللافت للانتباه حقاً هو أن المجاعات رغم شدتها لم تكن كذلك، مما يطرح أكثر من علامة استفهام، منها على سبيل المثال لا الحصر، هل فاقت الآثار التدميرية للأوبئة بكثير نظيرتها التي خلفتها المجاعات؟

يمكن القول أن المجاعات والأوبئة من أخطر ما تعرض له المجتمع المغربي والأندلسي خلال القرنين (٦-٨هـ/١٢-١٤م)، حيث هددت الحياة البشرية بالفناء وغيرت الخارطة

---

(1) ابن الخطيب : الإحاطة،ج٤، ص٣٨٨؛ المقري : نفح الطيب، ج٧، ص٩٩ ؛ محمود : الفناء الكبير، ص ١٥٢ ؛ الكركجي : الأزمات الاقتصادية، ص٧٦ .

(2) الخطابي (عبد الكريم): الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية بيروت، دار الغرب الإسلامي ،د.ت، ج١، ص١٥١،١٨٦ .

(3) سالم (عبد العزيز) : تاريخ المرية الاسلامية قاعدة أسطول الأندلس، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٦٩م ص١٠٣،١٠٤ ؛ الكركجي : الأزمات الاقتصادية، ص ٧٦.

(4) ابن قنفذ : الوفيات، ٣٥٥-٣٥٦ ؛ السملالي : الإعلام،ج١، ص١٧٦ .

(5) أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني : شاعر وأديب ولد بتلمسان بزاوية جده الشيخ أبي حجلة عبد الواحد ورحل مع أبويه وإخوته للحجاز ومن ثم دمشق والقاهرة ولي مشيخة الصوفية بصهريج منجك بظاهر القاهرة ومات فيها بالطاعون، نويهض : معجم أعلام الجزائر، ص٣٦٥،٣٦٤ .

(6) نويهض : معجم أعلام الجزائر، ص٣٦٥،٣٦٤.

(7) ابن الخطيب : الإحاطة، ج٢، ص٩٤٧،٩٤٠.

الديموغرافية جراء الهجرة أو إعادة التوطين وأوقفت عجلة الإنتاج، بسبب موت أرباب الحرف والفلاحين أو هجرتهم وتسببت بالغلاء والفوضى والاضطراب السياسي، وأدت إلى التراجع الفكري و العلمي وبرز الإيمان بالخوارق وغيرها من الخرفات، فيما عدا بعض الأقلام والعقول النيرة التي أرادت الكشف عن حقيقة المرض الوبائي لكن إذا ما تمت مقارنة عدد العلماء بعدد الأولياء والمشايخ في الفترة المدروسة يعرف مدى أثر المجاعات والأوبئة السلبي على ذهنية المجتمع والبحث العلمي .

- الخاتمة :

بعد إتمام هذا البحث والوقوف على تفاصيله المختلفة ابتداءً من الأسباب وصولاً للجهود المبذولة لتجاوز المجاعات والأوبئة ختاماً بالنتائج تنبغي الإشارة لأن المجاعات والأوبئة رغم ثقل مخلفاتها ، لا تفسر كل التدهور الاقتصادي وتضرر الأنشطة الاقتصادية الذي عرفه المغرب والأندلس، فثمة عوامل أخرى تحكمت في حركة الأنشطة الاقتصادية ، فعلى الباحث ألا يعلق على المجاعات والأوبئة كل المشاكل الاقتصادية وعوائقها ، فهي لم تعمل إلا على تفاقم الأوضاع وتكريس الركود الاقتصادي في ظل حكومة لم تعمل على وضع خطة اقتصادية حقيقية وواضحة، ولم تكن تهتم بالزراعة والحرف والتجارة إلا بما تجنيه منها عبر سياسة جبائية مجحفة ، وصرفت ما ينتج من فائض مالي في مجالات غير منتجة على المستوى الاقتصادي ، إضافة للحروب والفتن التي كانت من غير طائلة سوى التمدد والتوسع السلطوي على حساب الشعوب المنهزمة وإفقارها وتجويعها .

وفي نهاية هذا البحث قد يطرأ في الذهن تساؤلات عدة ،منها أن الجنود الذين قتلوا في الماضي ليسوا مجرد أرقام تذكر ببساطة كأن يقال قتل الآلاف ، أرواح بشرية أزهقت ، لماذا خاض الإنسان تلك الحروب التي أنهكت القطاعات الاقتصادية وشلتها وأدت إلى المجاعات والأوبئة، لماذا توجه لمنطقة أخرى قاطنيها من المسلمين حتى لقتالهم ما لقضية ما لدافع ، لأجل حاكم لأجل حلم سلطان بزيادة الرقعة التي يجبي ضرائبها؟ لماذا فشل الإنسان في الماضي ومازال إلى اليوم يفشل في التعايش السلمي واحترام الآخر والالتفات للميادين المنتجة المفيدة التي تخدم الإنسانية ، لماذا لم يرفض الإنسان الحروب والفتن التي دائماً ما أفضت إلى المجاعات والأوبئة عبر تدميرها المحاصيل والأراضي الزراعية وتضرر الاقتصاد الناتج عن

فراغ المخازن وتوقف الحركة التجارية ومـوت الشبان فـي سن الانتاج وبالتالي افتقار المجتمع للأيادي المنتجة ؟

ما مدى استفادة الشعوب اليوم من تجارب التاريخ وصراع الإنسان في الماضي للتغلب على الطبيعة الأم ومحاولة السيطرة عليها أو التكيف معها ؟ فاليوم وفي القرن الحادي والعشرين مازالت تحدث المجاعات والأوبئة مواكبةً للحروب والأزمات السياسية بالإضافة لتدني قيمة العملة والاحتكار والغلاء الذي يعد من أبرز المظاهر التي تواكب أي نكبة سياسية تقض مضاجع الإنسان وتؤرقه وتؤدي إلى هجرته عن وطنه، هل يا ترى لأن الإنسان لم يتعلم من تجربة الماضي ، أم لأن سياسة الحروب والتوسعات السياسية ما زالت أهم من الإنسان ومازال الإنسان على الهامش وتكديس الثروات هو الهدف في عصر يدعي الإنسانية ؟

ومن خلال الدراسة تبين أن المصادر لم تهتم بالموتى إلا بذكرهم بالآلاف لكن أغفلوا الحزن والأسى والحالة النفسية لمحبيهم و لأسرتهم لم يعثر على هذا الجانب من خلال البحث والتقصي في المصادر ، بل اقتصرت المصادر على ذكر تفاعل الناس مع الموت وكأنه أمر عادي من العزاء لمراسم الدفن وغيرها ، فهل يستنتج من ذلك أن البعد الإنساني في كتابات المؤرخين القدامى لم يكن قد نضج بعد ؟ فالإنسان الذي مات بالوباء أو بالجوع أو بالحرب وشكل رقماً عابراً لدى المؤرخ قد يكون رباً لأسرة تشتت بفقدانه وفقدت معيلها ، كما إن المصادر أغفلت أو كانت مقلة جداً بذكر المشاعر الإنسانية من حزن وأسى فيما يتعلق بقطاع الوفيات .

هل كانت جهود السلطات كافية لتجاوز أزمة الجوع والوباء ، هل بناء بيمارستان وفتح مخزن لتوزيع الطعام يشفع للسلطات لدى التاريخ ؟ أليس المخزن هو نفسه المحتكر الأكبر الذي تسبب بالأزمة عبر تخزين هذا الكم الهائل من المحاصيل الزراعية وتسليط جباة لا يرحمون على الناس حتى في أكثر الأوقات شدة ؟ هل تسامح الإنسان مع السلطة الحاكمة هل تناسى السلوكيات التغذوية الشاذة المنفرة التي ألجأته إليها السياسات الخاطئة للسلطة ؟ ويجدر التنويه أن البحث أثبت مساعدة السلطات للناس إلا أن التساؤل المطروح هنا عن مدى فعالية المساعدة وإذا ما كان حجمها بالقدر المذكور فدائماً المؤرخ الذي يذكر المساعدة يحيطها بهالة براقة لكونه مقرباً من السلطة ، حيث يجب النظر بعين التمحيص والتدقيق لدى قراءة هذه الأحداث .

بينت الدراسة أن الآثار السيكيولوجية والذهنية للمجاعات والأوبئة تمظهرت على شكل تمثلات ومواقف ذهنية وعقلية شكلت ظاهرة الأولياء ميزة لها ، حيث عم الخوف والتشاؤم في نفوس الناس ما جعلهم يفسرون المجاعات والأوبئة بالقدر الإلهي أو السخط الإلهي بعبارة أصح ، حيث انعكست المجاعات والأوبئة على البنية العقلية للمغاربة والأندلسيين لأن التمثلات الذهنية والمواقف العقلية تؤدي دوراً فاعلاً في وصف وتحليل الحدث التاريخي بطريقة تستحضر اللاوعي الجماعي الذي يعد مرآة عاكسة وحقيقية للواقع التاريخي في أغلب الأحيان حيث أوردت المصادر جملة من المعطيات الوصفية تبرز بما لا يدع مجالاً للشك أزمات نفسية سقط فيها سكان المغرب والأندلس ،كما إن المعطيات الوصفية في المصادر التاريخية لم تكلف نفسها عناء البحث عن الأسباب الحقيقية في بروز وانتشار الظواهر الذهنية و الاجتماعية كظاهرة الأولياء التي تشكل علامة واضحة على الميثيولوجيا الدينية، حيث شكلت المجاعات والأوبئة بيئة حاضنة لهؤلاء كنتيجة للمحاولات اليائسة للناس لإيجاد حل للأزمة التي أرجعوها إلى قدر إلهي ليس له من رد سوى تقديم " صكوك غفران " على شكل ممارسات تعبدية متنوعة قد تخرج على هيئة رموز دينية كالأولياء ومقاماتهم، وسط صمم السلطات وعجز الأطباء وكذلك الأمر بالنسبة لبروز طقوس الشعوذة والدجل بقصد السيطرة على الطبيعة والظروف المناخية التي تتسبب بحدوث المجاعات والأوبئة ، ما يطرح التساؤل التالي هل الانعكاس الذهني والنفسي للأزمات على الإنسان في الفترات الغابرة بلغ من العمق أن استمر لليوم ؟ هل ورث إنسان اليوم ميثيولوجيا الماضي التي نتجت عن عصر متأزم وأحاطها بهالة من القداسة ؟

بينت المجاعات والأوبئة براعة الإنسان المغربي و الأندلسي وسلوكه المتميز في التكيف عندما لجأ إلى الاعتماد على ما تجود به الطبيعة في ابتكار أطعمة جديدة لم يألفها سابقاً وإدخالها على نظامه الغذائي ، حتى أن شعوب المشرق استفادت من خبرتهم ، لكن عندما ضاقت به الأمور أكثر تحول إلى اللصوصية والتسول وكثرة حالات الغصب والتعدي التي تورطت السلطة فيها في بعض الأحيان، ويلاحظ تشدد الفقهاء في إقامة الحد لكن لماذا تراهم أقاموا الحد على اللصوص والمحاربين بينما لم يقم الحد على من له نفوذ وسلطة وكلمة ؟

و التساؤل الأخير الذي يطرح في ختام هذا البحث لماذا لم يجد الإنسان في الطاعون الجارف الصفعة التي تيقظه من سباته وأفكاره العقيمة ؟، حيث لم تثبت الدراسة شفاء أي شخص من

الطاعون عن طريق الكرامات ، لماذا لم يسلك الإنسان طريقاً عكس الذي اختاره هل كان الطريق الاستسلامي للقدر أكثر سهولة من البحث العلمي ، أم أن الواقع المثخن بالحروب والضرائب والجوع والموت لم يشكل بيئة ملائمة للبحث فيما عدى بعض العقول النيرة التي أبت أن تكون مغيبة أبت السير خلف القطيع .

قائمة الملاحق

- الملحق رقم (١) قائمة بأبرز الثورات نهاية عصر المرابطين [1] :

ثورة أحمد بن الحسين بن قسي غربي الأندلس	٥٣٨-٥٤٠هـ/١١٤٣-١١٤٥م
ثورة مالقة بزعامة أبو الحسن بن حسون الكلبي قاضي مالقة	٥٣٨هـ/١١٤٣م
ثورة قرطبة ومبايعة ابن حمدين	٥٣٩-٥٤١هـ/١١٤٤-١١٤٦م
ثورة بلنسية بزعامة القاضي ابن عبد العزيز ومن بعده عبد الله بن محمد بن سعد بن مردنيش	٥٣٩هـ/١١٤٤م
ثورة مرسية بزعامة أبي محمد بن الحاج اللورقي	٥٣٩هـ/١١٤٤م
ثورة محمد بن تومرت	٥١٤-٥٤٢هـ/١١٢٠-١١٤٧م

- الملحق رقم (٢) قائمة أسماء أمراء دولة المرابطين[2] :

اسم الأمير	زمن الحكم
يحيى بن إبراهيم الجدالي	٤٢٧-٤٤٠هـ/١٠٣٥-١٠٤٨م
يحيى بن عمر اللمتوني	٤٤٠-٤٤٧هـ/١٠٤٨-١٠٥٥م
أبو بكر بن عمر اللمتوني	٤٤٧-٤٥٣هـ/١٠٥٥-١٠٨٧م
يوسف بن تاشفين	٤٥٣-٥٠٠هـ/١٠٦١-١١٠٦م
علي بن يوسف بن تاشفين	٥٠٠- ٥٣٧هـ/١١٠٦م-١١٤٢م
تاشفين بن علي بن يوسف	٥٣٧- ٥٣٩ هـ/١١٤٢-١١٤٤م
إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف	٥٣٩-٥٤٠ هـ/١١٤٤-١١٤٥م
إسحاق بن علي بن يوسف	٥٤١-٥٤٢هـ /-١١٤٦-١١٤٧م

(١) عمل الباحثة.

(٢) عمل الباحثة .

– الملحق رقم (٣) قائمة أسماء الخلفاء الموحدين [1] :

اسم الخليفة	مدة الحكم
الإمام محمد المهدي بن عبد الله بن تومرت	٥١٤-٥٢٤هـ/١١٢٠-١١٢٩م
عبد المؤمن بن علي	٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٢٩-١١٦٢م
يوسف بن عبد المؤمن بن علي	٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٢-١١٨٤م
يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي	٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م
محمد الناصر بن يعقوب بن يوسف	٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٨-١٢١٣م
يوسف الثاني بن محمد الناصر	٦١٠-٦٢٠هـ/١٢١٣-١٢٢٣م
عبد الواحد المخلوع بن يوسف بن عبد المؤمن	٦٢٠-٦٢١هـ/١٢٢٣-١٢٢٤م
عبد الله العادل بن منصور بن يوسف الأول	٦٢١-٦٢٤هـ/١٢٢٤-١٢٢٦م
يحيى المعتصم بن محمد الناصر	٦٢٤-٦٢٦هـ/١٢٢٦-١٢٢٨م
المأمون بن منصور بن يوسف الأول	٦٢٦-٦٣٠هـ/١٢٢٨-١٢٣٢م
عبد الواحد الرشيد بن المأمون بن المنصور	٦٣٠-٦٤٠هـ/١٢٣٢-١٢٤٢م
أبو الحسن علي السعيد المقتدر بالله المأمون	٦٤٠-٦٤٦هـ/١٢٤٢-١٢٤٨م
أبو حفص عمر المرتضى بن إسحاق بن يوسف الأول	٦٤٦-٦٦٥هـ/١٢٤٨-١٢٦٦م
إدريس الواثق بن محمد بن حفص بن عبد المؤمن	٦٦٥-٦٦٨هـ/١٢٦٦-١٢٦٩م

(١) عمل الباحثة

– الملحق رقم (٤) قائمة السلاطين الزيانيين [1]:

اسم السلطان	مدة الحكم
يغمراسن بن زيان	٦٣٣-٦٨١هـ/١٢٣٥-١٢٨٢م
أبو سعيد عثمان الأول	٦٨١-٧٠٣هـ/١٢٨٢-١٣٠٣م
أبو زيان محمد الأول	٧٠٣- ٧٠٧هـ/١٣٠٣-١٣٠٧م
أبو حمو موسى الأول	٧٠٧- ٧١٨هـ/١٣٠٧-١٣١٨م
أبو تاشفين عبد الرحمن الأول	٧١٨-٧٣٧هـ/١٣١٨-١٣٣٦م
أبو حمو موسى الثاني بن يوسف	٧٦٠-٧٩١هـ/١٣٥٨-١٣٨٨م
أبو تاشفين عبد الرحمن الثاني بن موسى	٧٩١-٧٩٥هـ/١٣٨٩-١٣٩٢م
أبو ثابت يوسف بن عبد الرحمن	٧٩٥ هـ/١٣٩٢م
أبو الحجاج يوسف بن موسى	٧٩٥-٧٩٦هـ/١٣٩٢-١٣٩٣م
أبو زيان محمد الثاني بن موسى	٧٩٦-٨٠١هـ/١٣٩٣-١٣٩٨م
أبو محمد عبد الله الأول بن موسى	٨٠١ -٨٠٤هـ/ ١٣٩٨-١٤٠١م
أبو عبد الله محمد الثاني الواثق بن موسى	٨٠٤ -٨١٣ هـ/ ١٤٠١-١٤١٠م
عبد الرحمن الثالث بن عبد الرحمن الثاني	٨١٣-٨١٤ هـ/١٤١٠-١٤١١م
سعيد بن موسى	٨١٤هـ/١٤١١م
أبو مالك عبد الواحد بن موسى	٨١٤-٨٢٧هـ/١٤١١-١٤٢٣م
أبو عبد الله محمد الثالث بن عبد الرحمن الثاني	٨٢٧ -٨٣١هـ/١٤٢٣-١٤٢٧م
ولاية أبو مالك عبد الواحد للمرة الثانية	٨٣١-٨٣٣هـ/١٤٢٧-١٤٢٩م
أبو عبد الله محمد الثالث بن عبد الرحمن الثاني للمرة الثانية	٨٣٣هـ/١٤٢٩م
أبو العباس أحمد العاقل	٨٣٤-٨٦٦هـ/١٤٣٠-١٤٦١م
أبو عبد الله محمد الرابع المتوكل	٨٦٦ -٨٧٣هـ/١٤٦١-١٤٦٨م
أبو تاشفين الثالث الثابتي	٨٧٣هـ/١٤٦٨م
محمد الثابتي	٨٧٣-٩١٠هـ/١٤٦٨-١٥٠٤م

– الملحق رقم (٥) قائمة أمراء و سلاطين الدولة المرينية [1] :

(1) زامبارو : معجم الأنساب ،١١٩، ١١٨

عبد الحق بن محيو بن حمامة المريني	٥٩٢-٦١٤هـ/١١٩٥-١٢١٧م
أبو سعيد عثمان بن عبد الحق بن محيو	٦١٤-٦٣٧هـ/١٢١٧-١٢٣٩م
محمد الأول بن عبد الحق بن محيو	٦٣٧-٦٤٢-١٢٣٩-١٢٤٥م
أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق	٦٤٢-٦٥٦هـ/١٢٤٥-١٢٥٨م
أبو حفص عمر بن أبي يحيى بن عبد الحق	٦٥٦/١٢٥٨م
يعقوب بن عبد الحق المريني	٦٥٦-٦٨٥هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م
يوسف بن يعقوب بن عبد الحق	٦٨٥-٧٠٦هـ/١٢٨٦-١٣٠٦م
أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف	٧٠٦-٧٠٨هـ/١٣٠٦-١٣٠٨م
أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن يوسف	٧٠٨-٧١٠هـ/١٣٠٨-١٣١٠م
عثمان بن يعقوب بن عبد الحق	٧١٠-٧٣١هـ/١٣١٠-١٣٣٠م
أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب	٧٣١-٧٤٩هـ/١٣٣٠-١٣٤٨م
أبو عنان بن أبي الحسن علي بن عثمان	٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٧م
أبو زيان محمد بن أبي عنان	٧٥٩هـ/١٣٥٧م
السعيد بن أبي عنان بن أبي الحسن	٧٥٩-٧٦٠هـ/١٣٥٧-١٣٥٨م
أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن علي	٧٦٠-٧٦٢هـ/١٣٥٨-١٣٦٠م
تاشفين بن أبي الحسن علي بن عثمان	٧٦٢-٧٦٣هـ/١٣٦٠-١٣٦١م
أبو زيان محمد بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن	٧٦٣-٧٦٧هـ/١٣٦١-١٣٦٥م
عبد العزيز بن أبي الحسن علي	٧٦٧-٧٧٤هـ/١٣٦٥-١٣٧٢م
محمد بن عبد العزيز بن أبي الحسن	٧٧٤-٧٧٦هـ/١٣٧٢-١٣٧٤م
أبو العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن	٧٧٦-٧٨٦هـ/١٣٧٤-١٣٨٤م
موسى بن أبي عثمان بن أبي الحسن	٧٨٦-٧٨٨هـ/١٣٨٤-١٣٨٦م
محمد بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم	٧٨٨هـ/١٣٨٦م
الواثق بالله محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن	٧٨٨-٧٨٩هـ/١٣٨٦-١٣٨٧م
أبو العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن	٧٨٩-٧٩٦هـ/١٣٨٧-١٣٩٣م
المستنصر بالله عبد العزيز بن أحمد بن أبي سالم	٧٩٦-٧٩٩هـ/١٣٩٣-١٣٩٦م
المستنصر بالله عبد الله بن أحمد بن أبي سالم	٧٩٩-٨٠٠هـ/١٣٩٦-١٣٩٧م

(١) عمل الباحثة .

أبوسعيد عثمان بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم	٨٠٠-٨٢٣هـ/١٣٩٧-١٤٢٠م
عبد الحق بن أبي سعيد عثمان بن أبي العباس	٨٢٣-٨٦٩هـ/١٤٢٠-١٤٦٤م

- الملحق رقم (٦) قائمة السلاطين الحفصيين [1] :

اسم الأمير	مدة الحكم
أبو زكرياء يحيى الأول	٦٢٦-٦٤٧هـ/١٢٢٨-١٢٤٩م
أبو عبد الله محمد الأول المستنصر	٦٤٧-٦٧٥هـ/١٢٤٩-١٢٧٦م
أبو زكرياء يحيى الثاني الواثق	٦٧٥-٦٧٨هـ/١٢٧٦-١٢٧٩م
أبو إسحاق إبراهيم الأول	٦٧٨-٦٨٢هـ/١٢٧٩-١٢٨٣م
أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة (الداعي)	٦٨٢-٦٨٣هـ/١٢٨٣-١٢٨٤م
أبو حفص عمر الأول المستنصر	٦٨٣هـ/١٢٨٤م
أبو زكرياء يحيى المنتخب لإحياء دين الله بن إبراهيم	٦٨٣-٧٠٠هـ/١٢٨٤-١٣٠٠م
أبو عبد الله أبو عصيدة محمد الثاني المنتصر بن يحيى الثاني	٦٩٤-٧٠٩هـ/١٢٩٤-١٣٠٩م
أبو البقاء خالد الناصر الأول "حكم ببجاية ثم انفرد بالحكم "	٦٩٤-٧٠٩هـ/١٢٩٤-١٣٠٩م
أبو بكر الأول الشهيد ببجاية ثم انفرد بالحكم	٧٠٩هـ/١٣٠٩م
أبو البقاء الأول الناصر	٧٠٩-٧١١هـ/١٣٠٩-١٣١١م
أبو بكر الثاني المتوكل بقسنطينة وبجاية	٧١١هـ/١٣١١م
أبو يحيى زكرياء اللحياني بن أحمد	٧١١-٧١٧هـ/١٣١١-١٣١٧م
أبو ضربة محمد الثالث المستنصر	٧١٧-٧١٨هـ/١٣١٧-١٣١٨م
أبو يحيى أبو بكر الثاني المتوكل	٧١٨-٧٤٧هـ/١٣١٨-١٣٤٦م
أبو حفص عمر الثاني	٧٤٧-٧٤٨هـ/١٣٤٦-١٣٤٧م
أبو العباس أحمد الأول الفضل بن أبي يحيى	٧٥٠-٧٥١هـ/١٣٤٩-١٣٥٠م

([1]) أبو دياك (صالح محمد فياض): المواكب السلطانية ورسوم أعلام الدولة الحفصية ، مجلة الدارة .
ع١،السعودية ،١٩٨٦م ، ص١٧٤-١٧٥ .

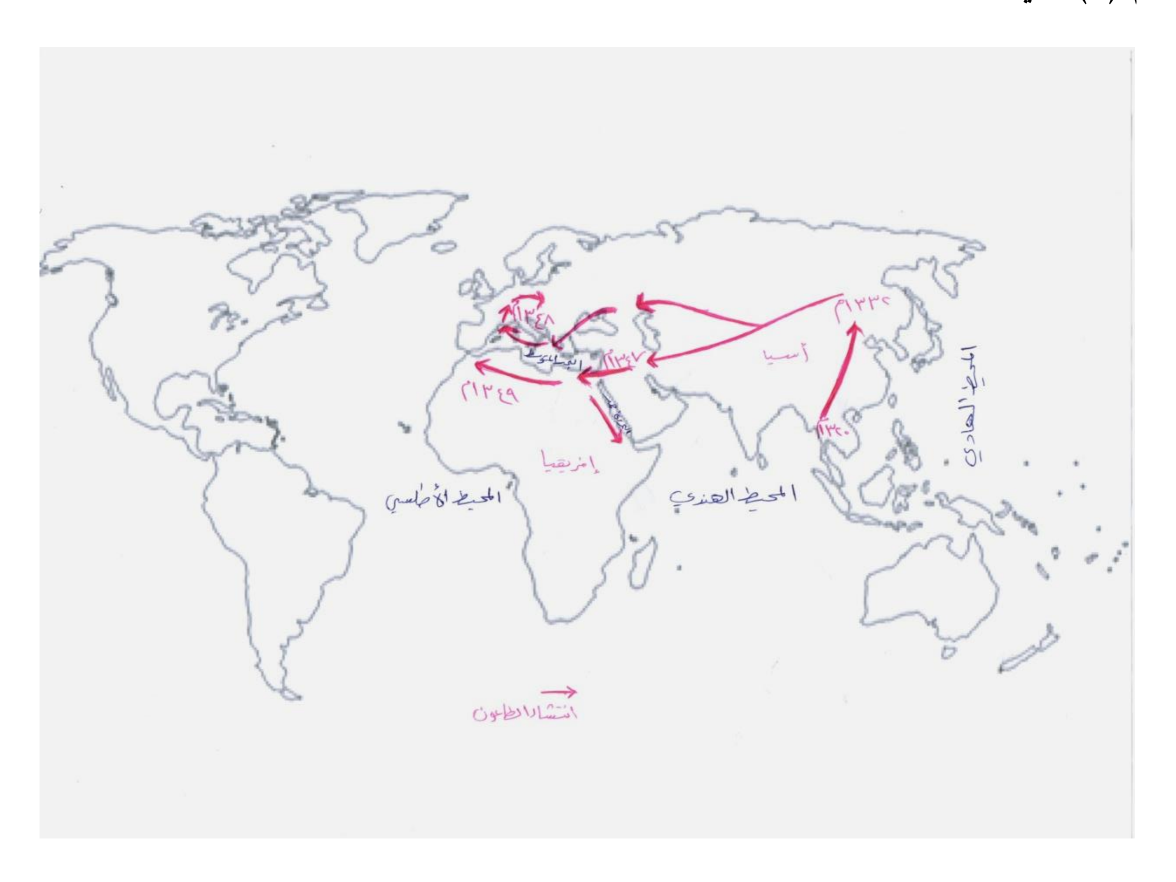
بن أبي بكر أمير بونة ثم انفرد بالحكم	
أبو زيد عبد الرحمن ، حكم قسنطينة	٧٤٩هـ/١٣٤٨م
أبو عبد الله محمد المنصور انفرد بحكم بجاية	٧٤٩هـ/١٣٤٨م
أبو إسحاق إبراهيم الثاني المستنصر بن أبي يحيى بن أبي بكر	٧٥١-٧٧٠هـ/١٣٥٠-١٣٦٨م
أبو البقاء خالد الثاني بن أبي اسحاق بن أبي يحيى	٧٧٠-٧٧٢هـ/١٣٦٨-١٣٧٠م
أبو العباس أحمد الثاني بن أبي عبد الله بن أبي يحيى	٧٧٢-٧٩٦هـ/١٣٧٠-١٣٩٣م
أبو فارس عبد العزيز المتوكل بن أحمد الثاني	٧٩٦-٨٣٧هـ/١٣٩٣-١٤٣٣م
أبو عبد الله محمد الرابع بن محمد	٨٣٧-٨٣٩هـ/١٤٣٣-١٤٣٥م
أبو عمر عثمان بن محمد الرابع	٨٣٩-٨٩٣هـ/١٤٣٥-١٤٨٧م
أبو زكرياء يحيى الثالث بن مسعود بن محمد الرابع	٨٩٣هـ/١٤٨٧م
أبو عبد الله محمد الخامس المتوكل بن الحسن بن مسعود	٩٠٠-٩٣٣هـ/١٤٩٤-١٥٢٦م
الحسن بن محمد الحفصي	٩٣٣-٩٤٢هـ/١٥٢٦-١٥٣٥م
أبو العباس أحمد بن الحسن	٩٤٢-٩٨٠هـ/١٥٣٥-١٥٧٢م
أبو عبد الله محمد السادس بن الحسن	٩٨١هـ/١٥٧٣م

- الملحق رقم (٧) قائمة سلاطين بني الأحمر[1] :

محمد الأول يوسف بن محمد بن الأحمر	٦٢٩-٦٧١هـ/١٢٣١-١٢٧٢م
محمد الثاني الفقيه بن محمد بن يوسف	٦٧١-٧٠١هـ/١٢٧٢-١٣٠١م
أبو عبد الله محمد الثالث المخلوع بن محمد	٧٠١-٧٠٨هـ/١٣٠١-١٣٠٨م
أبو الجيوش نصر بن محمد بن الأحمر	٧٠٨-٧١٣هـ/١٣٠٨-١٣١٣م
أبو الوليد إسماعيل الأول بن فرج بن إسماعيل	٧١٣-٧٢٥هـ/١٣١٣-١٣٢٤م
محمد الرابع بن إسماعيل بن فرج	٧٢٥-٧٣٣هـ/١٣٢٤-١٣٣٢م
أبو الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل	٧٣٣-٧٥٥هـ/١٣٣٢-١٣٥٤م
محمد الخامس بن يوسف الغني بالله (فترة حكمه الأولى)	٧٥٥-٧٦٠هـ/١٣٥٤-١٣٥٨م
إسماعيل الثاني بن محمد بن يوسف بن الأحمر	٧٦٠-٧٦٢هـ/١٣٥٨-١٣٦٠م
محمد الخامس الغني بالله (فترة حكمه الثانية)	٧٦٢-٧٩٣هـ/١٣٦٠-١٣٩٠م
أبو الحجاج يوسف الثاني بن الغني بالله	٧٩٣-٧٩٥هـ/١٣٩٠-١٣٩٢م
الغني بالله محمد بن يوسف الثاني(فترة حكمه الثالثة)	٧٩٥-٨١٠هـ/١٣٩٢-١٤٠٧م
يوسف الثالث بن يوسف الثاني	٨١٠-٨٢٠هـ/١٤٠٧-١٤١٧م
أبو عبد الله محمد بن يوسف الثاني الملقب بالإيسر	٨٢٠-٨٥٨هـ/١٤١٧-١٤٥٤م
سعد بن إسماعيل النصري	٨٥٨-٨٦٨هـ/١٤٥٤-١٤٦٣م
أبو الحسن علي بن سعيد بن إسماعيل	٨٦٨-٨٨٧هـ/١٤٦٣-١٤٨٢م

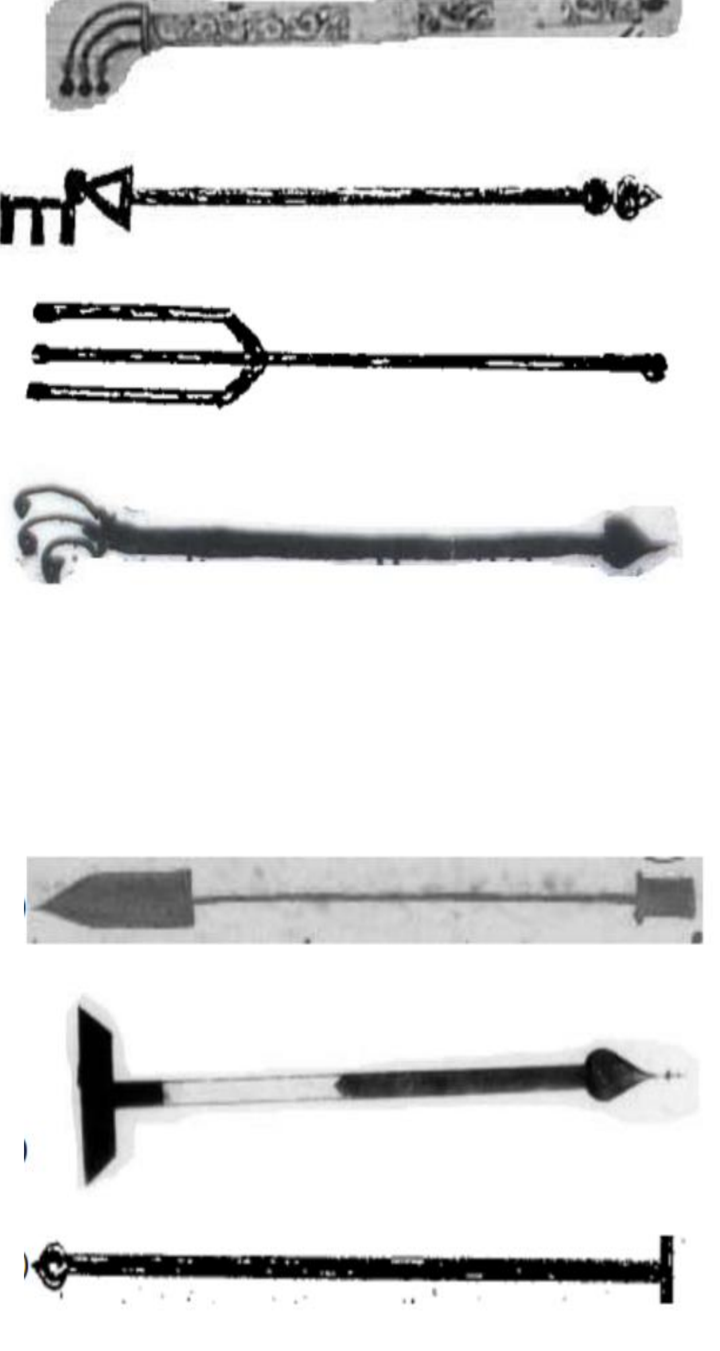
(1) عمل الباحثة .

- الملحق رقم (٨) خريطة انتشار الطاعون :



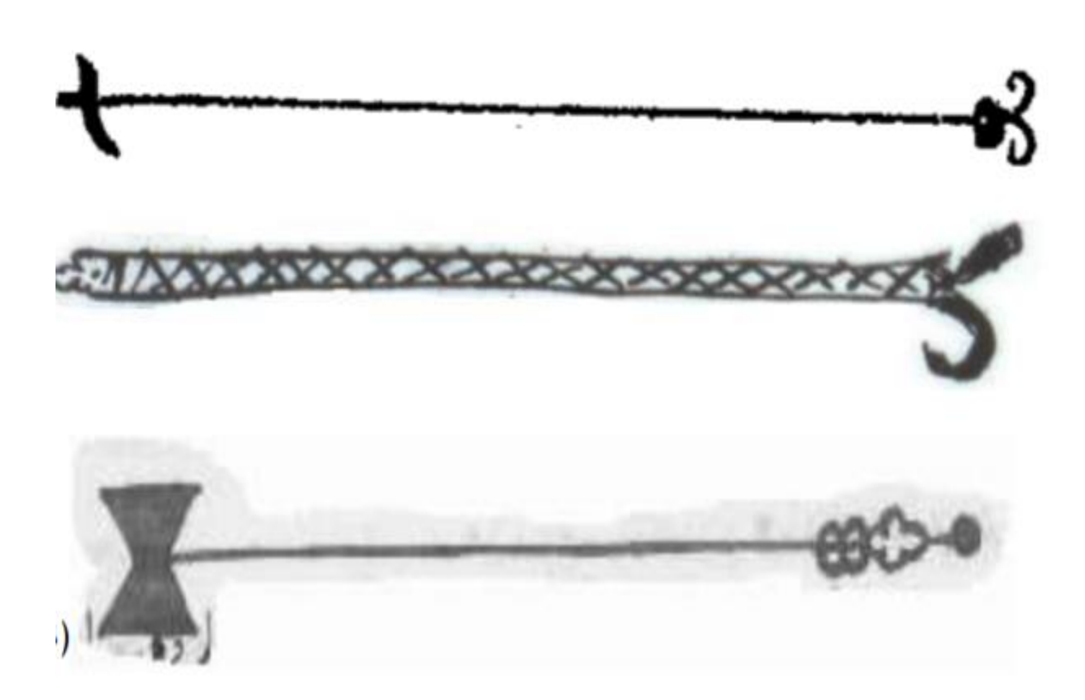
- عمل الباحثة .

- الملحق رقم (٩) أدوات الكي المستخدمة في العلاج الطبي :



- الزهراوي : الزهراوي في الطب ، ص٨٥،٥٠

- لملحق رقم (١٠) أدواة الفصد المستخدمة في العلاج الطبي:



- الزهراوي : الزهراوي في الطب ،ص409

- الملحق رقم (١١) جدول الفتن والحروب في المغرب والأندلس ما بين القرنين(٦-٨هـ/١٢-١٤م) [1]:

السنة	المكان	الحدث والآثار الناتجة عنه	المصدر / المرجع
٥٤١-٥٤٣هـ/١١٤٧-١١٤٩م	إشبيلية	الإغارة على أراضيها من قبل لبلة وقرطبة	ابن عذارى : البيان المغرب ، قسم الموحدين ،ص٣٣-٣٨ ؛ ابن خلدون : العبر ،ج٦، ض٣١٤
٥٤٣هـ/١١٤٨	قرطبة	حاصرها الإسبان فحدثت المجاعة	ابن عذارى : البيان المغرب ، قسم الموحدين ،ص٤٢-٤٣ ؛ أبو رميلة : علاقات الموحدين ،ص١١٢
٥٤٥هـ/١١٥٠م	قرطبة	حصار ألفونسو ملك طليطلة لقرطبة مدة ثلاثة أشهر	ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ،ص٤١٥-٤١٦
٥٥٣-٥٥٥هـ/١١٥٨-١١٦٠م	قرطبة	هجوم إبراهيم بن همشك على قرطبة وقطع المزروعات كل صيف لمدة ثلاث سنوات	ابن الأثير : الكامل ،ج٩،ص٣٦٧،٣٦٦
٥٧٢هـ/١١٧٧م	قونكة	حصار الإسبان لقونكة قرابة ٩ أشهر ومعاناة الناس الجوع جراء ذلك	أشباخ : تاريخ الأندلس،ج٢، ٣٩ ؛ عنان : تاريخ الإسلام في الأندلس ، العصر الثالث ، القسم الثاني ،ص٩٥-٩٧

(1) عمل الباحثة .

٥٦٥هـ/١١٧٠م	بطليوس	إغارة صاحب قلمرية عليها وانعدام المؤن وحدوث المجاعة	ابن عذارى : البيان المغرب ، قسم الموحدين ،ص١١٠؛ الكركجي : الأزمات الاقتصادية ،ص١٠٩
٥٨٨هـ/١١٩٢م	قسنطينة	حصار بنو غانية للمدينة وقطع الماء عنها	ابن عذارى : البيان المغرب ، قسم الموحدين ،ص١٧٩ ؛ ابن قنفذ : الفارسية ،ص١٠٣
٥٨٣هـ/١١٨٧م	قفصة	حصار الخليفة يعقوب المنصور لها وإتلاف بساتين الزيتون والنخيل	نويوة : أثر ثورة بني غانية ،ص ٨٥ ؛ حسين : قفصة في عهد الموحدين ،ص ١٩٨
٦٠٩هـ/١٢١٢م	الأندلس	وقعة العقاب ومانتج عنه من خراب اقتصادي وعمراني ومقتل عدد كبير من المشاركين و أعمال السلب التي قامت بها القبائل الكومية وفسادها بالأندلس .	ابن عذارى : البيان المغرب ، قسم الموحدين ،ص٢٦٣ ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس ،ص٢٤٠ ؛ خليلي : الحرب وأزمة الغذاء ،ص٢٤٢
٦٣٣هـ/١٢٣٦م	قرطبة	حصار قرطبة من قبل الإسبان وحدوث المجاعة.	عنان : تاريخ الإسلام في الأندلس ، العصر الثالث ، القسم الثاني ،ص ٤٢٣؛ الكركجي : الأمات الاقتصادية ،ص١١٢
٦٣٥-٦٣٦هـ/١٢٣٧-١٢٣٨م	بلنسية	حصار خايمه الأول لبلنسية والمجاعة والغلاء المفرط	أعمال الأعلام ،ج٢،ص٢٤٢ ؛ ابن الأبار : الحلة السيراء ،ج٢،ص٣٠٥،٣٠٦ ؛

			عنان : تاريخ الإسلام في الأندلس ، العصر الثالث ، القسم الثاني ،ص٤٤٤-٤٥١
٦٣٧هـ/١٢٣٩م	سبتة	الغلاء والمجاعة مترافقة مع كثرة الحروب والفتن أواخر الدولة الموحدية	السبتي : اختصار الخبار ،ص٨٣ ؛ ابن أبي زرع : الذخيرة السنية ،ص٥٤؛ أسكان : المجاعات والأوبئة ،ص١٣٧
٦٤٠هـ/١٢٤٢م	تلمسان	دخول السلطان الحفصي أبو زكرياء لتلمسان وأخذه الجباية من أهلها	ابن خلدون : العبر ،ج٧،ص١٠٨ ؛ الزركشي : تاريخ الدولتين ،ص٢٩
٦٤٥-٦٤٦هـ/١٢٤٧-١٢٤٩م	إشبيلية	حصار إشبيلية من قبل الإسبان ٥ أشهر والمجاعة جراء ذلك .	ابن عذارى : البيان المغرب ، قسم الموحدين ،ص٣٨٠-٣٨٤ ؛ ابن أبي زرع : الذخيرة السنية ، ص ٦٩
٦٦٥هـ/١٢٦٧م	مراكش	الصراع بين أبي دبوس ويعقوب بن عبد الحق المريني نتج عنه المجاعة والغلاء	ابن أبي زرع : روض القرطاس ،ص٣٠٥ ؛ ابن الأحمر : روضة النسرين ،ص٤٨-٤٩ ؛ بلعربي : الدولة الزيانية ،ص١٤٣.
٦٧٠هـ/١٢٧١م	تلمسان	تخريب الأمير يعقوب بن عبد الحق للمدينة وبساتينها وممارسة أعمال النهب والقتل .	ابن أبي زرع : روض القرطاس ،ص٤٠٥-٤٠٦؛ ابن الأحمر : روضة النسرين ،ص٤٩ ؛ السلاوي :الاستقصا ،ج٣،ص٣٣.
٦٩٨-٧٠٧هـ/١٢٩٨-	تلمسان	حصار يوسف بن يعقوب	التنسي : تاريخ بني زيان

١٣٠٧م		للمدينة والمجاعة والغداء جراء ذلك.	،ص١٢٩ ؛ الميلي : الجزائر ، ج٢،ص٤٥٧ .
٧٣٢-٧٣٧هـ/١٣٣١-١٣٣٦م	تلمسان	حصار أبو الحسن المريني للمدينة ومنع القوافل التجارية من الدخول إليها.	العمري : مسالك الأبصار ،ص٢٠٥م؛ خليلي : الحرب وأزمة الغذاء ،ص٢٤٠
٧٠٥هـ/١٣٠٥-١٣٠٦م	سبتة	استيلاء محمد الثالث ثالث ملوك بني نصر ومانتج عن ذلك الغلاء .	ابن الخطيب : الإحاطة ،ج١،ص٥٦٢؛ابن الخطيب : اللمحة البدرية ،ص٥٣
٧٣٢هـ -٧٣٧هـ /١٣٣١-١٣٣٦م	تلمسان	تحرك السلطان أبو الحسن المريني لتلمسان وحصارها وأعمال السلب والنهب .	الزركشي : تاريخ الدولتين ،ص٧٢-٧٣ ؛ ابن الأحمر : روضة النسرين ،ص٧٢ ؛ ابن خلدون : بغية الرواد ،ج١،ص١٤٠
٧٥٢-٧٥٨هـ/١٣٥١-١٣٥٦م	بجاية ،قسنطينة والمغرب الأوسط	حملة السلطان أبو عنان على المغرب الأوسط وإحراقه قسنطينة	الزركشي : تاريخ الدولتين ،ص٩٣-٩٦ ؛ ابن قنفذ : الفارسية ،ص١٨٦

- الملحق رقم (١٢) جدول بأهم المجاعات في الفترة المدروسة خلال القرنين(٦-٨هـ/١٢-١٤م)[1]:

سنة المجاعة	مكان المجاعة	المصدر / المرجع
٥٢٦هـ/١١٣٢م	غرناطة	ابن القطان : نظم الجمان ، ٢٢٦ .
٥٢٦-٥٢٩هـ/١١٣٢-١١٣٥م	قرطبة	ابن القطان : نظم الجمان،ص ٢٢٨-٢٤٢.
٥٣٠هـ/١١٣٦م	الأندلس	ابن القطان : نظم الجمان ،ص٢٥٢.
٥٣٣هـ/١١٣٩م	المغرب	النويري : نهاية الأرب،ج٢٤،ص١٦٠.
٥٤١هـ/١١٤٦م	مراكش	ابن عذارى : البيان المغرب ، قسم الموحدين ،ص١٢٦.
٥٤٢-٥٤٣هـ/ ١١٤٧-١١٤٨م	إشبيلية	ابن عذارى : البيان المغرب ، قسم الموحدين ، ص٣٣-٣٨.
٥٤٣هـ/١١٤٨م	قرطبة	أبو رميلة : علاقات الموحدين، ص١١٢.
٥٦٥هـ/١١٧٠م	بطليوس	الكركجي : الأزمات الاقتصادية ، ص١٠٩
٥٦٧هـ/١١٧٢م	بلنسية	ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ، ص٥١١-٥١٢.
٥٧٢هـ/١١٧٧م	قونقة	أشباخ : تاريخ الأندلس،ج٢،ص٣٩.
٥٨٥هـ/ ١١٨٩م	شلب	عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث ، قسم٢، ص٧٠.
٥٨٣هـ/١١٨٦م	قفصة	التجاني : رحلة التجاني

[1] عمل الباحثة.

		،ص١٣٩.
٥٨٨هـ/١١٩٢م	قسنطينة	ابن قنفذ : الفارسية ،ص ١٠٣.
٦٠٧هـ/١٢١٠م	المغرب	ابن عذارى : البيان المغرب ، قسم الموحدين ،ص٢٥٩.
٦١٧-٦١٨هـ/١٢٢٠-١٢٢١م	المغرب والأندلس	أسكان : المجاعات والأوبئة، ص١٣٥.
٦٢٤هـ/١٢٢٧م	الأندلس	ابن أبي زرع : روض القرطاس ،ص٢٧٤.
٦٣٥-٦٣٦هـ/١٢٣٧-١٢٣٨م	بلنسية	ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ج٢،ص٢٤٢.
٦٣٧هـ/١٢٣٩م	سبتة	السبتي : اختصار الأخبار ، ص ٨٣؛ بولقطيب : جوائح وأوبئة ،ص٤٧.
٦٤٥هـ/١٢٤٧م	إشبيلية	ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص ٦٩.
٦٦٥هـ/١٢٦٧م	مراكش	ابن أبي زرع : روض القرطاس ،ص ٣٠٥.
٦٧٩هـ/١٢٨٠م	المغرب	ابن أبي زرع : روض القرطاس ،ص٤٠٥.
٦٨٣هـ/١٢٨٤م	المغرب	ابن أبي زرع : روض القرطاس ،ص ٣٤٠.
٦٩٣هـ/١٢٩٣-١٢٩٤م	المغرب وإفريقيا ومصر	ابن خلدون : العبر ،ج٧،ص٢٩٠.
٦٨٩-٧٠٦هـ/١٢٩٨-١٣٠٧م	تلمسان	ابن الأحمر : روضة النسرين،ص ٥٠.
٧٢٣هـ/١٣٢٣م	المغرب	ابن أبي زرع : روض القرطاس ،ص ٤٠١.
٧٧٥-٧٧٦هـ/١٣٧٣-	المغرب	ابن قنفذ : أنس الفقير،

١٣٧٤م		ص١٠٥.
٧٧٦هـ/١٣٧٣م	المغرب الأوسط	خليلي : الحرب وأزمة الغذاء، ص٢٤٤.

- الملحق رقم (١٣) جدول بأهم الأوبئة في الفترة المدروسة خلال القرنين (٦-٨هـ/١٢-١٤م)[1]:

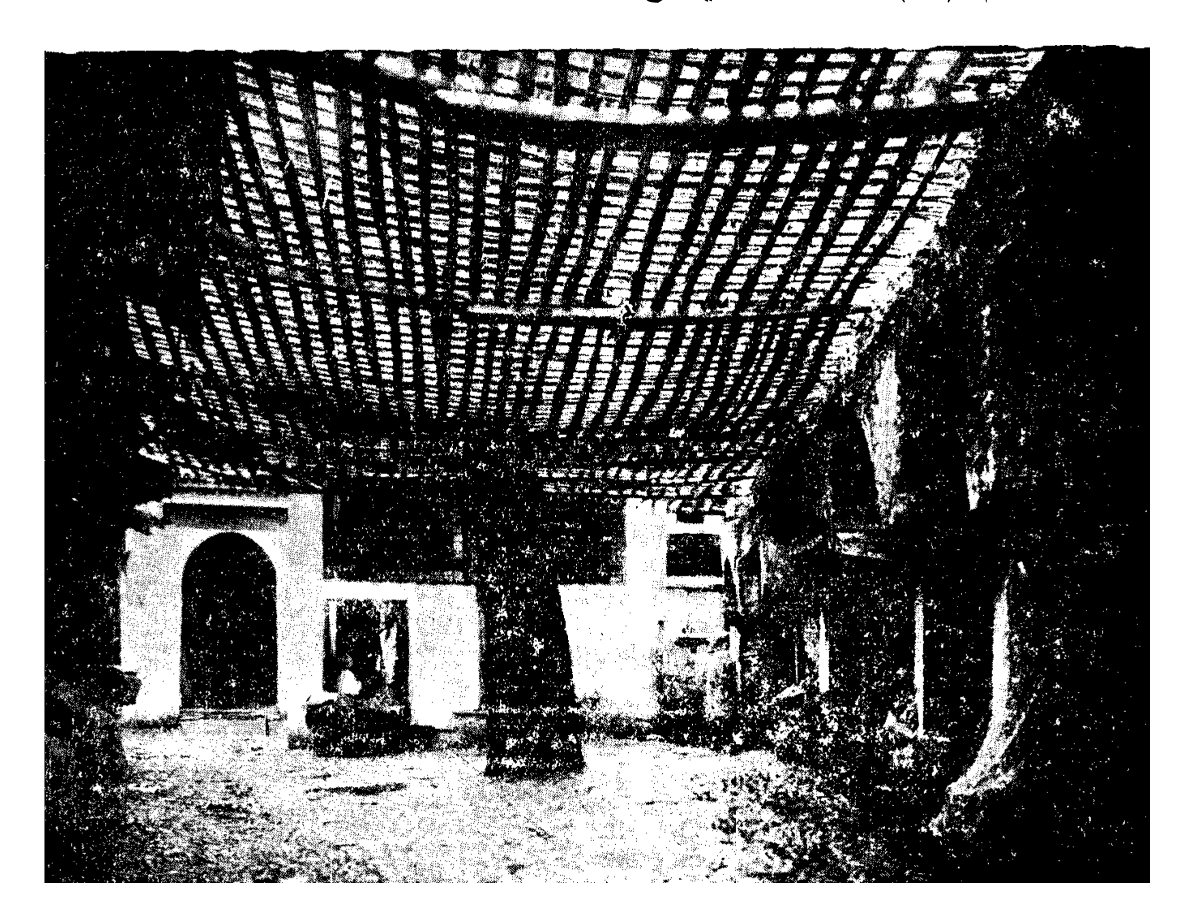
سنة الوباء	مكان الوباء	المصدر / المرجع
٥٢٦هـ/١١٣٢م	غرناطة	بوتشيش : مباحث ،ص١٩٩-٢٠١
٥٧١هـ/١١٧٦م	المغرب والأندلس	ابن عذارى : البيان المغرب ، قسم الموحدين ،ص ١٣٦ ؛ كريمي : قراءة المدينة الموحدية والمرينية،ص١١٧
٥٧٢هـ/١١٧٧م	قونقة	ابن عذارى : البيان المغرب ، قسم الموحدين ،ص ١٣٧.
٦١٠هـ/١٢١٣م	المغرب والأندلس	ابن أبي زرع : روض القرطاس ،ص ٢٧٢.
٦١٦-/ ١٢١٩ م	المغرب	الهلالي : أثر القحط والمجاعات ،ص ٢٠٦
٦٣٠هـ/ ١٢٣٢	المغرب وسبتة	ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ٢٧٦-٢٧٧.
٦٣٤هـ/١٢٣٧م	المغرب	ابن أبي زرع : روض القرطاس ،ص ٢٧٦-٢٧٧.
٦٣٥هـ/١٢٣٨م	مراكش	ابن عذارى : البيان المغرب ، قسم الموحدين ،ص ٣٤٥.
٦٩٣هـ/١٢٩٣	المغرب وإفريقيا ومصر	ابن خلدون : العبر ،ج٧،ص ٢٩٠.

---

(1) عمل الباحثة .

٧٤٨-٧٥٠هـ/١٣٤٨-١٣٤٩م)	أجزاء واسعة من العالم من ضمنها المغرب والأندلس	محمود : الفناء الكبير ، ص١٦٣-١٦٤
٧٦٣هـ/١٣٦٢م	مكناسو وفاس وتازة	ابن الخطيب : نفاضة الجراب ج٣،ص ٦١
٧٦٤-٧٦٥هـ/١٣٦٣-١٣٦٤م	المغرب	بلعربي : المجاعات والأوبئة، ص٢٣.

- الملحق رقم (١٤) بيمارستان سيدي فرج :



- عيسى : تاريخ البيمارستانات ،ص٢٨٥

- الملحق رقم (١٥) الصفحة ١٦٤ من مخطوط السيوطي ماوراه الواعون في فضل الطاعون:

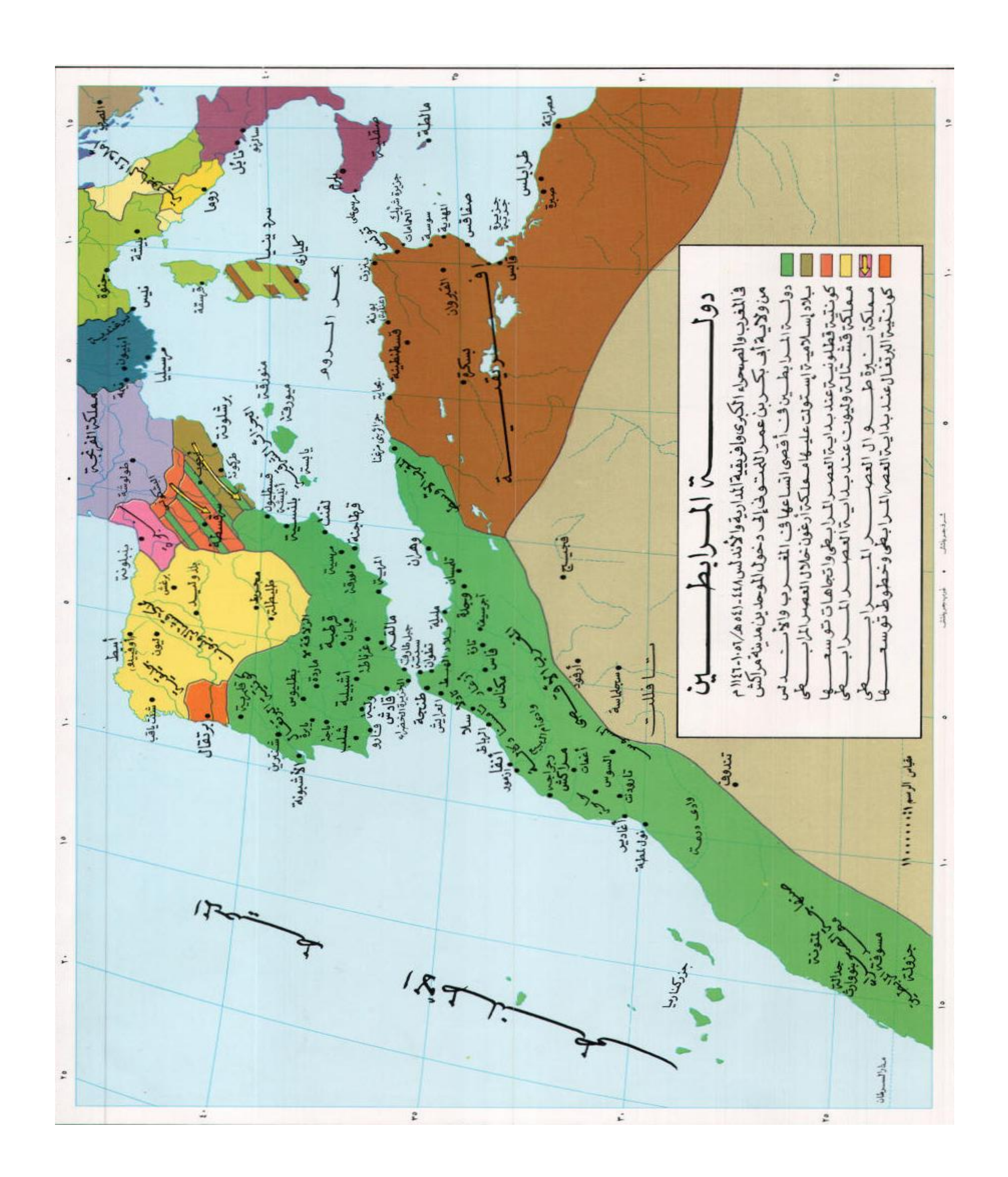
الطبراني في الاوسط والصغير عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فناء امتي في الطعن والطاعون قلنا قد عرفنا الطعن فما الطاعون قال
وخز اعدائكم من الجن وفي كل شهادة واخرج ابو يعلى عن عائشة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال في الطاعون وخزة تصيب امتي من اعدائهم من الجن
غدة كغدة الابل من اقام عليها كان مرابطا ومن اصيب به كان شهيدا ومن
فر منه كالفار من الزحف ه قال الحافظ ابن حجر وقع في عبارات جمع من
العلماء لفظ وخز اخوانكم من الجن ولا يعرف ولم يوجد في شيء من طرق الحديث
بعد التتبع الطويل البالغ لا في الكتب المشهورة ولا في الاجزاء المنثورة ه
فان ثبت وروده فالمراد اخوة التقابل كما يقال الليل والنهار اخوان
اي متقابلان وهو المراد في حديث زاد اخوانكم من الجن فانه زاد الموتى والكل
جميعا ه قال ابن القيم في كون الطاعون وخز اعدائنا الجن حكمة بالغة
فان اعداءنا منهم شياطينهم واما اهل الطاعة منهم فهم اخواننا والله امرنا
بمعاداة اعدائنا من الجن والانس وان كان بهم طلب مرضاته فابى اكثر
الناس الا مسالمتهم وموالاتهم فسلطهم الله عليهم عقوبة لهم حيث
استجابوا لهم حين اغووهم وامروهم بالمعاصي والفجور والفساد في الارض
فاطاعوهم فاقتضت الحكمة ان سلطهم عليهم بالطعن فيهم كما سلط عليهم
اعداءهم من الانس حين افسدوا في الارض ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم
فصار [illegible] من الانس والطاعون [illegible] من الجن وكل منهما بتسليط العزيز الحكيم
عقوبة لمن يستحق العقوبة وشهادة ورحمة لمن هو اهل لها وهذه سنة
الله في العقوبات تقع عامة فتكون طهرة للمؤمنين وانتقاما من الفاجر [illegible]
فان قيل اذا كان من الجن فكيف يقع في رمضان والشياطين تصفد فيه
وتسلسل فالجواب عنه [illegible] عن وقوع المعاصي فيه وهو ان
المراد [illegible] من معظم العمل فلا يصلون من الانس الى مثل ما يصلون اليه

في غير

164

في غير رمضان ولعل المراد ابطال ما اطلقه بالكلية ذكر ذلك القاضي
تاج الدين السبكي في جزء له عمله في الطاعون قال ويحتمل ان يقال انهم
يطعنون قبل دخول رمضان ولا يظهر التاثير الا بعد دخوله قال وخطر لي
ان يقال ان تصفيد الشياطين انما هو عما يترتب عليه من ابن ادم اثم من تحسينهم
الفجور لابن ادم ليقع فيه واما ما لا يترتب عليه اثم بل يثاب المرء عليه
كالطاعون مثلا فلا يمنعون منه كما لا يمنعون مما لا يترتب عليه اثم ولا ثواب
كالاحتلام انتهى [illegible] بان الذي في الحديث تصفيد الشياطين
وليس كل الجن كلهم فان [illegible] على هذا اختص الطعن بالمسلمين فان الكفار
ليسوا باعداء الجن فالجواب ما ظهر [illegible] ان الكفار ايضا اعداء الجن
فان بني ادم كلهم عدو للجن مؤمنهم وكافرهم قال تعالى افتتخذونه و
ذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو وقال الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا
تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين ويحتمل ان يكون طعن كفار الانس
من مؤمني الجن وبهذا جزم [illegible] الشبلي في تاليف له في الطاعون
وتبعه الشيخ بدر الدين الزركشي في جزء له جمعه في الطاعون واستحسنه
الحافظ ابن حجر واخرج ابو يعلى عن ابي بكر الصديق قال كنت مع النبي
صلى الله عليه وسلم في الغار فقال اللهم طعنا وطاعونا قلت يا رسول الله
اني اعلم انك قد سالت منايا امتك فهذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون
قال ذرب كالدمل ان طالت بك حياة ستراه واخرج احمد عن معاذ
ابن جبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستهاجرون الى الشام
فيفتح لكم ويكون فيكم داء كالدمل او كالحرة ياخذ بمراق الرجل يستشهد
الله به انفسهم ويزكي به اعمالهم اللهم ان كنت تعلم ان معاذ بن جبل
سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطه هو واهل بيته الحظ
الاوفر منه فاصابهم الطاعون فلم يبق منهم احد فطعن في اصبعه السبابة فه

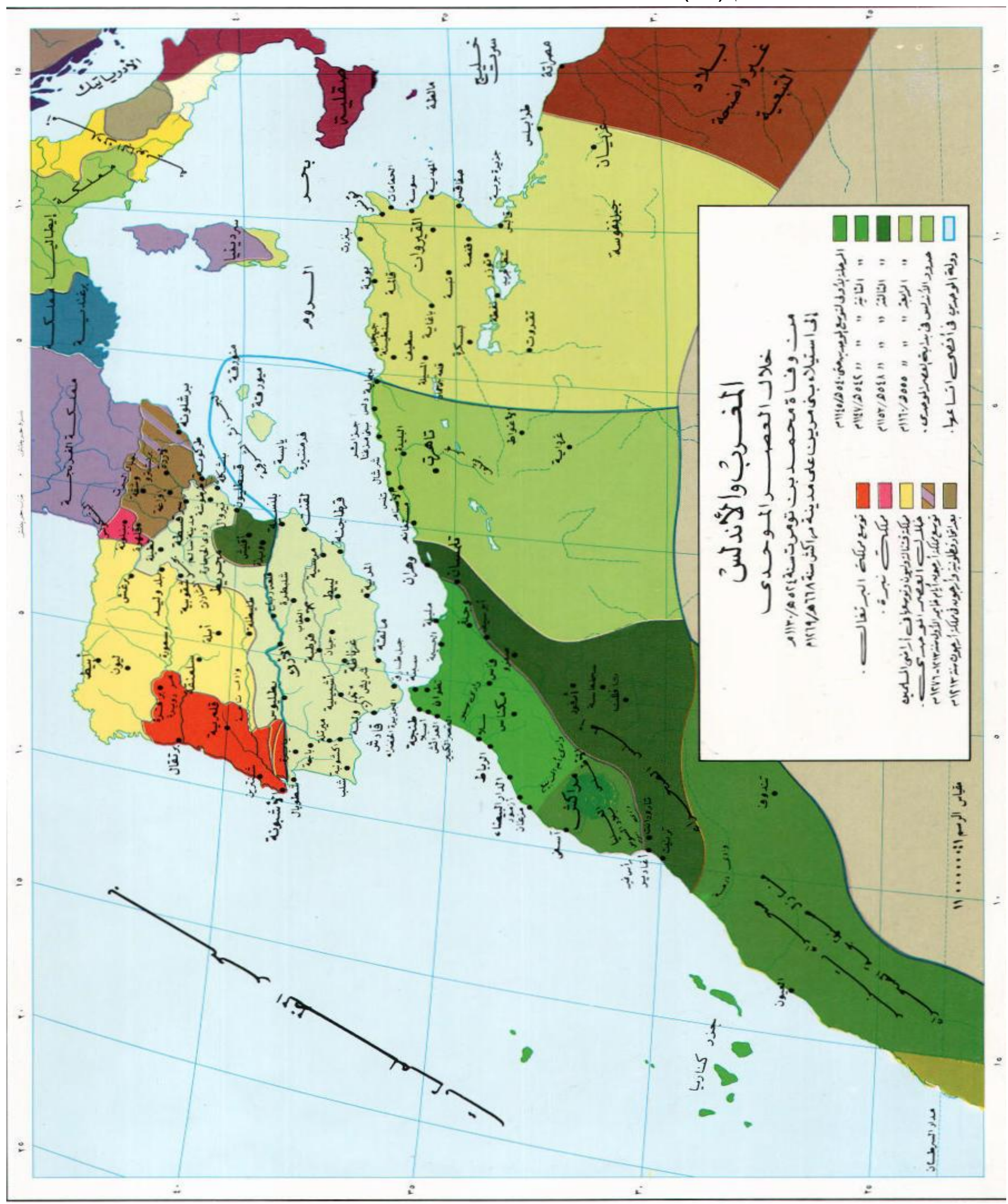
- الملحق رقم (١٦) الصفحة ٣٩ من مخطوط البسكري : اللوامع والأسرار في منافع القرآن والأخبار :



- الملحق رقم (١٧) خريطة توضح دولة المرابطين :

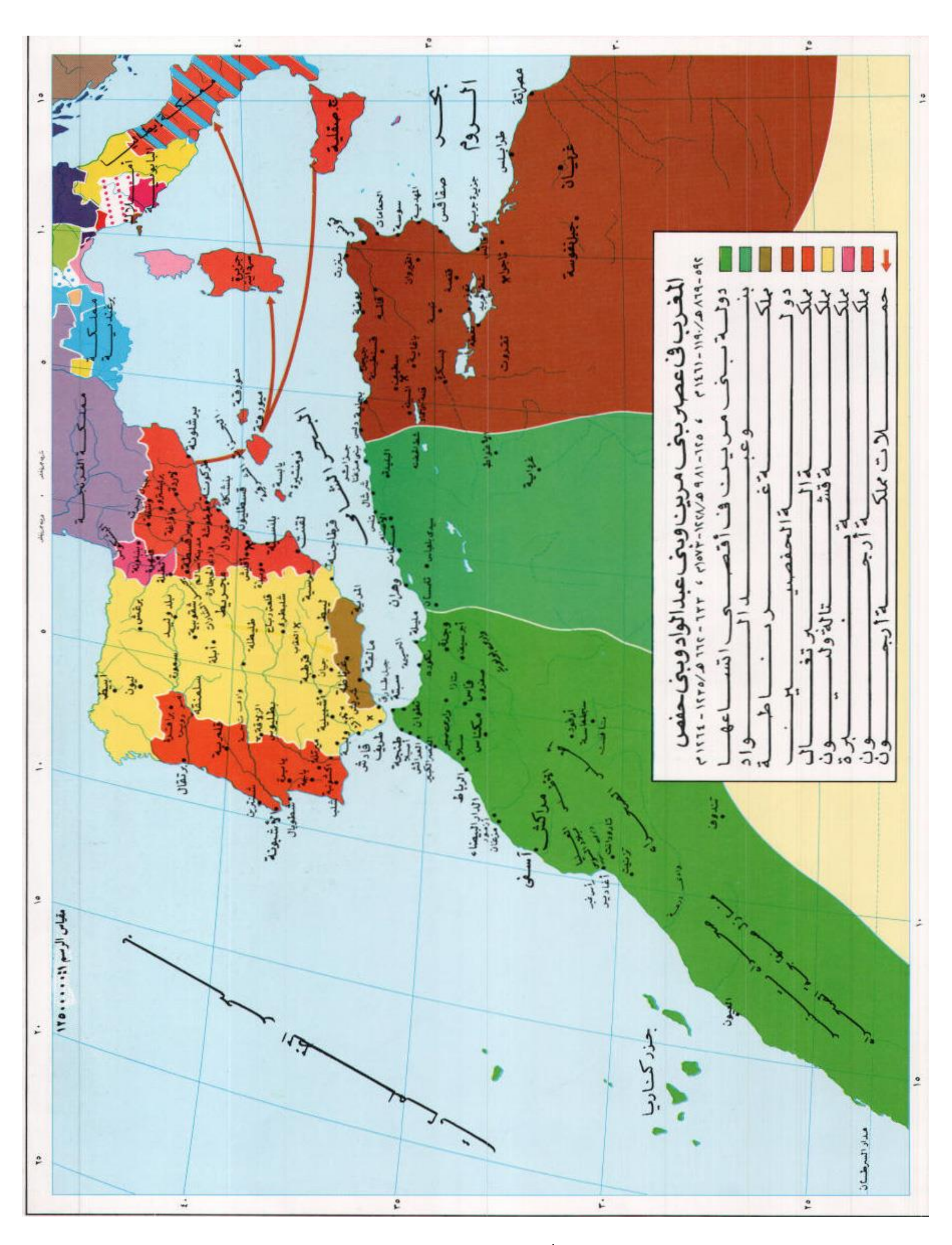
- مؤنس (حسين) : أطلس تاريخ الإسلام ، القاهرة ، الزهراء للإعلام الدولي ، ١٩٨٧م ،ص١٦٥.

- الملحق رقم (١٨) خريطة تبين دولة المغرب والأندلس خلال عصر الموحدين :



- مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ،ص١٦٦.

- الملحق رقم (١٩) خريطة تبين المغرب خلال عصر بني مرين وبني عبد الواد وبني حفص :



- مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ،ص١٦٧.

قائمة المصادر والمراجع :

أ – قائمة المخطوطات :

١. البسكري(عيسى بن سلامة بن عسى ت ٨٦٠هـ/١٤٥٥م) : اللوامع والأسرار في منافع القرآن والأخبار، مخطوط مكتبة حسن حسني عبد الوهاب في تونس، الخط مغربي، رقم المخطوط ١٨٢٤٥، نسخة من الموقع:

http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=312454

٢. السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ت٩١١هـ/١٥٠٥م) : ماروواه الواعون في فضل الطاعون، دير الأسكوريال، إسبانيا،مخطوط رقم .

ب– قائمة المصادر :

١. القرآن الكريم .

٢. ابن الأبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م) : التكملة لكتاب الصلة، تح، عبد السلام الهراس، بيروت، دار الفكر ، ١٩٩٥م .

٣. ابن الأبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م) : الحلة السيراء، تح، حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، ط١٩٨٥،٢م .

٤. ابن الأثير (مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) النهاية في غريب الحديث والأثر، تح، محمود محمد الطناحي، طاهر أحمد الزاوي،د.م، المكتبة الإسلامية،١٩٦٣م،.

٥. ابن الأثير(محمد بن محمد بن عبد الكريم ت ٦٣٠هـ/١٢٣١م):الكامل في التاريخ، تح، محمد يوسف الدقاق، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٤،، ٢٠٠٣م.

٦. ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن فرج ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م): أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن وهو كتاب نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تح، محمدرضوان الداية ، بيروت، مؤسسة الرسالة،١٩٧٦م .

٧. ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن فرج ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م): أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن وهو كتاب نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تح، محمد رضوان الداية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٦م.

٨. ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن فرج ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م): روضة النسرين في دولة بني مرين ، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٦٢م .

٩. ابن الأحمر(أبو الوليد إسماعيل بن فرج ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م) : تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح، هاني سلامة، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠١م .

١٠. الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت .

١١. الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ٥٤٨هـ/١١٥٣م): وصف إفريقيا الشمالية مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تصحيح ونشر، هنري بيرس،الجزائر، مكتبة معهد الدروس العليا الإسلامية بالجزائر، ١٩٥٧.

١٢. ابن الأزرق (أبو عبد الله ت ٨٩٦هـ/١٤٩٠م) : بدائع السلك في طبائع الملك، تح، علي سامي النشار، مصر، دار السلام، ٢٠٠٨م .

١٣. الاصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) : مسالك الممالك، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٧٠م .

١٤. ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح، عامر النجار، القاهرة، دار المعارف، د.ت .

١٥. الضبي(أحمدبن يحيى بن أحمد بن عميرة ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م) :بغية المتلمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح، إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب اللبناني،١٩٨٩م.

١٦. ابن الأكفاني(محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م): إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في العلوم، تح، عبد المنعم محمد عمر، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت .

١٧. الأندلسي (محمد بن محمد الأندلسي ت١١٤٨هـ/١٧٣٥م) : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ،تونس، مطبعة الدولة التونسية، ١٨٧٠م .

١٨. الأندلسي (يحيى بن عمر الكناني٢٨٩هـ/٩٠١م) أحكام السوق النظر والأحكام في جميع أحوال السوق، تح، محمد العمراوي السجلماس، تونس، د.د، ٢٠١٢م .

١٩. الأنطاكي (داوود عمر ت ١٠٠٨هـ/١٥٩٩م): بغية المحتاج في المجرب والعلاج، ط١، دار الفكر، بيروت،٢٠٠١ م.

٢٠. البادسي(عبد الحق بن إسماعيل ت ق٧ه/١٣م) : المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف،الرباط، المطبعة الملكية، ط٢، ١٩٩٣م.

٢١. البخاري(محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ت٢٥٩ هـ/٨٧٣م) : صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه مع حاشية السهانفوري

٢٢. وحاشية السندي، د.م، مؤسسة البشري، ٢٠١٦م .

٢٣. البرزلي (أبو القاسم ابن أحمد البلوي ت٨٤١ه/١٤٣٧م) : فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تح، محمد الحبيب الهيلة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ط، ٢٠٠٢م .

٢٤. ابن بشكوال(خلف بن عبد الملك بن مسعود ت٥٧٨هـ/١٠٨٣م): كتاب الصلة، تح: شريف أبو العلا العدوي، القاهرة، المكتبة الدينية، ٢٠٨٨م.

٢٥. ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م) :رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، قدم له، محمد عبد المنعم العريان، راجعه، مصطفى القصاص، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٨٧م.

٢٦. البكري(أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزبز ت ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) :المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

٢٧. البيدق (أبو بكر علي الصنهاجي القرن ٦ه/١٢م): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، الرباط، دار المنصور، ١٩٧١م .

٢٨. ابن البيطار(ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي ت٦٤٦ه/١٢٤٨م) : الجامع لمفردات الأغذية والأدوية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.

٢٩. التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد ت ٧٢١هـ/١٣٢١م) رحلة التجاني، قدم لها، حسن حسني عبد الوهاب، ليبيا، دار الكتاب العربي، ١٩٨١م .

٣٠. الترجمان(أبو محمد عبد الله بن عبد الله الميورقي ت ٨٣٢هـ/١٣٢٧م): تحفة الآريب في الرد على أهل الصليب، تح، عمر وفيق الداعوق، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٨م.

٣١. ابن تغري بردي (يوسف جمال الدين أبو المحاسن ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر، وزارة الثقافة، ١٩٦٣م .

٣٢. التلمساني (أحمد بن محمد المقري ت١٠٤١هـ/١٦٣١م) :نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م.

٣٣. التنبكتي (أحمد بابا ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م) : كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٠م .

٣٤. التنبكتي (أحمد بابا ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح، عبد الحميد العبد الله الهرامة، ليبيا، منشورات كلية الدعوة الإسلامية،١٩٨٩م .

٣٥. التنسي (محمد بن عبد الله ت ٨٩٩هـ/١٤٩٤م) : تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ، تح، محمد آغا بو عياد، الجزائر، موفم للنشر، ٢٠١١م .

٣٦. الجزنائي (أبو الحسن علي قرن ٨هـ/١٤م):جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح، عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ط٢، د.ت .

٣٧. ابن جلجل (أبو داوود سليمان بن حسان الأندلسي ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م) : طبقات الأطباء و الحكماء، تح، فؤاد السيد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٥م .

٣٨. الجوهري (إسماعيل بن حماد ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م) : الصحاح تاج اللغة والصحاح العربية،تح، أحمد عبد الغفور عطار،ط٣، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.

٣٩. ابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م): المدخل، القاهرة، مكتبة دار التراث، د.ت .

٤٠. ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) :فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تح، عبد القادر شيبة الحمد، الرياض، د.د، ٢٠٠١م .

٤١. ابن حجر(أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ت٨٥٢هـ/١٤٤٧م): إنباء الغمر بأنباء العمر، تح، حسن الحبشي، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي،١٩٧٣م.

٤٢. ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م): جمهرة أنساب العرب، تح، عبد السلام محمد هارون، مص، دار المعارف، ١٩٦٢ م.

٤٣. الحضرمي(أبو عبد الله محمد بن أبي بكر توفي في القرن ٩ هـ /١٤ م) : السلسل العذب والمنهل الأحلى، تح، محمد الفاسي، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٦٤م .

٤٤. الحكيم (أبو الحسن علي بن يوسف ت٨هـ/١٤م): الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تح، حسين مؤنس، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٦م.

٤٥. أبو حمو (موسى الثاني بن يوسف ت ٧٩١ هـ/١٣٨٨م):واسطة السلوك في سياسة الملوك، تونس، د.د، ١٨٦٢م .

٤٦. الحموي(ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م): معجم البلدان، بيروت، دار صادر،١٩٧٧م.

٤٧. الحميري (عبد المنعم ٩٠٠هـ/١٤٩٤م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م .

٤٨. ابن حنبل(أحمد بن محمد ت٢٤١هـ/٨٥٥م) المسند، شرحه، حمزة أحمد الزين، القاهرة، دار الحديث،١٩٩٥م.

٤٩. ابن حوقل (أبي القاسم بن حوقل النصيبي ت ٣٦٧هـ/ ٩٨٨م): صورة الأرض، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٩٢ م

٥٠. ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف الأندلسي ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م) : المقتبس في أخبار بلد الأندلس، شرحه واعتنى به، صلاح الدين الهواري، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٦ م .

٥١. أبي الخصال (أبو عبد الله محمد بن مسعود بن فرج الغافقي الأندلسي ت ٥٤٠هـ/١١٤٥م):رسائل ابن أبي الخصال، تح، محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٨٧.

٥٢. ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) : تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح، أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٦٤م.

٥٣. ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) : الإحاطة في أخبار غرناطة، مراجعة، بوزياني الدارجي، الجزائر، دار الأمل، ٢٠٠٩م .

٥٤. ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م): معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح، محمد كمال شبانة، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط،٢٠٠٠م.

٥٥. ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي ت٧٧٦ه/١٣٧٤م) : رقم الحلل في نظم الدول، تونس، المطبعة العمومية، ١٨٠١م .

٥٦. ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) : نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، نشر وتعليق، أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، د.ت .

٥٧. ابن الخطيب(أبو عبد الله محمد لسان الدين ت ٧٧٦ه/١٣٧٤م) : اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تح، محمد مسعود جبران، بيروت، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٩م .

٥٨. ابن الخطيب(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م): الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تح، سيد كسروي حسن، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت .

٥٩. ابن الخطيب(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) : مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في المغرب والأندلس، تح، أحمد مختار العبادي، الاسكندرية، مطبعة جامعة الاسكندرية، ١٩٥٨م .

٦٠. خلدون (أبو زكرياء يحيى ابن أبي بكر محمد ت٧٨١هـ/١٣٧٩م) : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر، مطبعة بيير مونطانا،١٩٠٣م.

٦١. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م): التعريف بابن خلدون ورجلته شرقاً وغرباً، لبنان، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٩م .

٦٢. ابن خلدون (عبد الرحمن ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) :العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٦٣. ابن خلكان (أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) :وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تح، إحسان عباس، بيروت، دار صادر، د.ط، ١٩٧٧م.

٦٤. الإشبيلي (أبو الخير ت ق ٦هـ/١٢م) : عمدة الطبيب في معرفة النبات، تح، محمد العربي الخطابي، بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٩٩٥م.

٦٥. الدباغ(أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري ت ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م)، ابن ناجي (أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى التنوخي ت ٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م) : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح، محمد الأحمدي أبو النور، محمد ماضور، تونس، المكتبة العتيقة، د.ت.

٦٦. أبي دينار (محمد بن أبي القاسم القيرواني توفي حوالي ١١١٠هـ/١٦٩٨م): المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تونس، مطبعة الدولة التونسية، ١٨٦٩م .

٦٧. الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر شمس الدين الرازي ت٦٦٠هـ /١٢٦١م): حدائق الحقائق، تح، سعيد عبد الفتاح، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٢م .

٦٨. ابن رشد (أبو الوليد القرطبي ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م): البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تح، محمد العرايشي، أحمد الحبابي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٨ م .

٦٩. ابن رشد (أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) :فتاوى ابن رشد، تح، المختار بن الطاهر التليلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧م .

٧٠. الرصاع (أبو عبد الله محمد الأنصاري ت ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م) : فهرست الرصاع، تح، محمد العنابي، تونس، المكتبة العتيقة، د.ت.

٧١. الرصاع(أبو عبد الله محمد الأنصاري ت ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م) : شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، تح، محمد أبو الأجفان، الطاهر المعموري، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.

٧٢. أبي زرع (علي بن عبد الله الفاسي ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٥ م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور، ١٩٧٢م.

٧٣. ابن أبي زرع(علي بن عبد الله الفاسي ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م):الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، ط٣، ١٩٧٢م.

٧٤. الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ت ٧٩٤ هـ/١٣٩١م) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح، محمد ماضور، تونس، المكتبة العتيقة، ط٢، ١٩٦٦م.

٧٥. ابن زهر (أبو مروان عبد الملك ت ٥٥٧ هـ/١١٣٠م) :التيسير في المداواة والتدبير، تح،محمد بن عبد الله الروداني، المملكة المغربية، مطبوعات أكاديمية سلسلة التراث، د.ت،.

٧٦. ابن زهر(أبو مروان بن أبي العلاء بن عبد الملك ت٥٢٥هـ /١١٦٢م):كتاب الأغذية، تح، أكبيراتيون غاريتا، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية،١٩٩١م.

٧٧. الزهراوي(خلف بن عباس ابو القاسم توفي بعد٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) طبيب وجراح الفم والأسنان وموسوعته الطبية التصريف لمن عجز عن التاليف، تح، عبد الله عبد الرازق مسعود السعيد، الأردن، وزارة الثقافة، ٢٠٠١م.

٧٨. الزهري (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ت ٥٥٦هـ/١١٦٠م): كتاب الجغرافية، تح، محمد حاج صادق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥٨م.

٧٩. ابن الزيات (يوسف بن يحيى التادلي ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) : التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح، أحمد التوفيق،الدار البيضاء، مطبعة النجاح، ط٢، ١٩٩٧م .

٨٠. السبتي (محمد بن القاسم الأنصاري ت ت٨٢٥هـ/١٤٢٢م) : اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تح، عبد الوهاب بن منصور، الرباط، د.د، ١٩٨٣م.

٨١. ابن سعيد (علي بن موسى ابن محمد بن عبد الملك ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م):المغرب في حلى المغرب، تح، شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، د.ت .

٨٢. ابن سيده(أبو الحسن علي بن إسماعيل ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م): المخصص، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت .

٨٣. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) : تاريخ الخلفاء، تح، محمد غسان نصوح، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط٢٠١٣،٢م .

٨٤. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) : تفسير الإمامين الجلالين، بيروت، دار المعرفة، د.ت .

٨٥. الشاطبي(أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م) : فتاوى الإمام الشاطبي، تح، محمد أبو الأجفان، تونس، مطبعة الكواكب، ط٢، ١٩٨٥م.

٨٦. الشماع (محمد ابن أحمد ٨٥٠هـ/١٤٤٦م): الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح، الطاهر بن محمد المعموري، تونس، دار العربية، ١٩٨٤م .

٨٧. ابن صاحب الصلاة (عبد الملك ت ٥٩٤هـ/١١٩٧م) :المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عصر الموحدين، تح، عبد الهادي التازي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٧م.

٨٨. الصفدي (خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـ/١٣٦١م) : الوافي بالوفيات، تح، أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م .

٨٩. الصومعي (أحمد التادلي ت ١٠١٣هـ/١٦٠٤م) :المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تح، علي الجاوي، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٩٦م .

٩٠. ابن أبي الضياف (أحمد ت ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م) : إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح، لجنة كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبارية، تونس، د.د، ١٩٦٣م .

٩١. ابن عاشر (أحمد الحافي ت ٧٦٦ هـ / ١٣٦٤م): تحفة الزائر بمناقب الحاج ابن عاشر، تح، مصطفى بو شعراء، سلا، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، ١٩٨٨م .

٩٢. ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله بن محمد ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح، علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢م .

٩٣. العبدري(محمد البلنسي ت٧٢٠هـ/١٣٢٠م): الرحلة المغربية، تح، سعد بوفلاقة، الجزائر، منشورات بونة، ٢٠٠٧م.

٩٤. ابن عبد الملك(أبو عبد الله محمد ابن محمد المراكشي ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م): الذيل والتكملة لكتابي الصلة والموصول، تح، إحسان عباس، محمد شريفة، تونس، دار الغرب الإسلامي، ط١،٢٠١٢م.

٩٥. ابن عبدون (محمد بن أحمد التجيبي ق٦ھ/١٢م)،ابن عبد الرؤوف (أحمد بن عبد الله ق٦ھ/١٢م)، الجرسيفي(عمر بن عثمان بن عباس ق٦هـ/١٢م):ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح، ليفي بروفنسال، القاهرة، مكتبة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م. .

٩٦. ابن عذارى (المراكشي ت ١٣١٢/٧١٢م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح، محمد زنبير، عبد القادر زمامة، حمد الكتاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٥م.

٩٧. العذري (أحمد بن عمر بن أنس ت ٤٧٨ھ/١٠٨٥م): نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تح، عبد العزيز الأهواني، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، د.ت .

٩٨. ابن عرفة (محمد الورغمي التونسي ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠ م): المختصر الفقهي، دبي، مؤسسة خلف أحمد الحبتور للأعمال الخيرية، ٢٠١٤ م .

٩٩. ابن العريف (أبو العباس ت ٥٣٦ھ/١١٤١م): مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة، تح، عصمت دندش، بيروت دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م .

١٠٠. العزفي (أبو العباس ٦٣٣م / ١٢٣٥م): دعامة اليقين في زعامة المتقين مناقب الشيخ أبي يعزى، تح، أحمد التوفيق، المغرب، مكتبة خدمة الكتاب، د.ت.

١٠١. العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح، محمد عبد المعيد ضان، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٢م .

١٠٢. ابن عصفور (علي بن مؤمن ت٦٦٩هـ/١٢٧٠م): المقرب، تح، أحمد عبد الستار الجواري، عبد الله الجبوري، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

١٠٣. العقباني (محمد ابن أحمد بن قاسم ت ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م) :تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح، علي الشنوفي، بيروت، د.د، ١٩٦٧م .

١٠٤. العمري(شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب، تح، حمزة أحمد عباس، أبو ظبي، منشورات المجمع الثقافي، ط١، د.ت.

١٠٥. ابن عياض (عياض بن موسى بن عياض السبتي ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح، سعيد أحمد أعراب، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٨٢م.

١٠٦. ابن عيشون (أبو عبد الله محمد الشراط ت ١١٠٩هـ/١٦٩٧م) : الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تح، زهراء النظام، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، ١٩٩٧م.

١٠٧. ابن غازي (محمد بن أحمد بن محمد العثماني ٩١٩هـ/١٥١٣م) : الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح، عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ط٢، ١٩٨٨م .

١٠٨. الغبريني(أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله ت ٧١٤هـ/ ١٣١٤م) : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح، عادل نويهض، بيروت، دار الأفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٩م.

١٠٩. الغرناطي (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي ت٧٠٨هـ / ١٣٠٨م): صلة الصلة، تح، شريف أبو العلا العدوي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية،٢٠٠٨م .

١١٠. الغرناطي(أبو اسحاق إبراهيم ابن أحمد بن عبد الرحمن ت ٥٧٩هـ/١١٨٣م) :الوثائق المختصرة، تح، إبراهيم بن محمد السهلي، المدينة المنورة، منشورات الجامعة الإسلامية، ٢٠١١م.

١١١. الغساني(المظغر يوسف بن عمر بن علي ت٦٤٩هـ/١٢٥١م) : المعتمد في الأدوية، تح، محمود عمر الدمياطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ م.

١١٢. الفاسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي ت ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م) : المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تح، محمد الشريف، تطوان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة عبد المالك السعدي، ٢٠٠٢م .

١١٣. الفشتالي(أحمد بن إبراهيم بن يحيى ت القرن ٦هـ/١٢م) :تحفة المغترب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان في كرامات الشيخ أبي مروان، تح، فرناند ودي لاجرانجا، مدريد، منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ١٩٧٤م .

١١٤. أبو الفداء(عماد الدين بن إسماعيل ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) : المختصر في أخبار البشر، مصر، المطبعة الحسينية، ١٩٠٦ م.

١١٥. ابن فرحون (برهان الدين أبو الوفاء إبراهيم بن شمس الدين ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م): تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، علق عليه، جمال مرعشلي، الرياض، دار عالم الكتب، ٢٠٠٣م.

١١٦. ابن الفقيه(أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق ت٣٤٠هـ/ ٩٥١م): البلدان، تح، يوسف الهادي، بيروت، عالم الكتب، ١٩٩٦م.

١١٧. الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ/١٤١٤م): القاموس المحيط، بيروت، دار العلم للملايين، د.ت.

١١٨. ابن القاضي (أحمد المكناسي ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، الرباط، دار المنصور، ١٩٧٣م.

١١٩. ابن القاضي(أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م): ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، تح، محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث،١٩٧١م.

١٢٠. القرطبي(أبو يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م): أمثال العوام في الاندلس، تح، محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، د.ت.

١٢١. القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م):عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، بيروت، منشورات مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٠م .

١٢٢. القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) : آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، د.ت .

١٢٣. ابن القطان (أبو محمد حسن بن علي بن محمد الكتامي المراكشي ت منتصف ٧هـ/١٣م): نظم الجمان لترتيب ماسلف من أخبار الزمان، تح، محمود علي مكي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م.

١٢٤. القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) : مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تح، عبد الستار أحمد فراج، بيروت، عالم الكتب، د.ت .

١٢٥. القلقشندي(أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مصر،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د. ت.

١٢٦. القلقشندي(أبي العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م): قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح، إبراهيم الأبيارى، لبنان، دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٩٨٢م .

١٢٧. ابن قنفذ (أبو العباس أحمد بن حسين بن علي ت ٨١٠هـ/١٤٠٧م): الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح، محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م .

١٢٨. ابن قنفذ (أبو العباس أحمد بن الخطيب ت٨١٠هـ/١٣٩٨م) :أنس الفقير وعز الحقير، تح، محمد الفاسي، أدولف فور، الرباط، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، ١٩٦٥م.

١٢٩. الكتبي (محمد شاكر ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) : فوات الوفيات والذيل عليها، تح، إحسان عباس، بيروت، دار صادر، د.ت .

١٣٠. ابن كثير(عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) :البداية والنهاية، تح، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصر، دار هجر، ١٩٩٨م .

١٣١. الكشناوي (أبو بكر بن حسن بن عبد الله ت ١٣٩٧هـ /١٩٧٨م): أسهل المدارك شرح إرشاد السالك في فقه إمام الأئمة مالك، بيروت، دار الفكر، ط٢، د.ت .

١٣٢. كربخال (مارمول ت حوالي١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م): إفريقيا، تر، محمد حجي، محمد زنبير، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، الرباط، دار المعرفة للنشر، ١٩٤٨م.

١٣٣. الكناني(أبو محمد عبد الله بن عبد الله ابن سلمون ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م) :العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام، تح،محمد عبد الرحمن الشاغول، القاهرة، دار الآفاق العربية، ٢٠١١م.

١٣٤. المازوني(أبو زكرياء يحي بن موسى بن عيسى ت ٨٨٣هـ/١٤٧٨م) : الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح، بركات إسماعيل، الجزائر، جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠٠٩-٢٠١٠م .

١٣٥. المجليدي(أحمد سعيد ت ١٠٩٤هـ/١٦٨٢م) : كتاب التيسير في احكام التسعير، تح، موسى القبال، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧١م .

١٣٦. المقدسي (محمد بن أحمد بن أبي بكر ت ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط٣، ١٩٩١م.

١٣٧. المراكشي (محيى الدين عبد الواحد بن علي ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح، محمد زينهم محمد عزب، القاهرة، دار الفرجاني، د.ت.

١٣٨. ابن مرزوق (أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني ت٧٨١هـ/ ١٣٧٩م) :المسند الصحيح الحسن في مأثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح، ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، ١٩٨١م .

١٣٩. ابن مرزوق (أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني ت ٧٨١هـ/١٣٧٩م): المناقب المرزوقية، تح، سلوى الزاهري، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، ٢٠٠٨م .

١٤٠. ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد توفي ق١١هـ /١٧م) : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة، محمد بن أبو شنب، الجزائر، المطبعة الثعالبية، ١٩٠٨م.

١٤١. المقري (أحمد بن محمد التلمساني ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م .

١٤٢. المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد ت١٠٤١هـ/١٦٣١م) : أزهار الرياض في أخبار عياض، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، مطبعة فضالة، ١٩٨٥م.

١٤٣. المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر ٨٤٥هـ/١٤٤١م) : السلوك لمعرفة دول الملوك، تح، محمد عبد الادر عطا، لبنان، دار الكتب العلمية،١٩٩٧م

١٤٤. المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط١٩٨٧،٢م.

١٤٥. ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨.

١٤٦. مؤلف مجهول (مراكشي ق ٦هـ/١٢م): الاستبصار في عجائب المصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، د.ت .

١٤٧. مؤلف مجهول (توفي في القرن٧هـ/١٣م) : زهر البستان في دولة بني زيان، تح، بوزياني الدارجي، الجزائر، مؤسسة بوزياني،٢٠١٣م.

١٤٨. مؤلف مجهول(ت القرن٨هـ/١٤م): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح، سهيل زكار، عبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد، ١٩٧٩م.

١٤٩. مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس، تح، تر، لويس مولينا، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية المعهد ميغيل أسين، ١٩٨٣م .

١٥٠. النباهي (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن ت٧٩٢هـ/١٣٨٩م) : المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح، لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، دار الآفاق، ١٩٨٣م .

١٥١. النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تح، مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م .

١٥٢. ابن هذيل(علي بن عبد الرحمن ت بعد ٧٦٣هـ/١٣٦١م): تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، تح، عبد الإله أحمد نبهان، محمد فاتح زعل، الإمارات العربية المتحدة، مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٤م.

١٥٣. ابن الوردي (عمر بن مظفر بن عمر ٧٤٩هـ/١٣٤٨ م) : تاريخ ابن الوردي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.

١٥٤. الوزان (الحسن بن محمد ت بعد٩٥٧هـ / ١٥٥٠م): وصف إفريقيا، تح، محمد الأخضر، محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م.
١٥٥. الوليدي(أبو الفضل راشد بن أبي راشد ت ٦٧٥هـ/١٢٧٦م) : الحلال والحرام، تح، عبد الرحمن العمراني الإدريسي، د.م، مكتبة محمد أبي سلمان العمراوي، ١٩٩٠م.
١٥٦. الونشريسي (أبي العباس أحمد بن يحيى ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م) : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، تح، محمد حجي، المغرب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، ١٩٨١م
١٥٧. اليافعي (أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه، خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م .
١٥٨. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧ م): البلدان، تح، محمد أمين الضناوي، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

ج- قائمة المراجع :

١. آبادي (محمد شمس الحق العظيم ت ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م): عون المعبود شرح سنن ابو داود، تح، عبد الحق محمد عثمان، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ط٢، ١٩٦٩م.
٢. أحمد (أحمد عبد الرازق):الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى العلوم العقلية ، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩١م .
٣. أحمد (علي) : تاريخ المغرب القديم الإسلامي، دمشق، منشورات جامعة دمشق، ٢٠١٠-٢٠١١م.
٤. إدريس (روجي) : الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقيا في عهد بني زيري من القرن ١٠إلى القرن ١٢م، تر، حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م .
٥. أرسلان (شكيب) :الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، مصر، المطبعة الرحمانية، ١٩٣٦م.

٦. أرسلان (شكيب): الرحلة الحجازية المسماة الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، تح، حسن السماحي سويدان، دمشق، دار النور، ٢٠٠٧م .

٧. أسكان (الحسين): المجاعات والأوبئة بين الآفات السماوية والجائحة الإنسانية خلال العصر الوسيط شمال المغرب، المغرب، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ٢٠٠٢ م.

٨. إسماعيل (محمد محمد أحمد): ثورات العرب والبربر واليهود في المغرب الأقصى والأندلس في عهد بني مرين ٦١٥-٨٩١هـ/١٢١٣-١٤٦٥م، القاهرة، دار الثقافة الدينية، ٢٠٠٨م .

٩. إسماعيل(محمود):سيسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الانهيار، بيروت، مكتبة سينا،٢٠٠٠م.

١٠. أ. ف (غوتييه): ماضي شمال إفريقيا، تر : هاشم الحسيني، د.م ، مؤسسة تاولت الثقافية،١٩١٠م .

١١. أشباخ(يوسف): تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، تر، محمد عبد الله عنان، القاهرة،مكتبة الخانجي، ط١٩٩٦،،٢م.

١٢. بالنثيا (أنخيل غونثاليث):، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، ط١، القاهرة، مطبعة النهضة المصرية، د.ت.

١٣. بدوي (محمد زكي): معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٢م.

١٤. برنشفيك(روبار) : تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن ١٣ إلى نهاية القرن ١٥، تر، حمادي الساحلي، بيروت،دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨م .

١٥. برودويل (فرنان) : المتوسط والعالم المتوسطي، تر، مروان أبي سمرا، بيروت، دار المنتخب العربي، ١٩٩٣م.

١٦. بروفنسال (ليفي):سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها ألقاها عام ١٩٤٧-١٩٤٨ تر : محمد عبد الهادي، مراجعة : عبد الحميد العبادي بك، القاهرة، المطبعة الأميرية،١٩٥١م

١٧. بروفنسال(ليفي) : رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، الرباط، المطبعة الاقتصادية، ١٩٤١م .

١٨. البزاز (محمد الأمين) : تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٢م .

١٩. بزوجي (وليد) : دولة الموحدين بعد موقعة العقاب ودراسة في التراجع الحضاري في الغرب الإسلامي، الجزائر، جامعة الجزائر، ٢٠١٤-٢٠١٥م.

٢٠. البستاني (بطرس): معارك العرب في الأندلس، القاهرة، هنداوي، ٢٠١٣م.

٢١. بلحاج (نادية) :التطبيب والسحر في المغرب، الرباط، الشركة المغربية لناشرين المتحدين،١٩٨٦م.

٢٢. بلعربي (خالد) : الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، قسنطينة، دار الألمعية، ٢٠١١م .

٢٣. بنعبد الله (محمد بن عبد العزيز): الماء في الفكر الاسلامي والأدب العربي، المغرب وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،١٩٩٦م

٢٤. بوتشيش (إبراهيم القادري) : مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، بيروت، دار الطليعة، د.ت .

٢٥. بوتشيش (إبراهيم القادري) : المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع الذهنيات الأولياء،بيروت،دار الطليعة،١٩٩٣م .

٢٦. بوتشيش (إبراهيم القادري) : تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٤م .

٢٧. بو عزيز (يحيى) : تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الجزائر، وزارة الثقافة، ٢٠٠٧م .

٢٨. بولطيف (خضر محمد): فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، د.م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، د.ت .

٢٩. بولقطيب (الحسين) : جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، د.ت .

٣٠. البياض (عبد الهادي): الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس ق٦٨.هـ/١٤.١٢م، بيروت، دار الطليعة، د.ت .

٣١. الجزاع (محمد بن صالح) :الأحكام الفقهية في الرقية الشرعية، حائل، دار الأندلس، ٢٠٠٦م.
٣٢. التليدي(عبد الله بن عبد القادر ت ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م): المطرب بمشاهير أولياء المغرب، الرباط، دار الأمان، ط٤،٢٠٠٣م.
٣٣. الثعالبي (محمد بن الحسن الحجوي ت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م): الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، الرباط، إدارة المعارف، ١٩٢٥م .
٣٤. الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد) : تاريخ الجزائر العام الجزائر، مكتبة الشركة الجزائرية، ط٢، ١٩٦٥م .
٣٥. حتاملة(محمد عبده): الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، الأردن، مطابع الدستور، ٢٠٠٠م.
٣٦. حتامله (محمد عبد): أيبريا قبل مجيء العرب المسلمين، الأردن، وزارة الثقافة، ١٩٩٦م.
٣٧. حركات (إبراهيم): المغرب عبر التاريخ عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ما قبل الإسلام إلى العصر الحاضر ، دار الرشاد، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م .
٣٨. الحريري (محمد عيسى) : تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني ٦١٠-٨٦٩هـ/ ١٢١٣- ١٤٦٥م، الكويت، دار القلم، ط٢، ١٩٨٧م .
٣٩. الحريري (محمد عيسى) : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس ١٦٠-٢٩٦هـ / ٧٧٦-٩٠٩م، الكويت، دار القلم، ط٣، ١٩٨٧م .
٤٠. حساني (مختار): تاريخ االدولة الزيانية، الجزائر، منشورات الحضارة، ٢٠٠٩م.
٤١. حسن (إبراهيم حسن): تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، بيروت، دار الجيل، ط١٤، ١٩٩٦م .
٤٢. حسن (محمد): المدينة والبادية بإفريقيا في العهد الحفصي، تونس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٩م.
٤٣. ابن حسن (محمد) :القبائل والارياف المغربية في العصر الوسيط، تونس، دار الرياح الأربع، ١٩٨٦م.

٤٤. حسن(حسن علي) : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠م .

٤٥. حسين (حمدي بن المنعم محمد): تاريخ المغرب و الأندلس في عصر المرابطين دولة علي بن يوسف المرابطي، مصر، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م .

٤٦. حسين (محمد كامل) : الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، د.م، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.ت .

٤٧. حمودة (عبد الحميد حسين): تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية، القاهرة، الدار الثقافية، ١٩٩٩م.

٤٨. الخطابي (عبد الكريم): الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ت.

٤٩. الخطابي (محمد العربي) : الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م .

٥٠. خلف الله (إبتسام مرعي) : العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ٥٢٤-٩٣٦هـ/١١٣٠-١٥٢٩م، مصر، دار المعارف،١٩٨٥م .

٥١. خليلي(بختة) : الحرب وأزمة الغذاء بالمغرب الأوسط، الجزائر، جامعة معسكر، د.ت.

٥٢. الدارجي(بوزياني) : نظم الحكم في دولة بني عبد الواد،الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٣م .

٥٣. الدراجي(بوزياني) : القبائل الأمازيغية أدوارها وموطنها وأعيانها، الجزائر، دار الكتاب العربي، ط ٤، ٢٠١٠ م.

٥٤. دندش (عصمت عبد اللطيف) : الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني ٥١٠-٥٤٦هـ/١١١٦-١١٥١م تاريخ سياسي وحضارة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨م.

٥٥. أبو رميلة (هشام): علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، عمان دار الفرقان، ١٩٨٤م.

٥٦. ريه (عطا علي محمد شحاته): اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، دمشق، دار الكلمة، ١٩٩٩م .
٥٧. زامبارو (إدوارد فون): معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه : زكي محمد حسن،حسن أحمد محمود، تر، سيدة إسماعيل كاشف، حافظ أحمد حمدي، أحمد ممدوح حمدي، بيروت، دار الرائد، ١٩٨٠م .
٥٨. الزركلي (خير الدين): الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م .
٥٩. زنبير (محمد): البرتغال الأندلسية دراسات في الحضارة الإسلامية وثقافة الغرب الإسلامي، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٠م.
٦٠. زنبير (محمد) : الصناعة في نسق ابن خلدون الاجتماعي، الرباط، منشورات كلية الآداب، ١٩٧٩م .
٦١. زيعور (علي): الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم القطاع اللاواعي في الذات العربية، بيروت، دار الأندلس، ط٢، ١٩٨٤م.
٦٢. زينل (نهاد عباس): الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أوروبا القرون الوسطى ٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت .
٦٣. سالم (سحر السيد عبد العزيز) : من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٣م .
٦٤. سالم (عبد العزيز) : تاريخ المرية الاسلامية قاعدة أسطول الأندلس، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٦٩م .
٦٥. سالم (عبد العزيز): تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ط٢، ١٩٩٩م .
٦٦. السامرائي(أسامة عبد الحميد حسين): تاريخ الوزارة في الأندلس ١٣٨-٨٩٧هـ/٧٥٥-١٤٩٢م، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.
٦٧. السامرائي (كمال): مختصر تاريخ الطب، لبنان،دار النضال،د.ت.

٦٨. السبتي (عبد الأحد)،فرحات(حليمة): المدينة في العصر الوسيط قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤م .
٦٩. سرهنك (الميرالاي اسمعيل): حقائق الأخبار عن دول البحار، بولاق المطبعة الأميرية، ١٨٩٤م .
٧٠. السرهيد (خالد بن سعد بن محمد): الصاع النبوي تحديده والأحكام الفقهية المتعلقة به، الرياض، دار طوق، ٢٠١٠م .
٧١. سرّو(محمد): النظر والتجريب في الطب الأندلسي بين ابن رشد وابن زهر دراسة إيستيمولوجية تحليلية، الرباط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والفنون إيسيسكو، ٢٠١٥م .
٧٢. السلاوي(أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ت ١٣١٥هـ /١٨٩٧م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة المرينية، تح جعفر الناصري، محمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٩٧م.
٧٣. السملالي(العباس بن إبراهيم ت ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م): الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تح، عبد الوهاب ابن منصور، الرباط،المطبعة الملكية، ط٢، ١٩٩٣م .
٧٤. ابن سودة (عبد السلام بن عبد القادر): دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لبنان، دار الفكر، ١٩٩٧م .
٧٥. السويدان (طارق): الأندلس التاريخ المصور، الرياض، د.د، ٢٠٠٥م .
٧٦. السيد (فؤاد صالح): معجم ألقاب السياسيين في التاريخ العربي الإسلامي معجم جامع شامل يحتوي على تراجم السياسيين الملقبين في كل العصور العربية الإسلامية بدءاً من العصر الجاهلي حتى أواخر القرن العشرين، بيروت، مكتبة حسن العصرية، ٢٠١١م .
٧٧. شاكر (محمود) : التاريخ الإسلامي الدولة العباسية، المكتب الإسلامي، ط٦، ٢٠٠٠.
٧٨. الشاهري (مزاحم علاوي): الحضارة العربية الإسلامية في المغرب العصر المريني، د.م، مركز الكتاب الأكاديمي، د.ت .
٧٩. شاوش (محمد بن رمضان): باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت .

٨٠. الشمري(غازي)، ياشوش (جعفر): ابن زهر دراسة في الكتابة والتطبيب، وهران، منشورات مخبر البحث التاريخي، ٢٠١٣م.

٨١. بن شريفة (محمد): تاريخ المثال والازجال في الاندلس والمغرب بحوث ونصوص، الرباط، منشورات وزارة الثقافة،٢٠٠٦م .

٨٢. الطوخي (أحمد محمد): مظاهر الحضارة في الأندلس فيعصر بني الأحمر، تقديم : أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧م .

٨٣. العادلي (فاروق محمد): ظاهرة التسول، مصر، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، ٢٠٠٦م .

٨٤. العامري (محمد بشير حسن): مظاهر الإبداع الحضاري في التاريخ الأندلسي، بغداد، دار غيداء، ٢٠١٢م .

٨٥. عبيدات (داود عمر سلامة) : الموحدون في الأندلس المغرب والأندلس مابين سنتي ٥٤١-٦٦٧هـ/١١٤٦-١٢٦٨م، الأردن، دار الكتاب الثقافي، د.ت .

٨٦. خلاف (محمد عبد الوهاب): وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي، مراجعة، محمود علي مكي، القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام، ١٩٨٠م.

٨٧. العبادي (أحمد مختار): دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعى، د.ت .

٨٨. العبادي (أحمد مختار): صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، الإسكندرية، دار المعارف، ٢٠٠٠م.

٨٩. الطيبي(أمين توفيق): دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٧م.

٩٠. حسين (ممدوح)، مصطفى (شاكر): الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري سنة ٦٦٨-٧٩٢هـ/١٢٧٠-١٣٩٠م، عمان، دار عمار، ١٩٩٨م.

٩١. العبادي (أحمد مختار): صورمن حياة الحرب والجهاد في الأندلس، الإسكندرية، دار المعارف، ٢٠٠٠م.

٩٢. العبادي (أحمد مختار): في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، دار النهضة العربية، د.ت .
٩٣. عباس (إحسان) : تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى القرن التاسع هجري، بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، ١٩٦٧م.
٩٤. عبد الحميد (عفاف عبد الجبار) : الحياة السياسية والحضارية للدولة الحفصية في عهد السلطان أبو فارس عبد العزيز ٧٩٦هـ - ٨٣٧ هـ / ١٣٩٣م - ١٤٣٣م، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، د.ت.
٩٥. عبد الوهاب (حسن حسني): خلاصة تاريخ تونس، تونس، دار الفنون، ط٣، د.ت .
٩٦. العزاوي (أحمد): رسائل موحدية مجموعة جديدة، القنيطرة، جامعة ابن طفيل كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة النجاح، ١٩٩٥م.
٩٧. العزاوي (عبد الرحمن حسين): تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي، الأردن، دار الخليج، ٢٠١٧م .
٩٨. عطيات (أحمد محمد) : الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش، عمان، أمواج للطباعة، ٢٠١٢م .
٩٩. عفيفى(محمد الصادق): تطور الفكر العلمي عند المسلمين، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٧م .
١٠٠. علوي (حسن حافظي): تأثير الرياح على الأنشطة الاقتصادية بالمناطق الصحراوية وشبه الصحراوية ببلاد المغرب في العصر الوسيط، أبو ظبي، جامعة محمد الخامس، ٢٠١٧م.
١٠١. عنان (محمد عبد الله) دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٩٩ م.
١٠٢. فتحة(محمد): النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن٦-٩هـ /١٢-١٥م، جامعة الحسن الثاني عين الشق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الدار البيضاء، ١٩٩٩م.
١٠٣. فرحات(يوسف شكري) : غرناطة في ظل بني الأحمر، بيروت، دار الجيل،١٩٩٣م.

١٠٤. القحطاني (سعيد بن علي): صلاة الاستسقاء مفهوم وأسباب وأنواع وآداب وآيات وحكم وأحكام، الرياض، مؤسسة الجريسي، ٢٠٠٢م .

١٠٥. القدوري (عبد المجيد) : وقفات في تاريخ المغرب، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠١ م.

١٠٦. الكتاني(أبو عبد الله محمد بن جعفر ت ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م) :سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، الدار البيضاء، دار الثقافة، د.ت.

١٠٧. الكركجي (نغم عدنان أحمد): الأزمات الاقتصادية في الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م، د.م، دار الكتاب الثقافي، ٢٠١٤م .

١٠٨. كريمي (ماجدة): قراءة المدينة الموحدية والمرينية خلال أزمة المجاعات والأوبئة، المغرب، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ٢٠٠٢م .

١٠٩. كولان(ج..س): الأندلس، تر، إبراهيم خود شيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠م.

١١٠. مارسيه(جورج): بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر محمود عبد الصمد هيكل، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٩٩م.

١١١. مجموعة من المؤلفين : المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، تونس، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ٢٠٠٠م .

١١٢. مجموعة من المؤلفين : وقفات في تاريخ المغرب دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم بو طالب، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠١م .

١١٣. مجموعة من المؤلفين :الديمغرافية التاريخية في تونس والعالم العربي، تونس، دار سراس، ١٩٩٣م .

١١٤. محمد (عاطف): مؤسس علم الصيدلة ابن البيطار، القاهرة، دار اللطائف، ٢٠٠٣م.

١١٥. محمود (حسن أحمد): قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، القاهرة، دار الفكر، د.ت .

١١٦. محمود(علي السيد علي) : الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي دراسة مقارنة بين الشرق والغرب، مصر، جامعة القاهرة، د.ت.

١١٧. مخلوف (محمد بن محمد بن عمر ت١٣٦٠هـ/١٩٤١م): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

١١٨. المرزوقي (محمد): قابس جنة الدنيا غابتها خليجها مدينتها سكانها تاريخها رجالها، مصر، مكتبة الخانجي، د.ت .

١١٩. مسعد (سامية مططفى) :الحرب والطبيعة في المغرب الأقصى في عصر بني مرين، القاهرة، عين للدراسات والبحوث، ٢٠٠٣م.

١٢٠. مسعد(سامية مصطفى) : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين من ٤٨٢ـ ٦٢٠هـ /١٠٩٢ـ١٢٢٣م، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.

١٢١. أبو مصطفى (كمال السيد) : دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، الإسكندرية، مركز الاسكندرية للكتاب، ١٩٩٧م .

١٢٢. المطوي (محمد العروسي): الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م .

١٢٣. المطوي(محمد العروسي): السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م .

١٢٤. معلوف (لويس):المنجد في اللغة، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ط١٩، د.ت .

١٢٥. المنصوري(عثمان) : التجارة في المغرب في القرن السادس عشر، الرباط، منشورات كلية الآداب،٢٠٠١ م .

١٢٦. مقديش(أبو الثناء الصفاقسي محمود بن سعيد ت ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م) : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح، علي الزواري، محمد محفوض، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨م .

١٢٧. المنوني(محمد): حضارة الموحدين، الدار البيضاء، دار توبقال، ١٩٨٩م.

١٢٨. المنوني (محمد) : العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، الرباط، دار المغرب، ١٩٧٧م .

١٢٩. موسى (عز الدين عمر) : النشاط اقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م .

١٣٠. الميلي (مبارك بن محمد): تاريخ الجزائر في القديم والحديث، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ت.

١٣١. النبهاني(يوسف بن إسماعيل ت١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م) : جامع كرامات الأولياء، تح، إبراهيم عطوة عوض، الهند، مركز اهلسنة بركات رضا،٢٠٠١م.

١٣٢. النجار (عبد المجيد): المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفى ٥٢٤هـ/١١٢٩م حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وآثره بالمغرب، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م.

١٣٣. نشاط (مصطفى): السجن والسجناء نماذج من تاريخ المغرب في العصر الوسيط ، الدار البيضاء، مطبعة إفريقية الشرق، ٢٠١٢م .

١٣٤. النيفر (محمد): عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م .

١٣٥. الهلالي (محمد ياسر): أثر القحط والمجاعات والأوبئة على الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأقصى خلال أواخر العصر الوسيط، المغرب، الجمعية المغربية للبحث التاريخي .

١٣٦. هنتس (فالتر) :المكاييل والأوزان الإسلامية ومايعادلها في النظام المتري، تر، كامل العسلي، الأردن، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م.

١٣٧. الوزاني (أبي عبد الله سيدي محمد بن محمد الخضر ت ١٣٤٢هـ /١٩٢٣م): النوازل الصغرى المسماة المنح السامية في النوازل الفقهية، المملكة المغربية،مطبعة فضالة، ١٩٩٢م.

١٣٨. ووكر (ريتشارد) : الأوبئة والطاعون، تر، ابن العماد للترجمة، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، د.ت .

د . رسائل الماجستير والدكتوراه :

١. باسم (نبراس فوزي): النشاط الاقتصادي في كتب البلدانيين الأندلسيين، رسالة دكتوراه، بغداد، جامعة بغداد، ٢٠٠٨م .
٢. بكاي (عبد المالك) : الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن ٧-١٠هـ/١٣-١٦م، رسالة دكتوراه، الجزائر، جامعة الحاج لخضر، ٢٠١٣-٢٠١٤م.
٣. الجوراني(آمنة حميد حمزة): الصيادلة والعشابون في الأندلس، رسالة ماجستير، بغداد، جامعة بغداد، ٢٠٠٧م .
٤. خليلي (بختة) : الفقر بالمغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين ق١٣/١٥م واقعه وآثاره، رسالة دكتوراه، الجزائر، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، ٢٠١٥-٢٠١٦ .
٥. بن ديدة(قداري): تأثيرات الهجرات الهلالية على بلاد المغرب الأوسط٤٤٣-٥٥٧هـ/١٠٥٢-١١٦٠م،رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة مولاي الطاهر سعيدة، ٢٠١٤-٢٠١٥،ص٢٩،٢٨.
٦. زيتوني (فائزة): نصوص الكرامات في كتاب البستان لابن مريم الشريف مقاربة سيميائية، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة قاصدي مرباح بورفلة، ٢٠٠٨م .
٧. السبعاوي (علي عبد الله صالح) : الأوبئة والكوارث الطبيعية وأثرها على مصر خلال العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م رسالة ماجستير، د.م، جامعة آل البيت،٢٠١٥م .
٨. السامرائي (هند فاضل جمعة): أثر علماء المغرب في الحياة العلمية ببلاد الأندلس في عهدي المرابطين والموحدين ٤٨٤-٦٦٨هـ/١٠٩١- ١٢٦٨م، رسالة ماجستير، بغداد، جامعة بغداد، ٢٠١٦م .
٩. سكينة (عميور): ريف المغرب الأوسط في القرنين ٥-٦هـ/١١-١٢م دراسة اقتصادية واجتماعية، رسالة ماجستير، الجزائر،جامعة قسنطينة،٢٠١٢-٢٠١٣م .
١٠. سيدي محمد (عمارة) :هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن ٧هـ/١٣م ودورهم الثقافي، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة وهران، ٢٠١٢-٢٠١٣م .

11. طارق (بن زاوي): استقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية ٤٠٦-٤٥٤هـ/١٠١٦-١٠٦٢م، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة الجزائر، ٢٠٠٨-٢٠٠٩م .
12. شقدان (بسام كامل عبد الرازق): تلمسان في العهد الزياني ٦٣٣-٦٦٢هـ/١٢٣٥-١٥٥٥م، رسالة ماجستير، فلسطين، جامعة النجاح، ٢٠٠٢م .
13. صلاح (محمد حمزة محمد): الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر ٤٩١ – ٩٢٣هـ/١٠٩٧-١٥١٧م، رسالة ماجستير، غزة، الجامعة الإسلامية،٢٠٠٩ م .
14. بو عامر (مريم) :الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري ما بين القرن ٧-٩هـ /١٣-١٥م، رسالة ماجستير، تلمسان، جامعة أبو بكر بلقايد، ٢٠٠٩-٢٠١٠م.
15. عبد الجبار (صديقي) : سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات، رسالة ماجستير، تلمسان، جامعة أبي بكر بلقايد، ٢٠١٢-٢٠١٣م.
16. عبد القادر (بو حسون) : الأندلس في عهد بني الأحمر دراسة تاريخية وثقافية ٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م، رسالة دكتوراه، تلمسان، جامعة أبو بكر بلقايد، ٢٠١٢-٢٠١٣م.
17. علوش (وسيملة):الثروة المائية في ريف المغرب الأوسط خريطتها منشآتها واستغلالها من القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن السادس الهجري، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة قسنطينة، ٢٠١٣م .
18. عمرون (بلال) : الآفات الاجتماعية في المجتمع الأندلسي من خلال كتب النوازل ورسائل الحسبة منتصف القرن ٥هـ/١١م إلى منتصف ٦هـ/١٢م، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة لونيسي علي، ٢٠١٥-٢٠١٦ م .
19. غطاس (عائشة):الحرف والحرفيون في الجزائر ١٧٠٠ـ ١٨٣٠م مقاربة اجتماعية اقتصادية، رسالة دكتوراه، الجزائر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٠م.
20. غومة (سالم أبو القاسم محمد) : النظم الحربية في دولة بني مرين ٦٦٨-٨٦٩هـ/١٢٦٩-١٤٦٥م، رسالة دكتوراه، مصر،جامعة عين شمس، ٢٠١١-٢٠١٢م .
21. بن فريحة (عبد المالك) : القبائل العربية ومكانتها في الدولة الزيانية، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة وهران،٢٠١٤ -٢٠١٥م .

٢٢. كربوع (مسعود): نوازل النقود والمكاييل والموازين فيكتاب المعيار للونشريسي جمعاً ودراسةً وتحليلاً، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة الحاج لخضر، ٢٠١٢- ٢٠١٣م.

٢٣. المسعودي (جميلة مبطي) : المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة ٦٢١هـ وحتى سنة ٨٩٣هـ، رسالة ماجستير، السعودية، جامعة أم القرى، ٢٠٠٠ م .

٢٤. ابن مصطفى (إدريس): العلاقات السياسية والاقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الأيبرية، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، ٢٠٠٧ م .

٢٥. مطيرات (عادل مبارك) :أحكام الجوائح في الفقه الإسلامي وصلتها بنظرتي الضرورة والظروف الطارئة،رسالة دكتوراه، جامعة الكويت، كلية الشريعة، ٢٠٠١م.

٢٦. موسى(عز الدين عمر): تنظيمات الموحدين ونظمهم في المغرب، رسالة دكتوراه، بيروت، الجامعة الأمريكية،١٩٦٩م.

٢٧. ميمونة(جاب الله): السياسة المالية للدولة الزيانية ٦٣٣-٩٦٢هـ/١٢٣٦-١٥٥٥م، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة ابن خلدون، ٢٠١٣-٢٠١٤م .

٢٨. نويوة (واعظ): أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية ٥٨٠-٦٣٣هـ/١١٨٤-١٢٣٥م، رسالة ماجستير، الجزائر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة بوزريعة، ٢٠٠٧-٢٠٠٨م .

٢٩. الهرمي (سلامة بن سلمان) : الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف ٥٠٠-٥٣٧هـ /١١٠٧-١١٤٣م، رسالة ماجستير، مكة، جامعة أم القرى، ١٩٨٢م .

هـ – المجلات والدوريات :

١. بلاجي (محمد): أقنعة الطعام،الدار البيضاء، مجلة أمل التاريخ الثقافة المجتمع، ع١٦، ١٩٩٩م.

٢. بلعربي(خالد) : آثار المجاعات والأوبئة على تراجع الحرف والصناعات بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، مجلة الناصرية، ع ٤، الجزائر، ٢٠١٣م .

٣. بلعربي(خالد) : المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني (٦٩٨_٨٤٥هـ/١٢٩٩_١٤٤٢م)،، دورية كان التاريخية، ع ٤، الجزائر، جامعة سيدي بلعباس، ٢٠٠٩م.

٤. بن حمادة (سعيد): الإعاقة الجسدية بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، مجلة عصور الجديدة، ع١١-١٢، جامعة وهران، ٢٠١٣-٢٠١٤م .

٥. بن حمادة (سعيد): الخطاب الإصلاحي في تلمسان خلال القرن ٨هـ/ ١٤م من خلال واسطة السلوك لأبي حمو الزياني، مجلة عصور الجديدة، ع٢، الجزائر، جامعة وهران، ٢٠١١م.

٦. بوتشيش (إبراهيم القادري)،البياض (عبد الهادي) : ثقافة الطعام وتنوع خطاباتها زمن المجاعات المغرب والأندلس من القرن٦-حتى القرن٨هـ /١٢-١٤م نموذجاً، مجلة عصور الجديدة،ع ٧-٨، وهران، ٢٠١٣-٢٠١٤م .

٧. بوتشيش(إبراهيم القادري) : أثر الحروب في المجال الضرائبي، بيروت، مجلة الاجتهاد، ع ٣٤-٣٥، بيروت، ١٩٩٧م.

٨. بودالية (تواتية): المقاصد البيئية للوقف في المغرب الإسلامي من خلال بعض النماذج، مجلة عصور الجديدة، ع٧-٨، وهران، ٢٠١٢-٢٠١٣م .

٩. التميمي (عباس جبير سلطان) : برغواطة دراسة تاريخية في نشأتها وعقائدها، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، ع١٠،العراق، جامعة كربلاء، مج٣.

١٠. حالي (محمد): الديمغرافيا التاريخية في العصر الوسيط من خلال ابن خلدون، لبنان، مجلة المستقبل العربي، ع ٤١٦، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٣م.

١١. حسن (عباس): قفصة في عهد الموحدين ٥٤١-٦٦٨/١١٤٦-١٢٦٩م، مجلة آداب البصرة،ع٥٠، جامعة المثنى، ٢٠٠٩م .

١٢. حياوي (فراس سليم): الغزو النورماني للساحل الإفريقي تونس وليبيا في القرن السادس الهجري، مجلة كلية التربية الأساسية، ع٣، جامعة بابل، ٢٠١٠م .

١٣. خليلي (بختة) : دور بعض السلاطين والفقهاء والوجهاء الزيانيين في كواجهة ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع ١٥، الجزائر، ٢٠١٦م .

١٤. أبو دياك(صالح محمد فياض): النظام المالي عند الحفصيين، مجلة دراسات تاريخية، ع ٢١-٢٢، دمشق، ١٩٨٦م.

١٥. أبو دياك (صالح محمد فياض): المواكب السلطانية ورسوم أعلام الدولة الحفصية، مجلة الدارة . ع١،السعودية،،١٩٨٦م .

١٦. رزوق (محمد): التدخل المريني بالأندلس، مجلة دراسات أندلسية، ع١٧، تونس، ١٩٩٧م.

١٧. شخوم(سعدي): الصناعات الصيدلية في الدولة الزيانية من خلال مؤلفات إبراهيم بن أحمد الثغري التلمساني القرن الثامن هجري /القرن الرابع عشر الميلادي، مجلة الناصرية، ع٤، الجزائر، ٢٠١٣م.

١٨. أبو العزم(عبد الغني): أنواع الصيدلة في ألوان الأطعمة، مجلة أمل، ع١٦،الدار البيضاء، ١٩٩٩م.

١٩. العلوش (بسام) : أثر الكوارث في سلوك مجتمع الغرب الإسلامي خلال العصر الموحدي المريني وذهنياته،مجلة جامعة البعث، ع ٣٥، ٢٠١٧م، مج٣٩ .

٢٠. العلياوي (حسين جبار)،الدرويش(جاسم ياسين) : مدينة بياسة الأندلسية ٩٣-٦٣٣هـ/ ٧١١-١٣٣٦م، مجلة بابل، ع٤، جامعة البصرة، كلية العلوم الإنسانية، ٢٠١٦م.

٢١. عميرة (لطيفة بشارة) : علاقة بني عبد الواد ملوك تلمسان ببني مرين المغرب بين القرنين ٧-١٠هـ/١٣-١٦م، مجلة آفاق، ع٣، جامعة الجزائر، ٢٠١٢م .

٢٢. فقادي (الحسين): من مظاهر التغذية في التاريخ الوسيط، مجلة أمل، ع ١٦، الدار البيضاء ،١٩٩٩م.

٢٣. لوثينا (لويس سيكودي): الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية، صحيفة المعهد المصري للدراسات في مدريد، مدريد، ١٩٥٩-١٩٦٠م، مج٧-٨.

٢٤. الخطابي (محمد العربي) :ابن الخطيب السلماني وكتابه الوصول لحفظ الصحة في الفصول، مجلة أكاديمية المملكة المغربية، ع١-٢، المغرب، ١٩٨٥م .
٢٥. بن شريفة (محمد) : أبو مروان الباجي الإشبيلي ورحته الى المشرق ، المغرب، مطبعة فضالة، دعوة للحق،ع١٩٩٩،٥م .
٢٦. المريخي (سيف الدين): العلاقات التجارية بين الصقالبة والعرب المسلمين في القرنين الثالث والرابع الهجري التاسع والعاشر الميلاديين، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، ع ١٤، قطر،٢٠٠٠م .
٢٧. مزدور(سمية) : مقاربات حول مستوى معيشة التجار والحرفيين في المغرب الأوسط أواخر الفترة الوسيطة، مجلة الناصرية، ع٤، الجزائر، ٢٠١٣م.
٢٨. مؤنس (حسين): الجغرافية والجغرافيون في الأندلس من البداية إلى الحجاري، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مدريد، ١٩٥٩-١٩٦٠م، مج٧-٨.

و- قائمة المراجع الأجنبية :

1. Alexander Herbig, Kirsten I. Bos, Johannes Krause : Historical Y. pestis Genomes Reveal the European Black Death as the Source of Ancient and Modern Plague Pandemics,cell host and microbe(Science Direct), CambridgeUSA. ,8,june,2016.
2. Laroi (Abdallah): L´ historie du Maghreb un essai de syntnése franÇois ,1982.
3. ,paris,Pounds, Norman John Greville. An Historical Geography of, Europe 1500-1840, CUP Archive, 1979.
4. Rosell (Cayetano) *: Crónicas de los reyes de Castilla: Desde don Alfonso el Sabio, hasta los católicos don Fernando y doña Isabel*. Madrid: Cárlos Bailly-Baillier

Summary:

History books have talked about political conditions and battles, and the lives of their heroes, but historical writing has witnessed a qualitative leap and evolution in terms of the subject. The humanitarian and socio-economic conditions are no longer marginalized. Historians have come out of their shell and raised new topics such as the history of science, arts, crises and history of the dimensions of political decline. on people .

Therefore, the subject of famine and epidemics was chosen in Morocco and Andalusia (6-8 AH/12-14 AD) as a new subject dating to the crisis witnessed by Morocco and Andalusia and studying its causes and efforts to overcome them at the official and popular levels and their results at all levels socially, economically, politically, psychologically, intellectually and even scientifically.

The long period of research was chosen between the two centuries (6-8 AH/12-14 AD) because famines and epidemics need a long time in study to monitor the largest number of famines and epidemics that hit Morocco and Andalusia and to show their effects on the society that does not end with the end of famine and epidemics, Where the devastating economic and demographic effects continue for years after which the community needs a long time to recover from them.

The research was divided into an introduction, four chapters and a conclusion:

In the first chapter, the geography of Morocco, Andalusia and the political forces that followed the rule during the two centuries (6-8 AH/12-14 AD) were defined. It is not possible to establish a true socio-economic study with out the political circumstances and geographical boundaries of a country.

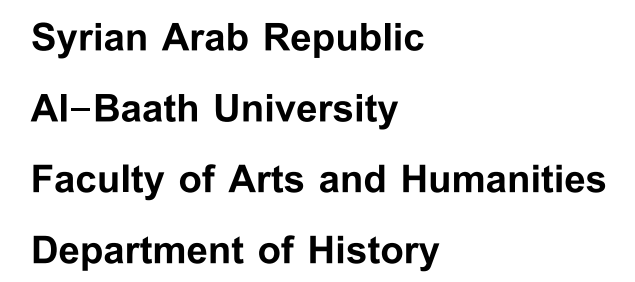
The second chapter dealt with the causes of famine, both natural and human, including natural factors such as drought, floods and cyclones, and their impact on agricultural decline and famine. Humanity was represented by wars and taxes and their impact on the disruption of the productive sector and the destruction of agricultural land and the displacement of workers. And the pollution of water, air and famine and its bad food pattern, which leads to epidemics and wars and the large number of dead and bodies that caused epidemics and there were also superstitious and unreal causes of plague among people.

The third chapter was about efforts to overcome famines and epidemics, whether efforts at the official level of the state based on aid, opening the warehouses and reducing taxes, or at the level of the public by taking precautionary measures such as saving and procedural as their innovation for new foods that differ from the usual and can sometimes be called anomalies. Fatwas that facilitate the affairs of people or through the performance of donations. Efforts to overcome epidemics came through scientific medicine by doctors, hospitals,

quarantine, mineral water, or Traditional medicine or fairy remedies that spread among people.

The fourth chapter deals with the consequences of famine and epidemics at all social levels of demographic, migration and social pests of theft and begging, economic results such as high prices, monopolies, low value of the currency, And psychological and intellectual results such as the emergence of clergy and faith in superstitions, myths and sorcery, and the scientific results of famines and epidemics on science positive and negative.




Syrian Arab Republic

Al-Baath University

Faculty of Arts and Humanities

Department of History

The Famin and Epidemics in Morocco and Alandalus (6-8 AH/12-14 AD) "A Study of The Economic and Social History"

This research is submitted to get master degree of history

Department of Arab and Islam.

Prepared by:

olaa Mahmoud Hammoud

Supervised by:

Pro. Shereen salem Hammoudy

2018 A.D / 1439 A.H